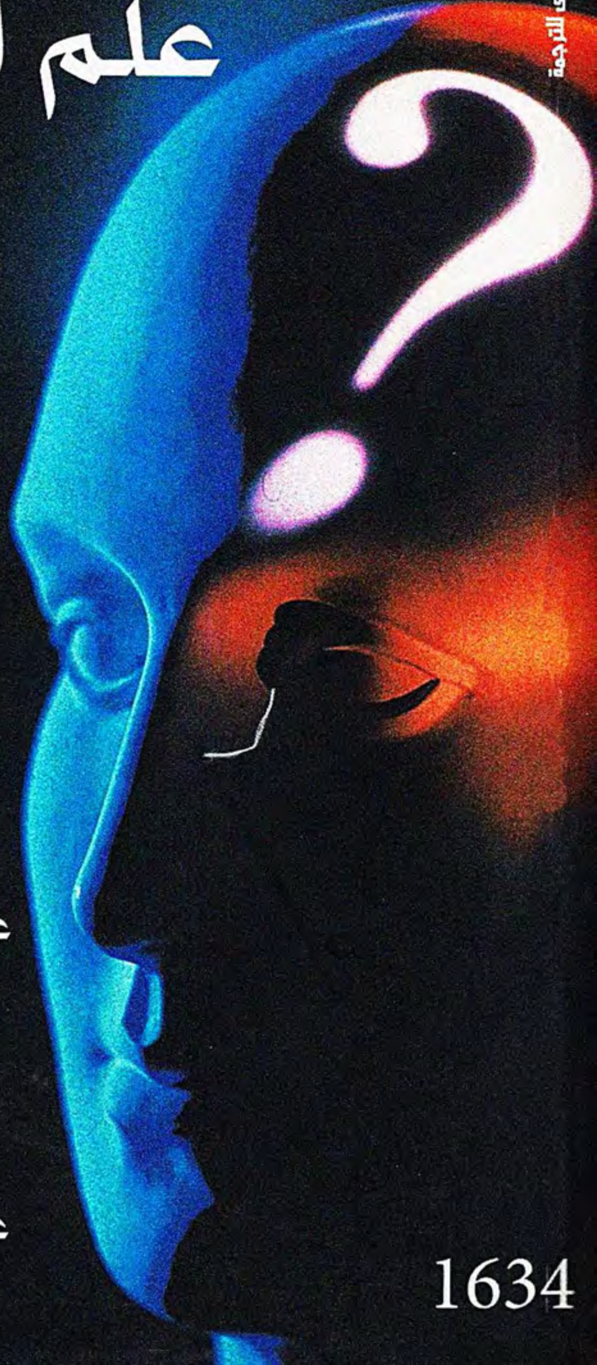
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

لورانس أ. برافين

علم الشخصية

الجزء الأول



ترجمة
عبدالحليم محمود السيد
أيمن محمد عامر
محمد يحيى الرخاوى
مراجعة
عبدالحليم محمود السيد

1634

علم الشخصية

(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1634
- علم الشخصية (ج١)
- لورانس أ. برفين
- أيمن محمد عامر
- محمد يحيى الرخاوى
- عبد الحليم محمود السيد
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

The Science of Personality

by Lawrence A. Pervin

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

علم الشخصية

(الجزء الأول)

تأليف: لورانس أ. برفين

ترجمة

عبد الحليم محمود السيد   أيمن محمد عامر

محمد يحيى الرخاوى

مراجعة: عبد الحليم محمود السيد

2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

برفين ، لورانس أ .
علم الشخصية (الجزء الأول) تأليف : لورنس أ. برفين
ترجمة : عبد الحليم محمود السيد ، أيمن محمد عامر ، محمد
يحيى الرخاوى - مراجعة : عبد الحليم محمود السيد -
ط١ القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٥٦٤ ص ، ٢٤ سم
١ - الشخصية (فلسفة) .
(أ) العنوان ١٤١,٥

رقم الإيداع ٢٠١٠/١٧٢٣٤
الترقيم الدولى 978-977-704-286-4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

مقدمة الطبعة العربية

الفصل الأول: تقديم الدراسة العلمية للشخصية

الجزء الأول: وحدات الشخصية

الفصل الثانى: السمات كوحدات للشخصية

الفصل الثالث: الوحدات المعرفية للشخصية

الفصل الرابع: الوحدات الدافعية للشخصية

الفصل الخامس: طبع الشخصية وتطبعها

الفصل السادس: تخطيط حياة الأشخاص عبر الزمن

مقدمـــة المترجمين

تم اختيار الكتاب الحالى: علم الشخصية الطبعة الثالثة الصادر ســنة ٢٠٠٣، لسد ثغرة كبيرة فى المكتبة العربية تتصل بعلم الشخصية، خاصة وأن معظم الكتب الأجنبية التى هى مصدر معظم المؤلفات العربية عن الشخصية تركز منذ الستينيات على النظريات الكبرى، مثل نظرية التحليل النفسى ونظريات الــتعلم.. رغــم أن ميدان الشخصية قد تغير عبر السنوات ولم يعد يركز على النظريات الكبرى، وإنما بدأ يركز على محاولة الإجابة عن عدد من الأسئلة التى تتصل بالشخــصية، وقــد يتأثر بدرجات متفاوتة بالنظريات الكبرى. ويتمثل الاهتمام الــسائد لعلمــاء نفــس الشخصية فى محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية:

إلى أى حد تستقر الشخصية عبر الزمن وعبر المواقف؟ وكيف نــستطيع أن نضع فى حسابنا كلاً من الاستقرار والتغير؟ وكيف تؤثر المورّثــات والبيئــة، أو الطبع والتطبُّع، فى شخصية الفرد؟ وكيف تؤثر العمليات اللاشعورية فيما نشعر به ونفعله؟ وما وظيفة الذات؟ وهل يختلف مفهوم الذات عبر الثقافات؟ وهــل يــؤثر التفكير والانفعال فى الصحة النفسية والجسمية؟ وما علاقة علم الــنفس العــصبى بجهودنا فى فهم الشخصية؟ وكيف نحيط بتغير الشخصية وتنوعهــا مــع تمــسكنا بصياغة قوانين عامة؟ وكيف يستطيع علم الشخصية أن يستفيد من فروع علم النفس الأخرى (وخاصة علم النفس الاجتماعى وعلم النفس الارتقائى، بل فروع المعرفــة الأخرى مثل علم الحياة وعلم الإنسان).

ويتكون هذا الكتاب من مقدمة للمجال تضمنت الفصل الأول: وقد تناول فيه المؤلف مناحى التناول الكبرى فى ميدان الشخصية: المنحى العيــادى، والمنحــى الارتباطى، والمنحى التجريبى، مع إبراز جوانب القوة والضعف فى كــل منهــا، والحاجة إلى منحى متعدد المناحى لدراسة الشخصية.

كما تضمن الكتاب ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: اشتمل على ثلاثة فصول تتناول وحدات الشخصية فى السمات والمعارف والدوافع.

والجزء الثانى: ركز على ارتقاء الشخصية، وعُنى الفصل الخامس منه بالطبع والتطبع، أو إسهامات كل من الوراثة والبيئة، مع تأكيد أنه لا توجد وراثة دون بيئة ولا بيئة دون وراثة. والمهم هو فهم العلاقات بينهما. أما الفصل السادس فيتناول ارتقاء الشخصية عبر الزمن وقضية الاستقرار والتغير فى الشخصية.

أما **الجزء الثالث:** فقد اشتمل على ستة فصول تعرض للاتجاهات الحالية للبحوث الجارية فى مجالات: اللاشعور، والذات، والدافعية، والانفعال، والصحة، وعلم وصف الأمراض النفسية، والعلاج النفسى، وتقارير الشخصية وقياسها.

ويعرض المؤلف لتوجهات البحوث الحالية فى مجال الشخصية مع مقارنتها ببعضها البعض والتعقيب النقدى عليها. وفى خاتمة الكتاب يعرض المؤلف لوجهة نظره فى تعريف الشخصية، ويناقش المسارات المستقبلية لعلم الشخصية.

ويسر المترجمين تقديمُ هذا الكتاب لدارسى علم الشخصية العرب من الطلاب والأساتذة، وهو يسد ثغرة كبيرة فى هذا المجال فى المكتبة العربية.

وقد حرص المترجمون على تسجيل المصطلح الإنجليزى فى هامش الصفحة مع ترجمته فى المتن، إسهامًا منهم فى حركة الترجمة العلمية للمصطلحات النفسية الحديثة. وحاول المترجمون توحيد استخدامهم للمقابل العربى للمصطلح الإنجليزى.

وقام الأستاذ الدكتور **عبد الحليم محمود السيد** بمراجعة ترجمة الكتاب، بالإضافة إلى ترجمته لكل من **الفصل الأول والخامس والسادس والتاسع والثالث**

عشر، وكذلك ترجمة الفقرات التمهيدية لأجزاء الكتاب ومقدمته وخاتمتــه. وقــام الدكتور أيمن عامر بترجمة الفصول: الثانى والثالث والرابع والثانى عشر، وقــام الدكتور محمد الرخاوى بترجمة الفصول: السابع والثامن والعاشر والحادى عشر.

كل ما نرجوه هو أن نكون قد قمنا ببعض الواجب نحو إثراء المكتبة العربية بأمهات الكتب العلمية النفسية الحديثة، فى ظل المشروع القومى لترجمــة أمهــات الكتب الثقافية العالمية الحديثة الذى تتبناه وتدعمه ماديًّا وأدبيًّا وزارة الثقافــة فــى مصر.

المترجمـــــــــــون

مقدمــــة المؤلــف

"أذكرها كما هى"، كان هذا هو عنوان عرض وتلخيص الطبعة الأولى مــن كتاب "علم نفس الشخصية"، الذى كتبه بنر Penner، سنة ١٩٩٧ فى مجلــة علــم النفس المعاصر. وهذا يوضح بالضبط الهدف من هذا الكتاب، المتمثل فى عــرض ميدان علم نفس الشخصية، كما هو قائم اليوم، بكل معانى الإثارة والتحــدى التــى يواجهها علماء الشخصية فى جهودهم لفهم الأشخاص.

وقد يسأل الشخص: كيف يمكن أن يكون الهدف من كتاب عن الشخــصية مختلفاً؟ والواقع أنه منذ سنة ١٩٦٠، وكتب الشخصية، تعتمد – إلى حد كبير– على النظريات الكبرى، مثل نظرية فرويد Freud فى التحليل النفــسى[١]، ونظريــات التعلم[٢]، واشتمل بعض الكتب على عرض لاثنتى عشرة نظرية للشخصية، وكــان الكتاب الذى درسته كطالب كتاباً من هذا النوع، وكان يعد أحد معالم عصره. وكان بعض الكتب الأخرى يركز على عدد قليل من المناحى النظرية، مع إشــارة إلــى البحوث المتصلة بها، وإبقاء التركيز على النظريات الكبرى. وقــد تغيــر ميــدان الشخصية تغيرًا جوهريًا عبر السنوات الثلاثين الماضية، فلــم تعــد الــسيادة فيــه للنظرية الكبرى، بل أصبح يركز على بحث عدد من الأسئلة التى تتصل بالشخصية التى قد تتأثر. بدرجات متفاوتة، بالنظريات الكبرى.

وتمثل الأسئلة التالية، الاهتمام السائد لعلماء نفس الشخصية:

إلى أى حد تستقر الشخصية عبر الزمن؟ وعبر المواقف؟ وكيف نستطيع أن نضع فى حسابنا الاستقرار والتغير؟ وكيف تؤثر كل من المورِّثات ومتغيرات البيئة (أو كيف يتفاعل الطبع[٣] مع التطبع[٤] فى إنتاج شخصية الفرد؟ وكيف وإلــى أى

(١) Psychoanalysis Theory
(٢) Learning Theories
(٣) Nature
(٤) Nurture

مدى تؤثر العمليات اللاشعورية[١] فيما نشعر به ونفعله؟ وما وظيفة الذات؟ وإلى أى حد يختلف مفهوم الذات عبر الثقافات؟ وهل يؤثر كل من التفكير والمشاعر فى الصحة النفسية والجسمية؟ وما علاقة مناهج علم النفس العصبى بجهودنا فى فهم وظائف الشخصية؟

مثل هذه الأسئلة وغيرها، تبرز موضوع البحوث المعاصرة فى الشخصية، وهو الأساس لما سيتم تقديمه فى هذا الكتاب.

الحاجة إلى تغيير أسلوب تعليم الشخصية:

إن مجال الشخصية على قدر علمى، هو المجال الوحيد – فى علم النفس– الذى لا تمثل فيه الكتب السائدة المستوى العلمى السائد حاليًّا، بالرغم من أننى مؤلف لكتب أخرى عن الشخصية تركز على النظريات الكبرى، فإننى أعتقد أن الوقت قد حان كى يعكس التدريسُ ميدانَ البحوث المعاصرة بشكل أدق.

وسوف نسعى إلى فهم الشخص وتفسيره فى تكوينه المعقد، من خلال البحوث التى تصور تصويرًا دراميًّا البحوثَ فى مجال الشخصية. وقد ساهم عدد كبير من الباحثين فى هذه الدراما، وركزوا جهودهم على الدراسة العلمية للشخصية. ويعد هذا الكتاب محاولة لإشراك الطالب، وإعلامه بهذه العملية، وبالتالى تحويل تدريس هذه المادة بحيث تعكس الحاجة الراهنة لعلم الشخصية بشكل أدق.

وعندما بدأت فى إعداد هذا الكتاب منذ عدة سنوات، شعرت كما لو كنت الصوت الوحيد فى الميدان. ومن الواضح أن الأمر اختلف، أى منذ ذلك الوقت، إذ لاحظ آخرون أن النظريات الكلاسيكية التى تتضمنها مقررات الشخصية لا تعكس علم الشخصية المعاصر. ونادوا بتأليف كتاب يتضمن الموضوعات الكبرى للاهتمام، التى تعكس بشكل أفضل الموضوعات المعاصرة للاهتمام، بما يعكس صورة المجال كما يوجد حاليًّا.

---

(١) Unconscious Processes

وإذا كنت أتفق مع هذا التحليل، فإننى على وعى بأن ما يقترح سيقابل ببعض المقاومة. وقد قررت عامدًا أن أقوم بتغيير مضمون مقرر الشخصية، عندما غيرت أسلوبى فى عرض النظريات التقليدية إلى مقرر يعكس العمل المعاصر فى المجال.

وبدأت المهمة بمقال يعرض لهذا الكتاب – دون ذكر لاسم مقدمه – حيث قال:

"إذا كنا نحن معلمى الشخصية أمناء مع أنفسنا، فينبغى أن نعترف بأن المخطط القديم أو طريقتنا القديمة فى تقديم المجال، تجاوز فائدته. ويتطلب استخدام هذا الكتاب منا – نحن الشيوخ– أن نتعلم حيلاً جديدة، إلا أنه ينبغى أن نضع فى حسابنا – مثل كل شيء– ما هو أفضل للشباب الذين نعلّمهم. وأعتقد أن المخطط الجديد، يعتمد على أساس أفضل، مما يمكن من خلاله، تجميع عدد كبير من بيانات هذا المجال".

وكأحد شيوخ مجال الشخصية، سأتبع النصيحة التى قدمها الباحث المشار إليه، وسأقوم بتدريس هذا المقرر بطريقة مختلفة، مع توقع بعض المقاومة التى أعتقد أنها طبيعية إزاء مثل هذا الجهد، وإننى أتطلع إلى النجاح فى إنجاز هذه المخاطرة.

تنظيم الكتاب، ومحتوى فصوله:

يتصف الأشخاص بالتعقيد، ولا يوجد شخصان متشابهيْان. والسؤال عن التعقيد والتنوع هو: كيف سنحيط بهذا التعقيد والتنوع، مع تمسكنا بصياغة قوانين عامة للجميع؟ هذا هو التحدى الذى يواجه علماء نفس الشخصية، ويمثل البحث المقدم فى هذا الكتاب شعورى الشخصى بأين نقف فيما يتصل بهذا التحدى؟ وهذا هو لب الكتاب. وقد بذلت – فى الوقت نفسه– جهدًا لجعل الدارس يألف بعض

النظريات الكبرى السائدة فى الميدان، من خلال مناقشتها فيما يتصل بالبحوث ذات الصلة. كما حاولت جاهدًا أن أكون محايدًا فى تقديم بدائل المناحى، بينما كنت أقدم وجهة نظرى وتقويمى لهذه الجهود بشكل منتظم. وأخيرًا فمع التركيز على عمل الأفراد الذين يعرّفون أنفسهم كعلماء نفس للشخصية، فقد قمت بتضمين أفراد كثيرين قد ينظر إليهم كقادة فى مجال علم النفس الاجتماعى(١) أو كعلماء فى مجال علم النفس الارتقائى(٢)، اعتقادًا منى أننا ينبغى أن نستخدم المعلومات من كل المصادر، خاصة أن الشخصية الإنسانية(٣) معقدة بطريقة لا نستطيع معها تجاهل الأعمال المتصلة بها فى فروع علم النفس الأخرى، أو بفروع المعرفة الأخرى، مثل علم الإنسان(٤)، وعلم الحياة(٥).

ويمثل الفصل الأول مقدمة للمجال، حيث يوضح كيف يختلف علماء الشخصية عن الشخص العادى – أو رجل الشارع– وذلك لكونهم أكثر تنظيمًا فى تجميع البيانات، واختبار الفروض. ويركز الفصل الأول، على المناحى الكبرى للتناول، أى كل من المنحى العيادى(٦) والارتباطى والتجريبى، ووضع حد فاصل بين تاريخ وإسهامات كل منها، مع تأكيد جوانب القوة والضعف (أو حدود) كل من هذه المناحى، والحاجة إلى منحى متعدد المناهج لدراسة الشخصية.

ويتضمن الجزء الأول ثلاثة فصول، تتناول وحدات الشخصية: السمات(٧)، والمعارف(٨)، والدوافع(٩)، وحاول علماء النفس – عبر التاريخ– التأكيد على ما يفعله الأشخاص، وما يفكرون فيه، وما يشعرون به.

Social Psychology (١)
Developmental Psychologist (٢)
Human Personality (٣)
Anthropology (٤)
Biology (٥)
Clinical (٦)
Traits (٧)
Cognitions (٨)
Motives (٩)

وتوضح الفصول الثلاثة الأولى فى هذا الجزء الأول، كيف حاول علماء النفس فهم الشخصية من خلال التأكيد على إحدى هذه الوحدات. كما نوقشت العلاقة بين الوحدات. وتم استخلاص أن الفهم الكامل لـ "كيف يسلك الأشخاص؟"، يقتضى بالضرورة تقدير العلاقات بين السلوك والأفكار والمشاعر.

أما الجزء الثانى: فيركز على ارتقاء الشخصية، فيناقش الفصل الخامس الدليل المتصل بإسهامات كل من الجينات والبيئة – أو الطبع والتطبع– كلاهما فى مقابل الآخر، ويؤكد هذا الفصل الاعتماد المتبادل بينهما، فليس لدينا جينات دون بيئة، ولا بيئة دون جينات. وعلى هذا فإن مهمتنا تتمثل فى فهم العلاقات بينهما، وليس فى محاولة اتخاذ قرار بشأن كون أحدهما أهم من الآخر.

ويناقش الفصل السادس ارتقاء الشخصية عبر الزمن، ويركز على مواضيع استقرارها عبر مدة ممتدة. وتم تقديم نتائج دراسات طولية لتصوير العمل المعاصر فى المجال.

ويركز الجزء الثالث على مجالات معينة للبحث. وقد واجهتنى هنا مهمة اتخاذ قرار: أى البحوث له أهمية لتقديمه للطالب، وكيف يمكن تقديم البحوث فى إطار فئات متناسقة، وقد حاولت أن يكون العرض شاملاً وممثلاً، لكى لا يتضمن نوعًا من الانتقاء. وتتناول الفصول الستة فى هذا الجزء، موضوعات أعتقد أنها تمثل مجالات لها أهمية أساسية للميدان، كما أنها تمثل مجالات نشطة للبحث الجارى عن: اللاشعور، والذات، والدافعية، والانفعال، والصحة، وكل من علم وصف الأمراض النفسية(١)، والعلاج النفسى(٢)، والتقدير أو القياس(٣).

وتم الاهتمام فى كل من هذه الفصول، بالأسئلة التى طرحها الباحثون، وكيف

---

(١) Psychopathology

(٢) Psychotherapy

(٣) Assessment

حاولوا الإجابة عنها. مع وضع البدائل النظرية ومناحى البحث فى الحسبان، والتأكيد على جوانب القوة والضعف فى كل منها.

وفى الفصل الختامى، تم توجيه أسئلة أساسية، أعتقد أنها تواجه علماء الشخصية، كما تمت مناقشة مستقبل المجال.

وفى هذا الفصل قمت بصياغة أفكارى بوضوح، كما حاولت الرجوع إلى مختلف المسائل التى تمت تغطيتها فى الكتاب، والنظر فى مسار مستقبل المجال. وأكدت أهمية الوعى بالفروق الثقافية، والتنوع، عند محاولة صياغة قوانين عامة. كما قمت بتحديد المهام المركزية لمستقبل النتائج المتكاملة فى علم الأعصاب، مع البحوث التقليدية فى مجال الشخصية، دون اختزال للظاهرة موضوع اهتمامنا، إلى مجرد وظائف المخ. وكما يلاحظ، فقد تمثل جهدى فى تقديم المجال كما هو موجود اليوم، والتعامل مع المادة الكبيرة المتوفرة فى مجال الشخصية، التى يمكن أن تواجه كلاً من الكاتب والقارئ. لهذا فقد قمت بجهد فى عرض البحوث وتصنيفها إلى فئات متجانسة، وبناء كل فصل بطريقة تسهل عملية التعلم. وقد بدأ كل فصل بعرض الملامح الأساسية للفصل، التى توضح السياق الذى يمكن النظر من خلاله إلى المادة المقدمة فيه.

وتبِع كل عرض للمضمون، قائمة بالأسئلة التى سيجيب عنها الفصل. وقد وجدت أن لهذه الأسئلة فائدة فى إثارة الاهتمام، وربط البحث بموضوعات أوسع. ويلقى كل فصل – غالبًا– ضوءًا على باحث ممن تم عرض أعمالهم خلال الفصل، حيث يقدم الباحثون تعبيرًا شخصيًّا عن نمو عملهم، ودلالته الحالية، وتوجهاتهم المستقبلية فى البحث.

وفى النهاية، أَخْتَتِم كل فصل بتعريفات لأهم المصطلحات التى تم تناولها فيه، بجمل كتبت ببنط ثقيل، وكذلك بملخص لأهم النقاط التى تناولها الفصل.

ملحوظة شخصية ختامية:

أعتقد أنه فى العلم – كما فى الحياة– ينبغى أن يمتزج كل من الالتـزام مـع التواضع. الالتزام بتحقيق أهداف معينة، وإثبات آراء معينة. والتواضع فى تقـدير أننا قد نكون مخطئين تمامًا، أو أن آراءنا قد تتغير تمامًا. وأنا مغرم بأن أقول: إن الحياة دون الالتزام تصبح خالية من العواطف، كما أن الحياة دون تواضع تجعـل الشخص أسيرًا لأيديولوجية تقاوم التغير. وإننى لأرجو من الطالب الذى يقرأ هـذا الكتاب، أن لا يقتصر على تنمية نوع من الفهم لميدان الشخصية، كما هو موجـود الآن. وإنما ينمى أيضًا نوعًا من الالتزام نحو بعض الأفكار ومناحى البحث، التزامًا يمتزج بتقدير التعقد للمجال والتحديات التى تواجهه.

وإنى لأدعو الطلاب والزملاء أعضاء هيئة التدريس، إلى مشاركتى فيما أرى أنه منحى جديد فى الميدان، للبدء كدارسين للشخصية. ومع أن معظـم النظريـات الكبرى قائمة منذ أكثر من ربع قرن، فإن معظم البحوث التى تم عرضها فى هـذا الكتاب تمت خلال العقد الأخير. ومع بقاء عناوين الفصول كما هى فـى الطبعـة الأولى من هذا الكتاب، فقد تم عرض بحوث جديدة كثيـرة فـى هـذه الطبعـة، بالإضافة إلى الاهتمام بعرض بحوث علـم الأعـصاب والدراسـات الحـضارية المقارنة. ومع أن معظم مراجعات الكتاب التى تمت كل أربع أو خمـس سـنوات، كانت تتطلب تغيرات بسيطة، فإنى آمل أن تكون الطبعة الثالثة للكتاب قـد حَـوَتْ تغيرات أساسية أكثر، وإذا لم يتم هذا، فسوف يكون هذا مخيبًا للآمال لعدم حـدوث تقدم، ومازال أمامنا الكثير لنعلمه حول الشخصية الإنسانية. كما أن التغيرات فـى المجال لا تحتاج أن تعكس التقدم فحسب، بل ينبغى أن تتأكد أن الافتقـاد للتغيـر يعكس افتقادًا للتقدم.

المؤلـــــــــــف

الفصل الأول*

تقديم: الدراسة العلمية للشخصية

* ترجمة د. عبد الحليم محمود السيد

عرض عـــام لمحتوى الفصل:

كيف نستطيع دراسة الشخصية الإنسانية رغم تعقدها؟

يتبع علماء نفس الشخصية، مسارات مختلفة فى جهودهم البحثيـــة، أحيانًـــا تتداخل هذه المسارات، إلا أنه يغلب أن يختلفوا فيما يدرسونه، وفى كيف يقومـــون بدراسته. ولكن أيًّا كان المسار الذى تم اختيار متابعته، وأيًّا كانت جوانب الشخصية التى يهتمون بها، فإنهم يسعون لضمان أن مشاهداتهم تتسم بالثبات والدقة. وســوف نتناول فى هذا الفصل مختلف استراتيجيات البحث التى يـستخدمها علمـــاء نفـــس الشخصية، فى سعيهم لكشف أداء الشخصية الإنسانية. ونهتم أيضًا بتوضيح لمـــاذا يفضل بعض الباحثين إحدى الاستراتيجيات عن استراتيجية أخـــرى، وبالأهـــداف العلمية المشتركة بين كل الباحثين.

ومن الأسئلة التى يحاول هذا الفصل الإجابة عنها:

١ – ما مناهج البحث المتاحة لعلماء نفس الشخصية؟

٢ – ما تاريخ هذه المناهج؟

٣ – ما جوانب القوة والضعف فى كل منهج من هذه المناهج؟

٤ – ما الأهداف المشتركة بين هذه المناهج، رغم اختلاف المسارات التـــى يـــتم اتخاذها مع الدراسة العلمية للشخصية؟

مقدمة:

يقوم كل منا فى حياته اليومية، بمشاهدة الأشخاص الآخرين، وصياغة أفكار حول خصالهم ومبررات سلوكهم، والتنبؤ بهذا السلوك، ومواءمة سلوكنا وفقًا لهـذه التنبؤات، ونلاحظ – جميعًا– بدرجات متفاوتة وجود فروق فردية بين الأشـخاص، ونقوم بتصنيف الآخرين إلى أنماط. ويرجح أن يكون لدينا جميعًـا، أفكـار حـول الطبيعة الأساسية للبشر. كأن يتصفوا –مثلاً– بالخير أو الشر، الإيثار أو الأنانيـة، الكرم أو البخل، وكذلك أفكار حول سهولة تحولهم إلى الخير أو الشر.

ومنذ عصور مبكرة، يوجد دليل على جهود تنظيم هذه النظرات للآخـرين، ويغلب أن يتم هذا فى إطار قانون دينى أو اجتماعى للسلوك، وقد تـضمن العهـد القديم – مثلاً– وصفًا لشخصيات أفراد ومبررات سلوكهم. وتوجد منذ الحـضارة اليونانية جهود لربط الفروق الفردية فى الشخصية (أو المزاج) بأداء الجسم، وهـى نظرة لا تختلف من حيث المبدأ عن النظرة المعاصرة للشخصية. وقد اهتم الفلاسفة –من الناحية التاريخية– بالطبيعة الأساسية للبشر، ومبررات العقل الإنسانى، وقـد انبثق كثير من أقسام علم النفس فى الجامعات عن أقسام للفلسفة.

ويمكن تتبع بداية علم النفس كعلم، فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وفى نفس الوقت نستطيع أن نبدأ فى العثور على جذور الدراسة العلميـة للشخصية كما نعرفها هذه الأيام. وكما سنرى لم يتم هذا قبل الثلاثينيات من القـرن العشرين، عندما بدأ الاعتراف بالشخصية كجزء متميز من اهتمامات علم الـنفس، وهذا يرجع أساسًا إلى أعمال عظيمة مثـل كتـاب أولبـورت Allport (1937) "الشخصية: تفسير نفسى"، وكتـاب مـوراى Murray (1938) "مكتـشفات فـى الشخصية". وبهذا المعنى، فإن علم الشخصية كتخصص يعد علمًا شديد الحداثة ليس له من العمر إلا ستين سنة، وإن كانت جذوره كعلم تمتد إلى خمسين سنة أخـرى، حيث بدأ علم النفس كعلم ولم يظهر إلا فى مطلع القرن العشرين، فى بدايات ثلاثة نماذج بحثية للشخصية. هى: النموذج العيادى، والارتباطى، والتجريبى.

ثلاثة تقاليد بحثية:

سنحاول فى هذا الكتاب استكشاف معالم الدراسة العلمية للشخصية، لذا سنهتم بالبحث المنظم للفروق الفردية والأداء المنظم للشخص ككل. ومع أن معظم كتب الشخصية، تبدأ بتعريف للشخصية، سنترك هذا إلى النهاية. وسنكتفى فى هذا الموضع بكل من الفروق الفردية وتنظيم الإجراء فى كل من يقوم بوظائفه.

والشخصية كعلم يقوم أساسًا على المشاهدات المنظمة للأداء الإنسانى، المشاهدات التى يمكن إعادتها بواسطة مشاهدين آخرين، ويوجد داخل مجال الشخصية كعلم، ثلاثة تقاليد بحثية، لكل منها منحى خاص للمشاهدة، وتتمثل هذه المناحى الثلاثة فى كل من: المنحى العيادى(١)، والمنحى الارتباطى(٢)، والمنحى التجريبى(٣). وسوف نتتبع فى هذا الفصل كل منحى من هذه المناحى الثلاثة، من بدايته إلى وضعه الحالى فى مجال الشخصية، مع ملاحظة المشكلات المثارة، والإسهامات التى قُدمت، مما يجعلنا فى موضع يمكِّننا من تقدير جوانب القوة والضعف فى كل منحى من هذه المناحى الثلاثة، والدور الذى يمكن لكل منها القيام به فى علم الشخصية الحديث.

أولاً: المنحى العيادى للشخصية:

يتضمن المنحى العيادى، الدراسة المنظمة، والمتعمقة للأفراد. ومن أهم ممثلى هذا المنحى:

جان شاركو Jean Charcot وتلاميذه:

ستبدأ قصة هذا المنحى بعمل الطبيب الفرنسى جان شاركو (١٨٢٥-١٨٩٣)،

---

(١) Clinical Approach

(٢) Correlational Approach

(٣) Experimental Approach

فى عيادة عصبية بباريس، وكان شاركو يهتم بالمرضى الهستيريين الذين يأتون إلى عيادته، وخاصة الأفراد الذين يعانون من شلل دون وجود أسباب تشريحية، والذين يعانون من مشكلات فى الإبصار رغم سلامة جهاز الإبصار، أو من يعانون من فترات من الإغماء[١] دون وجود أسباب معلومة، أو من أنواع من النسيان الذى يصعب تفسيره. وبدأ شاركو بدراسة هؤلاء المرضى، وتصنيف أعراضهم، وعلاجهم، مستخدمًا فى الأغلب، التنويم الاصطناعى[٢].

والسؤال الذى حاول الإجابة عنه هو: هل يمكن استبعاد تفسير هذه الأعراض بالصعوبات الجسمية أو العضوية، وكانت الإجابة بـ "نعم". وأما الإجابة عن السؤال: هل يمكن استخلاص أنهم يكذبون فى عرض صعوباتهم؟ فإن الإجابة كانت بـ "لا".

وقام شاركو بتدريب أطباء آخرين كان لثلاثة منهم مشاهداتهم المهمة الخاصة، وأصبحوا بعد ذلك جزءًا من تاريخ علم نفس الشخصية.

وأول هؤلاء التلاميذ، كان **بيير جانيه** (١٨٥٩-١٩٤٧) Pierre Janet الذى خلف شاركو، فى إدارة عيادة الطب العصبى، وتابع دراسة شاركو للاضطرابات الهستيرية[٣]، كما تابع عمله باستخدام أسلوب التنويم الصناعى. وحاول أن ينظم المشاهدات لحالات الهستيريا، وأن يربطها بمفاهيم فى علم النفس. ووجد أن المرضى – تحت تأثير التنويم الصناعى– يمكنهم تذكر خبرات تم نسيانها تمامًا فى ظل ظروف يقظتهم العادية. وكانت إيحاءاته لمرضاه المنومين صناعيًّا، لها أثر علاجى عندما يستيقظون، حتى إذا لم يتذكروا هذه الإيحاءات. وتوصل إلى رأى مفاده وجود حالة انفصام فى أنماط الوعى فى الهستيريا. أى أن المشاهدات العيادية لجانيه، أدت به إلى افتراض وجود مجريين أو أكثر للأداء العقلى، كل منهما منفصل عن الآخر، وليسا متحدين كما هو الحال فى الأداء السوى.

---

(١) Fainting

(٢) Hypnosis

(٣) Hysterical Disorders

ويبدو وكأن الفرد يمكن أن تكون لديه أفكار ثابتة(١) مفككة ولا يرتبط كل منها بالآخر(٢)، وبسبب هذا التفكك – أو عدم الترابط– فإنه لا يمكن التحكم فى الوعى أو المشعور به(٣)، لأن وجود هذه الأنواع من التفكك أو أجزاء الوعى المنقسمة، هـو الذى يؤدى إلى أعراض الهستيريا، وعلى هذا، فإن العَرَض(٤)، مثل شلل اليد، يكون تحت تحكم الفكرة الثابتة وليس تحكم التحكم الإرادى لباقى الشخصية.

وبالرغم من تجاهل نظرية جانيه فى التفكك الهستيرى والعمليات الذهنية، منذ مدة طويلة، فإنها بدأت تلقى اهتمامًا كبيرًا من علماء النفس المعرفيين المهتمين بالعمليات غير الشعورية (Kihlstrom, 1999).

أما التلميذ الثانى لشاركو، فهو الأمريكى **مورتون برنس** (١٨٥٤-١٩٢٩) Morton Prince الذى تبدو أهميته لدراسة الشخصية لسببين: الأول: كتابه باسم "تفكك الشخصية"(٥) الذى صدر سنة ١٩٠٦، وتضمن وصفًا لحالات "تعدد الشخصية"(٦) ووصفًا لحالة أفراد، توجد داخل كل منهم شخصيتان أو أكثر، متميزتان ومنفصلتان كل منهما عن الأخرى، ولا تكون غالبًا بعض هذه الشخصيات، على وعى بوجود الشخصيات الأخرى، وقد أدى وصفه التفصيلى لعلاج الآنسة بوشامب Bauchamp إلى ملاحظات مهمة تتصل بأداء الشخصيات المتعددة، وقد مهد هذا لوصف حالات تالية شهيرة مثل "الوجوه الثلاثة لحواء" (Thigpen Cleckley, 1954)، و"سيبل" Sybil (Schreiber, 1973).

---

(١) Fixed Ideas

(٢) Dissociated

(٣) Conscious Awareness

(٤) Symptom

(٥) Dissociation of Personality

(٦) Multiple Personalities

ويوجد الآن اهتمام شديد بتعدد الشخصيات لعدة أسباب. فبعض العياديين، يعتقدون بوجود زيادة دالة فى عدد هذه الحالات، وهذه الحالات تثير أسئلة تتصل بكل من الذات، والوعى، والتحكم الإرادى. فمثلاً نستطيع أن نسأل أولاً: كيف أمكن لهذه الشخصيات المختلفة أن تنفصل بعضها عن البعض الآخر، بدلاً من تكاملها فى شعور منظم بالذات. ففى داخل كل منا توجد ذوات عديدة، لماذا إذن لا يحدث لكل منا حالة تعدد للشخصية؟

والسؤال الثانى: كيف أمكن لهذه الأجزاء لحياة واحدة – أى التى تعيش فى شخصية واحدة– أن تنفصل عن الأجزاء الأخرى للحياة، وتحجب عن معرفة الشخصية الأخرى.

وأخيرًا، كيف تؤثر– فى مثل هذه الحالات– كل شخصية فى أفكار بعض الشخصيات الأخرى، وليس كلها؟ وكيف تمنع رغبات ونوايا إحدى الشخصيات عن التعبير عنها، من شخصية أخرى. وفى "الوجوه الثلاثة لحواء"، كيف كانت حواء السوداء تمنع النوايا المتحفظة لحواء البيضاء، وتؤثر تأثيرًا مهمًّا فيها، وتسلك على العكس من ذلك بطرق عابثة؟ وهل يساعدنا تفسير هذه الظاهرة، على الاستبصار بنفس الظاهرة التى تواجه كلاً منا فى نفس الوقت، وذلك عندما يتدخل أحد أجزاء شخصيتنا فى رغبات جزء آخر، كما هو الحال عندما تتعارض رغبته فى تنظيم عملية تناول الطعام مع رغبتنا الشديدة فى تناول الطعام، أو عندما تتعارض نية إعداد بحث مع عملية الإرجاء ووجود أنواع من المماطلة والإرجاء.

والسبب الأخير، فى أهمية مورتون برنس هو تأسيسه عيادة هارفارد سنة ١٩٠٧ التى تابع فيها بحثه، ووفر مناخًا ملائمًا للبحث النفسى العيادى لباحثين آخرين، من بينهم "**هنرى مــوراى**" (١٨٨٣-١٩٨٨) Henry Murray، مؤلف الكتاب القيم بعنوان: "مكتشفات الشخصية"، وهو واحد من جيل الباحثين النفسيين المهتمين بالدراسة المتعمقة للشخصية. وكما أن برنس خلف شاركو فى إدارة العيادة النفسية لهارفارد، فقد لعب موراى دورًا معهما فى تقديم جهود دراسة الأفراد بعمق، من خلال المزج بين المنهج العيادى والمناهج الأخرى.

أما التلميذ الثالث لشاركو، فقد كـــان **سـيجموند فرويــد** (١٨٥٠-١٩٣٩م) Sigmund Freud الذى كان من عمالقة القرن العشرين بنظريته ومنهجـــه فـــى العلاج، وكان له تأثيره على ملايين الأشخاص، وعلى ثقافـــة المجتمـــع الغربـــى الجديد، بوجه عام. وقد بلغ من الشهرة حد أن كل طالب يدرس مقدمة فـــى علـــم النفس يعرف أسس نظرية التحليل النفسى، وتأكيده على العمليات اللاشعورية وعلى أهمية غريزتى الجنس والعدوان، وأهمية الخبرات المبكرة فى تكوين الشخـــصية، ودور القلق والحيل الدفاعية فى تكوين الصعاب، ومصطلحاته فى أجزاء الشخصية التى تتكون لديه من كل من: الهو(١) والأنا(٢) والأنا الأعلى(٣) (*) التى أصبحت جزءًا

---

(١) Id

(٢) Ego

(٣) Super Ego

(*) الهو، لدى فرويد، هو المصدر للطاقة النفسية الغريزية، ولا تحكمـــه قـــوانين العقـــل أو المنطـــق أو القـــيم الأخلاقية، وإنما يحكمه إشباع الحاجات فى الغريزة، ووفقًا لمبدأ اللذة. والغرائز هى مصدر الطاقـــة، والدافعيـــة الإنسانية.

ويرى فرويد أن الإنسان تحكمه مجموعتان من الغرائز: الأولى: غرائز الحياة، وهى تعمـــل علـــى بقـــاء النوع، وتكاثره، ولها أهمية فى التنظيم النفسى للفرد. والغريزة الجنسية أكثـــر غرائـــز الحيـــاة فـــى نمـــو الشخصية، ويطلق فرويد على الطاقة الكامنة وراء الغريزة الجنسية اسم: الطاقة الليبيدية، أما غرائز المـــوت فهى التى تكمن وراء العدوان.

أما الأنا: The Ego: فهو الجهاز النفسى الذى يسعى إلى التعبير عن رغبات الهو وإشباعها وفقًا لمقتضيات الواقع. وإذا كان الهو يسعى إلى تحقيق الرغبات وفقًا لمبدأ اللذة، فإن الأنا يعمل وفقًا لمبدأ الواقع، ويهـــدف إلى المحافظة على سلامة الفرد؛ بتأجيل الإشباع الغريزى حتى يتوفر الموضـــوع المناســـب أو الظـــروف البيئية المناسبة. ومبدأ الواقع يمكن الفرد من كف طاقة الهو، وتحويلها والإفراج عنها تدريجيًا بما يتلاءم مع القيود الاجتماعية، ومع ضمير الفرد.

والأنا الأعلى: Super-Ego: يعمل على بلوغ الكمال (وليس الواقع أو اللـــذة) ويمثـــل المعـــايير الخلقيـــة والقيمية لدى الفرد. وينشأ كجزء من الأنا، يستقل نتيجة تمثُّل الطفل لمعايير والديه. ويتكون الأنا الأعلى من الأنا المثالية التى تنشأ نتيجة إثابات الوالدين وتحدد الأهداف، ومن المطامح الى تقدير الذات، حين تتحقـــق. أما الضمير: فينشأ من استخدام الوالدين للعقاب على ما هو سيئ من الوجهة الأخلاقية وتقويم الذات تقويمًـــا

من حديث الحياة اليومية فى الثقافة الغربية، ومصدرًا خصبًا للرسوم المتحركة والكاريكاتير فى الصحف الشعبية. ومع ذلك فإن الكثير ممن مارسوا العلاج النفسى لسنوات طويلة، يرون أن ما سجله فرويد من مشاهدات عيادية – وليس صياغاته النظرية– هو ما تظهر فيه عبقريته الحقيقية، إذ إن عظمة فرويد تظهر فى مشاهداته ووصفه لجوانب أداء الشخصية مما يتجاهله بعض علماء النفس هذه الأيام، إلا أنه يمثل نوعًا من التحدى لدى الكثيرين.



يمكن أن تعزى جذور المنحى الاكلينيكى فى دراسة الشخصية لسيجموند فرويد

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: ماذا فعل فرويد –إذا وضعنا نظريته المعقدة جانبًا–، فإن فرويد كان ينصت إلى الشخص نفسه، لا لمدة دقائق، وإنما لما يقرب من الساعة فى كل مرة ولعدد من الأسابيع أو الشهور أو لمدة سنة، وكان يشجع مريضه على أن يترك لذهنه العنان وأن يتبع قاعدة واحدة هى: أن يقول كل شىء يخطر بباله، ولا يحتفظ بشيء أو يكتمه. وإذا كان هذا يبدو كمهمة سهلة لكل من المعالج والمريض، لأن على المعالج أن ينصت وعلى المريض أن يتكلم ويقوم بنوع من التداعى الحر، فإن هذا الأسلوب ليس سهلاً، كما اكتشف ذلك كل من حاول استخدامه؛ فالمعالج يجد أن من الصعب أن ينصت وأن يقوم بمجرد

معاقبًا، وعلى التحريمات الأخلاقية، ومشاعر الذنب حين يفشل الفرد فى الالتزام بما هو مثالى.

ويستمد الأنا والأنا الأعلى الطاقة عن طريق التوحد مع الوالدين (انظر: جابر عبد الحميد جابر "١٩٨٦. نظريات الشخصية، القاهرة، دار النهضة العربية، ص ص ٢٢–٥٤).

المشاهدة، والمريض يمر بأوقات يشعر فيها بإعراض أو عدم الرغبة أو مقاومة(١) ذكر أفكاره التى ترد على ذهنه ومشاعره وخبراته التى مر بها. وكما هو الحال بالنسبة لنا جميعًا فى حياتنا اليومية، حيث تمر بنا دقائق نشعر فيها أن لدينا أفكارًا أو مشاعر نخاف من الاعتراف بها، ونخجل من إطلاع آخرين عليها. وكانت عبقرية فرويد فى الاهتمام الشديد بهذه الأفكار والمشاعر ومحاولة فهمها وأن يشجع الأشخاص على أن يقوموا بهذا معه.

وعلى هذا، فإن جوهر التحليل النفسى، كمنهج عيادى للبحث، يتركز فى محاولة الكشف عن الرغبات والمخاوف لدى الأفراد المتصلة بذكرياتهم للماضى، فى علاقتها بأدائهم الحالى، والمعنى الذى يضفونه على هذه الذكريات فى علاقتها بأدائهم الحالى، وذكريات علاقاتهم فى الطفولة، وكيف تصبغ هذه الذكريات علاقاتهم الحالية، وأنواع كفاحهم للتعايش(٢) مع المشاعر الأليمة، مثل: القلق(٣)، والشعور بالخزى(٤) (Lewis, 1997)، وعن إعراضهم عن الإفصاح عن أفكارهم ومشاعرهم للآخرين، بل ولأنفسهم. فإذا نزحنا عن التحليل النفسى التعبيرَ التجريدى والعبارات المجازية(٥) مثل: الليبيدو(٦) (أو الطاقة النفسية) وعقدة أوديب(٧)، فإن التحليل النفسى تعبير عن مسرحية الحياة التى تتم داخل كل منا، وعن الأعراض غير القابلة للتفسير والتى ليس لها معنى، التى تظهر لدينا، والتى نجد أنفسنا نقوم بها، وحول لماذا يندفع بعضنا للنجاح، بينما لا يسمح آخرون لأنفسهم بالنجاح، وحول لماذا نلهف نحو الود فى نفس الوقت الذى نخاف منه.

---

(١) Reluctance

(٢) Cope

(٣) Anxiety

(٤) Shame

(٥) Metaphoric

(٦) Libido

(٧) Oedipus Complex

وكما هو معروف، فإن مشاهدات فرويد وإطاراته النظرية، واجهت تحديات منذ بداية ظهورها حتى الآن. والسؤال لماذا حدث هذا، وما الجوانب المزعجة فيه؟

وتتمثل الإجابة فى أن التحدى لا يأتى فقط ممن يرفضون التحليل النفسى، وإنما يأتى أيضًا ممن يلتزمون من البداية بالتحليل النفسى. إذ إن تلاميذ فرويد الأوائل (مثل ألفريد أدلر ١٨٧٠-١٩٣٧) .Adler, A، وكارل جوستاف يونج (١٨٧٥-١٩٦١) .Jung, C. G يختلفون مع أستاذهم، وينشئون مدارسهم فى التحليل النفسى، تلك التى تعتمد على مشاهداتهم ونظرياتهم.

وحديثًا نجد محللين يتشككون فى الحقيقة العلمية لما يتذكره المرضى أثناء التحليل (Spence, 1982, 1987) وأخيرًا يوجد آخرون مثل ألبرت إليس (Albert Ellis) وهارون بيك A. Beck، ممن تدربوا كمحللين نفسيين، يرفضون التحليل النفسى برمته ويتبنون مناحىَ معرفية.

والأمر الذى يثير القلق ليس هو ما تواجهه الصياغات النظرية من تحديات، وإنما أيضًا ما تواجهه المشاهدات نفسها من تحديات (تتمثل فى تحيز المشاهدات، وعدم موضوعيتها) وبعبارة أخرى، فإنه مع كل التأنق الذى تتميز به جهود فرويد التى بذلها فى المشاهدات والوصف الدقيق، فإن عددًا كبيرًا من الباحثين مازالوا يسألون: أين هى البيانات التى يمكن التحقق من صدقها؟ ويدفعنا هذا إلى لب المشكلة التى تتمثل فى ضرورة الحصول على بعض صور البيانات العيادية، لأنه إذا لم يتم تأكيد المشاهدات من آخرين، بطريقة منظمة وأساليب نوعية فإنها تكون غير ذات فائدة من الناحية العلمية.

هنرى موراى (١٨٩٣) .Henry Murray

أشك فى أن هنرى موراى – الذى خلف برنس فى إدارة العيادة النفسية

بجامعة هارفارد سنة ١٩٢٨ والذى أسس مجلة "علم نفس الشواذ"[١]– كان على وعى بالمشكلات التى سبقت الإشارة إليها، بالنسبة للتحليل النفسى، وحاول أن يقيم تصوره على أساس مشاهدات المحللين النفسيين (مثل فرويد، ويونج)، واكتسب موراى حساسية بقيمة المشاهدات العيادية، من خلال تدريبه السابق فى مجال الكيمياء العضوية، كما كان واسع الاهتمامات ويتمتع بمستوى مرتفع من الإبداع. وقد حاول أن ينفذ إلى التحليل النفسى من خلال تحليلاته التى أجراها مع كارل يونج، وفرانز ألكسندر (F. Alexander)، ومن خلال الحياة الخيالية للآخرين، حيث أمكنه أن ينشئ مع كريستيانا مورجان Christiana Morgan اختبار تفهم الموضوع[٢]. وهو فى هذا الاختبار يقدم للمشاركين[٣] منظرًا على كارت، مثل منظر شاب ينصرف بعيدًا عن امرأة عجوز، ويسأل المشارك الذى تقدم له البطاقة، أن يحكى قصة حول هذا المنظر. ونظرًا لشدة ضآلة المادة الفعلية التى يمكن أن تقوم عليها القصة، فإن معظم استجابات الأشخاص يمكن تناولها كخيال[٤] يعبر عن حاجات[٥] ورغبات[٦]، ومخاوف[٧]، الشخص، ويطلق على مثل هذه الاختبارات للشخصية اسم إسقاطية[٨]، لأنه يفترض أن المشاركين يقومون بإسقاط رغباتهم، ومخاوفهم وصراعاتهم على التنبيه الغامض وغير محكم البناء.

ولإيجاد طريقة للبحث أكثر تنظيمًا، أنشئت طريقة لتصحيح القصص، بحيث يمكن مقارنة الأشخاص المستجيبين من حيث قوة مختلف الحاجات والدوافع. ورأى

---

(١) Journal Of Abnormal Psychology

(٢) Thematic Apperception Test

(٣) Participants

(٤) Fantasy

(٥) Needs

(٦) Wishes

(٧) Fears

(٨) Projective

"موراى" أن "مقياس تفهم الموضوع" (TAT) يمثل وسيلة لتقدير عـالم الـشخص الذى أكده المحللون النفسيون، وهو العالم الذى لم يمكن تقديره من خلال التقريـر الذاتى فقط.

ويقول مـوراى فى هذا: " نظـرًا لأن إدراك الأطفال غير دقيـق، فـإنهم ضئيلو الوعى بحالاتهم الداخلية، ويحتفظون بأحداث خادعة، وليس معظم الراشدين بأفضل من الأطفال" (Murray, 1938, P.15).

ومن المهم أن نلاحظ أن البديل الذى قدمه موراى لكتابه "اكتشافات فى الشخصية" الذى صدر سنة ١٩٣٨، كان: دراسة عيادية وتجريبية على خمسين طالبًا من طلاب الجامعة، وهذا البديل يلفت انتباهنا لمحاولة "موراى" استخدام كل من المنهج العيادى والتجريبى فى دراساته للشخص، ويلاحظ أنها أهديت إلى كل من مورتون برنس، وسيجموند فرويد، وكارل يونج وآخرين.

وفى هذا البحث الرائد قام موراى، مع مجموعة من الباحثين، عبـر ثـلاث سنوات، بإجراء دراسة على خمسين مشاركًا، بهدف التوصل إلى صياغة لشخصية كل منهم، والتوصل من خلال تحليل البيانات إلى دليل لأداء شخصية الأفراد بوجه عام.

وتم الحصول على البيانات من خلال المقابلـة(١) والاسـتخبار(٢) ومقـاييس الخيال، مثل اختبار تفهم الموضوع، والاختبارات المواقفية(٣) مثل الاستجابات على موقف الإحباط نتيجة عدم القدرة على حل أحد الألغاز. أى أن موراى وزمـلاءه، بدءوا من بحوث عيادية نموذجية، ومع هذا فإن ما ميز هذا البحث عـن البحـث الأكاديمى الأكثر تقليدية، هو تنوع البيانات التى تم جمعها عن كل شخص ومـنهج

---

(١) Interview

(٢) Questionnaire

(٣) Situational Tests

مؤتمر الحالة[١] الذى استخدم لصياغة صورة متكاملة لكل فـرد. وتتمثـل جهـود موراى: فى النفاذ تحت المستوى الواضح للـشخص العـادى (Murray, 1938). **وهذا التفاعل بين جهود موراى فى إتقان الإحاطة بالمنهج العيادى ودقة المـنهج التجريبى هو الذى يمثل جوهر وعبقرية موراى وإبداعه البحثى.**

وموراى – وفقًا لمناهج البحث للباحثين العيـاديين– يـدعو علمـاء نفـس الشخصية إلى ألا يفقدوا رؤية الطبيعة الإنسانية، كما هى موجودة بالحياة اليوميـة. وبالنسبة للباحثين الأكاديميين الأكثر تقليدية، يدعو إلى منـاهج منظمـة للبحـث، ومعالجة إحصائية ملائمة للنتائج، ووفقًا لباحثى التحليل النفسى، فهو يـدعو إلـى دراسة الأفراد بعمق، والتأكيد على الميول اللاشعورية، بالإضافة إلى وجود جهـد لربط الأداء الحالى للشخصية، بخبرات الطفولة. ومن ناحية أخرى أولى اهتمامًـا أكبر بالوعى وبالجوانب الظاهرة للشخصية، أكثر مما كان مألوفًا لـدى المحللـين النفسيين، كما بذل جهدًا أكبر باختيار الفروض بطريقـة منظمـة، والـتحكم فـى التوترات التى كانت ترتبط بهذا الجهد.

ويصف موراى عمله بأنه: "يمكن أن نصف هذا العمل بأنه نتاج (طفل وليد طبيعى) لكل من دراسة الأعماق وتأملات التحليل النفسى الاستعارية التى تثير التساؤلات والخلافات، جنبًا إلى جنب مع المناهج الدقيقة والمنظمة والإحصائية والاصطناعية لعلم النفس الأكاديمى، ونأمل أن نكون ورثنا من أسلافنا من المزايا أكثر من العيوب".

وشارك موراى فى جهود الحرب العالمية الثانيـة، فـى مكتـب الخـدمات الاستراتيجية[٢] الذى تحول إلى Central Intelligence Agency (CIA) وكالة المخابرات المركزية.

---

(١) The Case Conference Method

(٢) Office of Strategic Services

وقد أثبتت الحرب أهمية إنشاء علم نفس شخصية، مما عظَّم من دور علماء نفس الشخصية فى تقدير وعلاج الأفراد ونمَّى علماء نفس الشخصية مهاراتهم فى إنشاء اختبارات يمكن استخدامها فى قياس السمات ذات الأهمية للأفراد. وكما أن علماء النفس العياديين أسسوا مكانتهم على علاج الاضطرابات النفسية، فإن زيادة هذه الاضطرابات أدى إلى المزيد من النمو للنظريات الكبرى للشخصية، التى تقوم أساسًا على البحث العيادى.

كارل روجرز (Carl Rogers) وجورج كيللى (George Kelly):

ثمة نظريتان تستحقان الاهتمام فى هذا السياق، هما: نظرية الشخصية لكارل روجرز لتحقيق الذات. ونظرية البناء المعرفى للشخصية، لجورج كيللى. وهما تمثلان طرقًا تشتق من خلالها النظريات ذات الأساس العيادى من القوى الاجتماعية السائدة فى وقت البحث.

ويمكن أن يعد كارل روجرز C. Rogers (١٩٠٢-١٩٨٧) أكثر منظّرى الشخصية تمثيلاً لما أطلق عليه اسم حركة الإمكانات البشرية(١)، استجابة لكل من وجهة النظر التحليلية للشخص، بوصفه يعنى بتناول الكلام وقوى اللاشعور، ووجهة النظر السلوكية، أى وجهة نظر سكينر للشخص بوصفه مجرد مستجيب للمدعمات الخارجية، ويؤكد روجرز حركة الكائن الحى نحو الارتقاء وتحقيق الذات(٢).

ويركز روجرز اهتمامه على **بناء الذات**(٣)، وعلى الطرق التى يدرك بها الفرد خبرات الذات. ويقرر روجرز أنه لم يبدأ عمله بمفهوم "الذات". والواقع أنه فكر فى البداية أن هذا المفهوم "غامض وليس له معنى علمى، وهو رأى يقوله آخرون فى الميدان". ومع هذا فإنه عندما استمع إلى عملائه يعبرون عن مشكلاتهم، وجد أنهم يتحدثون ويستخدمون مصطلح "الذات".

---

(١) The Human Potential Movement

(٢) Self-Actualization

(٣) Personal Construct

وهكذا أصبحت "الذات" مركز اهتمامه البحثى ومحور وصفه للشخصية.

حاول روجرز أن يجمع بين كونه عياديًّا حساسًا، وعالمًا مدققًا. وكان يعتقد أن المادة العيادية التى حصل عليها أثناء العلاج النفسى، تقدم له استبصارات قيمة تتصل بطبيعة الأداء الإنسانى. وكان يبدأ دائمًا بالمشاهدات(١)– فى محاولته لفهم السلوك الإنسانى– ومن هذا المنطلق كان يعتقد –مع ذلك– أنه من الضرورى صياغة فروض علمية يمكن اختبارها بطريقة دقيقة.

وهكذا، فإنه فى ممارسته كمعالج نفسى كان يؤكد على الجانب الذاتى محاولاً على قدر الإمكان أن يخبر ويتفهم عالم خبرة العميل، ومع ذلك، فإنه فى أدائه كعالم يهتم بعملية العلاج النفسى وكيف يتغير الأشخاص، كان يؤكد على الموضوعية، أو ما يصفها بأنها: مناهج العلم الرشيقة(٢)، فهو يتمسك بالأسلوب العيادى كمصدر للفروض، وبالأسلوب العلمى للتحقق من هذه الفروض. وفى النهاية كان لا يثق إلا فيما شاهده بوصفه عياديًّا.

وتوجد جوانب تشابه أو توازن بين كل من كارل روجرز وجورج كيللى (١٩٠٥–١٩٦٦) إذ إنهما ولدا فى سنوات متقاربة، وحصلا على شهادة الدكتوراه فى نفس السنة (١٩٣١). وكل منهما بدأ مسيرته المهنية(٣) بالعمل مع الأطفال، وأنشأ نظرية للشخصية ومناحى للعلاج تقوم على أساس الخبرات مع العملاء.

ومع هذا فقد توصلا إلى تأكيد ظواهر مختلفة فى نظرية كل منهما للشخصية، واستخدما مناهج مختلفة تمامًا فى تناولهما للعلاج النفسى، فقد نشر كيللى كتابه "علم نفس البناءات الشخصية"(٤) سنة ١٩٥٥، ومجموعة من الكتب التى

---

(١) Observations

(٢) Elegant Method Of Science

(٣) Career

(٤) The Psychology Of Personal Constructs

تعد من أعظم الإسهامات الفردية فى نظرية الشخصية فى العقد الذى استمر من سنة ١٩٤٥ إلى ١٩٥٥ (Bruner, 1956).

وفى هذا العمل يصف كيللى نظريته فى الشخص، بوصفه عالمًا يحاول دائمًا أن يحسِّن تنبؤاته التى تتصل بسلوك الأشخاص، وأن يوسع من مدى الظواهر التى تغطيها نظريته.

وأكد كيللى البناءات[١] أو طرق بناء (أو تفسير) العالم التى لدى الأشخاص، ويرى أن المشكلات تنشأ عندما يكون لديهم بناءات غير ملائمة (غير متكيفة) أو يطبقون بناءات بطرق غير تكيفية. وكمثال للنمط الأخير، أن يطبق الأشخاص نفس الطريقة فى النظر إلى الأحداث، بالرغم من اختلاف الظروف. أو يطبقونها بطريقة اعتباطية، مما يجعل الحياة تصبح مشوشة.

وبالرغم من أن كيللى يرفض أى تبسيط لخصائص نظريته، فإن معظم الباحثين يصفونها بكونها نظرية معرفية[٢] للشخصية على أساس أنها تؤكد الطرق التى تعكس تفكير الأشخاص ومعالجة المعلومات المتصلة بالعالم، بما فى ذلك أنفسهم. وقد استبق بهذا كيللى المنحى المعرفى لمعالجة المعلومات فى دراسة الشخصية، بما لا يقل عن عقدين.

وكما سبق أن ذكرنا، فرغم وجود نوع من التوازن بين كل من روجرز وكيللى – إذ يهتم كلاهما بإدراك الأشخاص للعالم المحيط بهم وبأنفسهم– فإن روجرز يؤكد على الخبرات الشخصية، على حين أن كيللى يؤكد على البناءات.

الوضع الأمثل بالنسبة لروجرز، هو: أن يحقق الشخص ذاته، بينما بالنسبة لكيللى يتمثل هذا فى إتقان دوره كعالم. ويتحدد الهدف من العلاج النفسى لدى روجرز فى مساعدة الشخص لكى يصبح أكثر صلة بمشاعره وأكثر تفهمًا

---

(١) Constructs

(٢) Cognitive Theory

للآخرين، بينما يتمثل الهدف من العلاج النفسي لدى كيللى، فى مساعدة العميل على القيام بتنبؤات، أو جعله أكثر تفتحًا (أو استعدادًا) لاختبار نظريته – أو نظريتها– فى الشخصية. ويتسق البناء على أساس البيانات المستمدة من الأحداث.

ويحاول روجرز كمعالج أن يهيئ مناخًا يستطيع فيه العملاء أن ينموا كأشخاص، بينما كيللى كمعالج، يقوم بدور أكثر فعالية، فى تشجيع العملاء لاختبار بناءاتهم وأن يقوموا بأداء يمثل حياتهم، فى ظل ظروف التجريب. وبينما يعتقد "روجرز" أن منحى كيللى عبارة عن أداء عقلى خالص (Rogers, 1956, p. 358) ، يرى كيللى أن المعالج –بطريقة روجرز– لديه إيمان زائد بكينونة بازغة وأنه لا يتدخل إلا بدرجة شديدة الضآلة لمساعدة العملاء على أداء أشياء جديدة يمكن أن تحدث، إذا توافرت بيانات أفضل (Kelley, 1955, P. 401).

إذا وضعنا فى حسابنا إسهامات كل من فرويد، وروجرز، وكيللى، سيكون لدينا كنز من المشاهدات العيادية، وثلاث نظريات إبداعية كبرى للشخصية، ومن المشكوك فيه أن يقبل أتباع أحد المناحى كثيرًا من المشاهدات التى يقوم بها أتباع المنحيين الآخرين.

وكممارس عيادى؛ لستُ (والكلام للمؤلف) أقل إعجابًا بمشاهدات كل من روجرز وكيللى، من إعجابى بمشاهدات فرويد. أى أن المشاهدات والنظريات، تختلف فيما بينها اختلافًا كبيرًا، كما تختلف مناحى العلاج النفسى. فالمناحى الثلاثة، تؤدى إلى مشاهدات مختلفة كما تؤدى إلى أنواع مختلفة من الفروض. لهذا فمن الصعب إجراء مقارنات دقيقة بينها، أو إجراء اختبارات مباشرة لكون فروض إحدى النظريات أفضل من فروض النظرية الأخرى. بل إنه حتى من الصعب تكوين قواعد لتحديد إن كان أحد مناحى العلاج أفضل فى مساعدة الأشخاص على التغير.

المنحى العيادى: مثال توضيحى:

لتوضيح المنحى العيادى، يمكن أن أذكر أحد المرضى، والذى قمت بعلاجه عبر عدد من السنوات، كان هذا المريض شابًّا فى بداية الثلاثين من عمره، جاءنى لأعالجه بعد أن فُصِل من عمله، لأنه كان دائم الغياب. وقد ظل يعانى من هذه المشكلة منذ مدة طويلة، يمكن أن نتتبعها – على الأقل– إلى سنوات دراسته بالمدرسة الثانوية والجامعة. واعتاد أن يؤجل البدء فى العمل فى واجباته، ثم يجد صعوبة فى التركيز فيه. وقد يكون هذا النمط شائعًا لدى كثير من الطلاب، وفى المدة التى تسبق موعد تقديم العمل يحدث له إما نوع من العجز عن مواصلة العمل فى الواجب المطلوب، أو يزداد شعوره بالقلق والغضب نحو نفسه ونحو الشخص الذى كلفه بالواجب أو المهمة. وفى أحسن الأحوال يقدم العمل فى الدقيقة الأخيرة للالتزام بالموعد النهائى المحدد. ومع ذلك، فإنه يجد نفسه من حين لآخر معاقًا تمامًا، وعاجزًا عن أداء أى عمل، وفى النهاية أدى هذا إلى فصله من عمله.

وأخيرًا، ينبغى أن نلاحظ أنه لم يكن يواجه هذه المشكلة فى عمله فقط، إذ كان لديه نمط معمم من التأخير، مثل التأخر عن المواعيد الاجتماعية، مما يسبب لمعارفه مضايقات.

ماذا نفعل لفهم هذا السلوك؟ هل يمكن أن يكون –كما يوحى البعض– مفتقدًا لمهارات إدارة الوقت؟ أم أنه –كما يوحى البعض الآخر– لديه مجرد عدم رغبة فى أداء المهمة أو تنفيذ الموعد الاجتماعى؟

والمشكلة بالنسبة للاقتراح الأول أنه كان يستطيع غالبًا الالتزام بالوقت فى عمله والتزاماته الاجتماعية، خاصة عندما تتضمن أنشطة قام هو باختيارها.

وتتمثل المشكلة فى الاقتراح الثانى، فى أنها تتجاهل رغبته فى إنجاز العمل والنجاح فيه، كما تتجاهل اضطرابه الانفعالى، وخبرته فى كراهية الذات، التى يعانى منها عندما يرجئ العمل. وإذا كان لا يريد حقًّا أداء العمل، أو مقابلة الآخرين. لماذا لا يسلك بمقتضى ما يشعر به؟

ما بعض الموضوعات التى ظهرت أثناء العلاج، والتى قد تكون ساعدتنا فى فهم هذا النمط من السلوك؟

تضمّن أحد المواضيع الأساسية مسائل القوة[١]، والتحكم[٢] ، إذ كانت مشكلاته تظهر غالبًا فى المواقف التى يشعر فيها أن أحد الأشخاص يمارس نوعًا من القــوة أو التحكم فيه. وكان سلوكه يمثل طريقة للتعبير عن أنه يمكن أن يقوم بالأداء وفقًا لجدوله الخاص، وأنه يقوم بالأشياء عندما يريد أن يقوم بها.

وأثناء العلاج، كان يأتى غالبًا متأخرًا عن الموعد، وفى حالات نادرة كــان يغادر العيادة مبكرًا، وكأنه يعلن قدرته على التحكم فى بداية أو نهاية الجلسة.

موضوع آخر، تمثل فى عدائية[٣] متمثلة فيما يسببه مــن إحبــاط وإزعــاج للآخرين الذين اعتمدوا على أن عمله قد أُنْجِز، أو أن مقابلته لهم ستتم فى موعدها. وتمثل هذا – فى سنواته الأولى– فى غضبه من الوالدين اللذين كانــا حريــصين حرصًا شديدًا على الالتزام بالموعد. وقد ظهر هذا فى العلاج عن طريق التقليل من قيمة العلاج[٤] بقول (إنه لا يستحق ما أقضيه معه من وقت). وقد زاد قلقى كمعالج ما أحدثه لى توقعى أنه فى أعماق اكتئابه، قد يقوم بالانتحار.

وموضوع ثالث، هو القيام بنوع من الدفاع[٥] ضد الشعور بالفشل والعجــز فى مواجهة زيادة المطالب[٦] الملحة منه. ورغم أنه كان يتسم بالذكاء والموهبة، فقد

Power (١)

Control (٢)

Hostility (٣)

Devaluating (٤)

Defense (٥)

Demands (٦)

كان لديه بعض أفكار العظمة[1]، تتصل بما ينبغى عليه إنجازه، وبالتالى كان يخشى أن لا يصل مستوى أدائه إلى مستوى هذه التوقعات، بحيث ينتهى به الأمر إلى أن يكون متواضعًا بدلاً من أن يكون متميزًا. وربما كان من الأفضل له الفشل نظـرًا لعدم بذل الجهد، ليحتفظ بتخيل أنه ذو إمكانات عظيمة، بدلاً من أن يكون ضـئيل الإمكانية.

أما أثناء العلاج، فهو قد عبر فى لحظة معينة، عن تخيله أنه سيتحول إلـى حالة مهمة، سأكتب عنها لأغراض مهنية ورغم أن هذا كان يعبـر عـن شـعوره بتخيلات العظمة، فالمهم أن نلاحظ أننى أقوم حاليًّا هنا بعد حوالى خمس أو عـشر سنوات بعرض حالته لأهداف التوضيح.

وأخيرًا، فإن موضوعًا رائعًا يمكن التقاطه من هذا الشعور بالعظمة، يتمثـل فى نرجسيته[2]؛ إذ إنه كان يشعر أنه نظرًا لموهبته فإنه مؤهل لمهام خاصة، وليس بإثبات ذاته عن طريق عمله، بالإضافة إلى أنه يقاوم التعبير عن سروره اسـتجابة لحاجات الآخرين كما يدركها، وعلى سبيل المثال: رغم أن موعـد الجلـسات تـم تحديده باتفاق متبادل، كان يبدى عدم رضاه للتخلى عن قهـوة الـصباح، وقـراءة الصحف، لكى يتمكن من الحضور فى موعد العلاج، وكانت هذه المشاعر بالعظمة، تتبادل مع مشاعر انخفاض تقدير الذات أى الاكتئاب[3] وكان وجود هذه المـشاعر المتعارضة، بالإضافة إلى فترات الثورة العارمة[4] دلـيلاً علـى تـوفر ملامـح الشخصية النرجسية.

ووجدت ملامح أقل يمكن وضعها فى الحسبان بالنسبة لهـذه الحالـة، إلا أن النقطة التى نريد أن نؤكد عليها هنا هى ثراء المشاهدات التى نحصل عليها من خلال

---

(١) Grandiose Ideas

(٢) Narcissism

(٣) Depression

(٤) Page

الدراسة المتعمقة للحالة، وأثناء الجهد العلاجى أتيحت الفرصة لرؤية دوافع متعـددة، ورغبات ومخاوف وصراعات بينها، ويصعب الحصول على هذا الاستبصار بتعقـد الأداء النفسى للشخص، بطريقة أخرى غير دراسة الحالة عياديًا. ولكن أيـن كانـت البيانات؟ هل يمكن أن يحصل معالجون آخرون على مشاهدات أخرى؟ وهل البيانات يمكن أن تكون متحيزة للمنحى الخاص والتوجه النظرى؟ ومـا تفـسيرات أسـاس الصعوبات التى يواجهها هذا الشخص؟ هل يمكن أن نقول إن فروضًا واضحة تمـت صياغتها واختبارها بطريقة منظمة؟ أم أن هذه التفسيرات للصعوبات التى يواجههـا هذا الشخص تمثل نوعًا من التخمين، أو ربما نوعًا من التأملات أكثر منها مشاهدات علمية؟

جوانب القوة والضعف فى المنحى العيادى:

نعرض فيما يلى جوانب القوة والضعف للمنهج العيادى، كما استُخدم بـشكل نموذجى فى مجال الشخصية.

من مزايا هذا المنهج أنه يوفر فرصة مشاهدة ظواهر شديدة التنوع، بالإضافة إلى أداء الفرد ككل، كما أنه يمكِّن من توليد مشاهدات جديدة وثروة من الفروض. وكممارس عيادى، أشهد أنه تهزنى باستمرار المشاهدات الجديـدة التـى تتـصل بالأشخاص، وما أعتقد أنه استبصارات جديدة حول أداء الشخصية، ومع هذا فإنـه مما يحد من المنهج العيادى أنه يصعب على الآخرين تأكيد المشاهدات أو صـياغة فروض نوعية يمكن اختبارها فى ظل ظروف واقعية أكثر دقة. بعبـارة أخـرى، فنحن كعلماء نسعى دائمًا إلى الحصول على مشاهدات تتـسم بالثبـات(١) واختبـار الفروض(٢) التى يترتب عليها الاتفاق على قواعد الدليل(٣).

---

(١) Reliable Observations

(٢) Tests Hypotheses

(٣) Evidence

ونحتاج فى البحث العيادى، لعدم الاتسام بالتصلب[1]، فيما يتصل بـمَ هى المشاهدات؟ وأين تتم؟ فقد تتمثل فى معارف، أو خيالات، أو انفعالات، أو سلوكيات، تحدث فى مكتب المعالج، أو فى جلسة الاختبار، أو فى المختبر. ومع هذا ينبغى أن نصر على أن يستطيع الآخرون إعادة المشاهدات، وأن يكون لدينا طريقة للاختبار إن كانت العلاقة المفترضة توجد بالفعل.

وهذا الجانب يغلب أن يسبب إحباطًا للعالِم، فيما يتصل بإسهاماته العيادية. فإذا تركنا التعارض يمتد بشكل درامى، فإنه ينبغى أن نلاحظ أن نظريات الشخصية، ذات الأساس العيادى، أنشأها أشخاص تم تدريبهم على المناهج العلمية وكرسوا جهودهم فى تحقيق أهداف ثبات المشاهدات واختبار الفروض. **ففرويد** كان باحثًا بيولوجيًّا متميزًا قبل أن يصبح محللاً، كما كان محنكًا فى الإجراءات العلمية، كما تدرب "**موراى**" فى بحوث الكيمياء الحيوية، قبل أن يصبح باحثًا نفسيًّا. وقام "**روجرز**" باسهامات فى الدراسة العلمية لعمليات العلاج النفسى. وأولى قيمة كبيرة لأداء العالِم، إلى حد أنه سعى إلى جعل عملائه علماء أفضل فى مجال حياتهم اليومية.

إذن، فليس العياديون على غير وعى بالإجراءات العلمية أو أنهم يرفضونها، إلا أنهم فى سعيهم لرصد المشاهدات تهيَّئوا للتراخى فى تطبيق بعض قواعد الدليل، كما أنهم فى جهودهم لرسم ملامح الشخصية تهيَّئوا للتغاضى عن صياغة الفروض التى يمكن اختبارها.

ويمكن استخدام المنهج العيادى جنبًا إلى جنب – فى الوقت نفسه– مع المناهج الأخرى.

وهذا ما سوف نضعه فى الحسبان، فيما يلى، وسوف نعرض لمثل هذه الجهود خلال هذا الكتاب.

ومع هذا، فإن هذا ليس شائعًا، أى أن علماء نفس شخصية الفرد، يغلب أن

---

(١) Rigidly

يؤكدوا على أحد المناهج، أما الحكم على كون المناهج المستبعدة ضـــرورية وذات قيمة، فإن دارسى الشخصية يمكنهم اتخاذ قرارهم بأنفسهم، بعد أن يضعوا فى حسبانهم كلاً من بدائل استراتيجيات البحث، ونتائج البحوث فى المجالات المتوفرة حاليًّا.

ثانيًا: المنحى الارتباطى للشخصية(١):

يتضمن البحث الارتباطى – بشكل أساسى– استخدام مقاييس إحصائية يختلف أداء الأفراد عليها. بعبارة أخرى، يؤكد المنحى الارتباطى على الفروق الفرديـــة، ويحاول اكتشاف العلاقات بين هـــذه الفـــروق علـــى مختلـــف مقـــاييس خـــصال الشخصية(٢)، فمثلاً قد ترتبط الفروق الفردية فى القلق بالأداء على الاختبار، كما قد ترتبط الفروق الفردية فى السمات المزاجية ("الاتزان الوجدانى – فـــى مقابـــل– العصابية"، و"الانطواء – فى مقابل– الانبساط"، و"الاندفاع – فى مقابل –التروى") باختبار المسار المهنى. وعلى العكس من المنحى العيادى الذى يؤكد على المشاهدة، يؤكد المنحى الارتباطى على القياس(٣)، وعلى العكس من المنحى العيـــادى الـــذى يؤكد على دراسة الفرد أو عدد قليل من الحالات، فإن المنحى الارتباطى يؤكد على بيانات تم الحصول عليها من خلال تطبيق الاختبـــارات علـــى عـــدد كبيـــر مـــن المشاركين. وبدلاً من التأكيد الشمولى للمنحى العيادى للشخصية، يؤكـــد المنحـــى الارتباطى على دراسة العلاقات بين قليل من عناصر أداء الشخصية.

وسوف تكون لدينا فرصة لفحص تفاصيل هذه الفروق فيما يلى بالتفـــصيل. أما الآن فينبغى أن نحتفظ فى ذهننا بالتأكيد على قياس الفروق الفرديـــة، وجهـــود تقدير العلاقات بين هذه الفروق والمصطلحات المفتاحية(٤)، هى: "الفروق الفردية، والقياس، والعلاقة الإحصائية".

---

(١) The Correlational Approach To Personality

(٢) Personality Characteristics

(٣) Measurement

(٤) The Key Terms

السير فرانسيس جالتون (١٨٢٢-١٩١١) Sir Frances Galton وتلاميذه:

بدأ تاريخ هذا المنحى للشخصية بعمل السير فرانسيس جالتون، ففى نفسه الوقت تقريبًا، الذى كان شاركو يجرى فيه دراساته العيادية حول الهستيريا، كان السير فرنسيس جالتون مندمجًا فى دراسات، أدت به إلى أن يسمَّى "مؤسس علم النفس الفردى" (Boring, 1950). وتأثر جالتون باكتشاف داروين Darwin وبنظريته فى التطور[١]؛ لأنه كان ذا قرابة بعيدة به، لهذا قرر دراسة الفروق بين البشر، وهل هذه الفروق ناتجة عن الوراثة أم لا.

وبتتبع تاريخ بعض أعمال جالتون، ينبغى أن نضع فى ذهننا تأكيده على ثلاثة أشياء، هى: الفروق الفردية، والقياس، والوراثة، بالإضافة إلى تأكيده على استخدام الاختبارات ومقاييس التقدير[٢] والاستخبارات وعدد كبير من المشاركين. وكما سنلاحظ، فإن معظم - إن لم يكن كل هذه الأساليب- ظلت تمثل خصائص أساسية لمنحى الارتباط فى دراسة الشخصية.

بدأ جالتون بالاهتمام بوراثة الخصال الإنسانية، وخاصة وراثة القدرات العقلية[٣]. وكان يعتقد اعتقادًا قويًّا أن الخصال الإنسانية موروثة، وهذه الخصال يمكن قياسها بطريقة منظمة وابتكر "صفارة جالتون"، لقياس القدرة على سماع النغمات ذات التردد المرتفع، كما ابتكر وسائل لتقدير العبقرية[٤] والتفوق (أى ذوى الإنجازات الفائقة فى مجالات مثل القانون، والآداب، والسياسة، والعلم، والفن) بالإضافة إلى مقياس للشعور بالضجر[٥].

---

(١) Evolution

(٢) Rating Scales

(٣) Intellectual Abilities

(٤) Genus

(٥) Boringness

واعتقد – بخلفيته فى علم الأرصاد الجوية[1]– أن القيـــاس الكمـــى خاصـــية ضرورية للعمل العلمى. وتركز عمله المبكر فى محاولة الإجابة عن السؤال التالى: هل العبقرية أوالنبوغ[2] تميل إلى أن تسرى فى أُسر معينة؟



يمكـن أن تعـزى جـذور المنحـى الارتبــاطى للشخـصية إلـى الـسير "فرانسيس جالتون"

وقد اكتشف "جالتون" علاقة قوية بين القــرب البيولــوجى بــين شخـصين واحتمال أن يكون كل منهما نابغاً، وذلك مــن خــلال اســتخدام محكــات لتقــدير الإنجازات والأعمال البارعة، والدراسة المدققة لسير[3] عــائلات الأشــخاص ذوى الإنجازات الفائقة.

وعلى أساس هذه النتائج التى توضح أن العبقرية أو النبوغ تميل لأن تــسرى فى بعض العائلات. استخلص "جالتون" أن الفروق الفردية فى الذكاء والموهبة تــتم وراثتها غالبًا، وبهذا الخصوص رأى أن ثمة تعارضًا[4] بين الطبيعــة أو الوراثــة، وبين التطبع أو البيئة وهو تعارض ظل قائمًا حتى هذه الأيام. كما أكد على أهميــة دراسة التشابه[5] بين التوائم[6] والإخوة[7] الذين فُصلوا بيئيًّا، نتيجة للتبنــى. وأنــشأ

---

(١) Meteorology

(٢) Eminence

(٣) Biographies

(٤) Contrast

(٥) Resemblance

(٦) Twins

(٧) Siblings

جالتون بعد هذا البحث مختبرًا لقياس عدد متنوع من خصال الأفراد، وبمرور الأيام قام بقياس خصال متنوعة لآلاف الأفراد على خصال متنوعة: جسمية ونفسية، واستخدم جالتون فى هذا البحث كلاً من الاختبارات وأساليب التقدير والاستخبارات ليتحقق من وجود علاقات بين البيانات وابتكر مصطلح "معامل الارتباط"[١] أو "القياس الكمى"[٢]، للتصاحب[٣] بين مجموعتين من البيانات. وبهذا، يمكن مثلاً للمرء أن يحسب التصاحب الإحصائى، أو الارتباط بين الطول والوزن، أو بين ذكاء الوالدين وذكاء الأبناء[٤].

وقد تطور هذا العمل أكثر، على يد تلميذه **كارل بيرسون** (١٨٥٧-١٩٣٦) Karl Pearson ، مما نتج عنه الإجراء الإحصائى المعروف اليوم باسم: معامل ارتباط العزوم لبيرسون[٥].

وتابع جهد جالتون فى قياس القدرات العقلية عالم النفس البريطانى **تشارلز سبيرمان** (١٨٣٦-١٩٤٥) Charles Spearman الذى استلهم عمل جالتون، وأعلن عزمه على تحديد إن كان يوجد شيء يمكن أن يطلق عليه اسم "ذكاء عام"[٦]، أم أن الفروق الفردية فى الذكاء إنما ترجع إلى فروق فى قدرات متعددة مستقلة ومعزولة عن بعضها البعض. وللتحقق من هذا، طبق عددًا كبيرًا ومختلفًا من اختبارات القدرات العقلية، على مئات من الأشخاص وقام بإجراء حساب معاملات الارتباط بين درجات الأفراد على الاختبارات؛ للتحقق من كون الأفراد الحاصلين على درجات مرتفعة على إحدى القدرات يميلون إلى الحصول على

---

(١) Correlation Co-Efficient

(٢) Quantitative Measure

(٣) Association

(٤) Offspring

(٥) Pearson Product Moment

(٦) General Intelligence

درجات مرتفعة أيضًا على القدرات الأخرى. وكانت إجابته عن السؤال المتصل بالذكاء هى: أنه يوجد ذكاء عام (أو عامل عام) [١]. وقد ابتكر أيضًا فى هذا العمل إجراءً إحصائيًّا يعرف باسم: التحليل العاملى[٢]، يمكن من خلاله اكتشاف جوانب مشتركة تسمى العوامل[٣].

وعند توفر كمية كبيرة من البيانات يكون السؤال هو: هل توجد مجموعات أساسية من الخصال او العوامل، يختلف الأشخاص فى درجة كل منهم عليها؟ وإذا قمنا بقياس ما لدى الأفراد من خصال عديدة، هل يمكن اختصار هذه الخصال العديدة إلى تجمعات قليلة؟ وإذا أمكن هذا، فما هذه التجمعات وكما سنرى، فإن أسلوب التحليل العاملى[*]، هو الذى أصبح أساسيًّا للمنحى الارتباطى للشخصية.

ريموند كاتل، وهانز أيزنك Raymond Cattel, B. and Hans J. Eysenck :

سبق أن أوضحنا أهمية دور الحرب العالمية الثانية فى الارتقاء بعلم النفس عمومًا، وعلم النفس العيادى كمهنة، وزيادة دور الأخصائيين النفسيين العياديين كمعالجين. وقد لعبت -قبل ذلك- الحرب العالمية الأولى دورًا مهمًّا فى الارتقاء بمهنة الأخصائى النفسى كمقدر لخصال السلوك، بعد أن تكونت لجنة من علماء النفس داخل الإدارة الطبية بالجيش الأمريكى، بهدف تقدير الجيش للقدرات العقلية والسمات الشخصية[٤] لتصنيف الأشخاص المجندين. وقد أدى هذا العمل إلى ابتكار

---

(١) G. Factor

(٢) Factor Analysis

(٣) Factors

(*) التحليل العاملى منهج يعتمد على الطرق الرياضية لتصنيف البيانات المستمدة من تطبيق عدد كبير من الاختبارات النفسية على عدد كبير من الأشخاص، للتوصل إلى تصنيف هذه الاختبارات إلى فئات أو مكونات أساسية على أساس تشابه استجابات الأفراد على المقاييس (أو البنود) التى تقيس نفس السمة. (المترجم)

(٤) Personality Traits

الاختبارات الجماعية[١]، مثل اختبار ألفا للجيش[٢]، واختبار بيتا للجيش[٣] وكذلك بطاريات الشخصية واستمارة البيانات الشخصية التى صممت لاستبعاد الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات عصابية[٤] شديدة.

ورغم أن هذه الأدوات لم تكن قائمة على أساس التحليل العاملى، فقد كانت تمثل حجر الزاوية فى استخدام استخبار الشخصية التى تُتَّخذ أساسًا لقرارات مهمة تتصل باختيار العاملين بالقوات المسلحة.

وهنا نتقدم إلى الأربعينيات من القرن العشرين، حيث ازدهر المنحى الارتباطى للشخصية، وبدأت هذه المرحلة مع استخدام أساليب التقدير، والاستخبار، كأدوات للحصول على بيانات[٥] الشخصية. كما ظهر استخدام التحليل العاملى كأسلوب منهجى، وكذلك استخدام مفهوم السمة[٦]، كوحدة أساسية للشخصية، ومنذ الأربعينيات من القرن العشرين ظهر هذا المزج بين الأسلوب الإحصائى (التحليل العاملى) وبعض أنواع البيانات (مثل أساليب التقدير، والاستخبارات) ومفهوم السمة.

أظهر هذا المزج قوة أصبح لها تأثير قوى على الميدان، ومن هنا نستطيع أن نستمر لنرى التأكيد على القياس، والفروق الفردية، بوصفه أساسًا للمنحى الارتباطى للشخصية. وهنا نستطيع أن نرى نوعًا من التحقيق الجزئى – على الأقل– لتنبؤ أولبورت الذى ذكره سنة ١٩٣٧، والذى مفاده:" أن وجهة نظر جالتون سيقدر لها أن تسود علم الشخصية خلال القرن العشرين" (Allport, 1937).

---

(١) Group Testing

(٢) Army Alpha Test

(٣) Army Beta Test

(٤) Neurotic Disorders

(٥) Data

(٦) Trait

ويمكن أن تبدأ قصة المنحى الارتباطى للشخصية بجهد ريموند كاتل (١٩٠٥-١٩٩٨) لإنشاء تصنيفٍ لوحدات الشخصية[1]. ونظرًا لأن كاتل تلقى تدريبه فى البداية فى علم الكيمياء، فقد كان يعتقد أن من الضرورى إنشاء تصنيف للوحدات الأساسية للشخصية، يمكن مقارنته بجدول العناصر الأساسية فى الكيمياء. ونظرًا لأنه ولد وتلقى تدريبه فى بريطانيا، فقد تأثر بعمل سبيرمان حول التحليل العاملى الذى أصبح أداة لإنشاء جدول عناصر علم نفس الشخصية.

وتمثلت عناصر الشخصية – لدى كاتل– فى السمات وهى سلوكيات، تتغاير بشكل نموذجى (أى تتصاحب زيادة ونقصانًا[2]) وبعبارة أخرى تشير السمات إلى سلوكيات يرتبط كل منها بالآخر. وكان المنهج المستخدم لاكتشاف السمات، هو التحليل العاملى.

والسؤال هو: كيف يمكن أن نكتشف العناصر الأساسية للشخصية، أو حدود العناصر الأساسية لها؟ بنى كاتل (Cattell R., 1943) على جهد سابق لأولبورت (Allport, and Odbert, 1936) كان يستخدم فيه صفات الشخصية الموجودة فى اللغة الإنجليزية. وهل يوجد موضع أفضل من اللغة التى يستخدمها الناس لوصف بعضهم البعض للبحث عن السمات الأساسية؟ وما فعله كاتل هو تكوين قائمة من مصطلحات الشخصية، معظمها يمثل سمات للشخصية، تم حصرها فى اللغة الشائعة وفى التراث المهنى، ثم تم تقدير الحصول على تقديرات مائة شخص راشد، أجابوا على (١١٧) بندًا (أو صفة للشخصية)، وتم إجراء تحليل عاملى لهذه التقديرات، لتحديد التجمعات الأساسية، أو الوحدات الأساسية. واستخلص كاتل وجود ١٢ عاملاً أساسيًّا للشخصية (Cattell, 1943, 1945) وتبع جهد كاتل فى الحصول على تقديرات للسمات، إجراء تحليل عاملى لاستجابات عدد كبير من

---

(١) Taxonomy Classification

(٢) Covaried

المستجيبين لآلاف البنود من استخبارات سمات الشخصية. وقــد أدى هــذا إلــى اكتشاف ١٦ عاملاً للشخصية، وبالتالى من استخبار العوامل الـــ ١٦ للشخـصية (Cattell, 1956, 1965).

وهانز أيزنك (١٩١٦-١٩٩٧) باحث بريطانى آخر، تابع المنحى الارتباطى للشخصية من خلال التحليل العاملى للاستجابات على بنود الاستخبار. وأكد أيزنك على أساس دراساته العاملية وجود ثلاثة أبعاد لسمات الشخصية، هى كل من:

١ - الانطواء - فى مقابل - الانبساط[١].

٢ - العصابية (عدم الاتزان الوجدانى) - فى مقابل - الاتزان الوجدانى[٢].

٣ - الذهانية - فى مقابل - السواء[٣].

وابتكر استخبارات لقياس الفروق الفردية فى هذه الأبعاد الثلاثـة (Eysenck, H., 1970, 1990).

نموذج العوامل الخمسة للشخصية[٤]:

أجريت منذ بداية التسعينيات من القرن العشرين دراسات كثيــرة، اســتخدمت التحليل العاملى لتحليل الاستجابات على مقاييس تقدير الشخــصية واســتخباراتها. وعلى امتداد التاريخ الطويل لبحوث سمات الشخصية، ظهرت اختلافات حول عدد الوحدات أو العوامل الأساسية للشخصية وأسماء هذه الوحدات، وقد بزغ ما يــشبه الإجماع بين مؤيدى هذا المنحى الارتباطى للشخصية، على وجود خمسة عوامل أو أبعاد أساسية للشخصية عرفت باسم "نموذج عوامل الشخصية الخمسة" (McCrea & Costa, 1999)

---

(١) Introversion–Vs–Extraversion

(٢) Neuroticism -Vs- Emotional Stability

(٣) Psychoticism – Vs – Normality

(٤) The Five Factor Model Of Personality

ونظرًا لأن هذه الوحدات ستتم مناقشتها بطريقة أعمق في الفصل الثاني من هذا الكتاب فسنكتفي هنا برصدها، وهي:

١ - العصابية. ٢ - الانبساط ٣ - يقظة الضمير[١].

٤ - السماحة[٢]. ٥ - الانفتاح على الخبرة[٣].

وافترض أن الفروق الفردية في هذه السمات، إنما ترجع أساسًا إلى الوراثة (Loehlin, 1992)، وهي نقطة ستوضع في الحسبان وستناقش بتفصيل أكبر في الفصول التالية من هذا الكتاب.

وعلى هذا، فإنه من ناحية التأكيد على الفروق الفردية، والقياس، وإجراءات حساب الارتباطات، والاهتمام بالوراثة، يمكننا أن نتتبع جذور هذا المنحى لدراسة الشخصية بالعودة إلى جهود جالتون.

وكما هو الحال بالنسبة للمنحى العيادي في بحث الشخصية، فإن من الخطأ أن نتوقع اتفاقًا مطلقًا بين الباحثين في مجال المنحى الارتباطي، لأن هؤلاء الباحثين يدرسون جوانب مختلفة، ويستخدمون بيانات من أنواع مختلفة (مثل: أساليب التقدير، والاستخبارات، والاختبارات الموضوعية..). ورغم أن هذا المنحى الارتباطي يؤكد على استخدام منهج التحليل العاملي، فإنه يوجد باحثون يفضلون استخدام تقدير العلاقات بين متغيرات الفروق الفردية.

والجانب المشترك بين كل أنصار هذا المنحى الارتباطي-الذي يميزهم عن كل من أصحاب المنحى العيادي والمنحى التجريبي- هو محاولتهم تقدير ارتباطات إحصائية بين مقاييس الفروق الفردية.

---

(١) Conscientiousness

(٢) Agreeableness

(٣) Openness To Experience

نموذجان للمنحى الارتباطى:

(أ) النموذج الأول: تكوين مقيـــاس للرضـــا عـــن الحيـــاة[١]: (Diener, Emmons, Larsen & Griffin, 1985)

بدأ تكوين هذا المقياس من اهتمام الشخص الذاتى بحسن الحال[٢]، أى تقـويم الأشخاص المعرفى والوجدانى لحياتهم، وفقًا لنظريـــة "دينـــر" Diener, 1984, 2000) مبتكر هذا المصطلح فى الإنجليزية، أو ما يـسميه الأشـخاص سـعادة، ويتضمن الشعور الذاتى بحسن الحال ثلاثة عناصر: وجدانى إيجـابى، ووجـدانى سلبى، ورضا عن الحياة. ونظرًا لأن العناصر الوجدانية سبق أن كانـت موضـع اهتمام باحثين سابقين. فقد شعر "دينر" بالحاجة إلى مقياس للمكون الثالث الخـاص بحسن الحال والذى يتمثل فى الشعور التام بالرضا عن الحياة. وبدأ الباحـث فـى تكوين مقياس للرضا العام عن الحياة. وكمخطوط أولى قام دينر وزملاؤه بتكـوين قائمة شاملة من بنود استخبار يرتبط برضا الشخص عن حياته، وتمت الإجابة عنه عن طريق التقرير الذاتى. وتم حساب التحليل العـاملى للبنـود، ممـا أدى إلـى استخلاص أنها تمثل ثلاث مجموعات أو عوامـل، هـى: المـشاعر الإيجابيـة، والمشاعر السلبية، والرضا.

ونظرًا لأن الاهتمام كان مركزًا على مكون الرضا من بين متغيرات حـسن الحال. تم اختيار خمسة بنود، ومن أمثلة البنود التى تمثل عامل الرضا عن الحياة:

ـــ حياتى شديدة الاقتراب من مثلى الأعلى.

ـــ ظروف حياتى فى معظم الحالات، ممتازة ....

وتم تطبيق المقياس المكون من خمسة بنود (SWLS) على مجموعـة مـن طلاب الجامعة، ثم تمت إعادة تطبيق المقياس بعد شهرين من التطبيق الأول. وكان **السؤال الأول** المطلوب التحقق منه هو: هل هذه البنود الخمسة تقيس مفهومًا واحدًا؟

---

(١) Satisfaction With Life (Sal)

(٢) Well-Being

وقد أثبت التحليل العاملى للاستجابات أن كل البنود الخمسة تجمعت فى عامل واحد، كما وجد أن كل بند من البنود الخمسة يـرتبط بالدرجـة الكليـة للمقيـاس بمعاملات ارتباط تراوحت بين ٠,٥٧ و ٠,٧٥، مما يدل على توفر درجة جيدة من الاتساق الداخلى[١]، أى أن كل بند من البنود يرتبط بالدرجة الكلية مما يدل على أنه يقيس نفس البناء[٢]، إلا أن هذه البنود لا ترتبط ببعضها ارتباطًا مرتفعًا، بطريقـة تجعل كل منها تكرارًا للآخر، وفى هذه الحالة لا يلزم وجود البنود الأخـرى، لأن بندًا واحدًا يكفى فى حالة الارتباط الشديد بين البنود.

أما **السؤال الثانى** الذى طرح فهو: هل تبين ثبات درجات الـشخص عبـر شهرين بحساب معامل ثبات بعد شهرين – أى بعد الاختبار تمت إعادة الاختبار بعد شهرين؟ إذ تبين أن الثبات = ٠,٨٧، مما يدل على توفر درجة ملائمة من الثبـات من خلال إعادة الاختبار.

والخلاصـــة: أنه تم تأكد الباحثين بعد هذه الخطوة من توفر خاصـيتين لازمتين من خصائص المقياس الجيد هما: الاتساق الداخلى، والثبات عبر الزمن[٣]، من خلال الاختبار ثم إعادة الاختبار لنفس الأشخاص بنفس الأداة بعـد شـهرين. وتمثلت الخطوة التالية فى التحقق من ارتباط مقياس الرضا عن الحيـاة بمقـاييس أخرى يتوقع أن يرتبط بها. وهو ما يطلق عليه اسم صدق التمييـز[٤] أو الـصدق الالتقائى[٥]، أى أن المقياس الذى يقيس مفهومًا معينًا، ينبغى أن يتبين أنـه يـرتبط بمقاييس أخرى لنفس المفهوم. كما ينبغى أن يتوفر فى هذا المقياس نوع آخر مـن

---

(١) Internal Consistency

(٢) Construct

(٣) Test Retest Reliability

(٤) Discriminative Validity

(٥) Convergent Validity

الصدق يطلق عليه اسم الصدق الافتراقى[1] أى أن المقياس ينبغى أن لا يرتبط بمقاييس لا ترتبط بالمفهوم الذى يقيسه. وللتحقق من هذا طبق مقياس الرضا عن الحياة على عينة من طلاب الجامعة مع عدد آخر من المقاييس.

وتبين – كمؤشر للصدق الالتقائى– ارتباط مقياس الرضا عن الحياة بكل من مقاييس تقدير الذات والاستقرار الانفعالى، والخلو من المرض النفسى وكانت معاملات الارتباط مرتفعة، وإن كان هذا الارتباط ليس شديد الارتفاع بطريقة تدل على أن أحد هذه المقاييس تكرار لمقاييس أخرى. وللتحقق من الصدق الافتراقى، تم التحقق من عدم وجود ارتباط دال بين كل من هذا المقياس ومقاييس الاستجابة بتأثير المرغوبية الاجتماعية[2]، وأخيرًا تبين من دراسة أخرى ارتباط مقياس الرضا عن الحياة لمقياس لتقدير الرتب[3] طبق من خلال مقابلة وأصبح مقياس الرضا عن الحياة منذ تكوينه، جزءًا مهمًّا من البحث حول المفهوم الذاتى لحسن الحال، بالإضافة إلى أن مفهوم حسن الحال أصبح جزءًا مهمًّا من أدوات تأكيد جوانب الأداء الإيجابى للشخصية كمقابل للتاريخ القديم للتركيز على الجانب المرضى (Kahneman, Diener, Schwarz, 1999, Seligman & Csikszentmihalyi, 2000).

(ب) النموذج الثانى: تكوين مقياس التفاؤل:

وتمثل النموذج الثانى فى استخدام المنهج الارتباطى لتكوين مقياس للشخصية لقياس مفهوم "التهيؤ للتفاؤل"[4]، وكان معدًّا هذا المقياس "شاير وكارفر" (Scheier & Carver, 1985) مهتمين بمفهوم التفاؤل كاستعداد له قدر من الثبات، وليس مجرد حالة عابرة، وكخصلة عامة للشخصية أكثر منها خصلة نوعية ترتبط بمجال معين من الأداء.

---

(١) Divergent Validity

(٢) Social Desirability

(٣) Rank Scale

(٤) Optimism

ويعبِّران عن هذا بقولهما:

"إن بعض الأشخاص يميلون إلى النظرة المستبشرة. ويتوقع المتفائلون أن تسير الأمور وفق ما يتمنون، ويعتقدون بوجه عام أن أشياء حسنة وليست سيئة هى التى ستحدث لهم، وعلى العكس يوجد أشخاص آخرون لديهم اعتقادات تشاؤمية، وهؤلاء المتشائمون يتوقعون نتائج سيئة. كما أن المشاهدة العابرة، توحى بأن هذه الفروق الفردية، ثابتة عبر الزمن، وعبر المواقف".

ويعد مفهوم "التفاؤل"(*) جزءًا من تأكيد نظرى عام على أن الأشخاص يسلكون من خلال توقعاتهم التى تتصل بالنتائج وينظر إليه على أنه يمكن أن يكون له تضمينات صحية.

وكانت الخطوة الأولى لتكوين مقياس "التفاؤل"، هى جمع عدد كبير من البنود التى تتصل بخبرات الناتج المعممة.

وبعد كتابة البنود التى طبقت على عينة من طلبة الجامعة، أوضح التحليل العاملى للبنود وجود مجموعتين من البنود أو العوامل، إحداهما تتكون من البنود المصاغة فى الاتجاه الموجب (مثل: أنا عادة أتوقع ما هو حسن)، والأخرى تتضمن بنودًا مصاغة فى الاتجاه السالب (مثل: إذا كان شىء سيسير فى اتجاه سيئ.. فإنه سيتحقق). ويبدو أن العاملين كليهما يعرفان مفهوم التفاؤل. وتمت إعادة كتابة البنود وصياغة المقياس وطبق على عينة من طلاب الجامعة، مما أدى إلى تكوين اختبار "**التوجه نحو الحياة**"(١)، الذى تكون من أربعة بنود مصاغة فى اتجاه إيجابى وأربعة بنود مصاغة فى اتجاه سلبى، وتصحح فى الاتجاه العكسى، وأربعة بنود للتنقية لا

(*) التفاؤل فى اللغة العربية، من الفأل – ضد الطيرة– وهو الأمل وحسن الظن ورجاء الخير، والاستبشار. أما الطيرة، فهى سوء الظن وانقطاع الأمل أو الرجاء (ابن منظور، ١٩٨١، جـ٤ ص٣٣٣٥).

(١) Life Orientation Test (Lot)

ترتبط بمفهوم التفاؤل، صممت لإخفاء الهدف من المقياس (مثل: أستمع إلى أصدقائى كثيرًا).

ولاختبار ثبات وصدق "التوجه نحو الحياة" تم تطبيق هذه الصياغة الأخيرة مع عدد آخر من مقاييس الشخصية على طلبة جامعيين. وأوضح أيضًا التحليل العاملى للاستجابات وجود عاملين كل منهما يعكس البنود المصاغة، إما فى اتجاه موجب أو سالب. ولم ترتبط بنود التنقية بالعاملين كما لم ترتبط الإجابة عنها بالبنود الأخرى، وارتبطت بنود مقياسى التفاؤل كل منهما بالآخر مما يعكس درجة جيدة من الاتساق الداخلى، وكما هو الحال فى مقياس "**الرضا عن الحياة**"، وجد دليل على أن البنود تقيس نفس المفهوم، إلا أنه لا يكرر كل منهما الآخر، كما تبين من حساب الثبات -عن طريق إعادة التطبيق، بعد أربعة أسابيع- أن معامل الثبات = ٠,٧٩، مما يشير إلى درجة جيدة من الاتساق عبر الزمن، وحسب مبدئيًّا الصدق الالتقائى لاختبار التوجه نحو الحياة (LOT)، وكان ارتباطه موجبًا، بدرجة متوسطة بمقياس تقدير الذات، وارتبط سلبيًّا بدرجة متوسطة، بكل من الاكتئاب[١] والقلق، والشعور بالعجز[٢]. ومن ناحية الصدق الافتراقى، تبين استقلال مقياس "التوجه نحو الحياة" عن كل من المرغوبية الاجتماعية، ويقظة الضمير.

ومن ناحية العلاقة بين التفاؤل والصحة تبين ارتباط درجات مقياس "التوجه نحو الحياة" بأعراض الصحة الجسمية، كما تقاس من خلال تقرير ذاتى، وبعد أسبوعين تعرض خلالها المشاركون لخبرة "مشقة" من خلال الجدول الدراسى، تبين أن الأشخاص المتفائلين -كما تحددوا من خلال مقياس التوجه نحو الحياة- أصدروا تقارير توضح أنهم أقل انزعاجًا وظهورًا للأعراض الجسمية، أثناء مدة التقدير بالمقارنة بالأشخاص الأقل تفاؤلاً (Scheier and Carver, 1985, P. 235).

---

(١) Depression

(٢) Helplessness

والخلاصـــــــة: أن بنود مقياس التوجه نحو الحياة، تتوفر فيها خصائص المقياس الجيد من حيث الاتساق الداخلى، وثبات إعادة التطبيق، كما توفر لها دليل على كل من الصدق الالتقائى والصدق الافتراقى.

وبعد تكوين مقياس التوجه نحو الحياة خصصت بحوث كثيرة لمزيد من تقـــدير فائدته كمقياس للشخصية. وتوحى دلائل كثيرة بأن مقياس "**الاستعداد للتفاؤل**" له فائدتـــه بالنسبة لقياس حسن الحال والخلو من الهموم النفسية والجـــسمية (Scheier, Carver & Bridges,1994). انظر الفصل العاشر من هذا الكتاب، ومع هذا فقد حاول بعـــض الباحثين إثبات أن مقياس التفاؤل، يعكس بحق "سمة القلق"[١]، رغم أن البحوث المبكرة توحى بوجود ارتباط سالب دال بين التفاؤل والقلق، إلا أن هذا الارتباط لم يكـــن مـــن القوة بحيث يوحى بأنهما يمثلان مفهومين متطابقين. والآن يفترض باحثون آخرون أن الارتباط بين التقارير اللفظية حول الأعراض الجسمية، ترتبط بمقاييس ســـمة القلـــق، أولـــى ممـــا تـــرتبط بمقيـــاس التفـــاؤل (Smith, Pope, Rhodewalt and Poulton,1989).

ويشعر كل من "شاير وكارفر" أن مفهوم التفاؤل، ومقياس الاتجاه نحو الحياة، يتمتعان بقدر كاف من الفائدة والصدق، لأنه يرتبط بمدى واسع من المتغيرات التى لا ترتبط بالقلق أو على الأقل، لا ترتبط بالقلق بنفس ارتباطها بالتفاؤل.

ومن أمثلة هذه المتغيرات: أسلوب التعايش مع المشقة[٢]، والتوافق فى السنة الأولى من الجامعة، ومع هذا فإنهما اهتما اهتمامًا كبيرًا بإجراء إعادة تقويم لمقياس "الاتجاه نحو الحياة".

وفى محاولة لإعادة تقويم مقياس الاتجاه نحو الحياة (LOT) طبق المقيـــاس على طلبة الجامعة، بالإضافة إلى بعض مقاييس لمتغيرات الشخصية الأخرى مثل:

---

(١) Anxiety Trait

(٢) Style Of Coping With Stress

العصابية، وتقدير الذات. وسمة القلق، والاكتئاب، وطرق التعايش مع المشقة، والتقارير الذاتية عن الأعراض الجسمية، وتبين ارتباط التفاؤل بدرجة متوسطة بكل من: القلق والعصابية، وتقدير الذات، ووجد أن هذه المقاييس الثلاثة، يرتبط كل منها بالآخر بدرجة مرتفعة، أكثر من ارتباطها بالتفاؤل. وبعبارة أخرى كان هذا دليلاً على أن الملامح المشتركة بين مقياس "التوجه نحو الحياة" وبين هذه المقاييس الثلاثة أقل من ارتباط كل منها بالآخر. ورغم أن هذه المقاييس الأخرى ترتبط بالأعراض الجسمية، مثل مقياس الاتجاه نحو الحياة، فإن الدرجة على مقياس الاتجاه نحو الحياة، ظلت تُظهر علاقة مستقلة مع كثير من جوانب تعايش الشخص مع المشقة.

فهل هذا يعنى أن مقياس "التوجه نحو الحياة" مستقل بدرجة كافية عن باقى المقاييس، مما يبرر وجوده كمقياس مستقل؟ للإجابة عن هذا السؤال، تم إجراء تحليل عاملى لكل الاستجابات عن الاستخبارات المستخدمة كمقياس للشخصية من أجل التحقق من السؤال: هل سيظهر عامل مستقل للتفاؤل؟ بعبارة أخرى، هل كانت الاستجابات على بنود مقياس التوجه نحو الحياة، تختلف عن الاستجابات عن بنود المقاييس الأخرى، مما يبرر أنها تمثل مفهومًا مستقلاً؟ وقد كان هذا هو الحال فعلاً، إذ ظهر عامل للتفاؤل مستقلاً ومعزولاً عن كل المقاييس.

<u>صفوة القول</u>: أثبت كل من التحليل العاملى، والارتباطات المستقلة لمقياس التفاؤل، تأييدًا لفائدة مفهوم التفاؤل، ومقياس التوجه نحو الحياة، كأداة لتقدير شعور الأشخاص العام بالتفاؤل. ويوحى المزيد من الفحص للارتباطات بين البنود المفردة للمقياس (أى بين كل بند من البنود وباقى البنود) بوجود بندين إشكاليين (هما: ١- أنظر دائمًا إلى الجانب المشرق من الشىء. ٢- أنا ممن يعتقد أن الغيوم يعقبها صحو جميل.)، إذ لم يرتبط هذان البندان ببنود المقياس الأخرى، وفقًا لما كان متوقعًا، لهذا تم استبعادهما، ونتج عن هذا مقياس للتوجه نحو الحياة مكون من عشرة بنود (ستة تم تصحيحها، وأربعة للتنقية). وتم تطبيق هذا المقياس بصورته النهائية على

مجموعة كبيرة من طلاب الجامعة، مع مقاييس أخرى للشخصية، كما تم أيضًا الحصول على دليل الاتساق الداخلى بين البنود، وعلى الصدق الالتقائى (ممثلاً فى ارتباط موجب بمقياس تقدير الذات، وارتباط سالب بكل من القلق، والعصابية)، بالإضافة إلى هذا، أوضح تطبيق المقياس بعد مدة تراوحت بين ٢٨ يومًا وشهر، تَمَتُّعَ المقياس بدرجة جيدة من الثبات.

والخلاصة: أوضح كل من مقياسى الرضا عن الحياة، والتوجه نحو الحياة، فائدة المناهج الارتباطية، فى تكوين مقاييس، لقياس متغيرات الشخصية، وحساب العلاقة بين هذه المقاييس ومتغيرات الشخصية الأخرى. كما استخدمت الارتباطات لإقامة دليل على ثبات وصدق المقاييس وحساب العلاقات بين عدد كبير من المتغيرات لدى عدد كبير من المشاركين.

جوانب القوة والضعف فى المنحى الارتباطى:

يتركز اهتمام المنحى الارتباطى فى الفروق الفردية، وهو – مثل المنحى العيادى– يهتم بأداء الشخص عبر مدى واسع من المواقف، فى كل جوانب الشخصية. ومع ذلك، فبينما يستخدم المنحى العيادى كلاً من بيانات التقرير الذاتى والمشكلات الواقعية للشخص، (على الأقل فى الموقف العيادى)، فإن المنحى الارتباطى، يقتصر على بيانات التقرير الذاتى، وكذلك بينما يترك المنحى العيادى، مدى واسعًا، من حيث الاختبار لما نسأل عنه وأسلوب تلقى الإجابة من المرضى، فإن المنحى الارتباطى يحدد نفسه بالتقرير الذاتى، على بنود الاستخبار، مع تحديد بدائل الاستجابات، كأن يطلب من الشخص أن يجيب عن كل بند من بنود الاستخبار بـ (نعم) أو (لا)، ودرجة اتسامه بالصفة التى تقيسها البنود.

ونتيجة لهذه المحدودية فى اتجاه الاستجابة وكل الاحتمالات المتوقعة لها، فإن المنحى الارتباطى، يمكّن الباحثين النفسيين الذين يستخدمونه من إعطاء المشاركين درجات رقمية على سمات بعينها واستخدام الإجراءات الإحصائية،

وحساب العلاقة بين درجات السمة والمتغيرات الأخرى (مثل العلاقة بين العصابية وصعوبة الأداء فى مواقف مثيرة للقلق). وبعبارة أخرى بينما يضطر إخصائى علم النفس العيادى، إلى استخدام رأسه لمشاهدة أنماط العلاقات، فإن مستخدمى المنحى الارتباطى يستخدمون الإجراءات الإحصائية لتقدير العلاقات، وكل منهما معـــرَّض لإمكان التشويه الذى يتمثل جزئيًّا من كل بيانات التقريـــر الـــذاتى. (Schwarz, 1999, T. D. Wilson, 1994).

إلا أن المشكلة يمكن أن تصبح "حادة" بالنسبة للاستخبار، نظرًا لاعتماده التام على التقارير الذاتية، ومع ذلك فإن باحثى الشخصية الذين يعتمدون أساسًـــا علـــى التقارير الذاتية، يرون أن الوقائع المهمة لباحثى الشخصية تتجاوز ما تم جمعه من خلال الاستخبارات.. لأنهم يريدون ويحتاجون إلى معرفة ماذا يفعـــل الأشـــخاص فعلاً، ويفكرون ويشعرون فى مختلف السياقات فى حياتهم (Funder, 2001, P. 213).

وبالإضافة إلى مشكلة الاعتماد على التقرير الذاتى، فإنه يغلـــب أن يقتـــصر الاعتماد فى تكوين الاستخبار، وما يتبعه من دراسات ارتباطية على مشاركين من الطلبة الجامعيين، وهذا ما تم بالنسبة لمقياس الرضا عن الحيـــاة، والتوجـــه نحـــو الحياة.

ويتمثل لب هدف المنحى الارتباطى للشخصية فى تحديد **البنـــاء الأساســـى للشخصية** أو ما يرى "كاتل" أنه **العناصر الأساسية للشخـــصية**، وكمـــا ســـبق أن لاحظنا، فإن المنهج النوعى الذى يستخدم فى تحديد عناصر الشخصية أو مكوناتها هو "التحليل العاملى".

وعلى هذا، فإن قيمة هذا المنحى، تتحدد أساسا بمدى اتفـــاق علمـــاء نفـــس الشخصـــية على أىّ العوامل المستمدة من استخدام منهج التحليل العاملى يلقى قبـــولا كوحدات أساسية للشخصية.

وساند التقدم الحالى الكثير من علماء نفس الشخـــصية [illegible]

بحوثهم، إلا أنه لا يوجد اتفاق بين كل علماء نفس الشخصية. وسوف نعرض للدليل الذى يدعم فائدة السمات كوحدات للشخصية فى الفصل الثانى، أما الوحدات الأخرى للشخصية، مثل "المتغيرات المعرفية والدافعية" كما تستخلص من مناحىَ أخرى، فسوف يتم تناولها فى الفصل الثالث.

ثالثا: المنحى التجريبى للشخصية:

يتضمن البحث التجريبى، التناول المنظم للمتغيرات للتحقق من وجود علاقات سببية بينها. وهذا التناول لا يتم فى كل من المنحى العيادى أو المنحى الارتباطى. وقد يتحكم المجرب فى متغير واحد هو المتغير المستقل(١) ثم يقيس تأثيره على متغير آخر هو المتغير التابع(٢).

فمثلاً، تمكن زيادة درجة (التهديد أو القلق)، المتغير المستقل، زيادة تجريبية ثم يتم قياس آثار هذه الزيادة التى تتم مشاهدتها على الأداء (أى المتغير التابع). وعلى العكس من تأكيد المنحى العيادى على الفرد، فإن المنحى التجريبى يتضمن دراسة كثير من الأشخاص، غالبًا، وعلى العكس من المنحى الارتباطى الذى يؤكد على الفروق الفردية، يؤكد المنحى التجريبى على القوانين العامة للأداء النفسى، تلك القوانين التى تنطبق على كل الأشخاص.

وعلى العكس من كل من المنحيين العيادى والارتباطى، فإنه يوجد فى المنحى التجريبى ضبط تجريبى مباشر للمتغيرات موضع الاهتمام بالنسبة للمجرب.

فلهلم فونت، وهيرمان إبنجهاوس، وإيفان بافلوف

(Wilhelm Wundt, Hermann Ebbinghaus and Ivan Pavlov)

فى الوقت نفسه – تقريبًا– الذى كان "شاركو" يجرى فيه بحوثه العيادية فى فرنسا، و"جالتون" يجرى فيه دراساته فى بريطانيا، كان "فلهلم فونت" (١٨٣٢-١٩٢٠)،

---

(١) Independent Variable

(٢) Dependent Variable

يؤسس أول معمل لعلم النفس التجريبى فى ألمانيا (سنة ١٨٧٩)، وكما أن "جالتون" يوصف بأنه مؤسس علم نفس الفروق الفرديـــة، فإن "فونــت" يوصف بأنه مؤسس علم النفس العـــام(*) (Boring, 1950, P. 487).



يمكن تتبع جذور المنحى التجريبى لدراسة الشخصية ابتداء من "فلهلم فونت"

ونظرًا لأنه تلقى تدريبه فى الكيمياء؛ أكد فونت على مكانة علم النفس كعلـــم، علـــم تجريبى، يتضمن إجراءات تشبه الإجراءات المتبعة فى العلوم الطبيعية.

وعرف "فونت" علم النفس بأنه: **علم الخبرة المباشرة**(١)، وقام ببحـــث آثـــار التغيرات فى التنبيهات على حدة(٢) ونوعية(٣) الخبرة الذاتية.

وفى نهاية القرن التاسع عشر أيضًا ظهر اثنان من العلماء كـــان لبحوثهمـــا التجريبية تأثير فى تاريخ علم النفس: الأول اسمه "هرمـــان إبنجهـــاوس" (١٨٥٠-١٩٠٩) Hermann Ebbinghaus الذى درس الذاكرة وابتكر مـــصطلح "مقطـــع عديم المعنى"(٤) الذى يتكون من حرفين ساكنين يحيطان بحرف متحرك لاتينى مثل (Rit, Feb, Zag). وكان المبحوثون يحفظون قائمة الحروف عديمة المعنى، ثم يتم

(*) جدير بالذكر هنا، أن "الحسن بن الهيثم" (٩٦٥ – ١٠٣٨) مؤلف كتاب "المناظر"، الذى تنـــاول فيـــه الأسس النفسية والفسيولوجية والفيزيائية للإدراك البصرى، هو الذى يعد بحق مؤسس علم النفس العـــام أو علم الإدراك البصرى بالمعنى المتكامل (المترجم).

(١) Immediate Experience

(٢) Intensity

(٣) Quality

(٤) Nonsense Syllables

اختبار قدرتهم على تذكر القائمة الأصلية بعد مدد مختلفة من الوقت. وقد أتاحت له هذه التجربة دراسة أشياء مثل آثار التكرار على التذكر والنسيان كدالة للوقت، ومما له دلالة هنا التأكيد على الضبط التجريبى واكتشاف مبادئ للتذكر لكل الأشخاص. وكانت من نتائج جهوده اكتشاف منحنى النسيان[١] الذى يمثل نموذجًا لنسيان المادة عبر الزمن، ويتجاهل هذا المنحنى الفروق الفردية. وكان من إنجازاته أيضًا استخدام المقاطع عديمة المعنى التى تستبعد آثار المعنى على التذكر، واختلاف معانى نفس الكلمات لدى مختلف الأفراد، أو أسلوب تعلم المواد أو تذكرها.

وبالرغم من أنه ندر حاليًّا، أن نقرأ عن بحوث تتضمن مقاطع عديمة المعنى، فقد كانت تستخدم بشكل روتينى حتى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين.

أما الباحث الثانى "**إيفان بافلوف**" (١٨٤٩-١٩٣٦) Ivan Pavlov الروسى الذى أجرى بحوثًا تجريبية عن التشريط الكلاسيكى –وعلى جميع طلاب علم النفس الآن أن يكونوا على ألفة ببحوث بافلوف حول تشريط استجابات أحد الطلاب لأحد التنبيهات التى لم تكن فى البداية محايدة أوغير مؤثرة فى تلك الاستجابة-. ومن ثمة فإن رنين الجرس – قبل تقديم الطعام– بانتظام لم يؤد تلقائيًّا إلى استجابات إيجابية ترتبط بالطعام. كما أن رنين الجرس قبله، مثل حدوث صدمة كهربائية لقدم الكلب كانت تؤدى إلى استجابات الانسحاب التى ترتبط ارتباطًا شرطيًّا بالصدمة. ومن الظواهر التى بحثها بافلوف ذات الأهمية الخاصة لعلماء نفس الشخصية، دراسته للصراع[٢] والعصاب التجريبى[٣]، حيث كان يقوم بتشريط أحد التنبيهات وتعزيزه إيجابيًّا[٤]، وتشريط تنبيه آخر وتعزيزه سلبيًّا أى بطريقة منفرة.

والسؤال الذى أثير هو: ماذا حدث عندما لم يستطع الكلب التمييز بين كل من

---

(١) Forgetting Curve

(٢) Conflict

(٣) Experimental Neurosis

(٤) Positive Reinforced

التنبيهين، نفرض – مثلاً– أنه تم تشريط شكل الدائرة مع الطعام، وتنبيه آخر مثل شكل بيضاوى (إهليجى) ارتبط بالصدمة. وتم بعد ذلك، تقديم تنبيهات تقع بين الشكل الدائرى والبيضاوى. والسؤال ما هى آثار هذا على سلوك الحيوان؟

اكتشف "بافلوف" أن تقديم هذه التنبيهات المتصارعة يؤدى إلى انهيار القدرة على التمييز بين الإشارات الموجبة والسالبة للأحداث، مما يؤدى إلى سلوك انفعالى مضطرب لدى الكلاب.

وبالرغم من أن "بافلوف" كان مهتمًّا بالفروق الفردية بين الكلاب من حيث علاقتها بتشريط الاستجابات، فإن اهتمامه الأساسى فى بحوثه كان يتركز على اكتشاف قوانين عامة للتشريط الكلاسيكى، وفى التأكيد على التحكم التجريبى فى المتغيرات، واكتشاف العلاقات السلبية من خلال المزاوجة بين التنبيهات والاستجابات.

وتبدو أهمية عمل "بافلوف" فى استخدامه المنحى التجريبى، بالإضافة إلى أهميته نظرًا لاستخدامه الحيوانات لإثبات مبادئ عامة للأداء النفسى، وهو ما يميز المنحى التجريبى عن كل من المنحى العيادى والمنحى الارتباطى. وأخيرًا وكما سبقت الإشارة، فإن عمل "بافلوف" يوضح إمكان تطبيق مبادئ عامة على ظواهر مهمة للشخصية، مثل كل من الصراع وإحداث العصاب.

واطسون وكلارك هل وب. ف. سكينر:

J.B.Watson, Clark Hull and B. F. Skinner

نظرًا لأن المنحى التجريبى فى البحث يعد أساسًا لعلم النفس ككل، فإن تاريخه يعد تاريخًا لعلم النفس. ونظرًا لأننا نركز هنا على بحوث الشخصية، فسنعرض هنا المعالم الأساسية، فى علاقتها بميدان الشخصية، ومن ثم نستطيع أن نلاحظ أهمية واطسون J. B. Watson (١٨٨٧–١٩٥٨) ونشأة السلوكية[١]. أكد

(١) Behaviorism

واطسون فى كتابه "**علم النفس من المنظور السلوكى**" (١٩١٩) الدراسة الموضوعية للسلوك الصريح كمقابل لاستخدام الاستبطان(١). أو دراسة الأحداث الداخلية (مثل الأحلام). وكان علم النفس فى رأيه هو: دراسة تكوين العلاقات بين التنبيه والاستجابة(٢) بالإضافة إلى أنه لم يكن مستريحًا، لأن يكون هو نفسه مبحوثًا ولا بالتعليمات المفتعلة التى تعطى للمبحوثين. أكد "واطسون" على استخدام الحيوانات فى البحوث، وفى نفس الوقت أجرى بحوثه على آدميين مثل دراسته الشهيرة لتشريط الأرجاع الانفعالية لدى الأطفال (J. B. Watson & Rayners, 1920).

وكان تأكيد "واطسون" على النزعة السلوكية وعلى علم نفس التنبيه – الاستجابة، وكان له أهمية فى علاقته بـ "كلارك هل" (١٨٨٤-١٩٥٢). بعد اهتمام مبكر له بالتنويم الصناعى كرس "كلارك هل" نفسه لإنشاء نظريته للتنبيه والاستجابة، فى مجال التعلم، ويصعب على طلاب هذه الأيام تقدير القوة التى أثرى بها علم نفس "التنبيه – الاستجابة"، مجال علم النفس بوجه عام، وبعض جوانب علم نفس الشخصية بوجه خاص خلال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وكان النموذج السائد للأداء الإنسانى فى ذلك الوقت يتمثل فى لوحة تحويل التليفونات التى تستقبل التنبيهات وتصدر الاستجابات. ولم يتم تطبيق نموذج "التنبيه – الاستجابة" على بعض الحيوانات فقط، وإنما طبق كذلك على علم النفس الارتقائى، وعلم النفس الاجتماعى، وبالطبع علم نفس الشخصية، وتضمن هذا كلاً من البحث التجريبى لظواهر يهتم بها علماء نفس الشخصية مثل: دراسة صراعات الإقدام – الإحجام(٣)، لدى الفئران، وترجمة نظريات الشخصية مثل التحليل النفسى إلى مصطلحات التنبيه والاستجابة (Dollard, Miller, 1950).

---

(١) Introspection

(٢) Stimulus- Response

(٣) Approach-Avoidance Conflict

ومما له أهمية خاصة هنا، وجود عرض عام للاختبار التجريبي لنظرية التحليل النفسي (Sears, 1944).

ومن المهم أن نلاحظ أن بعض علماء نفس "التنبيه – الاستجابة" كانوا متحمسين لإخضاع مشاهدات التحليل النفسي وفروضه للبحث التجريبي، رغم أن "فرويد" وبعض المحللين النفسيين كانوا يعتقدون أن هذه الاختبارات التجريبية لن تثبت إلا القليل؛ لأنهم يرون أن المشاهدة العيادية تقف بذاتها على أساس صلب.

نظرية "سكينر" B. F. Skinner (١٩٠٤-١٩٩٠): نشأت أيضًا عن نظرية "واطسون" للتشريط الفعال[1] نظريةُ "سكينر" للتشريط الفعال، حيث أكد سكينر تشكيل[2] السلوك الملاحظ عبر مختلف جداول التعزيز[3]، مما له تأثير قوى على ميدان علم النفس العيادى فى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين. وتفسير السلوك الشاذ كنتيجة للتعلم غير الملائم، وتطبيق مبادئ التعلم الفعال على تعديل السلوك[4]. وهو منحى عرف باسم تعديل السلوك الذى مثل قوة فعالة فى هذا الوقت. ونظر إلى هذا المنحى على أنه منافس – من الناحية النظرية والتطبيقية– للمناحى القائمة على أسس المنحى العيادى، مثل التحليل النفسي والعلاج المتمركز حول العميل لروجرز.

ونظر إلى تأكيد هذا المنحى على الدراسة التجريبية للمتغيرات، على أنه أكثر اتساقًا بخصائص العلم بالمقارنة باستخدام الارتباط بالاستجابات، لدراسة السمات التى تصعب دراستها بطريقة مباشرة.

---

(١) Operant Conditioning

(٢) Shaping

(٣) Reinforcement Schedules

(٤) Modification of Behavior

المناحى المعرفية[1]:

استخدم المنحى التجريبى – كما سنرى فى الفصل الثالث من هذا الكتاب – لدراسة عدد شديد التنوع من ظواهر الشخصية التى تدخل فى نطاق نظرية "التنبيه – الاستجابة" والتشريط الفعال، أو خارج نطاق هاتين النظريتين.

ومنذ الثورة المعرفية فى الستينيات من القرن العشرين، تمت دراسة مشكلات كثيرة تهم علماء نفس الشخصية، من خلال تطبيق مبادئ وإجراءات استعيرت من علم النفس المعرفى التجريبى، ونستطيع بوجه خاص أن نلاحظ مجالات مثل عمليات اللاشعور، والذات، والدافعية (Pervin, 2002, Pervin and John, 1999).

وقد اختلفت المبادئ والإجراءات، التى يؤكدها العلماء المرتبطون بهذه المناحى المعرفية للشخصية، عن تلك التى يؤكدها المجربون الأوائل من علماء نفس التعلم، مثل، "هل" و "سكينر"، إذ استخدموا مفاهيم لعمليات داخلية مثل الأهداف، كما كانوا غالبًا انتقائيين فى مناهج بحثهم، بما فى ذلك أوقات استخدام الاستخبار، وهم بوجه عام يؤكدون على دراسة المشاركين البشر أكثر من تأكيدهم على دراسة الحيوانات، وأكدوا أحيانًا على الدراسة فى البيئة الطبيعية أكثر من الدراسة فى المعمل. ومع ذلك فإن الذى جمعهم معًا، وسمح لنا بضمهم داخل التراث التجريبى، هو تأكيدهم على الروابط بين علم النفس التجريبى واستخدام البحث المنظم لإقامة مبادئ عامة لأداء الشخصية، ورغم قبول استخدام المادة العيادية للإيحاء بفروض للتحقق منها، فإنهم يرفضون المنحى العيادى كأساس رئيسى للعلم بالشخصية.

أكثر من هذا، فبالرغم من قبول استخدام التقرير الذاتى فى بعض البحوث، فهم يرفضون التأكيد الأولى على الاستخبار واستخدام مفاهيم الشخصية المستمدة من المناحى الارتباطية، مثل التحليل العاملى.

---

[1] Cognitive Approaches

المنحى التجريبى: نموذج

من معالم نتائج بحوث مواجهة المشكلات وتراث الصحة الفوائد الصحية المرتبطة بالكتابة عن أحداث الصدمة (الفصل "العاشر") وأساسًا الكتابة عن الأحداث المزعجة انفعاليًا بعد مرور أيام قليلة، وقد أوضحت البحوث وجود فوائد جسمية ونفسية. وكما لاحظنا من قبل، فإنه يوجد تحول فى الاهتمام فى المجال نحو علم النفس الإيجابى. وكجزء من هذا التحول، يتساءل كل من كنج ومينر (King & Miner, 2000) : هل الكتابات حول الجوانب الإيجابية من الخبرات الصدمية لها نفس الفوائد الصحية مثل الكتابات حول الصدمة نفسها، ويريان أن الكتابة حول الصدمة لها نفس الأثر، وقد وجد أنها تمثل امتدادًا لهذا النوع من التفكير.

سألت كينج (King, 2001) : هل الكتابة حول الجوانب الإيجابية مثل أهداف حياة الشخص، ستكون لها فوائد صحية كذلك؟ وتم تعريف أحداث الحياة بوصفها الذوات الممكنة التى يمكن أن يحددها الأفراد لأنفسهم. ومثل هذه الذوات الممكنة لها خاصيات معرفية ودافعية، معرفية بمعنى التصور العقلى لما يمكن أن يكون عليه الشخص فى المستقبل، ودافعية بمعنى أنها توجه جهود الشخص نحو أن يصبح ذلك الشخص. وافترض أن الكتابة عن هذه الأهداف لها فوائد علاجية منذ وجود أهداف واضحة وقيمة ترتبط بالأداء النفسى الإيجابى.

وما قامت به كينج هو أنها عرّضت بطريقة عشوائية طلابًا جامعيين، لأحد الظروف التجريبية الأربعة التالية:

أ - الكتابة عن أكثر أحداث الحياة صدمية.

ب - الكتابة عن أفضل مستقبل ممكن لكل منهم.

جـ - الكتابة عن الموضوعين كليهما.

د - الكتابة عن موضوع غير قابل للتحكم الانفعالى.

وكانت التعليمات بالنسبة للكتابة عن حدث الصدمة، تؤكد على التعبير عن الانفعالات والأفكار المرتبطة بالخبرة. أما تعليمات الكتابة عن المستقبل الممكن، فكانت تؤكد على تحقق أحلام الشخص. أما تعليمات الظروف الضابطة فقد كانت تؤكد على كتابة مشروعات اليوم.. وأخذ المشاركون كأفراد – كل على حدة فى كل يوم من الأيام الأربعة المتعاقبة– فى كتابة الموضوع المحدد لمدة ٢٠ دقيقة. وكان المبحوثون يقوِّمون أنفسهم على قائمة الحالات المزاجية الإيجابية والسلبية المزاجية، مثل سعيد، واثق من نفسه، مكتئب، قلق.. وبعد ثلاثة أسابيع قام المشاركون بملء كل من استخبار: التوجه نحو الحياة (LOT) واستخبار الرضا عن الحياة الاجتماعية (SWLS) اللذين سبقت الإشارة إليهما. وأخيرًا تمت موافقة المشاركين للحصول على معلومات عن زياراتهم للطبيب بمركز الجامعة الصحى، فى الفصل الدراسى السابق على الكتابة، وبعد خمسة شهور. وكان اهتمام "كينج" هو معرفة: هل يوجد تأثير لكتابة مختلف الواجهات على الحالة المزاجية كما تبدو من التقرير الذاتى عن الحالة النفسية (مثل: حسن الحال، والتفاؤل، والشعور بالمرض الجسمى).

وقد تمثلت المتغيرات المستقلة فى التنوع فى تعليمات الكتابة، على حين مثلت الاستجابة –على مقياس الاستجابة نحو الحياة، والتفاؤل– المتغير التابع.

وتمثلت أهم النتائج فى كل من:

أولاً: لم توجد فروق بين المجموعات الأربع فيما يتصل بالحالة المزاجية الإيجابية، قبل الكتابة.

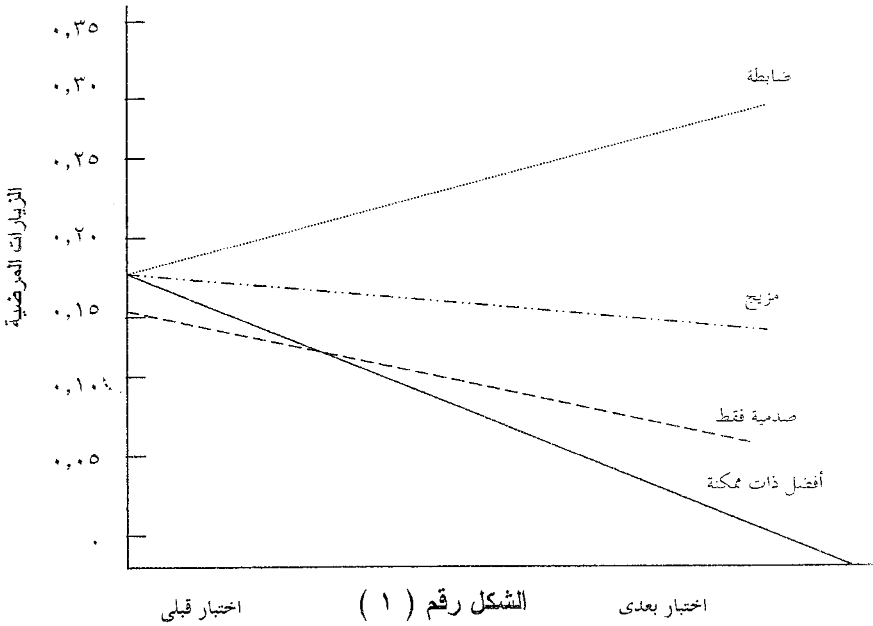
أما بعد الكتابة، فقد أبدت كل المجموعات اهتمامًا بالمزاج الإيجابى. وبالنسبة للكتابة حول المستقبل النهائى للشخص، ودرجة المزاج الإيجابى، كان ارتباط الكتابة بالأحداث الصدمية أقل الارتباطات كلها.

ثانيًا: بالنسبة للآثار النسبية على مقياس "حسن الحال" وجدت "كينج" أن درجتى كل من مقياس التوجه نحو الحياة (LOT) ومقياس الرضا عن الحياة (SWLS)

شديدتا الارتباط إحداهما بالأخرى، وهذه النقطة لها أهميتها باهتمامنا المبكر بكل من الصدق الالتقائى والصدق الافتراقى، ومع ذلك فقد استخدمت درجة مركبة من كل من المقياسين لتكوين مقياس "حسن الحال النفسية".

وعند المقارنة بين المجموعات، على أساس هذا المقياس، كانت مجموعة الكتابة حول الذات فى المستقبل، أعلى بدرجة ذات دلالة على هذا المقياس، بالمقارنة بأى مجموعة أخرى.

وأخيرًا، ماذا عن المرض الجسمى؟ لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية، بين المجموعات الأربع، فى عدد زيارات المركز الصحى للجامعة فى الشهور الثلاثة السابقة على الكتابة، إذ إن كلاً من الكتابة الإيجابية عن الذات، ومجموعة الكتابة عن الصدمات، كانتا أقل من المجموعة الضابطة فى الارتباطات المرضية (انظر: الشكل رقم "١"). ومما يدعو إلى الدهشة أن المجموعة المدمجة للكتابة (أى كلاً من مجموعتى الكتابة بعد الصدمة بيومين، والكتابة عن أفضل ذات ممكنة بعد يومين) لم تختلفا عن المجموعة الضابطة من حيث الزيارات المرضية. وتفترض "كينج" أنه ربما كان تغيير الموضوع يفسد تدفق كتابات المشاركين.



الشكل رقم (١)

يوضح الزيارات المرضية للمركز الصحى كدالة لموضوع الكتابة

عن: (الخبرة الصدمية أو عن أحسن ذات، والمزيج، والمجموعة الضابطة)

والخلاصــــــــة: ارتبطت الكتابة حول الإنجازات الناجحة لأهداف الحياة، بكل من الفوائد النفسية والجسمية، وهذه الفوائد كانت تساوى أحسن الفوائد المرتبطة بأحداث الحياة الصدمية (وبتجنب الكرب المرتبط بهذه الأحداث الأخيرة).

ويوضح بحث "كينـــج" المنحى التجريبى، من حيث التحكم فى أحد المتغيرات المستقلة، وفحص آثاره على المتغير التابع. وقد تضمن المتغير التابع فى هذه الحالة الاستخبارات التى تم إعدادها من خلال المناهج الارتباطية، واســتخدمت التجربــة عددًا كبيرًا من المشاركين، ونتج عنها وجود فروق ذات دلالة بــين الجماعــات، توحى بوجود علاقة سبب ونتيجة، بين تعليمات اختلاف الكتابات، وما يترتب عليها من فروق فى حسن الحال النفسية والجسمية. واستخلصت "كينج" أن مجرد القيــام

بمهمة الكتابة لأعمق أفكارنا ومشاعرنا يمثل مفتاحًا لفوائد الكتابة، كما أنها اعترفت بأن طبيعة الآلية العلاجية يحتاج إلى أن يحدد فى بحوث مستقبلية. خاصة أن المشاركين الذين كتبوا فى الموضوعين (السعادة والصدمة) لم يستفيدوا من كتاباتهم كما كان متوقعًا.

جوانب القوة والضعف فى المنحى التجريبى:

يمثل المنحى التجريبى النموذج والمثال للعلم. فالمجرب يتحكم فى متغيرات نوعية، لإقامة علاقة سبب ونتيجة، إلى حد عدم استخدام بيانات التقرير الذاتى. ولا يوجد ما يدعو إلى القلق حول إن كان المشارك تذكر الحقيقة أو قادراً على أن يذكر بدقة ما مر به من خبرة. وإذا كان الأمر هكذا، فلماذا لا يلتزم كل علماء نفس الشخصية بالمنحى التجريبى؟ سنقوم بذكر المزيد عن هذه النقطة فى الفقرة التالية. إلا إننا نستطيع الآن أن نلاحظ أن كثيرًا من علماء نفس الشخصية يرون أن الموقف التجريبى محدود من ناحية ما يمكن دراسته، وإلى أى حد تمكن دراسة ظواهر الشخصية مثل الخيالات(١)، والعلاقات العاطفية(٢)، فى المعمل؟ وإلى أى حد يمكن الامتداد بنتائج الدراسات المعملية، إلى سلوك الأفراد فى حياتهم اليومية؟

وكما أن كلاً من المنحى العيادى والارتباطى، يتّسمان ببعض القصور، نظرًا لاعتمادهما على بيانات التقرير الذاتي، فإن المنحى التجريبى يتسم كذلك ببعض القصور، بسبب طبيعة الموقف. وهنا نعتقد أن المشاركين الذين يأتون إلى الموقف التجريبى، دون أن يكون لديهم أفكار مسبقة عمّ تتناول التجربة، يكونون شديدى الحرص على أن يكونوا مشاركين جيدين، وأى طالب سبق أن قام بدور المبحوث يعرف ذلك. فهم يأتون إلى التجربة ومعهم فروضهم الخاصة، أو يسلكون لما يدركون أنه هاديات لما يريد البحث أن يصل إليه لصالح العلم، وما يرى أنه يتفق مع ما يعتقد أنه فرض للمجرب.

---

(١) Fantasies

(٢) Romantic Relationships

ومن ناحية أخرى، فإن بعض المشاركين الآخرين، قد يقررون أن يسلكوا بطريقة ما يعتقد أنه فرض للمجرب. وبمعنى آخر فإن التجربة تبدو للمشاركين الآدميين على أنها تمثل موقفاً اجتماعيًّا، قد تتدخل فيه شخصياتهم بطريقة لا يتوقعها المجرب.

ومع ذلك فإن أكثر الجوانب إزعاجًا للمنحى التجريبى يتمثل فى القيود على دراسة ثراء العلاقات بين عناصر الفرد الواحد، وذلك بتقييد البحث أو حصره فى عدد محدود من المتغيرات التى يمكن إحكام ضبطها، إذ إن المنحى التجريبى يقتصر على ما يمثل جانبًا أساسيًّا لأداء الشخصية، أى أداء الأجزاء فى سياق النسق الكلى. أى أنه حتى بعد تعريف علاقات السبب والنتيجة، بين متغيرات نوعية، فإن عالم نفس الشخصية تُترك له مهمة أن يضع فى حسبانه كيف يجعل كل الأجزاء تتلاءم فيما بينها جميعًا، أى تحديد كيف تقوم الشخصية ككل بوظيفتها، أى أننا بعد أن نقوم بتقسيم الشخصية إلى أجزاء، فإن علينا أن نستعيدها ثانية.

جوانب القوة والضعف فى المناحى الثلاثة (العيادى والارتباطى والتجريبى):

وجدت خلافات حول جوانب القوة والضعف لمختلف مناحى البحث عبر تاريخ علم النفس. وقد سجل "داشييل" سنة ١٩٣٩، (Dashiell, 1939) ملاحظة مبكرة حول هذه الفروق، فى خطاب رئاسته للجمعية الأمريكية لعلم النفس(١) وهنا ميز بين الاتجاه التجريبى والاتجاه العيادى. إذ يتضمن الاتجاه التجريبى التجريب الدقيق الذى يتم من خلاله ضبط المتغيرات وفهم الظروف التى تتم فيها الظواهر. وعلى العكس من ذلك، فإن الاتجاه العيادى يتضمن تأملاً، وأهم موضوع له هو الفرد وليس القوانين العامة. أى أن أحد الاتجاهين يركز على فهم الظاهرة، والآخر يركز على فهم الفرد.

---

(١) The American Psychological Association

وبعد خمس عشرة سنة، تم التمييز بين كل من المنحى التجريبي ومنحى القياس النفسى الارتباطى فى علم النفس (Bindra & Scheier, 1954)

ويهتم المجرب بكيف يُنْتِج الظاهرة، على حين يهتم باحث القياس النفسى بالفروق الموجودة فعلاً مثل الفروق بين الأفراد. ويميل المؤيدون لكل منحى إلى متابعة العمل بطريقتهم الخاصة. ووجدت إيحاءات بأن الدمج بين كل من المنحى التجريبى ومنحى القياس النفسى قد يكون مفيدًا. ثم ظهر بعد وقت قصير تحت عنوان: "**نظاما علم النفس العلمى**" (Cronbach, 1957) ذكرها أحد الأعضاء البارزين للمجتمع العلمى هو "كرونباخ" فى خطاب رئاسته للجمعية الأمريكية لعلم النفس سنة ١٩٥٦، حيث قارن بين كل من المنحى التجريبي والمنحى الارتباطى كتيارين للمنهج والتفكير والانتماء. فعلى حين يسعى المجرب إلى التحكم فى المتغيرات والتوصل إلى نتائج متفق عليها، يسعى الباحث الارتباطى إلى دراسة الظواهر كما تحدث، ويهتم بالفروق الفردية كموضوع أساسى لاهتماماته، وأبرز "كرونباخ" الإفادة من مزايا كل من المنحيين.

وأخيرًا، يلاحظ المراقب المعاصر لميدان الشخصية، وجود تقليدين للبحث يتميز كل منهما بموضوع للاهتمام، ومنهج وتوجه نظرى (Hogan, 1982) حيث يؤكد أحد الاتجاهين على المنهج التجريبى، وجوانب محددة للسلوك، وما يصدق على الأشخاص بوجه عام. على حين يؤكد الاتجاه الآخر على دراسة الحالة الفردية، والبحث الذى يعتمد على الاستخبار، والفروق الفردية، والعلاقات بين الأجزاء.

أى أن الباحثين أكدوا – عبر أكثر من خمسين سنة– وجود فروق بين كل من منحى البحث العيادى والارتباطى والتجريبى، وكذلك فى شعب علم النفس التى ينتمى إليها كل منهم (فى الجمعية الأمريكية لعلم النفس).

ولنعرض على سبيل المثال وجهة نظر "ريمون كاتل" فيما يتصل بالمناحى الثلاثة، وسبب كونه مؤيدًا قويًا للمنحى الارتباطى. يميز "كاتل" (Cattell, 1965)

بين ثلاثة مناهج لدراسة الشخصية: المنهج العيادى والمنهج التجريبى، والمنهج الارتباطى. ويرى أن المنهج العيادى يتميز بأنه يدرس جوانب مهمة من السلوك. كما تحدث وكما تبدو قانونية فى الكائن الحى ككل. ويلاحظ فيه الوصف، ويشير إلى نظرية داروين للتطور، كنموذج مثالى للمشاهدة الدقيقة. ومع هذا يرى كاتل أن المنحى العيادى يعانى نوعين من القصور:

١ – يستخدم عددًا قليلاً جدًّا من الأفراد ولا يميز بين ما هو خاص بالفرد(١) أو نوعى، وبين ما هو كلى عام(٢).

٢ – يفتقر إلى المناهج الكمية لإقامة العلاقات، واختبار الفروض المتنافسة (أو المتعارضة).

ونظر "كاتل" إلى المنهج التجريبى على أنه يعبر عن اهتمام بالصرامة العلمية، وعلى أنه مفيد فى العلوم الأخرى تمامًا كفائدته فى مجالات علم النفس كما هو الحال فى دراسة الإدراك والتعلم. ومع ذلك، فإن المنهج التجريبى يعانى من عيب فى دراسته للشخصية، بتركيزه على عدد قليل من المتغيرات، وعجزه عن دراسة ظواهر مهمة كما تحدث فى الحياة اليومية. لهذا فليس من المفاجئ أن يرى "كاتل" المنهج الارتباطى، كأفضل منهج، لأنه يجمع بين مزايا كل من المنهج العيادى والتجريبى، دون أن يتأثر بجوانب القصور فيهما.

ومن ثم يرى "كاتل" أن المنهج الارتباطى – من خلال التحليل العاملى– يمكنه تكوين علاقات كمية بين عدد كبير من المقاييس، من خلال دراسة عدد كبير من المشاركين، الذين يخبرون عددًا كبيرًا من الأحداث. أما عن كون التحليل العاملى قد يكون له بعض جوانب القصور، كما أن كون المنهج الارتباطى لا تتوفر فيه قوة المنهج العيادى، ولا قوة المنهج التجريبى فى إقامة علاقات سببية، فإن هذا

---

(١) Idiosyncratic

(٢) Universal

لا يضايق "كاتل" لأنه يرى أن منهج التحليل العاملى يتسم بالجمال والتعقيد، الـذى يكفى لاكتشاف عناصر الشخصية، وإقامة بنائها.

فإذا فكرنا أن تفكير "كاتل" يعد تفكيرًا غير عادى، فإننا سنجد بالطبع ممثلين لكل من وجهة النظر العيادية والتجريبية، ولا ينبغى أن نعتقد أن هـذه المـشكلات تنتمى إلى مجال الشخصية فقط. إذ إنه يوجد خلاف بين الباحثين حول: الـذاكرة، هل المكان المناسب لدراستها هو المعمل أم البيئة الطبيعية؟ تذكّر ما سبق أن قلنـاه عن بحوث "إبنجهاوس" التى استخدم فيها مقاطع عديمة المعنى فى موقف المعمـل. كيف يمكن مقارنة هذا البحث، ببحث عن ذاكرة أحداث الحيـاة، أى مـا يتـذكره الأشخاص من حياتهم السابقة أو ذاكرة الرؤية بالعين، أو ما يتذكره الأشخاص من مشاهدة جريمة ارتكبت.

وفى سلسلة من المقالات تمت صياغة المشكلة كما يلى: كيف يمكننا دراسـة الذاكرة؟ هل ننظر إلى العالم الواقعى ونركز على مناحى الحياة اليومية؟ أم نركـز على التجارب المعملية الأكثر ضبطًا (Loftus, 1991, P. 16)؟ ويـصوغ مـن يؤيدون المنحى المعملى وجهة نظرهم كالتالى:

"كلما كانت الظاهرة معقدة، زادت الحاجة إلى دراستها فـى ظـل ظـروف مضبوطة، وقلَّت الحاجة إلى دراستها على طبيعتها وتعقدها"، ولا ينبغى أن يـسمح للمناهج البراقة المفتعلة المستخدمة فى الحياة اليومية أن تحل محـل البحـث عـن مبادئ عامة حقيقية (Banaji & Crowder, 1989, p. 1192).

أما من يؤيدون المنحى الطبيعى(١)، فيرون أن الدراسات الميدانية البيولوجية لـ "داروين"، هى النموذج الأفضل لعلم النفس، مقارنة بالدراسات المعملية للفيزياء التجريبية(٢). وثمة رأى ثالث، يتمثل فى أنه يمكن قبول المنحى الطبيعى للبدء بـه،

---

(١) Naturalistic Approach

(٢) Experimental Physics

إلا أن التجربة المضبوطة هى الطريقة الوحيدة لاكتشاف العوامل أثنـــاء عملهـــا. وتوجد وجهة نظر رابعة تكاملية تتمثل فى أن المنحيين كليهما متكاملان، ولا يوجد ما يبرر الاعتقاد فى أن هناك طريقة واحدة لدراسة الذاكرة.

والخلاصة: وجدت وجهات نظر مختلفة، عبر تاريخ المجال، فيمـــا يتـــصل بأفضل طريقة لإجراء البحث، وبوضوح توجد مزايا وحدود أو عيوب لكل منحـــى (انظر: الجدول رقم ١-١). وكمبدأ لا يوجد مبرر لعدم استخدام كل منها مع الآخر. رغم أن الواقع يؤكد ميل الباحثين إلى الالتزام بأحد المناحى أو بالآخر.

أما الدلالة التى تتجاوز هذا، فتتمثل فى أن اختيار أحد المناحى، يميل إلى أن يؤدى إلى مشاهدات معينة واستبعاد أخرى، كما أن نتائج أحد المنـــاحى يغلـــب أن تُرفض من مؤيدى المنحى الآخر، فالمشاهدة العيادية قد لا تؤدى بذاتها إلى ما تـــتم دراسته بكل من المنهج الارتباطى أو التجريبى، وما يكتشفه الباحث الارتباطى، قد يفتقد إلى عمق ما يكتشفه العيادى وحده أو دقة الباحث التجريبى. وأخيرًا، فقد تبدو نتائج الباحث التجريبى تافهة ومصطنعة للباحث العيادى والارتباطى.

ومع هذا، فإنه بالنسبة للمجرب، فإن منهجه التجريبى هـــو الـــذى يزودنـــا باكتشاف علاقات السبب والنتيجة، التى تمثل أفضل تمثيل النموذجَ المثالى للعلم.

الجدول رقم (١ – ١)

ملخص لأوجه القوة والضعف أو القصور لبدائل مناهج البحث

جوانب القوة الممكنة	جوانب الضعف (أو القصور الممكنة)
(أ) دراسات الحالة والبحوث العيادية:	
١ – تتجنب افتعال المعمل.	١ – تؤدى إلى مشاهدات غير منظمة.
٢ – تدرس العلاقات المعقدة بين الشخص والبيئة.	٢ – تساعد على التفسير الذاتى للبيانات.
٣ – تؤدى إلى دراسة متعمقة للأفراد.	٣ – تتضمن علاقات مركبة بين المتغيرات.
(ب) البحوث الارتباطية (واستخدام الاستخبار):	
١ – تدرس مدى واسعًا من المتغيرات.	١ – تدرس علاقات تصاحب بين المتغيرات وليست علاقات سببية.
٢ – تدرس العلاقات بين عدد كبير من المتغيرات.	٢ – تؤدى إلى مشكلات تتصل بثبات وصدق الاستخبار.
(جـ) البحوث التجريبية:	
١ – تتحكم فى متغيرات نوعية.	١ – تستبعد الظواهر التى لا تمكن دراستها فى المعمل.
٢ – تسجل البيانات بشكل موضوعى.	٢ – تخلق موقفًا مفتعلاً يحد من عمومية النتائج.
٣ – تكشف عن علاقات: السبب والنتيجة.	

المصدر: Pervin, L. A. (1993), Personality: *Theory and Research*, New York, Wiley, (6th ed., P. 52)

الأهداف المشتركة، والمسارات المتشعبة والاتفاق بين مصادر البيانات:

أتيحت لنا الفرصة لكى نختبر بإيجاز تاريخ ثلاثة مناحٍ للشخصية، هى: المنحى العيادى، والارتباطى، والتجريبى. وقد بدأت كلها تقريبًا فى نفس الوقت –

قبل نهاية القرن التاسع عشر– واستمرت الأساليب الثلاثة حتى وقتنا الحاضر، ومع مرور الوقت حدث نوع من التداخل، ولكن بوجه عام تتابع نموها مستقلة كل منها عن الآخر. ورغم تشعب هذه المسارات، فقد اشترك باحثو الشخصية فى بعض الأهداف العلمية العامة. فقد جمع بينها أساسًا امتداد مجالات المشاهدة، وتكوين نظريات توحى بعلاقات قانونية بين المتغيرات. ونستطيع هنا أن نركز على مفهومى الثبات[1] والصدق[2] لما لهما من أهمية فى علم الشخصية، كما أن لهما أهمية فى كل الجهود العلمية التى وضعت فى الحسبان، فيما يتصل بالاستخبارات، وسوف ننظر هنا إليها فى سياقها الأوسع.

ويشير "**الثبات**": إلى مدى استقرار المشاهدات، ومدى الاعتماد عليها، وإمكان استعادتها. ويتمثل أساس أى علم فى المشاهدات التى يقوم بها الباحثون. ولكى تصبح المشاهدات ذات قيمة علمية، ينبغى أن تكون قابلة للاستعادة. ومن حين لآخر، نسمع عن نتيجة سجلت فى أحد البحوث، فى التراث العلمى، التى تبعها تقارير من باحثين آخرين، تؤكد استعادة هذه النتيجة. وأحيانًا تصدر هذه التقارير عن معامل كبيرة، وقد يترتب عليها عدد من المقالات الرئيسية فى المجلات العلمية. كما هو الحال بالنسبة لأحد علماء الحياة الذى يصدر عنه من معمل مشهور تقرير نتيجة تتصل ببحث الإيدز، والتى لا يمكن استعادة الآخرين مثلها، والتى يكتشف أنها خاطئة. والنقطة المهمة هنا أنه ليس ثمة خطأ فى المشاهدة التى تم رصدها، ولكن الخطأ يمكن اكتشافه بجهود الآخرين ومحاولاتهم لاستعادة المشاهدات.

وعلى هذا فإن الثبات – بمعنى إمكان استعادة النتائج– يعد أمرًا أساسيًّا للبحث العلمى. ومن أهم أسباب احتواء التقارير فى التراث العلمى على معلومات كثيرة عن المناهج المستخدمة، هو أن يمكّن الآخرين من اختبار ثبات النتائج.

Reliability (١)

Validity (٢)

أما المفهوم الأساسى الآخر فهو "**الصدق**"، وهو يشير إلى مدى تمكننا من التأكد من أن مفاهيمنا العامة وقوانيننا، تنعكس فى مشاهدتنا. فمفاهيمنا العلمية، مثل مفهوم الدوافع وسمات الشخصية، تم تعريفها من خلال مشاهدات ترتبط بهذه المفاهيم. وقوانيننا العلمية، مثل ذلك القانون الذى يعبر عن العلاقة بين الدافع والأداء ترتبط أيضًا بالمشاهدة. ولكى نثبت صدق أحد المفاهيم مثل: الحاجة للإنجاز، فإن مشاهداتنا ينبغى أن تتفق مع المشاهدات، التى يوحى بها المفهوم. وتمثل قوانين العلاقات بين المتغيرات، أجزاء من النظريات. والنظريات تعد طرقًا لتوجيه المشاهدات فهى توحى بعلاقات قانونية بين المتغيرات وترشد إلى المزيد من المشاهدات. وتؤدى النظريات إلى صياغة فروض أو علاقات مختلفة بين المتغيرات، وبوجه عام، تصاغ الفروض بطريقة إذا.. إذن تحدث علاقات معينة. مثل: إذا حدث تغير فى هذا المتغير، إذن فهذا التغير (الفرق) سيشاهَد فى المتغير الآخر. أو، إذا كان الأفراد يختلفون فى هذه الخصلة، إذن فإنهم سيختلفون فى هذه الخصال الأخرى.

وقد يصاغ فرض، مفاده: أن ارتفاع دافعية الإنجاز يؤدى إلى تفعيل المخاطرة فى الاستثمار. أو الفرض الذى مفاده: أن الأفراد الذين لديهم درجة مرتفعة من سمة الانبساط، سيفضلون الدراسة مع آخرين، بالمقارنة بالأفراد المنخفضين فى هذه السمة.

وينبغى أن يكون واضحًا أن المشاهدات والمفاهيم، والنظريات والفروض، يرتبط كل منها بالآخر، فالمشاهدات تؤدى إلى صياغة مفاهيم تتوحد فى صياغة نظرية، كما أن النظرية تؤدى إلى صياغة فروض للعلاقات بين المتغيرات التى يمكن اختبارها بمزيد من البحث. ومن الناحية المثالية، توجد عملية مستمرة لمزيد من المشاهدة وتكوين مفاهيم جديدة، ونظريات أفضل. وبهذه الطريقة فإن العلم – بوجه عام– وعلم الشخصية – بوجه خاص– يمثل مهمة دائمة التفتح والتطور.

وبالرغم مما تم من التأكيد على الفروق بين المناحى الثلاثة، فقد حاول باحثو الشخصية، غالبًا المزج بين أكثر من منحى. فمثلاً أيزنك، وهو باحث يفسر ويتبنى منحى السمة، استخدم الاستخبار لدراسة الفروق الفردية فى السمة التى تمتد بين الانطواء–الانبساط، كما ترتبط السمة بكثير من مواقف المعمل.

وقد وجد فى إحدى هذه الدراسات أن الأسلوبين يرتبط كلاهما بالآخر، فالانطوائيون أكثر حساسية للألم، والانبساطيون أكثر حساسية للمكافأة. (G.Wilson, 1978)

ومزج هذا العمل بين استخدام مقاييس الاستخبار للفروق الفردية –التى تتحدد من خلال أسلوب التحليل العاملى، كجزء من تقليد "جالتون" لمعاملات الارتباط– مع الفروق الأولى فى موقف المعمل، كجزء من تقاليد "فونت" التجريبى التقليدى. وقد وجد هذا النوع من المزج بين المناهج أيضًا فى أعمال "كينج" (L.A. King, 2001) حيث تم الربط بين المجموعات التجريبية وبين الفروق التى تم الحصول عليها من استخبار يقيس حسن الحال نفسيًّا.

وقد سبقت ملاحظة أن عمل "موراى" (١٩٣٨) يمثل محاولة للمزج بين كل من المقابلة المتعمقة والاختبارات الموقفية، والمعالجة الكمية للنتائج. وهى مناهج تتضمن بعض مزايا المنحى العيادى الأكثر توجهًا للمشاهدة، مع مزايا المجرب الأكثر توجهًا للدراسة الواقعية. لهذا فهو يستخلص "أن أملنا هو أن نرث فضائل الآباء وليس رذائلهم" (Murray, 1938, P.34).

وقد تابع "ديفيد ماكليلاند" (D. McClelland, 1961) مسيرة "موراى"، وذلك بمحاولة دراسة دور دافعية الإنجاز فى الأداء، من خلال المزج بين استخدام اختبار تفهم الموضوع (أى الاستجابات الإسقاطية على صور)، وبين الاختبارات المعملية لسلوك المخاطرة، ومقاييس النمو الاقتصادى فى مختلف المجتمعات، فى أكبر جهد بحثى فى مجال الشخصية، اكتشف فيه "ماكليلاند" وجود علاقة بين الحاجة إلى الإنجاز وسلوك المخاطرة، وكذلك اكتشف علاقة بين عهود الإنجاز المرتفع وعهود

النمو الاقتصادى. وبعبارة أخرى، يقوم "ماكليلاند"، فى إطار خط ممتد من البحوث، بالمزج بين كل من استخدام مقاييس الخيال (المفضلة لدى العياديين مثل اختبار تفهم الموضوع "TAT")، مع مقاييس السلوك أو التجارب المعملية مع البيانات المسجلة لعهود النمو الاقتصادى، لمختلف المجتمعات واستخلاص ارتباطات بينها[*].

كما يتمثل المزج بين استخدام مختلف مناحى البحث، فى مفهوم العجز المكتسب[1] وهنا تبدأ القصة ببحث تجريبى عن تشريط الخوف، وتعليم الكلاب، وقد وجد "سليجمان" (Seligman, 1975) أن الكلاب عندما تتعرض فى أحد المواقف لصدمة غير قابلة للتحكم منها، تتحول استجاباتها بالعجز إلى موقف آخر، يمكن فيه تجنب الصدمة. أى أن هذه الكلاب كونت استجابة العجز المتعلم. وقد ظهرت هذه الاستجابة لدى ثلثى الكلاب ولم تظهر لدى ثلث الكلاب التى استخدمت فى التجربة. ودفعت هذه النتيجة إلى المزيد من البحث، لمحاولة اكتشاف مدى ظهور هذه الاستجابة لدى مشاركين آدميين (Hiroto, 1974)، حيث تبين أن طلاب الجامعة الذين تعرضوا لموقف لا يمكن التحكم فيه -من الضوضاء- وجدوا صعوبة أكبر فى تعلم الهروب من الضوضاء فى موقف آخر، كان يمكنهم الهروب

(*) بالرغم من أهمية مفهوم دافعية الإنجاز فى اكتشاف الفروق الفردية فى الحاجة إلى الإنجاز والتفوق والمثابرة والسعي لتحقيق معايير مرتفعة من الأداء، وظروف التنشئة الاجتماعية بالأسرة التى تسهم فى تكوين دافعية الإنجاز لدى الأبناء، فإن حرص "ماكليلاند" على استخدام هذا المفهوم وحده لتفسير تقدم أو تأخر المجتمعات الإنسانية، القديمة والحديثة دون مراعاة لمختلف المتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمعات -- مما يحتاج إلى دراسة متكاملة التخصصات لكل حالة- جعله يقع فى خطأ التعميم غير القابل للتحقق منه، بل وزين له أن يدعى أن المجتمعات العربية المعاصرة (بالشرق الأوسط) – التى يرى أنها منخفضة الدافعية- كانت طوال تاريخها منخفضة الدافعية للإنجاز. ولم يحدث فى زعمه أن استفادت بالاحتكاك بالثقافات الأخرى، وهذا مثال واضح للتحيز ضد العرب وتاريخ الحضارة فى منطقة الشرق الأوسط. وأغلب الظن أن هذا كان جزءًا من الحملة الصهيونية المنظمة ضد المجتمعات العربية والإسلامية فى الستينيات من القرن العشرين.. وذلك فى مقدمة كتابه المسمى "مجتمع الإنجاز" الذى ذاع صيته فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الستينيات من القرن العشرين!

(١) Learned Helplessness

منه، مثلما فعل الذين لم يتعرضوا للموقف الأول (موقف الضوضاء الشديدة التى لا يمكن تجنبها).

أكثر من هذا، فقد بُذل جهد، لتحديد إن كانت الفروق الفردية على استخبار يقيس مركز التحكم الخارجى – الداخلى، فى علاقته بالأداء فى موقف المعمل. ويلاحظ أن الأشخاص ذوى الدرجة المرتفعة على مقياس التحكم الداخلى، هم الذين يعتقدون فى قدرتهم على التحكم فى أحداث حياتهم، على حين أن الأشخاص ذوى الدرجة المرتفعة على مقياس مركز التحكم الخارجى يعتقدون أن الحظ أو القدر هو الذى يتحكم فى أحداث حياتهم.

وتبين من البحث أن الأفراد الذين حصلوا على درجة مرتفعة على مقياس مركز التحكم الخارجى كانوا أبطأ فى الهروب وتجنب الضوضاء مقارنة بالأفراد ذوى مركز التحكم الداخلى.

ووُجد ارتباط بين درجة الاستخبار الذى يقيس الفروق الفردية فى "مركز التحكم"، وبين الأداء فى المعمل، أى أن الفروق الفردية فى الدرجة على مقياس مركز التحكم ارتبطت بالأداء فى الموقف التجريبى الذى تعلم فيه الطلاب حالة العجز؛ مما يوحى بأن الأفراد ذوى مركز التحكم الخارجى المرتفع، لديهم نـازع سابق من خبرة العجز فى علاقتها بالأحداث السلبية.

وقد امتد تاريخ البحث فى هذا الموضوع، مدة تزيد عن عشرين سنة، كان التركيز أثناءها على العلاقة بين الشعور بالعجز والاكتئاب، مما أدى إلى فرض مؤداه: أن "**الاكتئاب يتسبب عن وصف الشخص نفسه بأنه عاجز**" كأن يقول إن عجزى يرجع إلى نفسى، أو إلى عوامل مستقرة، (مثل: أنا دائمًا بهذه الطريقة) وإلى كون العجز سمة دائمة وليست عارضة (مثل قوله: أنا شخص عاجز، ولست فقط عاجزًا عن هذا الشيء). (Abramson, Seligman, and Teasdale, 1978).

هذا بالإضافة إلى تكوين استخبار حول: "أسلوب العزو" (Peterson,

1991) انظر الجدول رقم (١-٢) التالى: لقياس الفروق الفردية فى الميل إلى عزو الأحداث الإيجابية والسلبية إلى عوامل داخلية أو مستقرة أو عامة (كونيـــة). وقـــد ارتبطت درجات الفروق الفردية على هذه المقاييس بدرجات الاكتئـــاب، وكـــذلك بدرجة الأداء فى موقف المعمل، وفى المواقف غير المعملية. وعند هـــذه النقطـــة يظهر دليل قوى على وجود تصاحب أو ارتباط بين الاكتئـــاب والعـــزو الـــداخلى المستقر والدائم (Peterson, and Park, 1998)، ومع ذلك يبقى غير واضح إمكان وجود علاقة سببية بين هـــذه الإعـــزاءات وبـــين الاكتئـــاب (Segal and Dobson, 1992).

الجدول رقم (١-٢)

بنود توضيحية لاستخبار أسلوب العزو

بنـــــود المقيـــــاس	ضـــع دائرة حول الرقـــم الذى يمثل مستوى إجابتك (أدنى أو أعلى)
حدث فى وقت ما، أنك بحثت دون جدوى عن عمل: ١ - اكتب أهم سبب لهذا: .... ٢ - هل يرجع سبب فشلك فى الحصول على عمل، إلى شيء يرجع إليك أم إلى شيء آخر، مثل أشـــخاص آخـــرين أو إلـــى ظـــروف خارجية؟ (ضع دائرة حول الرقم الملائم) أ - يرجع إلى أشخاص آخرين. ب - يرجع إلى ظروف خارجية. جـ - يرجع إليّ أنا تماما (خذ إجابة واحدة) ٣ - عندما تتطلع إلى عمل فى المستقبل، هل هذا السبب - فى عدم [illegible] (ضع دائرة حول الرقم الملائم)	 ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ١ ٢ ٣ [illegible]

facebook.com/ketabme

أ - سيتكرر. ب - لن يتكرر أبدًا.	٦ ٧
٤ - هل سبب عدم حصولك على عمل، يمثل شيئًا يؤثر فقط في الحصول على عمل، أم أنه يؤثر أيضًا في مجالات أخرى من مجالات حياتك:	١ ٢ ٣ ٤ ٥
(ضع دائرة حول الرقم الملائم)	٦ ٧
أ - يؤثر فقط في مجال اختيار العمل.	
ب - يؤثر في كل مواقف حياتي.	
٥ - إلى أي حد يمثل هذا الموقف أهمية، إذا حدث لك:	
(ضع دائرة حول الرقم الملائم)	
أ - لا أهمية له.	١ ٢ ٣ ٤ ٥
ب - شديد الأهمية.	٦ ٧

المصدر: استخبار أسلوب العزو، أعده بترسون وزملاؤه (Peterson, et al., 1982) بكتاب *Cognitive therapy and Research*, Ch. 6, P. 292 .

كان الهدف مما سبق، هو إعطاء مثال على أن البحث في سمات يمكن – بل وغالبًا– يتضمن استخدام أكثر من منحى واحد للبحث من خلال مناهج مختلفة. والسؤال الذي يمكن أن يثار هو: هل البيانات التي يتم الحصول عليها تتفق مع بعضها البعض؟ فمثلاً يمكن أن نسأل: هل البيانات التي نحصل عليها من مشاهدين مختلفين تتفق فيما بينها؟ هل التقدير الذاتي للسمات، يتفق مع تقدير مشاهدة الأصدقاء أو الوالدين، أو المعلمين؟ مثال آخر، يتمثل في السؤال: هل تتفق مقاييس متغيرات الشخصية مع بعضها البعض (عند تقديرها من خلال أدوات مختلفة) أي هل يرتبط التقرير الذاتي للقلق مع المقاييس الفسيولوجية له؟ هذه أسئلة معقدة، وقد توصل الباحثون النفسيون إلى نتائج مختلفة فيما يتصل بها.

فإذا عدنا إلى السؤال حول درجة الاتفاق بين التقدير الذاتي من خلال مشاهدين؛ توحي إحدى الدراسات بأن كلاً من تقديرات الأفراد، وتقديرات زملاء

الجامعة وزملاء المدرسة الثانوية، وتقديـرات الوالديـن، تتفـق بدرجـة جيـدة فى وصف نفس الشخص.(Funder, Kolar, and Blackman, 1995)

وبعبارة أخرى، فإنه رغم اختلاف المُشاهد، وسياق المشاهدة، فإنـه يوجـد اتفاق حول شخصية الفرد الذى يتم تقديره، على أن بعض علماء ليـسوا راضـين بنفس الدرجة عن مستوى الاتفاق بين المشاهدين، بينما يسأل آخرون: هل الاتفـاق يدل بالضرورة على الدقة[١]. (Kenny, 1994, Pervin, 2002).

بالإضافة إلى أنه يغلب أن ينخفض مستوى الاتفاق بين التقدير الذاتى وتقدير المعلمين. (Kazdin, 1994)

فإذا عدنا إلى السؤال الثانى، فإنه يغلب وجود قدر ضئيل من الاتفـاق بـين مقاييس نفس البناء للشخصية، من خلال مناهج مختلفة للبحـث (Kagan, 1988)، فمثلاً قد يرتبط التقدير الذاتى للقلق ارتباطًا ضئيلاً بالتقديرات القائمة على الـسلوك الذى تتم مشاهدته أو بمقاييس الاستجابات الفسيولوجية. وهذا لا يمثل مـشكلة، إذا وضعنا فى حسباننا الفروق النظرية ذات الدلالة. فمثلاً التقدير الذاتى للقلق لا يحتاج إلى الاتفاق مع المقاييس الفسيولوجية للقلق، إذا كان واضـحًا أن بعـض الأفـراد ينكرون[٢] (أو يكبتون) مشاعرهم أكثر مما يفعل آخرون (Newton, Haviland, and Contrada, 1996) ومع هذا فإن عدم الاتفاق، قد يمثل مشكلة إذا كان هـذا التفسير غير قابل للتحقق منه. وبعبارة أخرى، لا يوجد مصدر واحد يمكن النظـر إليه بشكل آلى على أنه أكثر صدقًا من الآخر.

وقد تسهم مختلف المقاييس فى تحسين فهمنا لأداء الشخص، ومع هذا، فإنه لكى تصدق هذه الحالة، فإنه ينبغى أن نجد علاقات متسقة مع المقاييس، أو تفسيرات نظرية ذات معنى للفروق عند اكتشافها.

---

(١) Accuracy

(٢) Repress

والخلاصة: أن التقاليد أو المناحى الثلاثة التى تمت مناقشتها فى هذا الفصل (العيادى والارتباطى والتجريبى) تؤكد طرقًا مختلفة لإجراء مشاهدات منظمة، وإقامة علاقات قانونية بين المتغيرات. وكما سنرى فى الجزء الأول من هذا الكتاب، فإن هذا هو السبب فى أن البحث الذى يعتمد على هذه التقاليد الثلاثة، يؤدى إلى مشاهدات مختلفة، وإلى تكوين مفاهيم مختلفة، وفى نفس الوقت فإن أى جهد علمى يؤكد على الثبات والصدق وقابلية المشاهدة للإعادة، والعلاقات القانونية بين المتغيرات. ومن ثم فإنه رغم أن هذه المناحى الثلاثة تتبع مسارات مختلفة، فإن المتبعين لهذه المناحى يشتركون فيما بينهم، فى الالتزام بمتابعة البحث فى مجال الشخصية، كجهد علمى.

البحث العيادى Clinical Research: منحى للبحث، يتضمن دراسة متعمقة للأفراد، من خلال الحدوث الطبيعي للسلوك، أو التقارير اللفظية لما حدث في الموقف الطبيعي.

تعدد الشخصية Multiple Personality: اضطراب نفسي، فيه توجد – لدى الشخص الواحد– شخصيتان (أو أكثر) تتميز كل منهما عن الأخرى.

اختبار تفهم الموضوع Thematic Apperception Test (TAT): مقياس إسقاطي أعده كل من "مورجان وموراى"، يستجيب له الأشخاص من خلال ذكر قصص تقوم على أساس مجموعة مقننة من الصور.

حركة الإمكانات البشرية Human Potential Movement: حركة شعبية ظهرت خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، تؤكد على إنجاز أو تحقيق الفرد لإمكاناته، بما في ذلك الانفتاح على الخبرة.

بنـــاء Construct: في نظرية كيللى، للإدراك وبناء أو تفسير الأحداث.

منحى ارتباطى Correlational Approach: منحى للبحث تقاس فيه الفروق الفردية لسمات الأشخاص، ويتم حساب ارتباط كل منها بالآخر.

معامل الارتباط Correlation Coefficient: طريقة إحصائية لتقدير التصاحب أو التلازم أو الارتباط، بين مجموعات من البيانات.

تحليل عاملى Factor Analysis: طريقة إحصائية لتحديد المتغيرات أو الاستجابات على الاختبارات التي تتصاحب زيادة ونقصانا، وتستخدم هذه الطريقة في تكوين مقاييس للشخصية ومقاييس لبعض نظريات الشخصية، (مثل نظرية "كاتل وأيزنك"، ونموذج العوامل الخمسة F. F. M.).

سمة Trait: استعداد للسلوك بطريقة معينة، يعبر عنها السلوك الصريح للفرد، عبر مدى واسع من المواقف.

نموذج العوامل الخمسة للشخصية (Five-Factor Model (FFM: يبزغ بين كثير من منظّرى الشخصية اتفاق، يشبه الإجماع، يوحى بوجود خمسة عوامل أساسية للشخصية الإنسانية هى: العصابية، والانبساط، والانفتاح على الخبرة، والسماحة ويقظة الضمير.

مقياس الرضا عن الحياة (Satisfaction With Life Scale (SWLS: مقياس يقيس الرضا العام عن الحياة.

الاستعداد للتفاؤل Dispositional Optimism : ميل أو استعداد عام لتبنى الخبرات الإيجابية حول المستقبل.

البحث التجريبى Experimental Research: منحى للبحث يقوم فيه المجرب بالتحكم فى المتغيرات، والتدخل فى إقامة علاقة سبب ونتيجة، واكتشاف قوانين عامة.

تعديل السلوك Behavior Modification: طريقة فى العلاج، مستمدة من نظرية التعلم، خاصة نظرية التشريط الفعال لسكينر، ويستخدم لتغيير السلوك المشكل.

ثبات Reliability: درجة اتساق المشاهدات أو استقرارها أو قابليتها للاعتماد عليها، وإمكان تكرارها.

صدق Validity : المدى الذى تعكس به المشاهدات كلاً من المفاهيم والمشاهدات والمتغيرات موضع الاهتمام، أو الدليل الخارجى على أن المقاييس تقيس ما تدعى قياسه.

عجز متعلم Learned Helplessness: مفهوم استخدمه "سليجمان" Seligman للتعبير عن تعلم أحد الحيوانات أو الأشخاص تعميم استجابة العجز – بعد التعرض لصدمة غير قابلة للتحكم فيها– على مواقف أخرى.

ملخص الفصل:

١ - تتضمن الدراسة العلمية للشخصية، البحث المنتظم[١] للفروق الفردية، والأداء المنظم[٢] للشخص ككل.

٢ - يمكن تمييز ثلاثة تقاليد بحثية داخل مجال الشخصية كعلم، هي: العيادى، والارتباطى، والتجريبى.

٣ - يتضمن المنحى العيادى للشخصية، الدراسة المنظمة المتعمقة للأفراد. وتمثل الأعمال العيادية لكل من فرويد وروجرز وكيللى هذا المنحى للبحث.

٤ - يتضمن المنحى الارتباطى للشخصية، استخدام المقاييس الإحصائية لتقدير التصاحب أو الارتباط بين مجموعات من المقاييس، التى وجد أن الأفراد يختلفون من حيث درجاتهم عليها. ويمثل هذا المنحى، كل من "كاتل" و"أيزنك" ومؤيدى نموذج العوامل الخمسة للشخصية. ويعكس إعداد بعض المقاييس الحديثة للشخصية – مثل مقياس الرضا عن الحياة (SWLS)، والتوجه نحو الحياة (LOT)، والمقياس الأخير للاستعداد للتفاؤل– استخدام المنهج الارتباطى فى تحليلٍ عاملىٍّ معين؛ لتكوين مقاييس لمتغيرات للشخصية تتسم بالثبات والصدق.

٥ - يتضمن المنحى التجريبى للشخصية التناول المنتظم للمتغيرات، لإثبات علاقة سببية، ويتمثل هذا المنحى فى أعمال كل من: بافلوف فى التشريط الكلاسيكى، وسكينر فى التشريط الفعال، وباحثى منحى التنبيه – الاستجابة، وكذلك يمثل هذا كل من المناحى المعاصرة: المعرفة الاجتماعية، ومعالجة المعلومات، وكذلك تمثل دراسة أثر مختلف أنماط تعليمات مهام الكتابة على الحالة المزاجية والشعور بحسن الحال والمرض الجسمى، نموذجًا لاستخدام المنهج التجريبى.

---

(١) Systematic

(٢) Organized

٦ - يرتبط كل منحى من هذه المناحى الثلاثة للبحث ببعض جوانب القوة والضعف (راجع: الجدول رقم "١-١"). ورغم أن هذه المناحى تتبع مسارات مختلفة، فإن باحثى الشخصية من المناحى الثلاثة، يشتركون فى محاولة تحقيق هدف مشترك، يتمثل فى إنجاز عمل يتسم بالثبات والصدق.

٧ - يستخدم باحثو الشخصية -غالبًا- أكثر من منحى من هذه المناحى البحثية، ويمثل البحث المتصل بالعجز المتعلم نموذجًا لاستخدام مناهج متعددة فى البحث الواحد.

٨ - تمثل النظريات طرقًا للإيحاء بعلاقات قانونية بين المتغيرات، وتحديد ما هو معروف، وتوجهنا إلى توجهات خصبة لاستكشاف المجهول. وتمثل المناحى الثلاثة ثلاثة مسارات نحو إجراء المشاهدات وإقامة علاقات قانونية بين المتغيرات.

ومع ذلك فهى تشترك فيما بينها بالالتزام بمتابعة بحث الشخصية، بوصفه مهمة علمية.

الجزء الأول

وحــــــــدات الشــــخصية

يستخدم كل علم وحدات مفهومية تمثل أساس النظرية والبحث فى الميدان مثل جدول العناصر فى الكيمياء، وأجزاء الجسم فى التشريح، ووحدات المادة فى الفيزياء. فما هى وحدات علم الشخصية؟ وجه هذا السؤال جوردون أولبورت سنة ١٩٥٨، وهذا ما سوف نهتم به فى الفصول الثلاثة التالية. وقد حدد أولبورت عشر وحدات أساسية هى: القدرات العقلية بالسمات المزاجية، والدوافع اللاشعورية، والاتجاهات الاجتماعية، والأساليب والمخططات المعرفية (أو طرق النظر إلى العالم)، والاهتمامات والقيم، والسمات التعبيرية والسمات الأسلوبية[١] والميول المرضية. وتم استخلاص التجمعات العاملية للسمات عن طريق التحليل العاملى (Allport, 1958). ويفترض أولبورت أننا بحاجة إلى وحدات معقدة أكثر مما نحن بحاجة إلى وحدات شديدة الصغر أو جزيئية، وكذلك نحن بحاجة إلى وحدات يمكن أن تكون مسئولة عن جوانب الانتظام فى السلوك وكذلك جوانب التنوع فى السلوك من موقف إلى آخر. كما لاحظ أننا لسنا دائمًا قادرين على المشاهدة المباشرة للوحدات موضوع الاهتمام، مثل الدوافع اللاشعورية أو بعض السمات. وبالطبع فإن هذا العجز عن المشاهدة ليس قاصرًا على بحوث الشخصية؛ فمثلها مثل كل العلوم تتضمن وحدات لا يمكن مشاهداتها بطريقة مباشرة، على الأقل فى البداية. وقد نظر عالم نفس الشخصية دافيد ماكليلاند الذى سبقت الإشارة إليه فى الفصل الأول إلى موضوع الوحدات الأساسية فى كتابه عن الشخصية سنة ١٩٥١، وقد حظيت ثلاث وحدات باهتمام خاص منه هى: السمات، والمخططات، والدوافع (McClelland, 1951).

ورغم أنها تحتوى على عدد أقل من البنود مقارنة بقائمة أولبورت، فإن وحدات ماكليلاند فى الواقع تشبهها؛ لأنه فى الواقع كل وحدات أولبورت يمكن أن تتضمن فى الفئات الثلاث التى اقترحها ماكليلاند. فمثلاً وحدة الاهتمامات والقيم

---

(١) Stylistic

لدى أولبورت كطريقة لتنظيم الخبرة، يمكن أن تتضمن فى فئة المخططات لدى ماكليلاند.

إلى أى حد تتشابه وحدات الشخصية التى تتم دراستها الآن، وإلى أى مدى ذهبنا فى مشاهداتنا وقياساتنا بخصوص هذه الوحدات؟ كيف ترتبط الوحدات كل منها بالأخرى وإلى أى حد يبدو أنها تساعدنا فى جهودنا لفهم الشخصية؟ أى جوانب النسق المنظم لأداء الشخص الذى يؤدى إلى الفروق الفردية.

وللإجابة عن السؤال الأول، يمكن الإيحاء بأن الوحدات الأساسية للبحث فى ميدان الشخصية اليوم ظلت شديدة الشبه بتلك التى لاحظها أولبورت وماكليلاند، خاصة إذا تم ضم الانفعالات إلى فئة الدوافع كما فعل ماكليلاند. أى أننا **فى الفصول التالية سوف نتناول كلاً من: السمات، والمخططات المعرفية، والدوافع كوحدات أساسية للشخصية. أما الإجابة عن الأسئلة الأخرى التى تتصل بالعلاقات بين الوحدات وإلى أى حد وصلنا فى بحثنا لها، فهذا ما يتطلب الانتظار لتناول الوحدات نفسها وهذا ما سوف نتناوله.**

الفصل الثانى*

السِّمات كوحدات للشخصية

* ترجمة د. أيمن عامر

نظرة عامة على الفصل

يهتم الفصل الراهن بالسمات بوصفها وحدات أساسية للشخصية. وتوصف السمات عادة بأنها انتظامات أو اتساقات واسعة فى الوظائف النفسية للأفراد. ويشيع عادة استخدامنا لمفهوم السمة لِنَصِفَ به شخصية الآخرين، أو لِنَصِفَ به أنفسنا. ويثار هنا السؤال: هل يفيدنا هذا المفهوم – أيضًا– كعلماء فى مجال الشخصية؟ يعتقد كثير من باحثى الشخصية فى ذلك، ولديهم من الخبرات المتراكمة، والانطباعات، والوقائع ما يدعم هذه الوجهة من النظر، ولكن فى المقابل يعتقد كثير من علماء النفس أن الشخصية من التعقيد والتنوع بما لا يجعل من السهل حصرها فى تلك الوحدات المفترضة. وسنهتم فى الفصل الراهن باستعراض الدلائل التى تستخدم لدعم وجهة النظر التى ترى فى السمات وحدات أساسية للشخصية. وسنهتم أيضًا بمناقشة الأسئلة التى يطرحها ناقدو مفهوم السمة.

الأسئلة موضع اهتمام الفصل

١ــ كيف يستخدم مفهوم السمة ليصف الوحدات الأساسية للشخصية؟

٢ــ كيف يدرس علماء نفس الشخصية – على اختلاف توجهاتهم– مفهوم السمة، وإلى أى حد تتشابه نتائجهم؟

٣ــ هل هناك عدد محدود من وحدات السمات التى تمثل أحجار البناء الأساسية للشخصية؟ وما الدلائل التى تدعم هذه الوجهة من النظر؟

٤ــ إذا كانت السمات تمثل الاتساقات الواسعة فى السلوك عبر الزمن، والمواقف، فكيف نُفَسر التنوع فى السلوك استجابة لمتطلبات المواقف النوعية؟

مقدمة:

سنبدأ دراستنا لوحدات الشخصية بمفهوم السمة. والسمات هى صفات نستخدمها لوصف شخصية فرد معين، والتى يندرج تحتها صفات من قبيل: منطلق، ودود، متحفظ، عدائى، تصارعى، كريم.. إلخ. وتعد هذه المصطلحات أوصافاً موجزة تفيدنا فى مواقف عديدة، لتكوين انطباعات أولية عن شخصية فرد نقابله لأول مرة، أو لنزيد من معلوماتنا عن شخص معين، أو لفهم سلوك شخص ما قابلناه فى عدة مواقف متنوعة، أو تفاعلنا معه فى موقف بعينه. ليس من الواضح بالضبط، كيف نكوِّن مثل هذه التقديرات عَمَّن نقابلهم من أشخاص، ربما يجيب البعض "إن هذا يحدث هكذا وبشكل تلقائى". ورغم أننا قد نندهش أحياناً إذا وجدنا الشخص مختلفاً فى بعض المواقف عما نعرفه عنه، فإننا بشكل عام نكون راضين عن استخدام السمات لوصف سلوكه. ويعد هذا الأمر شائعًا بين الأفراد عبر مختلف أنحاء العالم، والذى تظهر بداياته الأولى منذ الأعمار الصغيرة تقريبًا (Church, 2000, John & Srivastava, 1999, McCrae, Costa, del Pilar, Rolland & Parker, 1998, Yik & Bond, 1993)

بدأ استخدام "السمات" لوصف الفروق الفردية بين الأشخاص – فيما يبدو– مصاحبًا للجهود المبكرة التى سعت إلى تصنيف الأفراد والتمييز بينهم. ويؤرخ الباحثون لمفهوم السمة – بوصفه الوحدة الأساسية للشخصية– ببدايات الاهتمام بالشخصية كمجال بارز ومهم فى علم النفس. وهو ما برز فى تأكيد أولبورت Allport (1937)، – فى كتابه الذى حرث به أرض دراسات الشخصية– أن السمات تقف بمثابة "الوحدات الأساسية للشخصية". وَعَلَى نحو مشابه أشير فى كتاب آخر، كُتِب فى السنة نفسها التى صدر خلالها كتاب "أولبورت" إلى أن السمات يجب أن ينظر إليها بوصفها "وحدات الشخصية الأساسية" (Stagner, 1937, p12). ومنذ ذلك الحين، مر مفهوم السمة بمراحل من الاهتمام والانتشار بين علماء نفس الشخصية، وبمراحل أخرى من التجاهل والازدراء، ولكنه ظل

دائمًا جزءًا مهمًّا من هذا المجال الواسع. وإن كان لم يحظ مطلقًا بالقبول التام بوصفه الوحدة الأساسية للشخصية؛ فقد كان هناك دائمًا مفاهيم أخرى رائدة فى المجال تعتبر نفسها الأكثر تعبيرًا عن الشخصية.

وكما أشرنا، رغم عدم اتفاق علماء نفس السمة على كيفية تعريف السمة وقياسها، فإنهم يتفقون فى هذا الصدد على نقطتين أساسيتين:

(١) أن السمات تشير إلى الانتظامات، أو الاتساقات الواسعة فى سلوك الأفراد، وبالتالى فإنها تمثل الفئات الأساسية التى تتحدد فى ظلها الفروق الفردية فى وظائف الشخصية بين الأفراد. فأن تصف شخصًا معينًا بأنه شخص "منطلق وغير متحفظ" فهذا معناه أنك تصف خصالاً عامة لديه تميزه عن آخرين يتصفون بأنهم خجولون أو متحفظون فى سلوكهم.

(٢) تعد السمات، -على نحو ما يؤكد أنصار الفروق الفردية فى الشخصية- مفاهيم مفيدة كوحدات أساسية للشخصية. لذلك من المفيد ابتكار طرق لقياسها، واستكشاف كيف ترتقى، وهو ما يسمح لنا بتحديد أى المفاهيم تقدم تفسيرًا مرضيًّا للفروق الفردية فى وظائف الشخصية عبر السياقات العديدة.

والآن، وقبل تسليط الضوء على بعض البحوث شديدة الحداثة التى أُجريت على مفهوم السمة، سنقوم بمراجعة مختصرة للنظريات والإجراءات البحثية المتعلقة بثلاثة من أهم التوجهات البارزة فى تاريخ دراسة السمات.

علم نفس السمة لدى جوردون أولبورت

ينظر جوردون أولبورت (١٨٩٧ـ ١٩٦٧) إلى السمات كعناصر بنائية أساسية للشخصية؛ فينظر إلى السمة بوصفها استعدادًا مسبقًا للاستجابة على نحو خاص. وتؤدى السمة إلى اتساق فى الاستجابة؛ لأنها تصف العديد من التنبيهات المتعادلة وظيفيًّا، وتستحضر عديدًا من أشكال السلوك التكيفى والتعبيرى. على سبيل المثال، يتسم الأشخاص الاجتماعيون بأنهم ودودون، ومنطلقون دون تحفظ؛

لأنهم ينظرون إلى كثير من المواقف كفرص للتفاعل مع الآخرين، وتفاعلهم هذا جزء من أسلوبهم فى التفاعل مع العالم من حولهم. بمعنى آخر تعبر السمات هنا عن استعداد خاص للاستجابة؛ فمن زاوية المدخلات، هناك مواقف متعددة تعالج بطرق متشابهة، ومن زاوية المخرجات، فللشخص أسلوبه الخاص فى التعبير والتكيف.

هل السمات لها وجود حقيقى أم إنها وصف مفيد لتعميمات سلوكية؟

يعتقد أولبورت أن السمات لها وجود حقيقي؛ فهى ذات أسس كامنة فى الأجهزة النفسعصبية للأشخاص. وعلى الرغم من أن هذه الأسس لا تلاحظ ولا تقاس فى وقت رصد المظاهر السلوكية للسمات، فإن أولبورت يعتقد أن السمات لها جذور فى الفروق البيولوجية والفيزيقية بين الأفراد، كما أنه يمكن رصدها خلال مجرى السلوك الملاحظ.

واقترح "أولبورت" عديدًا من الفئات المتباينة للسمات. إحدى هذه الفئات تتعلق بـــ: هل تستخدم السمات لوصف الأشخاص بشكل عام، أم إنها تستخدم – فقط– لوصف شخص بعينه، وهو ما أطلق عليه اسم التوجه الجمعى (الناموسى)[١] مقابل التوجه الفردى (الأيديوجرافى)[٢]. فاعتقد أولبورت أن من المهم أن نحدد وحدات السمات التى تنطبق على جميع الأشخاص، – مؤكدًا بذلك أهمية التوجه الجمعى– وفى الوقت نفسه أصرَّ أيضًا على أهمية الفرد؛ فاقترح وجود سمات تعبر عن خصال فريدة لدى الشخص– مؤكدًا أهمية المنحى الفردى.

الفئة التمييزية الثانية التى اقترحها أولبورت هى التى تعنى بوصف السمات من حيث كونها مركزية أو سطحية. وهنا ميز أولبورت بين السمات الأصلية[٣] والسمات المركزية[٤]، والاستعدادات الثانوية[١]؛ فأشار إلى أن السمات الأصلية تعبر

---

(١) Nomothetic
(٢) Idiographic
(٣) Cardinal Trait
(٤) Central Trait

عن الميل للاستجابة شديد الجوهرية فى حياة الفرد، والذى تخضع كل الأفعال لتأثيره. على سبيل المثال، نحن نتحدث عن الشخص الميكافيللى[٢] (نسبة إلى ميكافيللى وقاعدته الشهيرة "الغاية تبرر الوسيلة" التى أدت إلى عديد من النجاحات التى تمت فى عصر النهضة) بأنه شخص سادى[٣] (نسبة إلى ماركيز دى ساد). ونتحدث كذلك عن الشخص التسلطى[٤] الذى ينظر فعليًّا إلى كل شيء بشكل نمطى على أنه إما أبيض أو أسود. وبشكل عام فإن الأفراد يكون لديهم عادة عدد قليل من السمات الأصلية. أما **السمات المركزية** (مثل النزاهة، والعطف، والتوكيدية) فهى تعبر عن الميول التى تغطى مدى محدودًا من المواقف الأكثر اتساعًا من السمات الأصلية، ولكنها مازالت تعبر عن اتساقات واسعة فى السلوك. وأخيرًا، توجد **السمات الثانوية** التى تعبر عن الميول الأقل وضوحًا وعمومية واتساقًا. بمعنى آخر، يملك الأفراد سمات تتسم بدرجات متنوعة من الدلالة والعمومية. ومختلف السمات قد تكون استعدادات مسبقة أصلية أو مركزية أو ثانوية، وهى تتباين بتباين الأفراد.

ولم يستخدم "أولبورت" طريقة التحليل العاملى لتحديد وحدات السمات أو فئاتها. فخلال كتاباته الأولى، رفض التحليل العاملى، وفكرته التى تبنى على التركيز على الشخص "المتوسط" الذى يفقد خلال ذلك تفرده. وأشار إلى أن التحليل العاملى يتعامل مع الشخص بوصفه "مركبًا" مكونًا من عدد من العناصر المستقلة، أكثر منه نسقًا متفردًا من بناءات فرعية متفاعلة. ومرة أخرى، نجد "أولبورت" يركز هنا على الجوانب الإجمالية المنظمة، المكونة للأنماط المتمايزة لدى الفرد، أكثر من النظر إلى الوحدات المجردة التى قد لا ترتبط بفرد بعينه بشكل له معناه.

ومع أنه انتقد التحليل العاملى، فقد كان "لأولبورت" جهوده الثرية فى ابتكار تصنيفات للمصطلحات الخاصة بالسمات (Allport & Odbert, 1936). ولتحقيق

---

(١) Secondary Dispositions

(٢) Machiavellian Person

(٣) Sadistic Person

(٤) Authoritarian Person

ذلك قام بوضع قائمة من مثل هذه المصطلحات – التى استخرجها من معجم المفردات الإنجليزية – وأضاف إليها عددًا من المصطلحات الدارجة للسمات، ووصل من ذلك إلى حوالى ١٨,٠٠٠ مصطلح صنَّفها فى فئات. تكونت هذه الفئات من الصفات الثابتة والمستقرة، كالنشاطات والحالات المِزاجية، والتقويمات الاجتماعية، والفئات المختلطة المكونة من الخصال البدنية والجسمية، وفئات الخصال المرتبطة بالموهبة والقدرات. وتصف الفئة الأولى الصفات الشخصية التى ترتبط بشكل كبير بمفهوم السمة – كما تُستخدم بمعناها العام– ورغم وجود قدر ما من عدم النظام فى طريقة تصنيف الفئات، فلا تزال لهذه الدراسة أهميتها الكبيرة؛ لاستخدامها اللغة العادية كأساس لوضع تصنيف شامل للمصطلحات.

يبقى الآن عدد قليل من النقاط الإضافية الجديرة بالاهتمام عن "أولبورت" كمُنظِّر للسمات:

أولاً: كان أولبورت ناقدًا لعلماء النفس الذين يركزون على قياسات الفروق الفردية متجاهلين التنظيم الخاص بالفرد ككل. وقد تطابق ذلك مع رفضه للتحليل العاملى كطريقة لدراسة الشخصية. لقد أكد "أولبورت" أن معرفة السمات الفردية لدى الشخص، وتنظيم هذه السمات داخل الفرد، هو الأمر الأكثر أهمية من السعى لمعرفة أين موضع الفرد مقارنًا بالآخرين على نفس السمات الشائعة. وبشكل عام أكد "أولبورت" أهمية البحث الفردى "الأيديوجرافى" الذى يتضمن دراسة متعمقة لنمط الوظائف الفردية وطريقة تنظيمها باستخدام عدد قليل من قياسات الشخصية المعيارية. وفى رأيه، إن أى نظرية حقيقية عن الشخصية يجب أن تكون قادرة على الإمساك بكل ما يفيد فى فهم تفرد الفرد.

ثانيًا: كان أولبورت شديد الوعى بتنوع السلوك وتعقده، ولكنه كان مؤمنًا كذلك بأن الأفراد يسلكون بشكل متسق، ومن ثم اعتبر مفهوم السمة مفيدًا فى التعبير عن هذا الاتساق. وإن كان لم يَغُضَّ الطرف عن أن الأفراد يتأثرون بالمواقف،

ورأى كذلك أن معظم السلوكيات هى نتاج التأثير المتفاعل لعديد من السمات معًا. بالإضافة إلى ذلك، أشار أولبورت إلى أن كل شخص يعانى من عديد من الصراعات، وهذه يمكن النظر إليها بوصفها استعدادات متضادة، لذلك، يُنظر للاتساق بوصفه متغيرًا متدرجًا فى تجلياته، وبالتالى من غير المتوقع أن نجد اتساقًا تامًّا للذات على نحو متصلب (Allport, 1937, p. 332).

وأخيرًا، طرح أولبورت قضية وجود علاقة بين مفهوم الدافع ومفهوم السمة، وسوف نعود إلى هذه النقطة عندما نتناول مفهوم الدوافع، وفحص علاقتها بالسمات. ولكن من المهم الآن أن نركز على فحوى السؤال الذى سلط أولبورت عليه الضوء، وهو: ما الذى يستثير الكائن الحى، وما الذى يوجه استجابته للتنبيه؟ ميز أولبورت بين الدافعية وأسلوب الاستجابة(١) (Allport, 1937, p. 323). وفى هذا الإطار نظر إلى الشخص فى ضوء مصطلحات ذات طابع دافعى. وإن كان قد رفض -فى الوقت نفسه- النظرة التقليدية للحاجات والدوافع والتى تعتبرهما صفات مُحدِّدة للشخصية. إن وجهات النظر التقليدية هذه تشير إلى أن كل أنماط الدافعية يمكن أن تختزل فى صورة عمليات دينامية، ولكن عددًا قليلاً من الدوافع (مثل الجنس والعدوان) وكل أشكال السلوك تصبح فى خدمة خفض التوتر(٢).

هل مثل هذه النظرة تقدم حُكمًا عادلاً على الوظائف المتنوعة للشخصية؟ لا يعتقد أولبورت فى ذلك. ومن ثم، يرفض النظرة التقليدية للدوافع، ويحاول أن يدمج الدوافع داخل مجال السمات. وفى الوقت نفسه، يشير أولبورت إلى أن الدوافع ليست كلها سمات، وليست كل السمات دوافع. إذن ما العلاقة بالضبط بين المفهومين؟ هذا هو السؤال الذى لم يجد له "أولبورت" حلاً مرضيًا(Pervin, 1993a).

ويعد "أولبورت" أحد علماء نفس الشخصية الذين يتسمون بالحكمة والفطنة الملحوظتين. وكتاباته لاتزال تُقْرَأ إلى الآن باهتمام بالغ. ومع ذلك، فإن الجزء الأكبر

---

(١) Motivation and Style of Response

(٢) Tension Reduction

من عمله يلقى اهتمامًا تاريخيًّا أكثر من تناوله بوصفه عملاً ثريًّا له تأثيره فى نظرية السمة الحالية. وهذا بسبب تأكيد أولبورت على المنحى الفردى (الأيديوجرافى) أكثر من المنحى الجمعى (الناموسى)، وتركيزه على النمط والتنظيم داخل الفرد أكثر من عنايته بالفروق الفردية بين الأفراد، ولنقده كذلك للتحليل العاملى. ومع أن أولبورت يرى أن وحدات الشخصية يمكن الوصول إليها باستخدام التحليل العاملى، ولكن هذا فى رأيه يشبه "لحم السجق الذى فشل فى أن يصبح طعامًا مغذيًا وأن يحافظ فى ذات الوقت على القيمة الصحية" (p251.١٩٥٨). وعلى النقيض من أولبورت، يؤمن علماء نفس السمة الذين أتوا من بعده بأهمية التحليل العاملى كأداة رئيسية فى اكتشاف الوحدات الأساسية للشخصية.

علم نفس السمة لدى ريموند كاتل

يعد ريموند ب. كاتل Raymond B.Cattel واحدًا من أبرز الشخصيات فى تاريخ علماء نفس السمة؛ فتعد اهتماماته وإسهاماته ذات مصداقية واسعة بين المتخصصين، وهى لا تشمل فقط تطبيقاته للتحليل العاملى على سمات الشخصية، وإنجازاته فى تقدير الشخصية، بل تشمل أيضًا إسهاماته فى مجال الذكاء، ووراثة الشخصية.

تخصص كاتل فى الكيمياء فى دراسته الجامعية الرئيسية، وعندما تحول إلى دراسة علم النفس، كان الهدف الذى وضعه صوب عينيه هو ابتكار تصنيف لسمات الشخصية يقابل الجدول الدورى لعناصر الكيمياء. وقد تأثر كاتل خلال تدريبه فى إنجلترا بأعمال سبيرمان Spearman عن التحليل العاملى، لذلك اتخذ منه طريقة لتحديد الوحدات الأساسية للشخصية. وقد تضمنت بحوثه المبكرة استخدام عديد من مصطلحات السمة التى سبق أن استخدمها أولبورت بالفعل (Allport & Odbert, 1936). ومع ذلك، انصبَّت الإضافة التى أسهم بها على استخدام التحليل العاملى لتحديد مجموعة المصطلحات التى يبدو ارتباطها ببعضها بعضًا. وقد أجرى هذه

الدراسة (Cattell, 1943) على مجموعة من الراشدين، الذين قُدِّرت سماتهم عن طريق المعرفة الشخصية بهم، أو الاستناد إلى الحكم على وجود هذه السمات لديهم. بعدئذ استخدمت أساليب التحليل العاملى لتحديد أى مجموعات السمات ذات ارتباط مرتفع ببعضها بعضًا. وقد استخلص كاتل ١٥عاملاً بدت أنها تفسر معظم جوانب الشخصية.

ولم يكتف كاتل بتحليل المصطلحات المعبرة عن السمات كما تستخدم فى لغة الحياة اليومية، بل بدأ فى تحديد إذا كان من الممكن الحصول على نفس المجموعات أو فئات المصطلحات (أى العوامل) عبر الاستخبارات. وقد هدفت هذه الدراسة إلى إعادة التحقق مما أُجْرِى من دراسات مبكرة فى هذا الصدد، بما يسمح بالاستفادة منها كأساس لابتكار عدد من الاستخبارات لقياس الفروق الفردية عبر مختلف الجوانب الأساسية للشخصية. ولتحقيق هذا الغرض وضعت مئات من بنود الاستخبارات، والتى قُدِّمت لعدد ضخم من المبحوثين. واستُخدم التحليل العاملى لتحديد أى بنود هذه الاستخبارات ترتبط ببعضها بعضًا. ومن خلال تحليل هذه البيانات، استخلص كاتل ١٦عاملاً، عبرت عنها بطارية **استخبارات عوامل الشخصية الستة عشر**(١) لقياس الفروق الفردية على أبعاد السمة (Cattell & Eber, 1962). ومن بين هذه الأبعاد: متحفظ مقابل غير متحفظ(٢)، ثابت مقابل انفعالى(٣)، نفعى مقابل يقظ الضمير(٤)، حذر مقابل مجرب(٥).

كيف تتفق هذه العوامل مع تلك التى تم استخلاصها خلال الدراسة المبكرة التى اعتمدت على تقديرات السمة باستخدام مصطلحات الحياة اليومية؟ استخلص كاتل من هذه الدراسة اثنى عشر عاملاً كشفت عن ارتباطات جديرة بالاهتمام بينها

---

(١) Sixteen Personality Factors
(٢) Reversed Vs Outgoing
(٣) Stable Vs Emotional
(٤) Expendient Vs Conscientious
(٥) ConservativeVs Experimenting

وبين العوامل السابق استخلاصها، بينما بدت أربعة عوامل أنها متفردة عن الاستخبارات. واستمرارًا فى هذا الخط من الفحص، بدأ كاتل فى تحديد إذا كان من الممكن الحصول على نفس العوامل عند استخدام بيانات الاختبارات الموضوعية. وهو ما يمكن أن يحدث إذا ما تم التطبيق على عدد كبير من المبحوثين، باستخدام الاختبارات المعملية، وذلك لتحديد أى الأداءات ترتبط فيما بينها لتشكل عوامل السمة. ونتج عن التحليل العاملى لبيانات الاختبارات السلوكية (٢١) عاملاً للسمات. والسؤال الآن كيف لهذه الأداءات أن ترتبط بالعوامل التى تم الحصول عليها من التقديرات والاستخبارات؟ رغم وجود عديد من التداخلات الملحوظة، فإنه لم تكن هناك ارتباطات بسيطة – يمكن رصدها– بطريقة النقطة ــ بالنقطة[1] (Skinner & Howarth, 1973).

من الصعب تقويم الجهود التى بذلها كاتل Cattell لتحديد البناء الأساسى للشخصية وإعطائها ما تستحقه من تقدير، ما لم نكن على وعى بالظروف التى عمل خلالها؛ فتنفيذ عمليات التحليل العاملى تتم اليوم – كاملة – باستخدام الحاسب الآلى، حيث يتم إدخال البيانات على برنامج التحليل العاملى، ومن خلاله يتم تحديد عدد العوامل التى يمكن استخلاصها، وأىّ مصطلحات السمة ترتبط بأى عامل. ومع ذلك، عندما كان كاتل يجرى هذه الدراسات –فى الأربعينيات– لم تكن الحاسبات الآلية متاحة، لذلك كان مضطرًّا إلى إجرائها يدويًّا (John, 1990). علاوة على ذلك، لم يكن كاتل يكتفى بنوع واحد من البيانات، بل استخدم التقديرات والاستجابة على الاستخبارات، والاختبارات المعملية. والأكثر من هذا، تقدم كاتل وحاول تحديد إذا كانت نفس النتائج تستخلص من كل الأنواع الثلاثة من البيانات، على نحو ما كان يتوقع. ورغم كل هذه المجادلات، لم يتم حتى الآن إعادة التحقق من مثل هذا الجهد الضخم حتى وقتنا الراهن.

Point – To – Point Correspondence (١)

ونستطيع الآن –باختصار شديد– أن نتلمس إسهامين إضافيين قدمهما كاتل لنظرية السمة وجوانب البحث فيها. **أولاً:** اهتم كاتل بتحديد طبيعة السمات وصور ارتقائها. ولتحقيق هذا الهدف، ابتكر طريقة يمكن من خلالها تحديد حجم تأثير العوامل الوراثية والبيئية فى ارتقاء مختلف السمات. ومع أن المؤثرات النسبية للوراثة والبيئة تنطوى على درجات كبيرة من التنوع، فعلى المستوى الكلى للشخصية بينت التقديرات أن ثلثى المؤثرات ترجع إلى البيئة، والثلث الباقى فقط يرجع إلى الوراثة (Hundleby, Pawlik, Cattell, 1965).

وكما سنرى، فإن البحث فى هذا المجال، الذى يعرف الآن باسم "بحوث وراثة السلوك"[١] يرجع التقدم فيه بشكل ملحوظ لدراسات كاتل؛ فبحوثه فى هذا المجال لها أهميتها البارزة، خاصة أنها أُجْرِيَتْ فى وقت كان معظم علماء النفس بالولايات المتحدة يقفون إلى جانب علماء نفس البيئة بشكل لصيق.

بالإضافة إلى هذا الاهتمام بتحديد السمات، حاول كاتل تفسير ارتقاء السمة عبر الزمن. لذلك اهتم بأسئلة من قبيل: إلى أى حد توجد السماتُ الشخصيةُ نفسُها عبر مختلف الأعمار؟ وهل تظل الدرجات على السمات ثابتة عبر الزمن؟ بينت معظم نتائج البحوث التى أجريت فى هذا الصدد أن نفس العوامل المستخرجة للسمات الأساسية يمكن أن نجدها لدى الأطفال، والمراهقين، والراشدين (Coan, 1966). ومن زاوية أخرى، أشارت الدراسة التى أجريت على أطفال مدارس التمريض أن حوالى ثلث السمات الموجودة لدى الراشدين يمكن أن توجد لدى الأطفال فى عمر ٤سنوات، أو الأعمار الأكبر (Damarin & Cattell, 1968). ووجد كاتل أيضًا دليلاً على وجود قدر من الثبات فى السمات، وبشكل خاص لدى الأفراد الأكبر سنًّا (Cattell, 1965).

ويتمثل **الإسهام الثانى** لكاتل فى اهتمامه بالمظاهر الدينامية للشخصية، إلى

---

(١) Behavior Genetics Researches

جانب المظاهر البنائية أيضًا؛ وذلك من خلال طرحه لمفهوم السيولة(١)، والذى يعبر عن مظاهر التغير فى الشخصية مقابل مظاهر الثبات. ومن ثم لم ينظر كاتل بوضوح إلى الشخص ككيان استاتيكى ثابت يسلك بالطريقة نفسها فى كل المواقف. وأكد كاتل أن الشخص يتصرف فى أى وقت معتمدًا على عديد من العوامل الدافعية والموقفية. لذلك، اضطر إلى استخدم أساليب التحليل العاملى ليستخرج منها تصنيفاً للدوافع، وحاول ابتكار معادلة تتنبأ بالسلوك تعتمد على ارتباط متغيرات السمة بالمتغيرات الموقفية.

ويأتى اهتمامنا المطول -فى الصفحات السابقة- بجهود كاتل لسببين، **أولهما**: الدلالة التاريخية لهذه الجهود، **وثانيهما**: ما يلقيه هذا من ضوء على عدد من القضايا التى ستكون موضع اهتمامنا فى هذا الفصل فيما بعد، والتى منها: وحدات السمات الأساسية، ومقارنة طرق استخراج السمات فى ضوء مختلف مصادر البيانات، ومحددات السمات، واستقرار السمة والتغير فيها عبر الزمن. كما يمكن أن نضيف إلى هذا - وإن كنا لم نبرزه بوضوح فيما سبق - بحثه عن إمكانات ظهور السمات عبر مختلف الثقافات. باختصار، إن جهود كاتل العديدة تمثل سجلاً من الإنجازات البارزة.

علم نفس السمة لدى أيزنك

توازت كثير من إسهامات هانز أيزنك Hans Eysenck مع تلك التى قدمها كاتل، واستخدم هو أيضًا التحليل العاملى بشكل واسع. بالإضافة إلى أنه -مثل كاتل- كان متشعب الاهتمامات والإنجازات ذات الأهمية الكبيرة؛ فقد أسهم فى الكشف عن وحدات السمات الأساسية، ووضع استخبارات الشخصية، وفحص المحددات الوراثية، والأسس البيولوجية للشخصية (Eysenck, 1990)، ومحددات الإبداع (Eysenck, 1993). ومع ذلك اختلف عن كاتل فى توجهين أساسيين:

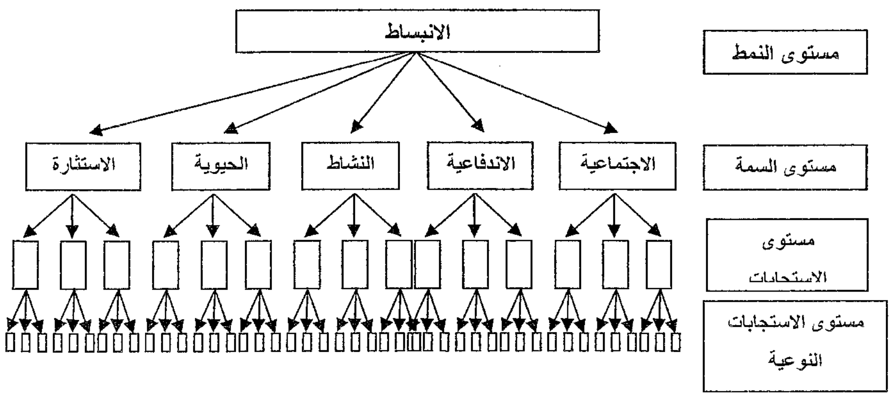
---

(١) Fluid

الأول: أنه أكد على أبعاد قليلة للسمات بالمقارنة بكاتل، مفضلاً تناول السمات على مستوى الأنماط[1] (أو الأبعاد) التى تكمن وراء العوامل أو السمات التى أكدها كاتل.

الثانى: أنه حاول بشكل كبير أن يربط الفروق الفردية فى السمات بالفروق فى الوظائف البيولوجية.

دعونا نُعطِ اهتمامًا أكبر بتلك الفروق بين الباحثين، ونتناولها بمزيد من التفصيل؛ استخدم أيزنك مثل كاتل التحليل العاملى لتحديد الأبعاد الأساسية للشخصية. وأكد أيضًا -مثل كاتل- على السمات بوصفها استجابات معتادة، والتى تميل إلى أن تصدر معًا. ومع ذلك، فضل أيزنك - على المستوى الأعلى من تنظيم الشخصية- الأنماط (انظر: شكل ٢ـ١) (Eysenck, 1970). وهو عندما يستخدم مفهوم النمط، فإنه يعبر به عن بُعْد له طرفان، أحدهما منخفض، وثانيهما مرتفع، وبينهما يقع الأفراد على امتداد النقاط المتعددة التى تمد بين طرفى هذا البعد.



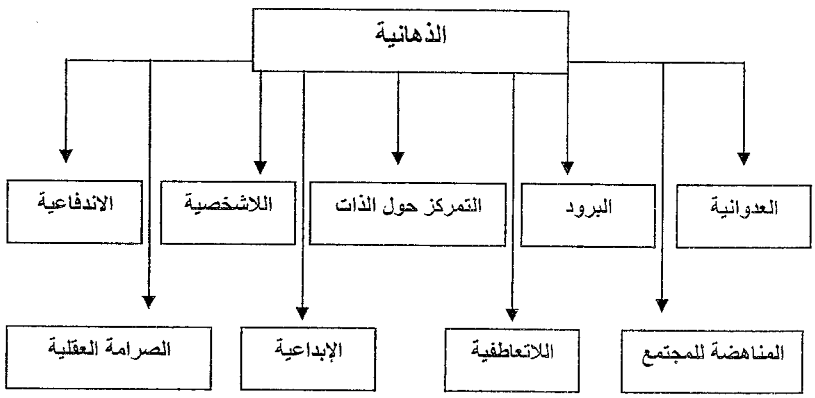
شكل (٢ ـ١) تمثيل تخطيطى للنظام التدرجى للشخصية

Source: From the structure of personality (P.13), by H.J.Eysenck, 1970, London: Methuen. Reprinted by Permission of Methuen & Co.

---

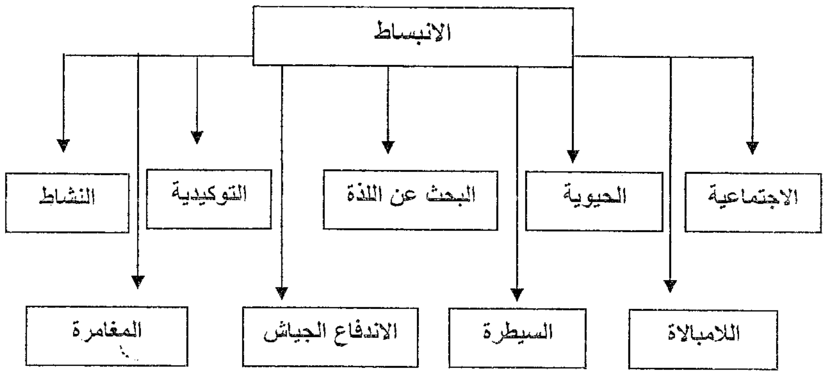
(١) Types

واقترح أيزنك وجود ثلاثة أبعاد أساسية للشخصية: بُعد الانطواء – الانبساط[١]، وبُعد العصابية[٢]، وبُعد الذهانية[٣] (Eysenck, 1990, p246). (انظر: الأشكال ٢ــ٢، و٢ــ٣، و٢ــ٤). واستخدم ثلاثة حروف مختصرة للإشارة إلى هذه الأبعاد الثلاثة: فاستخدم حرف الـ (E) ليشير به إلى بُعد الانبساط والــ(N) ليشير به إلى بُعد العصابية، و الــ (P) ليشير به إلى بُعد الذهانية، واستخدم الرمز المختصر (PEN) للإشارة إلى نموذج الأبعاد الثلاثة للشخصية. ووضع الاستخبار الذى يعرف باسمه: مقياس أيزنك للشخصية[٤] (EPQ) كمقياس للفروق الفردية على الأبعاد الثلاثة للسمات (انظر: جدول ٢ــ١) (Eysenck & Eysenck, 1975).



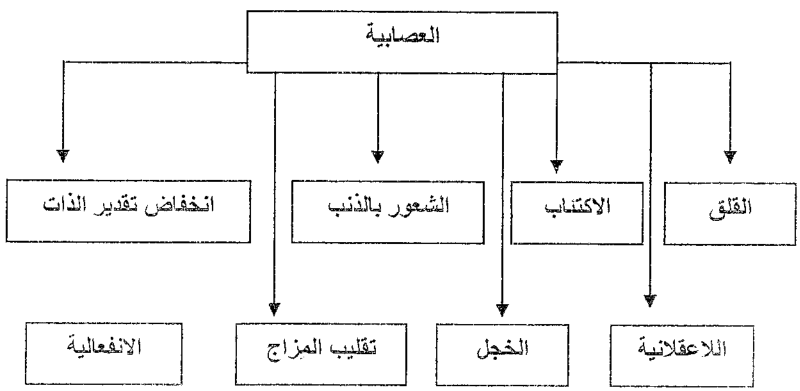
الشكل (٢ –٢)
البناء التدرجى للذهانية

(١) Introversion - Exotroversion
(٢) Neuroticism
(٣) Psychoticism
(٤) The Eysenck Personality Questionnaire



الشكل (٢ –٣)

البناء التدرجى للانبساط



الشكل (٢ –٤)

البناء التدرجى للعصابية

وقبل أن نلقى مزيدًا من الضوء على تفاصيل كل بُعد من الأبعاد الثلاثة، علينا أن نلاحظ أن أول بعدين – الانبساطية والعصابية– يتشابهان مع ما توصل إليه كاتل قبل ذلك من أبعاد، فإذا أُجرِى تحليل عاملى من درجة أعلى على العوامل الستة عشر التى توصل إليها كاتل، نصل إلى عاملين يشبهان تقريبًا عاملى أيزنك. بمعنى آخر، إن مزيدًا من التكثيف الإضافى أو التجميع لسمات كاتل المشتقة من الاستخبارات باستخدام التحليل العاملى من الدرجة الثانية، يؤدى إلى ظهور عاملين يشبهان بُعْدَى أيزنك: الانبساط ـــ الانطواء، والعصابية.

جدول (٢ –١)

بعض بنود الانبساط والعصابية والذهانية من مقياس أيزنك للشخصية

	نعم	لا
١- هل عادة تبدأ أنت المبادرة لكسب الأصدقاء الجدد؟	–	–
٢- هل مزاجك يتقلب غالبًا ارتفاعًا وانخفاضًا؟	–	–
٣- هل تفضل أن تتبع طريقتك الخاصة أكثر من الالتزام بالقواعد؟	–	–
٤- هل تكون غالبًا هادئًا عندما تكون مع الآخرين؟	–	–
٥- هل تجرح مشاعرك بسهولة؟	–	–
٦- هل تدوِّن ملاحظات كثيرة عما يفكر فيه الآخرون؟	–	–
٧- هل من السهل عليك أن تضفى بعض الحيوية على حفلة مهمة؟	–	–
٨- هل ينتابك القلق؟	–	–
٩- هل تحب أن يخاف عليك الآخرون؟	–	–

لاحظ أن بنود المقياس تصحح على النحو التالى بالنسبة لكل مقياس

الانبساطية (١)، (٤) لا، (٧) نعم . والعصابية (٢) نعم، (٥) لا نعم، (٨) نعم

الذهانية (٣) نعم، (٦)لا، (٩) نعم .

وهذان العاملان أو البعدان، لهما أهميتهما البارزة –كما لاحظنا – فى كل

دراسة جادة تستخدم التحليل العاملى للسمات. أما البعد الثالث "الذهانية"، فنتائج ما أجرى عنه من دراسات تنطوى على كثير من التناقض والاختلاف.

باختصار، يرتبط بُعد الانبساط–الانطواء بالفروق فى مستوى الاجتماعية والاندفاعية لدى الأفراد. فالشخص صاحب النمط الانبساطى يكون اجتماعيًّا، ومحبًّا للحفلات، ولديه عديد من الأصدقاء، ويتوق إلى الاستثارة، ويسلك من وحى اللحظة. أما الانطوائى، فيميل إلى أن يكون هادئًا، استبطانيًّا، متحفظًا، تأمليًّا، قليل الميل إلى القرارات الاندفاعية، يفضل الحياة شديدة النظام حتى يتأهب لالتقاط الفرص والمخاطرة. وتشير الدراسات المتنوعة إلى الفروق الأساسية فى الوظائف التى يؤديها الانبساطيون والانطوائيون. فالانطوائى أكثر حساسية للألم، ومن السهل أن تنتابه حالة التعب، ويرى أن الاستثارة تقلل أداءه، وهو يؤدى بشكل جيد فى المدرسة، ويفضّل المواقف المنعزلة، وهو أقل تأثرًا بأفكار الآخرين، وأقل فى نشاطه الجنسى سواء على مستوى التكرار أو تنوع الأنماط مقارنة بالانبساطى (Eysenck, 1990; G. Wilson, 1978; Zuckerman, 1991) وقد أشار أيزنك كذلك – كما لاحظنا– إلى أن التباين الفردى فى الشخصية يعكس اختلافات فى الوظائف البيولوجية. وفيما يتصل بالانبساطية (E) أشار أيزنك إلى أن الانبساطيين تستثيرهم الأحداث بشكل أسهل، وهم أسرع فى تعلم الكف الاجتماعى من الانطوائيين. وكنتيجة لذلك، فإن الانطوائيين أكثر تعرضًا للكبح والكف. فضلاً عن ذلك هناك من الدلائل ما يشير إلى أن الانطوائيين أكثر تأثرًا بالعقاب عند التعلم بينما الانبساطيون أكثر تأثرًا بالمكافآت (Eysenck, 1990).

أما فيما يتصل بالعصابية، فالأفراد المرتفعون على العصابية يميلون (N) إلى التقلب الانفعالى، ويعانون بشكل متكرر من الارتياب، والقلق، وأيضًا من الآلام والأوجاع البدنية (مثل الصداع، واضطرابات المعدة). وكما سبق وأشرنا، لازالت الطبيعة الحقيقية لبعد الذهانية أقل وضوحًا، ولكنها ترتبط فى أغلبها بالميل إلى

العدوانية، والبرود، والتمركز حول الذات، واللاشخصية، واللاجتماعية، وعدم التقليدية. وفى بعض الأحيان يكون هذا المصطلح بشكل غير ملائم؛ فمعناه يدفع الأفراد إلى الاعتقاد بأن ما يقيسه هذا المفهوم هو الأعراض الذهانية، أو ما يعرف بمرض الذهان[1]. ومع أن السمة قد تجعل الفرد أكثر عرضة لأن يصاب بالذهان، فإن الفروق الفردية عليها تخضع عادة للتوزيع الاعتدالى، بحيث تكون بعض الدرجات على هذا التوزيع مستقلة عن الحالة العيادية للذهان. من زاوية أخرى، فإنه على الرغم من أن عديدًا من خصائص هذه السمة لها قيمة اجتماعية سلبية، فإن أيزنك (١٩٩٣) يشير إلى وجود ارتباط بين الدرجات المرتفعة على هذا البعد والإبداع. وزاوية الربط هنا الأكثر احتمالاً تكمن فى اتسام الذهانيين بالقدرة على التفكير بطرق غير مألوفة أو تقليدية، والتى هى جوهر الإبداع، وإن كان هذا ليس هو المتطلب الوحيد، لوصول الفرد إلى مثل هذه الإنجازات.

إذا تحولنا الآن إلى المظاهر البيولوجية لأبعاد السمة، فسنلاحظ أن تأكيد أيزنك على وجود أسس بيولوجية لأى سمة يفوق فى أهميته أحيانًا الاهتمام الشائع بهذا الموضوع فى الوقت الحالى. وهو ما يبرزه أيضًا تأكيد أيزنك على الدلالة التطورية للسمات فى قوله:

"إننى أشعر أن ما يكمن جوهريًا من تنوع خلف معظم الأبعاد الأساسية للشخصية من المحتمل أن يكون له دلالة تطورية، وأن التاريخ التطورى يمكن أن يكشف عن نفسه فى المحددات الوراثية القوية للفروق الفردية عبر هذه الأبعاد (Eysenck,1977, pp.407 – 408)

وبينما يعد من المفيد –ظاهريًا– أن يتم اشتقاق فئات السمة من التقديرات والاستخبارات، فأيزنك يرى أن هناك حاجة إلى التحليل السببى لما وراء ظهور هذه السمات. وكدليل على أن العوامل البيولوجية تقوم بدور مهم فى ارتقاء الذهانية

---

(١) Psychosis

والانبساطية والعصابية، يذكر أيزنك (١٩٩٠) أن هناك دلائل – عبر حضارية– على وجود هذه العوامل، وأن المكون الوراثى (التطورى) شائع بينها. بالإضافة إلى ذلك، هناك دليل آخر يشير إلى أن التحليل العاملى لسلوك القردة يكشف عن عوامل مشابهة للانبساطية (اللعب)، والعصابية (الخوف والانسحاب) والذهانية (العدوانية) .(Zuckerman, 1991, p.42)



الانبساط – الانطواء. بُعد السمة الأساسى للشخصية الذى يتضمن فروقًا فردية فيما يتصل بالأفراد الانطوائيين (غير اجتماعيين، هادئون، سلبيون) أو الانبساطيون (اجتماعيون، مسيطرون، نشيطون).

إن مناقشة الجذور البيولوجية للذهانية، والانبساطية، والعصابية، يُعَدُّ أمرًا معقدًا؛ لما يتطلبه ذلك من فهم تفصيلى للوظائف البيولوجية للجسم، والقدرة على قياس مثل هذه الوظائف، فضلاً عن خروج كثير من الدراسات فى هذا المجال بنتائج غير متسقة، تبعًا لتباين الجمهور محل الدراسة، والمقاييس المستخدمة، وظروف القياس. وتشير معظم النتائج المتسقة فى هذا السياق إلى ارتباط بُعد الانبساطية بحجم الانتظام فى المخرجات الحسية (Eysenck, 1990). وتبيّن هذه النتائج – بشكل عام– أن الانبساطيين يتسمون فى المعتاد بمستويات منخفضة من

الاستثارة، وهم أقل قابلية للتعرض لها بسهولة من الانطوائيين. فيؤدى نفس المستوى من الاستثارة إلى استثارة مرتفعة لدى الانطوائيين وبالعكس. ويحتاج الانبساطيون إلى قدر أكبر من التنبيهات للوصول إلى نفس المستوى من الاستثارة التى يصل إليها الانطوائيون وهذا التفسير يعلل الميل القوى لدى الانبساطيين للتعرض للانفجار والغضب فى ظل المستويات المنخفضة من الاستثارة، وبحثهم الدءوب عن مستويات مرتفعة من الاستثارة إذا قورنوا بالانطوائيين. ومن الملاحظ أنه بذلت جهود أقل فيما يتصل بدراسة بُعْدَى العصابية، والذهانية، بالمقارنة بما بذل من جهود لدراسة الانبساطية، وهناك القليل مما يمكن رصده فيما يتصل بالاهتمام بالجذور البيولوجية فى هذا الإطار (Eysenck, 1990). لذلك، تعد هذه المنطقة من البحث واحدة من الجوانب التى تلقى اهتمامًا ناميًا، وسوف نعود إليها عند تناولنا لنماذج السمات الأخرى الأكثر حداثة. وتشير إحدى الشهادات البارزة فى هذا المجال إلى أن "نسق أيزنك للشخصية يستحق بالفعل أن يبقى فى قلب البحث السيكوبيولوجى حتى إن اقترب منه آخرون يدافعون عن نماذج أخرى للأبعاد". (Zuckerman, 1991, p.11).

نموذج العوامل الخمسة

مع أن المفاهيم الأساسية لأولبورت وكاتل وأيزنك قد طرحت فى الستينيات، فلم يتم التوصل بعد إلى نظرة مشتركة للسمات، أو تصنيف شامل لها. ومنذ ذلك الحين طُرِحَتْ نماذج أخرى للعوامل الثلاثة، استند بعضها إلى التحليل العاملى، واستند بعضها الآخر إلى الفروق الفردية فى وظائف الأنساق الفسيولوجية (Cloninger, 1987; Gray,1987; Pickering & Gray, 1999; Tellegen,1993). وتشابهت بعض هذه النماذج مع العوامل الثلاثة لأيزنك (خاصة التى أكدت منها الوظائف الفسيولوجية). ومع ذلك فهى لم تتماثل مع هذه العوامل، أو مع كل منها وما يقابله. بالإضافة إلى ذلك كان هناك نماذج أخرى

للسمات تؤكد وجود سبعة عوامل للشخصية، وليس ثلاثة.

وعلى مدار السنوات السابقة، أجرى عديدٌ من الباحثين العديدَ من الدراسات المعتمدة على التحليل العاملى، بدون الوصول إلى إجماع على وحدات السمات الأساسية. ولكن اليوم يوجد اتفاق على ما يسمى بالعوامل الخمسة الكبرى(١)، أو بنموذج العوامل الخمسة للشخصية(٢) (Goldberg, 1981, 1993). ومعظم ما يقصده علماء النفس بمصطلح الشخصية تم تلخيصه فى نموذج العوامل الخمسة (McCrae & Costa, 1999). وكما سوف نرى، فإن هذه العبارة الأخيرة المقتبسة تمثل صياغة مبالغًا فيها لدرجة الاتفاق التى وصل إليها الباحثون حول الوحدات الأساسية للشخصية. ومع ذلك، فإنها تعطى انطباعًا عن الحجم الضخم الذى تولد عن نموذج العوامل الخمسة، والتى تدعم بشدة، وتتحمس بقوة لهذا النموذج.

ما العوامل الخمسة، وما الدلائل التى تدعمها؟ مع أن هناك اختلافات بسيطة فى المصطلحات المستخدمة للتعبير عن العوامل الخمسة الكبرى، فإننا سنستخدم مصطلحاتها الشائعة: العصابية (N)، والانبساطية (E)، والانفتاح على الخبرة (O)، والسماحة (A)، ويقظة الضمير (C)، (جدول ٢ ــ ٢)، وذلك أن الاستخبار الذى يرتبط بنموذج العوامل الخمسة هو (OCEAN)(Costa & McCrae, 1992). ويتكون هذا الاستخبار من ٣٠٠ بند، يجيب المبحوثون عن كل منها، فى ضوء مقياس من خمس نقاط (يبدأ من درجة الموافقة أو القبول التام ــ إلى عدم الموافقة التامة)، وذلك تبعًا لمدى انطباق العبارة عليهم. وبالإضافة إلى الدرجات على العوامل الخمسة، يحصل الأفراد على درجات نوعية على ٦ مقاييس فرعية أو ٦ مظاهر مرتبطة بكل عامل من العوامل الخمسة الواسعة. هذه المظاهر أو الجوانب تقدم تمايزات كبيرة تركز على فئة من السلوك داخل كل من العوامل الواسعة

---

(١) The Big Five

(٢) Five Factor Model (FFM)

الخمسة. (جدول ٢ ـ ٢). ويجادل المؤلفون بشكل قوى حول أهمية استخدام الاستخبارات لتقدير الشخصية، وينتقدون فى المقابل استخدام الاختبارات الإسقاطية، أو المقابلات الإكلينيكية (McCrae & Costa, 1990).

جدول (٢ -٢)

عوامل السمات الخمسةُ الكبرى ومقاييسها التوضيحية

خصال الشخصية ذات الدرجات المرتفعة	مقاييس السمة	خصال الشخصية ذات الدرجات المنخفضة
العصابية - قلق، عصبى، انفعالى، لا يشعر بالأمان، تراوده الوساوس.	تقيس درجة التوافق مقابل الثبات الانفعالى. تحدد مدى ميل الأفراد إلى الوقوع فى الكرب النفسى، والأفكار غير العقلانية، والشغف الزائد، والاستجابات التكيفية واللاتكيفية.	هادئ، ومسترخٍ، غير انفعالى، وصلب، وآمن، وراضٍ عن نفسه.
الانبساط - اجتماعى، نشط، ثرثار، متوجه نحو الأشخاص، متفائل، محب للمرح، حنون.	تقيس كم وكثافة التفاعلات بين الأشخاص، ومستوى النشاط، الحاجة إلى التنبيه، والمقدرة على السعادة.	مدَّخر، ورزين، ويفتقد إلى الحيوية والحماس، متحفظ، ومتوجه نحو المهمة، ومنسحب، وهادئ.
الانفتاح على الخبرة - محب للاستطلاع، واسع الاهتمامات، مبدع، أصيل، خيالى، غير تقليدى.	تقيس البحث على النشاط، والانجذاب نحو الخبرة، والتلقائية، والتحمل لاكتشاف ما هو غير مألوف.	تقليدى، يخوض فى الواقع، ذو اهتمامات ضيقة، لا يميل إلى ما هو فنى، أو ما هو تحليلى.
السماحة - رقيق القلب حسن الخلق، صادق، أمين، متعاون، معطاء، سهل الانخداع، صريح، مستقيم.	تقيس حجم توجه الفرد نحو العلاقات الشخصية. بدءًا من الحنو والشفقة إلى العدوانية فى الأفكار والمشاعر والانفعال.	متشائم، خشن الطباع، شكاك، غير متعاون، تسوَّاق للانتقام، قاسى القلب، مرتاب، مناور.

يقظة الضمير – منظم، موضع الثقة، يعمل بجهد واجتهاد، منظم ذاتيًا، دقيق، مدقق، مرتب، طموح، مثابر.	تقيس درجة تنظيم الفرد ومثابرته ودافعيته فى توجيه سلوكه نحو الهدف مقابل الاعتمادية وشدة الحساسية نحو الآخرين، والذين تعوزهم الحيوية.	فاقد للهدف، ليس موضع ثقة، كسول، غير مكترث، لين، متهاون، ضعيف الإرادة، ميال للمتعة.

مقياس عوامل الشخصية الخمسة المبنى على نموذج عوامل السمات الخاصة

العصابية: القلق والعدائية والاكتئاب والوعى بالذات والاندفاعية والهشاشة.

الانبساط: الدفء، حب التجمع، التوكيدية، النشاط، البحث عن الإثارة، الانفعالات الإيجابية.

الانفتاح على الخبرة: الخيال وتذوق الجماليات والمشاعر والأفعال والأفكار والقيم.

المسايرة: الثقة والاستقامة والإيثار والطاعة والتواضع والليونة.

يقظة الضمير: الكفاءة، والنظام، الإحساس بالواجب، الاجتهاد فى الإنجاز، الانضباط الذاتى والرؤية.

دليل الصدق

ما الدليل على صدق هذا النموذج، والاستخبار الذى صمم على أساسه؟ إن مقترحى نموذج العوامل الخمسة يقدمون عددًا من الدلائل التى تتلاقى وبعضها البعض.

الاتفاق عبر الثقافى على العوامل

أولاً: لاقت التحليلات العاملية للصفات المعبرة عن السمات –المصاغة باللغة الإنجليزية لغة المقاييس الأساسية – اتفاقًا عبر ثقافات متنوعة (Church, 2000, 2001; Goldberg, 1993; John & Srivastava , 1999; McCrae et al., 1998). وقد تبين هذا – بدرجات متفاوتة– بالنسبة للعوامل الخمسة، عند صياغتها بلغات أخرى غير الإنجليزية (Saucier Goldberg, 2001)، وهذا ما أدى

بجولدبرج (Goldberg, 1990) إلى طرح فروض أساسية تتصل بالمعجم الاصطلاحى للسمات، فأشار إلى أن:

التنوع فى الفروق الفردية يُعد تنوعًا غير محدود النطاق، لذلك تظهر معظم الفروق غير دالة فيما يتصل بجوانب التفاعلات اليومية للأفراد مع بعضهم بعضًا، ويبقى عدد كبير منها غير ملاحظ بشكل كبير. ويعد السير فرانسيس جالتون أحد العلماء الذين أدركوا بوضوح الفروض الأساسية التى تتصل بتباين المعجم الاصطلاحى للأفراد، أعنى من ذلك أن معظم الفروق الفردية المهمة فى التعاملات الإنسانية تأتى نتيجة ترميز المصطلحات عبر مختلف لغات العالم (p. 1216)

ويشير الاقتراح الذى تعكسه العبارة السابقة، إلى أن الإنسان دائمًا ما يلاحظ وجود فروق فردية مهمة، خاصة ما يتصل منها بتفاعلاته الحياتية أى حين يتفاعل فرد مع آخر، ويبتكر خلال ذلك مصطلحات تصبح مرجعًا سهلاً لهما لتحقيق هذا التفاعل. ومن ثم فإن عوامل السمات الخمسةَ الكبرى رصدت هذه المظاهر للتفاعل بين الأفراد، وطرحت أسئلة مهمة عَمَّنْ يمكن أن يعتمد علامَ؟ أو بشكل أكثر عمومية كيف نتوقع من الأفراد أن يرتبط أحدهم بالآخر؟

وتعد قضية الاتفاق عبر الثقافى على السمات مسألة معقدة، ومع أن هناك دليلاً على أن عوامل السمات الخمسةَ الكبرى تتسم باتفاق عبر حضارى، فهناك مَنْ يشير إلى أن "الاستخلاصات المتصلة بالعمومية اللغوية للمعجم الخاص بهذه العوامل لا تزال ضعيفة ومبتسرة" (John & Srivastava, 1999, p.109) وهو ما يتضح من خلال:

أولاً: مع أن بناء العوامل الخمسة قد وُجد فى عدد متنوع من الشعوب بعد ترجمة مقاييسه إلى لغات غير غربية، فلا تزال هناك حاجة إلى مزيد من اختبار صدق النموذج لدى لغات أخرى عبر العالم. ومثل هذه الدراسات لا تزال – حديثًا– قيد الإجراء، وأصبحنا الآن فى موضع أفضل للوصول إلى نتائج حول مدى عمومية عوامل السمات الكبرى فى المستقبل القريب.

ثانيًا: كثير من الدراسات يتضمن ترجمة للصفات المتصلة بالسمات الخمسة الكبرى بدلاً من البدء فى استخدام مصطلحات السمات الموجودة فى اللغات المحلية نفسها.

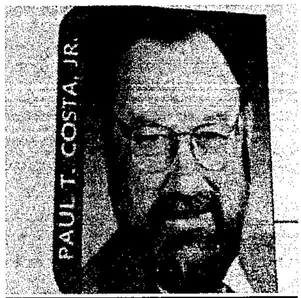
ثالثًا: وجدت عوامل للسمات تتفرد بها ثقافات محلية (Cheung et al.,1996; Church, 2001; Katigbak, Church & Akamine, 1996; Yang & Bond, 1998) لذلك فإن أولئك الذين يجادلون فى عمومية بناء العوامل الخمسة، أدركوا – أنفسهم– أن وصف الشخصية فى جميع الثقافات ليس هو الطريق الأفضل الذى يجب اتِّباعه، وأن بعض السمات المتكرر ظهورها قد تكون لها دلالات متباينة فى فهم الشخصية بتباين السياقات الثقافية (McCrae et. al., 1998).

أخيرًا: مع أن مفهوم سمات الشخصية قُبِل بشكل واسع فى الثقافة الغربية، فلم يكن هذا هو الحال لدى ثقافات أخرى، وهناك كثير من الأنثروبولوجيين والنفسيين الذين يجادلون فى مدى عمومية المفهوم الغربى للشخصية، ويرون أنه لا يعكس دلالة مشتركة وشاملة عبر الثقافات المختلفة (Marku Kitayama & Markus, 1999; s & Kitayama, 1998). من بين ما سبق، فإن ما يلقى جدلاً حقيقيًا – بشكل خاص– يتمثل فى مفهوم "الفرد" ذاته وما يرتبط به من فروض حول وجود فروق فردية بين الأشخاص، وتباين فى السمات؛ فينطوى هذا المفهوم على دلالات ضعيفة فى الثقافات التى تؤكد على "الجماعة" (مثل الصين واليابان)، أكثر من تلك التى تؤكد على الفرد. ومع أنه قد بذلت جهود عديدة لإحداث تكامل بين نظرات أولئك الذين يؤكدون البناء العام للشخصية وأولئك الذين يتشككون فى عمومية مثل هذا البناء (Church, 2000)؛ فلا يزال الأمر إلى الآن يعكس فى الحقيقة وجهات نظر مختلفة. وكما أدرك مقترحو وجهة النظر التى تتبنى عمومية السمات، يجب أن ننتبه جيدًا قبل الأخذ بالفرض الذى يشير إلى أن النتائج التى يتم الحصول عليها من الثقافات الغربية يجب أن تتكرر وتتشابه فى الثقافات الأخرى عبر أرجاء العالم من حولنا.

نموذج العوامل الخمسة فى الشخصية (ن.ع.خ)

بول ت كوستا جى آر روبرت آر. ماك كراى





ساد اعتقاد منذ منتصف السبعينيات لدى معظم باحثى علم نفس الشخصية وعلم النفس الاجتماعى بأن سمات الشخصية عبارة عن قضية معرفية، وأن الاستجابات على استخبارات الشخصية التى بذل لتصميمها كثير من الجهود المضنية على مدار خمسين عامًا مضت لا تقيس سوى الاستجابات النمطية لدى الأفراد، وأساليب الاستجابة، وتنظيم الانطباعات عن الشخصية.

عندما بدأنا العمل معًا فى عام ١٩٧٥ كان لدينا شيئان لم يتوافرا لدى معظم علماء النفس: (١) سيطر علينا حدس شديد بأن سمات الشخصية لها وجودها الحقيقى.(٢) توافر لدينا إمكانية الحصول على بيانات دراسة المسنين المعياريين – وهى الدراسة الطولية التى أجريت تحت رعاية الإدارة البحرية بولاية بوسطن. وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتيجتين على درجة كبيرة من الاتساق: (١) وجود ارتباط دال بين الدرجات على استخبارات السمات والمحددات الكامنة وراءها، على الأقل الأبعاد الثلاثة الكبرى للشخصية (العصابية، الانبساطية، الانفتاح على الخبرة). (٢) ثبات درجات الأفراد على هذه الاستخبارات بشكل ملحوظ عبر فترات طويلة من الزمن. وإذا أضفنا إلى ذلك النتائج المبكرة التى توصلنا إليها عن قابلية مقاييس

الشخصية للتنبؤ بنتائج مهمة كالشكاوى الطبية، ورضا الفرد عن حياته، فإن هذه النتائج هى التى قادتنا إلى الإعلان عن النهوض بنظرية السمات.

تضافرت نتائج بحوثنا التالية المتصلة بالدراسة الطولية عن المسنين بمدينة بالتيمور مع نتائج بحوث الزملاء، التى من خلالها تعلمنا أن نموذج العوامل الثلاثة الأساسية يحتاج إلى الامتداد به ليصبح نموذج العوامل الخمسة (العصابية، الانبساطية، الانفتاح على الخبرة، السماحة، يقظة الضمير) الذى يفترض أن هذه السمات وراثية بدرجة جوهرية، كما تتشابه أيضًا هذه العوامل عبر مختلف الثقافات واللغات. وقد ابتكرنا أداة لقياس العوامل الخمسة - بطارية عوامل الشخصية الخمسة- والتى كشفت عن كونها أداة مفيدة فى البحث عبر مدى واسع من الظواهر النفسية، بدءًا من مجال الأمراض النفسية، إلى مجال الإبداع إلى مجال الاهتمامات المهنية والأداء الوظيفى.

لقد عاد الآن علم نفس السمة - الذى يُعَدُّ واحدًا من أقدم التوجهات البحثية التى عُنيت بالفهم المبكر لطبيعة الإنسان- إلى البزوغ. فقد بذلت جهود عديدة لوضع نظرية للشخصية واسعة النطاق، والتى يمكن من خلالها فهم الفروق الفردية فى ظل العوامل الخمسة الأساسية التى تتسم بأنها فطرية وعامة وثابتة عبر الزمن، بمختلف تجلياتها ومترتباتها المهمة والتى تحدث على مدى الحياة. ومازال هناك الكثير من الجهد المطلوب لسد العديد من الفجوات التفصيلية من قبيل: ما أفضل السمات النوعية القادرة على تحديد العوامل الكلية؟ وكيف يمكن أن نحدد ونفسر الاختلافات بين ملاحظات وتقديرات اثنين من الباحثين فى مجال الشخصية؟ وكيف يمكن أن نعالج هذه الاختلافات؟ كيف يمكن أن تشكل الفروق الثقافية أشكال التعبير المختلفة عن هذه السمات؟ وما العلاقات المتوقعة بين مفاهيم السمات، والحاجات، والدوافع؟ وهل هناك حاجة لوجود عوامل إضافية بجانب العوامل الخمسة لتفسير اضطرابات الشخصية؟ وما العمليات النفسية التى تخلق التوافق بين أشكال التعبير عن السمات المختلفة لدى الشخص الواحد؟

لم يَرَ كل الباحثين فى مجال علم نفس الشخصية حجم القيمة فى تبنى منظور السمة، كما لم يَتَبَنَّ كل علماء نفس السمة نموذج العوامل الخمسة للشخصية. ولكن يزخر المجال الآن بثراء وخصوبة ملحوظين ناتجين بشكل أساسى عن النجاح الواضح لذلك النموذج، مقارنة بالتحديات التى تواجهها النماذج والتوجهات البحثية البديلة. إنه بالفعل عصر الإثارة فى مجال علم نفس الشخصية.

التقديرات الذاتية وتقديرات الآخرين

إن النمط الثانى من الدلائل التى تُساق على صدق النموذج، يتمثل فى العلاقة بين التقديرات الذاتية وتقديرات الآخرين للفرد، فهناك دليل – يلقى اتفاقًا دالاً– يشير إلى ارتباط التقديرات الذاتية التى يقدمها الفرد عن نفسه، بالتقديرات التى يضعها الأقران له، أو التى يضعها شريك الحياة، وذلك على كل عامل من العوامل الخمسة للشخصية (جدول ٢ ــ٣) (McCrae& Costa, 1990). ومع أن الدرجة الفعلية للاتفاق تَتَبَايَنُ بِتَبَايُنِ الدراسات، فإن الدلالة الإحصائية للاتفاق بين التقديرات الذاتية وتقديرات المشاهدين تحظى باتساق واضح فى التراث البحثى (Funder, Kolar, Blackman, 1995; Riemann, Angleitner & Strelau, 1997; Watson, Hubbard, &Wiese, 2000). ويمكن أن يتحقق الاتفاق بين التقديرات الذاتية، والتقديرات المقدمة من قِبل الآخرين –فقط– إذا توافر حد أدنى من التفاعلات الاجتماعية. وبالفعل، مازالت عملية خلق بعض الأحكام عن الآخرين فى ظل وجود حد أدنى من التفاعل الاجتماعى مسألة غير مفهومة، ومازالت مجالاً يحتاج إلى مزيد من البحث. ومن المتفق عليه، أننا نحصل على اتفاق أكبر بين التقديرات الذاتية فى حالة الأفراد الأكثر اطّلاعًا ومعرفة بالشخص مقارنة بالأفراد أو المعارف البعيدين الغرباء عنه (Funder & Colvin , 1988; D. Watson, 1989).

وتكمن أهمية هذه النتائج فى إشارتها إلى أن التقديرات الذاتية تعبر أكثر عن

السلوك الحقيقى مقارنة بالتمثلات الذاتية المفترضة التى يكوِّنها الشخص القائم بالتقدير.

جدول (٢ -٣)

الارتباطات بين تقديرات الأقران وتقديرات شريك الحياة والتقديرات الذاتية

مقياس العوامل الخمسة للشخصية	قرين وقرين	قرين وشريك الحياة	الأقران والفرد	شريك الحياة والفرد
العصابية	٠,٣٦	٠,٤٥	٠,٣٧	٠,٥٣
الانبساط	٠,٤١	٠,٢٦	٠,٤٤	٠,٥٣
الانفتاح على الخبرة	٠,٤٦	٠,٣٧	٠,٦٣	٠,٥٩
السماحة	٠,٤٥	٠,٤٩	٠,٥٧	٠,٦٠
يقظة الضمير	٠,٤٥	٠,٤١	٠,٤٩	٠,٥٧

لاحظ أن كل الارتباطات دالة عند مستوى ٠,٠١ ن= ١٤٤ : ٧١٩ شخصًا

العلاقات المتصلة بالخصال البيولوجية: علم الوراثة والتطور وعلم الأعصاب

يتمثل النمط الثالث من الدلائل على صدق نموذج العوامل الخمسة الكبرى فى العلاقات بين نظرية السمة الحالية والخصال البيولوجية. فينظر مقترحو نموذج عوامل الشخصية الخمسة إلى أبعاد السمات الأساسية على أنها ذات جذور بيولوجية عامة. ويساق فى هذا الصدد ثلاثة مجالات نوعية مهمة، تزيد من فهم الارتباطات بين السمات والوظائف البيولوجية:

أولاً: هناك دليل جدير بالاهتمام على إسهام الوراثة فى تكوين سمات الشخصية. فقد أكد كل من أيزنك وكاتل على قوة الوراثة، والمظاهر التطورية للسمات. وقد تجمع -على مدار العقود الماضية- عدد كبير من الدلائل الفعالة التى

تدعم هذه الوجهة من النظر، والتى ترى أن كثيرًا من سمات الشخصية المهمة لها مكوناتها التطورية القوية (Bouchard, Lykken, McGue, Segal, & Tellegen, 1990; Krueger, 2000; Loehlin,1992 ; plomin & Caspi, 1999). ولكن، عند هذه النقطة من الفصل، لسنا فى حاجة لإعطاء اهتمام كبير بالأسس التى تحدد الإسهامات الوراثية والبيئية للسمة، فهذا موضوع سوف نزيده توضيحًا فى **الفصل الخامس**. يكفى هنا أن نؤكد أن هناك عديدًا من المقارنات التى تمت لتحديد حجم التشابه بين درجات الأفراد على اختبارات الشخصية، وذلك فى ضوء تباين حجم التشابه الوراثى بينهم، مقابل حجم التشابه البيئى. على سبيل المثال، تبين وجود تماثل وراثى بين التوائم المتماثلة[١] وراثيًّا فى حين تشترك التوائم الأخوية[٢] (غير المتماثلة)، وكذلك الإخوة العاديون فى ٥٠% من العوامل الوراثية عمومًا. ولا يوجد بين الأفراد غير الأشقاء مثل الإخوة بالتبنى[٣] أى تشابه فى الخصال الوراثية عمومًا. ويفوق الأفراد الذين يُرَبَّون معًا – بافتراض اشتراكهم فى عوامل بيئية على درجة من التشابه– الأفراد الذين لم يُرَبَّوا معًا.

تشير الارتباطات إلى ما يدل على وجود اتفاق ذى دلالة بين التقديرات الذاتية والتقديرات المقدمة من قبل الآخرين (أى الأقران وشريك الحياة). والاهتمام بدرجات التشابه فى الشخصية وعلاقتها بكل من التشابه الوراثى والتشابه البيئى؛ سمح للباحثين (الذين يطلق عليهم علماء الوراثة)[٤] أن يقدروا نسبة التباين فى درجات الاختبار التى يمكن أن تفسر الأساس الوراثى للسمات منفردًا، مقابل الأساس البيئى منفردًا، وكذلك التفاعل بين الأساس الوراثى والأساس البيئى. ويشير المفهوم الحاسم "الوراثة"[٥] إلى نسبة التباين (أى الفروق الفردية) فى السمة النوعية

---

(١) Identical Twins
(٢) Fraternal Twins
(٣) Adopted Siblings
(٤) Behavioral Geneticists
(٥) Heritability

التى تتعلق بما تسهم به العوامل الجينية. قدرت النتائج التى خرجت بها الدراسات السابقة، أن حوالى ٤٠% من الفروق الفردية فى الشخصية يمكن أن تُفسر على أساس وراثى (Loehlin, 1992). لذلك، فإن إشارات بعض الصحف اليومية إلى أن سمات الشخصية يرجع معظمها إلى الوراثة "أو أن الأشخاص يولدون ولا يُصنَعون"، هى أقوال تنطوى على قدرٍ من الصدق ولكنها تعبر عن المسألة بشكل فيه كثير من التبسيط للموضوع. وفى الواقع حتى بعض علماء النفس الذين يؤكدون الإسهامات الوراثية للشخصية – كمحاولة مبالغ فيها لتصحيح المبالغات المتطرفة لأنصار المذهب البيئى[١]– يرون أن البندول قد يتأرجح إلى أقصاه فينتقل من موضع إلى موضع"(Plomin, Chipuer & Loehlin, 1992). إن ٤٠% من الفروق الفردية فى سمات الشخصية ترجع إلى الوراثة، وهذا يعنى أنه لا يزال هناك ما يبقى بعيدًا عن المتغيرات الوراثية الصارمة.

وأجرى عديد من البحوث على عاملى الانبساطية، والعصابية أكثر مما أجرى على العوامل الثلاثة الأخرى. وإن إدراك ما تنطوى عليه درجات التباين فى حجم التشابه فى جوانب الشخصية كدالة للتشابه فى العوامل الوراثية والبيئية قد يتضح لنا من الجدول (٢ــ٤)، فتعبر بيانات الجدول عما تم جمعه من ملاحظات متعددة، عبر باحثين مختلفين من دول مختلفة. ولأغراض المقارنة، فقد تم عرض الدرجات طوليًّا وعرضيًّا فيما يتصل بكل من بعدى الانبساطية والعصابية. ويظهر من الجدول بوضوح ارتفاع الارتباطات بصورة كبيرة جدًّا لدى التوائم المتماثلة عنها لدى التوائم الأخوية. ومع ذلك، اقتربت – فى حالات أخرى– الارتباطات الخاصة بكل من الطول والوزن.

---

(١) Environmentalism

جدول (٢ –٤)

الارتباطات بين أفراد العائلة طوليًّا وعرضيًّا

تشير الارتباطات إلى الإسهام الوراثى فى كل من الطول والوزن فى تكوين سمات الشخصية (العصابية والانبساط). وتشير البيانات إلى أنه لا توجد فروق واضحة بين الطول والوزن. وتشير أيضًا إلى أن فى ضوء ما هو متوقع على المستوى العرضى، فإن الآثار ضعيفة فيما بين من رُبُّوا معًا (الإخوة بالتبنى).

الارتباطات	الطول	الوزن	انبساط	عصابية
فى ضوء الوسيط				
التوائم المتماثلة التى رُبِّيَت معًا	٠,٩٥	٠,٩٠	٠,٥٤	٠,٤٦
التوائم الأخوية التى رُبِّيَت معًا	٠,٥٢	٠,٥٠	٠,١٩	٠,٢٢
فى ضوء المتوسط				
التوائم المتماثلة التى رُبِّيَت معًا	٠,٩٠	٠,٨٠	٠,٤٨	٠,٤١
التوائم الأخوية التى رُبِّيَت معًا	٠,٥٦	٠,٤٦	٠,١٢	٠,٢٥
التوائم المتماثلة المنفصلة	٠,٩٢	٠,٦٩	٠,٤١	٠,٤١
التوائم الأخوية المنفصلة	٠,٦٧	٠,٤٦	٠,٠٣	٠,٢٣
الإخوة البيولوجيون معًا	٠,٥٢	٠,٥٠	٠,٢٠	٠,٢٨
الإخوة بالتبنى معًا	– ٠,٠٧	٠,٢٤	– ٠,٠٦	٠,٠٥
الوالدان الوسيطان – طفل بيولوجى	–	٠,٢٦	٠,١٩	٠,٢٥
الوالدان الوسيطان – طفل بالتبنى	–	٠,٠٤	٠,٠٠	٠,٠٥

وتوضح بيانات هذا الجدول أيضًا أنه لا توجد فروق كبيرة إذا ما كان الإخوة قد رُبُّوا معًا أو بعيدًا عن بعضهم بعضًا. الدليل الآخر على دور المكون الوراثى فى تشكيل السمات تؤكده الحقيقة التى تجلت بوضوح فى أن درجات الإخوة البيولوجيين كشفت بشكل عام عن وجود ارتباطات مرتفعة بالمقارنة بتلك التى بين

درجات الإخوة بالتبنى. بالإضافة إلى ذلك كان ارتباط درجات الآباء أعلى فى علاقته بدرجات نسلهم البيولوجى، وذلك مقارنة بالارتباطات التى وجدت بينهم وبين أبنائهم بالتبنّى. إن كثيرًا من بيانات السلوك الوراثى المبكرة قد تأسست على التقارير الذاتية، ومع ذلك شملت الدراسات الأكثر حداثة تقديرات الأقران المتماثلين والتوائم الأخوية. وقد أكدت النتائج أن ما تم التوصل إليه من نتائج فى الدراسات المبكرة عن دور المؤثرات الوراثية على عوامل السمات الأساسية، قد تشابهت مع تلك التى تم استخلاصها من التقارير الذاتية (Riemann, Angleitner & Strelau, 1997).

بينما تكشف البيانات المتصلة بالوراثة السلوكية عن العلاقة العامة بين المورِّثات والشخصية، بدأ الباحثون الآن يكشفون عن وجود علاقات بين المورِّثات النوعية وخصال شخصية محددة. على سبيل المثال، أشارت بعض التقارير عن اكتشاف مورِّث يرتبط بسمة "البحث عن الجدة" يشبه العامل P عند أيزنك، والدرجة المنخفضة على العامل C فى نموذج العوامل الخمسة الكبرى (Benjamin et al., 1996; Ebstein et al., 1996). ومع أنه قد وجدت مثل هذه الرابطة المحتملة، فعلينا أن ندرك أن المورِّث يتضمن إسهامًا فى الفروق الفردية فى السمة، ولكنه ليس مسئولاً كليةً عن هذه الفروق الفردية، لأن سمات الشخصية تشكل انعكاسًا لعمل عدة مورِّثات فيما بينها من ناحية، وانعكاسًا للتفاعل بين المؤثرات الوراثية والمؤثرات البيئية، من ناحية ثانية خلال مسار الارتقاء.

يؤدى الدليل على الإسهام الوراثى إلى التفسير التطورى، بمعنى أن هناك مَنْ يشير إلى وجود قيمة بقائية للسمات. لذلك كثير من علماء نفس السمة ينظرون الآن إلى نموذج العوامل الخمسة، والسمات عمومًا، من المنظور التطورى. وهناك ثلاثة مكونات لهذه الصورة:

أولاً: بالعودة إلى الفروض المعجمية الوظيفية[1] لجولدبيرج (١٩٩٠)، هناك النظرة التى ترى أن مصطلحات السمة تبزغ لتساعد الأفراد على تصنيف السلوكيات على أساس طرف إنسانى. فالأفراد دائمًا فى حاجة – على سبيل المثال– إلى أن يعرفوا ما إذا كان الآخرون موافقين على (أ)، ويمكن أن يندرجوا تحت (ج)، وهل هم مستقرون أم غير مستقرين على (ن)...إلخ.

ثانيًا: هناك نظرة أخرى ترى أن الفروق الفردية البارزة موجودة لأنها تقوم بدور مهم فى عملية النشوء والتطور خلال عمليات الانتخاب الطبيعى (D. M. Buss, 1991, 1999). والسؤال الرئيسى الذى يثار هنا، هو "كيف تتطور السمات لتساهم فى اجتياز المهام وصولاً إلى التكيف؟" ولتفصيل هذا السؤال: "إذا لم توجد السمات لتحقيق هذا الهدف، فلماذا توجد من الأصل؟ من المفترض، أن الفروق الفردية ترتبط بمثل هذه المهام التطورية الأساسية بوصفها وسائل تساعد على النجاح فى البقاء والتكاثر، فسمات مثل السيطرة، والصداقة، والاتزان الانفعالى (الطرف المقابل لبعد العصابية N)، قد تكون مهمة بشكل خاص فى عمليات الاختيار الزواجى مثلاً (Kenrick, Sadalla, Groth, & trost, 1990) أما الثبات الانفعالى، ويقظة الضمير، والسماحة فقد تكون مهمة بشكل خاص فى بقاء الجماعة. لذلك تعبر الفروق الفردية فى السمات (ومسميات السمات) عن طبيعة **المهام الإنسانية التى يواجهها الإنسان خلال تاريخه الطويل للارتقاء التطورى.**

ثالثًا: الدليل الآخر الذى يساق هنا، هو ما لوحظ من تكرار ظهور بعض أبعاد الشخصية عبر الأنواع. ففى مراجعته للدليل على وجود فروق فردية فى أبعاد الشخصية لدى الحيوانات غير البشرية، وجد جوسلينج وجون Gosling & John (1999) دليلاً على وجود أبعاد الانبساطية، والعصابية، والسماحة عبر الأنواع. وشملت مراجعته دراسات أجريت على الكلاب، والقطط، والقردة، والخنازير،

---

(١) Fundamental Lexical Hypothesis

وعلى عديد من الرئيسيات أيضًا. ومع أن عامل يقظة الضمير لم يتم الحصول عليه فى بحوثهم، فإنه وجد فى البحوث التى درست الشمبانزى (J. E. king & Figueredo, 1997). باختصار، هناك دليل على أن الأبعاد الرئيسية "لشخصية الحيوان" لا تختلف بشكل كبير عن تلك التى نجدها لدى الإنسان. وهذا يشير إلى الفائدة من دراسات الحيوان فى مساعدتنا على فهم الأسس البيولوجية للشخصية (Gosling, 2001).

ويتضمن الدليل الأخير الذى يُساق للربط بين نموذج العوامل الخمسة الكبرى ومجال البيولوجى، النتائج التى تأتى من مجال علم الأعصاب(١)، وهذا المجال يعد أكثر المجالات تعقيدًا؛ لأن مختلف نماذج السمات المختلفة فى هذا المجال تقترح علاقات متباينة إلى حد ما بين السمات النوعية، والوظائف البيولوجية. بالإضافة إلى ذلك – كما هى الحال بالنسبة للمورِّثات– لا يستطيع المرء أن يتوقع علاقات بسيطة بين أحد مظاهر الوظائف البيولوجية والفروق الفردية فى سمة بعينها. فتتولد مثل هذه الفروق الفردية من التفاعل بين عدد مركب من المتغيرات البيولوجية. ومع ذلك، هناك نتائج عديدة توحى بعلاقات بين بيانات سبق أن لوحظ عديد من النتائج التى يمكن أن يتم توقعها فى المستقبل. ففى مجال وظائف المخ، على سبيل المثال، وجدت ارتباطات بين الفروق الفردية فى الانبساطية، والعصابية، والفروق فى الاستجابة المخية(٢). وقد وجدت علاقات دالة بين الدرجات على الانبساطية والاستجابة الخاصة بالتنبيهات الإيجابية فى مناطق نوعية فى المخ، ووجدت ارتباطات واضحة بين الدرجات على العصابية والرجع المخى المتصلة بمنبهات سلبية فى مناطق نوعية فى المخ. (Canlin et al., 2001).

بصياغة أخرى، هناك دليل واضح على وجود علاقة بين الشخصية والنشاط المخى المرتبط بالتنبيهات الانفعالية. وعلى حد تعبير أحد الباحثين "اعتمادًا على

---

(١) Neuroscience

(٢) Brain Reactivity

سمات الشخصية، يبدو أن المخ لدى الأفراد يُضخم من بعض مظاهر الخبرة مقارنة بمظاهر أخرى. فكل المشاركين يشاهدون مشاهد إيجابية وسلبية، ولكن ردود أفعالهم تتباين إلى حد كبير، فإحدى الجماعات رأت الجزء الممتلئ من الكوب، في حين رأت جماعة أخرى أن الكوب فارغ تمامًا (Gabrieli, 2001, p.67).

إن أكثر مجالات علم الأعصاب التى لاقت اهتمامًا ملحوظًا، هو ما يتصل بوظائف الموصلات العصبية(١)، وبشكل خاص الموصلات العصبية المتصلة بالدوبامين(٢) والسيروتونين(٣). والناقلات العصبية هى مواد كيميائية، تنقل معلومات من أحد الأعصاب إلى العصب الآخر. وقد تبين أن الموصل العصبى المسمى بالدوبامين، الذى يوصف بأنه الموصل الكيميائى المسئول عن المشاعر السارة (Harmer, 1997) ارتبط أكثر بالانبساطية، والانفعالات الإيجابية، والاستجابية أو الحساسية للمكافآت، بينما المستويات المنخفضة من الموصل العصبى والسيروتونين ارتبطت أكثر بالانفعالات السلبية، والتذبذب المزمن(٤) والاندفاعية. (Depue,1996; Depue & Collins, 1999; Higley et al., 1997) وارتبطت الانفعالات السلبية أيضًا بمستويات هرمون النيروبينيفرين(٥) (وارتبط هرمون التيستوستيرون(٦) بمدى واسع من السلوكيات المرتبطة بالسيطرة (Dabbs, 2000; Dabbs & .Bernieri, 2001) وعلى نحو أكثر وضوحًا، وجدت علاقة بين الفروق الفردية فى الاستجابة للمكافآت والعقاب، ومظاهر متنوعة من الوظائف البيولوجية، بصورة تقترب مما اقترحه أيزنك منذ عديد من السنوات التى مضت حول هذا الموضوع. كما ارتبط ذلك بالنتائج التى تم التوصل إليها عن الفروق الإيجابية النموذجية (الاستجابات الاقترابية) فى مقابل الفروق السلبية النموذجية

---

(١) Neurotransmitters
(٢) Dopamine
(٣) Serotonin
(٤) Chronic Irritability
(٥) Norepinephrine
(٦) Testosterone

(الاستجابات المرتبطة بالانسحابية)، والفروق فى وظائف النسق المخى. وبشكل خاص هناك دليل على أن سيادة النسق المخى الأيسر يرتبط بالانفعالات الإيجابية، والاستجابات المرتبطة بالاقترابية، فى حين أن سيادة الشق الأيمن من المخ ترتبط بالانفعالات السلبية والاستجابات التجنبية (Davidson, 1998).

وحتى يمكن التعرف – بدقة– على العلاقات بين السمات والمظاهر المتنوعة للوظائف البيولوجية، من المهم أن نضع فى أذهاننا أن هذا لا يعنى أن شخصية الفرد تثبت منذ الميلاد، أو من خلال الصفات المبكرة للبناء البيولوجى للفرد. فهناك دليل ملحوظ ومتنامٍ على المرونة فى الوظائف البيولوجية، وقد صيغت هذه النقطة على نحو جيد فى العبارة التالية:

"لقد أدركنا الآن أن الخبرات الحياتية والعمليات البيئية تخلق هى نفسها تغيرات فى بناء المخ ووظائفه قبل وبعد الميلاد. وهذا يدعونا إلى التحسر على وجهة النظر التى ترى أن المحددات الوراثية البدنية تحدد مزاجنا وشخصيتنا فى المستقبل، وهو موضوع يستحق أن يستدعى مزيدًا من البحوث الارتقائية".
(Rothbart & Bates, 1998, p.128)

تشخيص اضطرابات الشخصية

إن الدليل الرابع الذى يسوقه الباحثون لتوضيح صدق نموذج العوامل الخمسة – والمقياس الذى يقيس أبعاده– هو قدرة هذا النموذج على تشخيص اضطرابات الشخصية (Ball, 2001; Costa &Widiger, 1994, 2002,Widiger, 1993). فينظر بعض العياديين إلى اضطرابات الشخصية بوصفها أعراضًا منفصلة، لا علاقة لها بالسمات المعتادة للشخصية، فهى فئات لزملات من الأعراض السيكوبيولوجية. أما مقترحو نموذج العوامل الخمسة، فينظرون إلى هذه الاضطرابات بوصفها نقصًا فى درجة توافر السمات المعتادة لدى الفرد، والتى تتجلى فى حصوله على درجة منخفضة على البعد المتصل بجانب معين من جوانب الشخصية المتضمنة فى نموذج عوامل الشخصية الكبرى.

على سبيل المثال يُنظر إلى "الشخصية الاندفاعية" على أنها وصف لشخص معين حصل على درجة متطرفة على عامل يقظة الضمير. والشخصية المضادة للمجتمع هى وصف لشخص حصل على درجة منخفضة على عامل السماحة. ومن ثم فإن ما وراء الدرجات على أبعاد أحد العوامل المتفردة هو انعكاس لنمط الدرجات على مقاييس العوامل الخمسة التى قد تكون ذات دلالة ملحوظة فى التشخيص.

يبقى بعد ذلك نقطتان مهمتان – على نحو خاص– تتعلقان بهذا المنحى المستخدم لتصنيف اضطرابات الشخصية وتشخيصها. **الأولى**: تتعلق بالنظرة لاضطرابات الشخصية –كما سبق وذكرنا بالفعل– كدرجة متطرفة على بُعد السمات المعتادة للشخصية. أما **النقطة الثانية** فتتعلق بالنظرة إلى اضطرابات الشخصية كانعكاس لأنماط السمات التى تخلق أسلوبًا خاصًا للشخصية. وتتعارض هاتان النقطتان مع النظرة إلى اضطرابات الشخصية بوصفها تعبيرًا عن تصنيفات دقيقة وواضحة للاضطرابات، تلك النظرة الأكثر اقترابا من النموذج الطبى[١] فى تناول الاضطرابات منها إلى النموذج النفسى[٢].

ومع أننا لا نزال بالفعل فى مراحل مبكرة من الارتقاء فى هذا المجال، فإن ما يسمى بمنحى الأبعاد فى تشخيص اضطرابات الشخصية أصبح أمرًا مهمًّا؛ لأنه يبنى على نموذج شامل لوظائف الشخصية، كما أنه يقدم أساسًا واضحًا لتشخيص المرضى ذوى مختلف الاضطرابات الشخصية لتحديد ما يمكن تقديمه لهم من علاج (Wiggins & Pincus, 1992). وهو مهم كذلك لما يمثله من إسهام مأمول لعلماء النفس فى مجال سادت فيه السيطرة للنماذج الطبية والطب نفسية. وفى الوقت نفسه، يحذر المراجعون المحدثون للتراث من أن الدليل على وجود علاقات منظمة لا يعنى أن مقاييس مثل مقياس العوامل الخمسة (NEO-PIR) هى الوسائل

---

(١) Medical Model
(٢) Psychological Model

الأفضل لتشخيص اضطرابات الشخصية. إن الشخصية تتضمن ما هو أكثر من السمات الأساسية، فيشير المفهوم العيادى لاضطرابات الشخصية إلى ما هو أكثر من الصفات المعبرة عن سوء التكيف التى تعبر عنها السمات الأساسية (Livesley, 2001, pp.281, 283). إذن ماذا يمكن أن ينطوى عليه أيضًا مثل هذا التصور من مشكلات؟ يعتقد المؤلف أن اضطرابات الشخصية تتضمن وجود مشكلات فى مظاهر تنظيم وتكامل وظائف الشخصية، وهى مظاهر لا يتم التأكيد عليها مباشرة فى نموذج العوامل الخمسة.

جدول (٢ –٥)

بعض الأدلة المؤيدة لنموذج العوامل الخمسة الكبرى

١. الاتفاق عبر الثقافى على العوامل الخمسة الأساسية.
٢. الاتفاق بين التقديرات الذاتية وتقديرات الملاحظين الخارجيين.
٣. الروابط البيولوجية: الوراثة، التطور، علم الأعصاب.
٤. تشخيص اضطرابات الشخصية كأبعاد أو كمجموعة من السمات، بدلاً من تشخيصها فى ضوء الأعراض الباثولوجية.
٥. القيمة التنبؤية.

القيمة التنبؤية

المسار الأخير من الدلائل التى تُساق على صدق النموذج، يركز على الفائدة التنبؤية[١] من استخدام النموذج فى مواقف اتخاذ قرارات التوظيف[٢]. بمعنى أوضح، تشير بعض الدلائل إلى وجود ارتباط بين الدرجات على أبعاد السمات الأساسية الخمس والأداء المهنى (Hogan & ones, 1997; Roberts & hogen, 2001). وتتنوع ارتباطات أبعاد السمات التى يتضمنها النموذج بتنوع أنماط الوظائف، فتتباين من نمط من الوظائف إلى نمط آخر، فتشير بعض النتائج

(١) Predictive

(٢) Employment Decisions

إلى أن سمة مثل يقظة الضمير تبدو قياسيًّا أكثر ارتباطًا بالأداء الوظيفى. فى المقابل، نجد بعض الخبراء فى مجال الاختيار المهنى لهم رأى مناقض لذلك؛ فيشيرون إلى أن سمات نموذج العوامل الخمسة لا تكشف عن ارتباطات جيدة بمقاييس الأداء المهنى، وأن الدرجات على عامل يقظة الضمير لا يصلح التنبؤ من خلالها بالأداء على الوظائف التى تتطلب إبداعًا أو تجديدًا[١] (Hough & Oswald 2000). لذلك، فإنه على الرغم من أن عددًا كبيرًا من المؤسسات المهنية لاتزال مستمرة –بشكل ملحوظ– فى استخدام مقاييس سمات الشخصية، فإن الامتداد بفائدة هذه المقاييس فى هذا المجال تظل فى حاجة إلى مزيد من التأصيل.

المِزاج المتشكل مبكرًا وارتقاء الشخصية

تعد دراسة المِزاج[٢] أحد أكبر مجالات البحث فى الشخصية. ويساوى بعض علماء النفس بين المِزاج والشخصية، ويعتبره بعضهم جزءًا من الشخصية، فى حين يتناوله البعض الآخر بوصفه يزودنا بالأسس المبكرة التى تتجلى عبرها الشخصية. ويمكن تعريف المِزاج بأنه الفروق الفردية فى الحالة المزاجية العامة، أو فى نوعية الاستجابة الانفعالية، والمفترض مثاليًّا أن المزاج يتحدد بشكل عام وراثيًّا، وأن له أسسًا بيولوجية، وأنه –إلى حد ما– ثابت عبر مسار ارتقاء الشخصية (Molfese & Molfese, 2000; Rothbart, Ahadi, & Evans , 2000). ويؤرخ للاهتمام بالفروق الفردية فى المزاج بالأخلاط الأربعة للجسم (الدموى[٣]، والصفراوى[٤]، والسوداوى[٥]، والبلغمى[٦]). وأنماط المزاج (الدموى[٧]، والسوداوى[٨]،

---

(١) Creative
(٢) Temperament
(٣) Blood
(٤) Yellow Bile
(٥) Black Bile
(٦) Phlegm
(٧) Sanguine
(٨) Melancholic

والغاضب[١]، والبلغمى[٢]) التى اقترحها الطبيبان اليونانيان أبو قراط Hippocrates، وجالين Galen. أما أكثر الجهود البحثية الحديثة البارزة فى هذا المجال، فتمت على يد كاجان (Kagan 1994 –1999). ويؤرخ كاجان لأفكاره بالعودة إلى اقتراح جالين بأن كل منا يرِث مِزاجه، والذى يتشكل تبعًا لطبيعتنا الفسيولوجية · واستُخدمت المقاييس الموضوعية والمعملية للسلوك مقابل التقارير الذاتية، وتقديرات الآباء والمعلمين بشكل نموذجى فى الماضى. وأكد "كاجان" أهمية الأسس البيولوجية والمحددات المبكرة والفروق الناتجة لدى الأطفال المكبوحين[٣] وغير المكبوحين[٤]. ومقارنًا بالطفل النشط غير المكبوح، فإن الطفل المكبوح يستجيب للأشخاص الغرباء، أو الأحداث غير المألوفة بالإحْجام (والكبح)، والتجنب، والكرب، ويأخذ مدة طويلة ليعود لحالة الاسترخاء فى المواقف الجديدة، ولديه خوف غير معتاد ومخاوف عديدة. يتسم سلوك مثل هذا الطفل بالجبن والحذر وتتسم استجابته الأولى – لما هو جديد– بالهدوء، ويبحث دائمًا عن السكينة فى كنف الوالدية، واتباع طريقة "الكر والفر". وعلى النقيض من ذلك، يتسم الطفل غير المكبوح بأنه يستمتع بالمواقف نفسها التى تبدو مُكربة للطفل المكبوح، وهو يستجيب بعفوية وتلقائية للمواقف الجديدة ويستمتع ويسعد بها.

يشير كاجان إلى أن الطفل "غير المكبوح" يولد وهو مزود بميل للاستجابية المرتفعة للتنبيهات الجديدة، بينما الطفل "المكبوح" يولد ولديه ميل لأن يصبح هادئًا فى استجابيته لنفس هذه التنبيهات. وقد ربط كاجان أيضًا بين هذه الفروق المبكرة فى المِزاج ومقاييس الوظائف البيولوجية. على سبيل المثال، أشار إلى وجود دليل على أن الطفل المكبوح يكشف عن استجابية أكبر عبر الشق الأيمن لِلُّحاء المخى، أما الطفل غير المكبوح فيسود لديه الشق الأيسر. وأخيرًا، يشير كاجان إلى أنه على

(١) Choleric
(٢) Phlegmatic
(٣) Inhibited
(٤) Uninhibited

الرغم من غياب ما هو محتوم حدوثه لدى الشخص الراشد، فهناك ثبات عبر الزمن فى التعبير عن الفروق الأساسية فى الأسلوب المزاجى، وبشكل خاص لدى الأطفال المتطرفين فى سماتهم. بمعنى آخر، تتلخص وجهة نظر كاجان فى أنه لسوء الحظ، فى حالة الاستجابية المرتفعة، سوف يصبح الرضيع المكبوح طفلاً غير مكبوح على نحو متسق، والرضيع غير المكبوح منخفض الاستجابية سوف يصبح طفلاً مكبوحًا بشكل متسق.

هناك عديد من الطرق المتنوعة التى تُصنَّف عبرها الفروق الفردية فى المزاج، والقائمة على التحليل العاملى (Rothbart & Bates, 1998). وتعتمد إحدى القوى الأساسية المنظمة للفروق الفردية، على ثلاثة عوامل أساسية؛ وهى الانفعالية السلبية، والانفعالية الإيجابية، والكبح (غير المكبوحين مقابل المكبوحين) (Clark & Watson, 1999; Tellegen & Waller, in press ; D. Watson, 2000) فينظر المرتفعون على الانفعالية السلبية إلى العالم كمصدر للتهديد، ويميلون إلى معايشة خبرتى القلق والكرب. أما المرتفعون على الانفعالية الإيجابية فيتوجهون نحو البيئة، يستمتعون بمصاحبة الآخرين، ويقدمون على الحياة بحماس.

ومن المهم أن ندرك هنا أنه على الرغم من أن الانفعالات السلبية، والانفعالات الإيجابية لهما خصائص متناقضة ملحوظة؛ فإن كلاً منهما مستقل عن الآخر، بمعنى أن الفرد يمكن أن يكون مرتفعًا على أى منهما ومنخفضًا على الآخر. وهذا لأنهما يخضعان لتحكم الفروق فى الأجهزة البيولوجية. وبينما يُصبغ هذان البعدان من المزاج بصبغة وجدانية، فإن البعد الثالث وهو "الكبح"، يرتبط بأسلوب من التنظيم الوجدانى. وبينما تعكس الدرجات المرتفعة على بُعد عدم الكبح مقابل الكبح نوعًا من الاندفاعية والطيش، فإن الدرجات المنخفضة على هذا البعد تعكس درجة من العناية، والحرص، والمثابرة التى تسم سلوك الحاصلين على هذه الدرجات فيما يتصل بالأهداف بعيدة المدى.

إذن ما يمكن ملاحظته هنا هو التشابه بين هذه العوامل الثلاثة، والعوامل التى أشار إلى أهميتها "أيزنك"، وأيضًا العوامل التى أشار إليها نموذج العوامل الخمسة، كما أنها اتفقت مع ما لوحظ من ارتباط بين الانفعالات السلبية (السلوك التجنبى)، والاستجابة للعقاب، وأيضًا الارتباط بين الانفعالات الإيجابية (السلوك الاقترابى) والاستجابة للمكافأة (Depue & Collins, 1999; Doucet & Stelmarck, 2000).

بافتراض اتسام المِزاج بالخصائص السابقة، يمكننا أن نطرح هنا ثلاثة أسئلة تتصل بالعلاقة بين الفروق الفردية المبكرة فى المِزاج، وما ستتشكل عليه الشخصية فيما بعد:

أولاً: كم حجم الاستمرارية فى مكونات بناء الشخصية عبر الزمن؟ بمعنى آخر، هل تظل نفس أبعاد الشخصية فى الظهور رغم تباين أعمار العينة محل الدراسة؟

السؤال الثانى: هل هناك اتجاه لمعدلات ارتقاء الشخصية عبر العمر؟ بمعنى آخر هل ترتفع أو تنخفض الدرجات على الأبعاد المختلفة فى ارتباطها بمراحل الحياة المتباينة؟

السؤال الثالث: هل هناك ثبات أم تغير فى طبيعة المِزاج عبر الزمن؟ بمعنى آخر هل تستمر الفروق الفردية المبكرة فى المِزاج فى مرحلة الطفولة ثم تكشف عن نفسها فى الرشد بعد ذلك؟

فيما **يتصل بالسؤال الأول**، المتعلق باستمرارية بناء الشخصية، هناك دليل قوى على أن العوامل التى تظهر فى إحدى المراحل العمرية يمكن أن تظهر -أيضًا- فى فترة عمرية أخرى "فَعَلَى ما يبدو، إن أبعاد الشخصية -كما تتمثل فى العوامل الخمسة الكبرى- يمكن أن تقاس فى الطفولة والمراهقة، لدى الأولاد والبنات، ولدى

الصغار داخل الجماعات الإثنية السلالية المختلفة (Caspi, 1998, p.318). وعلى هذا فإنه على الرغم من وجود بعض التنوع فى عدد العوامل التى تظهر فى الفترات العمرية المختلفة، وفى الطبيعة الحقيقية لهذه العوامل، فهناك دليل على إمكان إعادة ظهور هذه العوامل – بشكل عام– أو تطابقها عبر مختلف المراحل العمرية (Goldberg , 2001; Ro0thbart & Bates, 1998).

وفيما **يتصل بالسؤال الثانى**، والمتعلق بالاتجاهات العمرية، هناك ما يشير إلى وجود اتجاه نحو انخفاض الدرجات على بُعد العصابية بين المراهقين والراشدين، وارتفاعها على بُعدى: السماحة، ويقظة الضمير (Costa & McCrae, 1994). وهذه التغيرات تظهر متسقة عبر الثقافات المتباينة فى ظروفها السياسية، والثقافية، والاقتصادية، وهو ما دفع البعض إلى اقتراح وجود تقدمات طبيعية فى ارتقاء الشخصية (McCra, et al ., 2000). وفى الوقت نفسه، هناك ما يشير إلى أنه ينظر إلى السمة نظرة قيمية فى بعض الثقافات، مما يؤثر على تشكلها لدى الجمهور العام. فمثلاً يعد الكف السلوكى[(١)]، أو التحفظ[(٢)] خصلة ذات دلالات قيمية فى الثقافة الصينية، ويجد الأطفال الصينيون أنفسهم موجَّهين لإظهار مزيد من كف الاستجابة تجاه التنبيهات الجديدة بالمقارنة بالأطفال الكنديين مثلاً (Chen, et al ., 1998).

ثالثًا: يطرح هنا سؤال آخر عن استمرارية السلوك أو ثباته عبر الزمن. مفاده هل يمكن التنبؤ بالشخصية اللاحقة من معرفة طبيعة المزاج فى المراحل المبكرة من العمر؟ إزاء هذا السؤال تتباين الآراء. تشير إحدى وجهات النظر إلى أنه يمكن التنبؤ رغم صعوبة تأكيده، فهناك ما يشير إلى استمرارية مقومات الشخصية عبر مراحل طويلة من عمر الراشد (Caspi, 1998 ; Robins , Caspi, & Moffitt , 2000).

---

(١) Behavioral Inhibition
(٢) Reserve

وقد أكد كيسبى (Caspi, 2000) كثيرًا على استمرارية السمات وتواصلها، وجادل طويلاً حول أن الطفل هو أبو الراشد (p 158)، ونحو مشابه أكد كوستا وماك كرى (Costa & McCrea 1994) على وجود درجة من الاستمرارية فى السمة، واقترحا أنه عند عمر الثلاثين، توضع الشخصية فى قالب (بلاستر)[١] (p 21). فى المقابل، تبنّى باحثون آخرون نظرة أكثر وسطية، فأكدوا أن هناك ما يشير إلى اتساق السمة عبر سياق الحياة، ومع ذلك ليس هناك ما يبرر استنتاج أن تغيرًا صغيرًا هو الذى يحدث فى الشخصية على مستوى الفرد (Asendorpf & Van Aken, 1999; Roberts & Del Vecchio , 2000)· وتقف النظرة الثالثة معارضة للفكرة الشائعة عن ثبات شخصية الفرد، فيؤكد مقترحوها أن هناك ما يشير إلى ضعف الثبات الذى نستخلصه عند استخدام مقاييس الشخصية واسعة التطبيق، وأن الاتساق الموجود يمكن أن يعزى إلى المؤثرات البيئية الثابتة (Lewis, 2001). حول هذا الجدل، ستتاح لنا الفرصة – فى الفصل السادس– لإعادة مناقشة سؤال ارتقاء الشخصية عبر الزمن. ولكن، يمكن – الآن– أن نشير إلى أن معظم علماء النفس يتفقون على أن الشخصية تكون أكثر ثباتًا عبر المراحل الزمنية القصيرة أكثر من ثباتها عبر المراحل الزمنية الطويلة، وأنها أكثر ثباتًا فى الرشد عنها فى الطفولة.

بعد أن طرحنا الأسئلة الثلاثة السابقة، يبقى سؤال رابع يمكن طرحه، وهو: ما الذى يحدد مستوى الثبات أو الاستمرار فى سمات الشخصية؟ تشير إحدى وجهات النظر إلى أن ما هو بارز فى الشخصية منشؤه النضج الداخلى[٢]. وتبعًا لهذه الوجهة من النظر، فإن سمات الشخصية (مثل الجوانب المِزاجية) تمثل استعدادات كامنة للنمو، والتى تتبع مسارات داخلية للارتقاء، مستقلة عن المؤثرات البيئية (MacCrae et al ., 2000, p. 173). وتضفى هذه النظرة –كما هو واضح–

---

(١) Plaster

(٢) Intrinsic Maturation

طبيعة فوق الطبيعة[1]، وتشير إلى أن هناك القليل الذى يبقى لسمات الشخصية منفصلاً عن المزاج. ويقترح علماء نفس آخرون أن المِزاج يقوم بدور مهم فى تشكيل الشخصية عبر الزمن، ولكنه عامل واحد فقط بين عديد من المؤثرات الأخرى.

وعن هذا الجدل الدائر، ستتاح لنا فرصة أكبر لطرح أسئلة عديدة عن محددات الشخصية فى الفصلين الخامس والسادس. وخلالهما نشير إلى تعدد وجهات النظر المتباينة التى يقدمها علماء النفس فيما يتصل بأهمية عديد من هذه المحددات، وسيبقى البحث مستمرًّا فيما يتصل بتعريف العمليات – ذات الصلة– المتضمنة فى ذلك (Pervin , 2002 ; Rothbart & Bates , 1998).

الاتساق فى الشخصية والجدل حول الشخص مقابل الموقف

نأتى الآن إلى القضية المتعلقة بصدق مفهوم السمة، والتى تبدو أنها قضية بسيطة، ومعقدة فى ذات الوقت. إنها تتعلق بالاتساق فى الشخصية، فيقوم مفهوم السمة – كما بيَّنَّا– على افتراض اتساق الشخصية، أى ثبات الفروق الفردية فى وظائف الشخصية. وهذه القضية ظلت تشغل اهتمام علماء نفس الشخصية طوال تاريخ تناول هذا المفهوم، فتساءلوا إلى أى حد تعد الشخصية ثابتة ومتسقة؟ (Pervin, 2002). والسؤال الذى يلى ذلك، هل العوامل الموقفية لها من القوة ما يجعلها تتجاوز فى تأثيرها متغيرات الشخصية؟ وتكون أكثر منها أهمية للسلوك؟ هل يصوغ الأشخاص حياتهم، أم أن شخصياتهم تشكلها الأحداث الموقفية؟ هل يعبر الأفراد عن جوانب شخصيتهم فى كل المواقف بنفس الطريقة ذاتها، أم أنهم يؤدون أدوارًا تفرضها عليهم متطلبات المواقف التى يعايشونها؟ كيف نعرف – فى ضوء مفهوم السمة– متى يتشابه سلوكنا أو يختلف عبر المواقف المتنوعة؟ قبل أن نتحول

---

(1) Nature Over Nature

لنجيب عن هذه الأسئلة، دعونا نُلْقِ الضوء على بعض ما دار من جدال عبر تاريخ تناول هذه القضية، والذى شغل معظم اهتمام الباحثين فى هذا المجال خلال أكثر من عشرين عامًا، والذى مازال مستمرًّا إلى يومنا هذا.

أجريت أغلب الدراسات التى اهتمت بالسمة لدى أولبورت، وأيزنك، وكاتل خلال الستينيات. بالإضافة إلى ذلك كتب عدد من الباحثين تقارير بالفعل عن التحليل العاملى تلاقت أفكارها والنموذج النهائى للعوامل الخمسة. ومع ذلك، بدأت تظهر خلال الستينيات رغبات متنامية لتناول مفهوم السمة، وتقدير السمات وقياسها. أقيم جزء من هذه الجهود على النتائج المتباينة التى تركز على تحديد عدد السمات وتصنيف أنماطها، والتى اقترحها باحثون مختلفون، بعد فترة من الحماس الملحوظ، الذى تركز على قدرة استخبارات السمات على التنبؤ بالأداء. وقد استخلصت عدة دراسات أن الوصول إلى هذا التنبؤ أكثر تعقيدًا مما توقعه المنظور البسيط للسمة.

فى الوقت نفسه، لاقت النماذج التى تعنى بضبط السلوك من خلال التحكم فى احتمالات المكافأة فى الموقف والتى صاحبت أعمال سكينر، لاقت أهمية كبيرة. بالإضافة إلى ذلك بدأ علماء نفس الشخصية يتأثرون بالثورة المعرفية، وأهمية الطرق التى يميزون من خلالها بين المواقف. وتجمعت هذه القوى معًا فى عام ١٩٦٨ فى شكل هجوم وجَّهه والتر ميشيل على نظرية السمة التقليدية. فكل من نظرية التحليل النفسى، ونظرية السمة، تم وضعهما تحت فئة النظريات التقليدية للشخصية؛ فأشار ميشيل إلى أنه لا توجد دلائل قوية على وجود اتساق فى السلوك، وهو ما يتناقض مع ما اقترحه منظرو السمات، وأن الارتباطات بين درجات الاستخبارات أقل تنبؤاً بالأداء فى مواقف الحياة الفعلية. وبديلاً عن ذلك اقترح ميشيل أن المهم هو الخصوصية الموقفية للسلوك أكثر من الفرض القائل بوجود استعدادات واسعة (أى سمات) لدى الشخص. لقد رُسمت خطوط المعركة عندئذ على النحو الذى عُرف بعد ذلك باسم الجدل حول "الشخص مقابل الموقف". وهو الجدل الذى ساد المجال وحدد معالمه عبر العشرين سنة التالية كما سبق وأشرنا.

القضية – كما أوضحنا– لها وجهان، وجه بسيط، ووجه معقد؛ فهى بسيطة لأننا ندرك جميعًا كلاً من الثبات والتنوع فى السلوك، سواء لدينا أو لدى الآخرين. فنحن نفترض أن لكل فرد منا شخصيته، وأنه يشعر بالراحة عند عزو سمات معينة إليه، كما أننا ندرك أن الفرد نفسه فى بعض الأحيان يكون اجتماعيًّا، وفى أحيان أخرى يبدو غير اجتماعى، وأحيانًا يكون مسيطرًا، وأحيانًا أخرى يكون خاضعًا. فى المقابل، للقضية وجه آخر معقد، فليس لدينا اتفاق عام حول كيفية اتسام الأفراد بخصال ثابتة ومتغيرة فى ذات الوقت، أو على نحو أكثر وضوحًا، كيف يمكن تفسير الثبات والتغير لدى الفرد. هل هناك دليل كافٍ يبرر القول بالثبات أو الاتساق لنبرر به استخدام مفهوم السمة؟ إذا كان ذلك كذلك، كيف لنا أن نمضى فى التفسير عندما يتصرف الفرد بطرق لا تتسق وسماته؟

يدور معظم الجدل عن قضية "الشخص مقابل الموقف" حول ماذا نقصد بالاتساق؟ وما درجة الاتساق فى سلوك الفرد التى إذا توافرت يمكن الأخذ بها كدليل كافٍ على وجود السمة؟ لا يفترض أحد من منظرى السمة أن الشخص يتصرف بنفس الطريقة فى كل المواقف. فكما رأينا أدرك أولبورت وكاتل أهمية العوامل الموقفية فى تنظيم السلوك. وقد حظيت هذه النقطة بتأكيد كذلك من قبل أيزنك. ومع ذلك، فقد أفضنا فى تأكيد اتساق الشخصية، وأن هناك ثباتًا فى الفروق الفردية بين الأشخاص، وهو ما يُطرح كمبرر لاستخدام مفهوم السمة لإبراز هذه الفروق. ولكن هل هناك دليل على صدق هذا المبرر؟

لتوضيح النقطة السابقة، علينا أن نميز بين نمطين من "الاتساق"[١] الاتساق الطولى[٢] عبر الزمن، والاتساق المستعرض عبر المواقف[٣]. النمط الأول هو ما

---

(١) Consistency

(٢) Longitudinal Consistency

(٣) Cross-Situational Consistency

نصطلح على تسميته بالثبات[١]. وهو يشير إلى درجة الثبات فى سمات الأفراد عبر الزمن، استنادًا إلى القياسات التى تتم لها عبر الأسابيع والسنوات، إذن هل يحصل الأفراد على نفس الدرجات على مقاييس السمات مع تباين المراحل الزمنية؟ لقد أعطينا بالفعل اهتمامًا سابقًا بمثل هذه القضية. أما النمط الثانى من الاتساق، فنحن ندخر له مصطلح "الاتساق"، والذى يشير إلى أن الأشخاص يكشفون عن نفس السمات عبر مدى واسع من المواقف.

فيما يتصل باتساق السمة، ليس هناك ما يشير إلى أن الشخص يسلك بالطريقة نفسها فى كل المواقف، ولم يتوقع منظرو السمة أنفسهم هذا الأمر. وبالأحرى، توقعوا أن الشخص يتصرف باتساق عبر مدى واسع من المواقف؛ وبالتالى تصدر عنه سلوكيات متنوعة ليعبر بها عن نفس السمة، وأنه فى معظم المواقف يسلك بطريقة تعبر عن سماته. لذلك يُطرح هنا ما يسمى بمبدأ "التجميع"، ومفاده أن السمة لا تشير لسلوك نوعى يصدر فى موقف نوعى، ولكنها تشير بالأحرى إلى فئة من السلوكيات التى تصدر عبر مدى واسع من المواقف. فالأفراد المرتفعون على الانبساطية مثلاً يكشفون عن مدى واسع من السلوك الانبساطى عبر مدى واسع من المواقف. ولذلك فإنهم ينوعون من الطرق التى يعبرون من خلالها عن انبساطيتهم – من موقف إلى آخر–، وقد لا يظهرون أحيانًا هذه السمة فى موقف نوعى محدد. ومن ثم لتقدير شخص معين على سمة معينة، علينا أن نرصد عينة كبيرة من السلوك ونرصد صدورها فى مدى متسع من المواقف. أى علينا أن نأخذ بمقياس تجميعى للسلوك.

اتضحت هذه النقطة جيدًا فى الدراسة المهمة التى أجرها إبيشتاين (Epstein, 1983)، وفيها طلب من ٣٠ طالبًا جامعيًّا أن يقدروا مشاعرهم، وما يصاحبها من اندفاعات سلوكية، وأن يقدروا كذلك ما يصدرونه من سلوكيات فعلية، وذلك خلال

---

(١) Stability

٢٨ يومًا. وقد وضع المبحوثون تقديراتهم فيما يتصل بـــ ١٤ حالة شعورية بعضها إيجابية وبعضها سلبية (مثل الشعور بالأمان، والسعادة، والغضب). ولتقدير الاندفاعات السلوكية، والسلوك الفعلى، رصدت تقديرات لـــ ٦٤ حالة من حالات الميل للاستجابة (مثل البحث عن التنبيهات، والعدوانية، والانسحاب الاجتماعى). كان السؤال محل الدراسة هو: كيف يمكن للسلوك الغالب على الفرد والذى يظهر فى مجموعة دالة من المواقف أن يُستخدم للتنبؤ بالسلوك فى عدد آخر من المواقف؟ وهل يختلف حجم هذا التنبؤ باختلاف الزمن الفاصل بين الموقفين؟

كشفت نتائج هذه الدراسة عن ارتفاع حجم الارتباط كلما كبرت عينات السلوك المتضمنة فى مجموعتى المشاهدة؛ فالعينة السلوكية التى رصدت خلال يوم واحد كانت منبِّئًا جيدًا – فى حدها الأدنى– بالعينة السلوكية التى رصدت فى اليوم التالى. ومع ذلك، فإن العينة السلوكية التى رصدت عبر أسبوعين كانت أكثر تنبؤاً بالعينة السلوكية عبر فترة الأسبوعين التاليين. بمعنى آخر، سلوك الشخص عبر الأسبوعين اللاحقين يمكن التنبؤ به بشكل أفضل من خلال رصد السلوك الذى صدر خلال الأسبوعين السابقين عليهما، هذا مقارنة بالتنبؤ بالسلوك فى يوم واحد استنادًا إلى ما صدر من سلوك فى اليوم السابق. وهذا صحيح بشكل خاص فيما يتصل بالمشاعر، حيث إنها أقل تأثرًا بالمدى الزمنى (أسبوع، أسبوعان، ثلاثة أسابيع). وقد استخلص إبيشتاين من ذلك أن البيانات تقدم:

"دليلاً قويًّا على وجود استعدادات عامة غير موقفية (سمات). أو بتعبير آخر، هناك ثبات فى السلوك عبر المواقف يكفى للسماح – بشكل دال– لأن نشير إلى عزو فى الشخصية إلى شىء ما بدون تحديد المواقف التى تحدث خلالها. ولكن مثل هذا الاستخلاص لا ينكر أن العوامل الموقفية تقوم بدور مهم ومؤثر فى السلوك" (p112) .

تعد بيانات إبيشتاين مهمة وتثير الاهتمام، فهى تدعم بوضوح مبدأ التجميع. ومع ذلك، لم تفسر هذه البيانات – كما نلاحظ– لماذا يتنوع سلوك الأشخاص من موقف إلى آخر– أى لم توضح أسباب التنوع الموقفى للسلوك. وفى ضوء مبدأ

"التجميع"، فإن تنوع السلوك من موقف إلى موقف آخر يعوض بعضه بعضًا. ولكن ماذا يحدث لو أن المرء حاول رصد ذلك؟ كم حجم تنوع السلوك لدى الأفراد؟ وهل يمكن رصد محددات لمثل هذا التنوع؟ عند هذه النقطة، وبعد استعراض هذا البحث، يمكن استخلاص أن حجم التنوع لدى الأفراد يعتمد على المقاييس المستخدمة، وحجم المواقف التى ندرسها؟ فمثلاً، يظهر قدر كبير من الاتساق فى السلوك إذا ما استخدمنا عددًا كبيرًا من المقاييس لقياس السمة نفسها، وذلك أكثر من ظهوره عند استخدامنا لمقياس واحد (Funder & Colvin, 1991). كما أن الأفراد يعبرون عن نفس السمة بشكل مختلف فى المواقف المتنوعة.

إذا ركزنا على المواقف وتنوعها، فسنلاحظ أن الأفراد يسلكون بشكل أكثر تشابهًا عندما تكون المواقف متشابهة. فمثلاً، يسلك الأفراد بأشكال متشابهة عندما ينتقلون من موقف معملى إلى موقف معملى آخر، أو عندما ينتقلون من موقف حياة يومية إلى موقف آخر من مواقف الحياة اليومية، وذلك أكثر من تشابههم عندما ينتقلون من موقف معملى إلى موقف حياة يومية (Funder & Colvin, 1991). ويكونون – كذلك– أكثر اتساقًا مع الأصدقاء منهم مع الغرباء (Moskowitz , 1988).

ليس مما يثير الدهشة، أن نشير إلى أن الأفراد يسلكون بشكل أكثر اتساقًا فى المواقف التى تكون أقل تقييدًا أو التى تكون أقل ضغطًا فى اتجاه المجاراة، وذلك بالمقارنة بالمواقف التى يكون فيها السلوك مقيدًا بشكل كبير بمعايير سلوكية شديدة التقييد (Monson, Hesley, &Chernick, 1982). بصياغة أخرى، لتتطابق السمة مع المواقف التى تعبر فيها عن نفسها، يجب أن يتوافر لدى الفرد عدد وافر من السلوكيات البديلة. وعلى نحو مشابه، تكون السمات أكثر تعبيرًا عن نفسها عندما يكون الأفراد أحرارًا فى اختيار المواقف التى ينخرطون فيها، عنهم عندما تكون المواقف منطوية على قدر من الإجبار. بمعنى آخر، إن الفرد الأكثر تعبيرًا عن سماته نجده فى المواقف التى يكون فيها قادرًا على الاختيار الذاتى (Synder, 1981).

بعد كل ما سبق، أين نقف الآن بعد أكثر من ٣٠ سنة من بدء ميشيل فى إثارة الجدل حول قضية الشخص مقابل الموقف؟ فالبرغم من مرور ٢٠ سنة من نشر كتاب ميشيل، وبعد عقدين من البحث، لا يزال الجدل حادًّا ولا يزال يثير كثيرًا من الصخب (Kenrick & Funder, 1988). وتشير أكثر المراجعات حداثة فى هذا الموضوع إلى أن القضية التى يثار حولها كل هذا الجدل "أمكن الكشف عن معالمها بنسبة لا تقل عن ٩٨ %" (Funder, 2001, p . 199)، ومع ذلك تشير هذه المراجعة أيضًا إلى أن الموضوع لا يزال مستمرًّا فى الجَيَشَان؛ لأنه يعبر عن الفروق الجوهرية بين وجهة نظر أنصار السمات، ووجهة النظر المعرفية (موضوع الفصل الثالث)· وإلى الطالب الذى لا يزال يفكر فى سؤال الاتساق والتنوع فى السلوك، فبلا شك لن يدهشه تعلم أن الأفراد يتسمون بالثبات والتغير، وبالاتساق والتنوع. إذن، المهمة الموكولة إلينا الآن كعلماء نفس شخصية، هى أن نضع نماذج عن الوظائف الإنسانية التى تفسر الثبات والتغير، والاتساق والتنوع (Fleeson, 2001) وهذا يمكن أن يتحقق إذا ما أحدثنا اندماجًا بين النماذج الحديثة للشخصية (مثل السمة، والمعرفة، والعمليات النفسية الدينامية)، أو من خلال ابتكار نماذج جديدة كلية، نضعها موضع الفحص والتأمل.

تطبيقات حول التنبؤ بالسلوك

ما تطبيقات هذه النتائج فيما يتعلق بالتنبؤ بالسلوك؟ يمكننا أن نستخلص من المناقشة السابقة أن أفضل منبئ بالسلوك فى موقف معين هو مقارنته بالسلوك الذى صدر فى موقف سابق. فيسمح لنا ذلك بتحديد حجم التشابه بين تأثير المتغيرات الشخصية، وتأثير المتغيرات الموقفية. ورغم أنه من الممكن التنبؤ بسلوك إجمالى[١] من سلوك إجمالى سابق، فإن التنبؤ بسلوك الشخص فى موقف نوعى عبر موقف آخر منفصل يعد أمرًا معقدًا، خاصة إذا كان هذان الموقفان -المطلوب التنبؤ

---

(١) Aggregate Behavior

بأحدهما– شديَدىّ الاختلاف. وبشكل عام، كلما كنا على معرفة أفضل بالأفراد أمكننا التنبؤ أكثر بسلوكهم. وذلك لسببين: **أولهما**: لأننا قادرون على استخدام المقاييس الإجمالية، **وثانيهما**: لأنه يمكننا استخدام البيانات التى حصلنا عليها من السلوك السابق والاستفادة منها فى المواقف المشابهة. ومع ذلك، حتى فى حالة الأفراد الذين نعرفهم جيدًا، فسنندهش مرارًا حين نجدهم يتصرفون بشكل مختلف تمامًا فى السياقات التى لم يسبق أن شاهدناهم فيها من قبل.

من المفيد هنا أن نميز بين مفهومى النطاق(١)، والدقة(٢). فالمفهوم الأول يشير إلى اتساع حجم السلوك الذى يمكن التنبؤ به، بينما يشير مفهوم الدقة إلى الدقة التى يمكن فى حدودها تقديم تنبؤات نوعية. والمثال على ذلك، أن الفرد يُمكنه تقييم كفاءة الراديو من حيث مدى ما يلتقطه من قنوات أو محطات (الاتساع)، ومن حيث وضوح ما يلتقطه من قنوات معينة (الخصوبة). بالطبع، الراديو المثالى، هو ما يتصف بالاتساع الكبير، والخصوبة الشديدة، ولكن يستغنى أحيانًا المرء عن إحدى هاتين الميزتين مقابل الحصول على الأخرى، فى ضوء قراره بأيهما أكثر أهمية بالنسبة له. وعلى نحو مشابه، فإن المقياس أو "الاختبار" قد يكون شديد الاتساع فى حجم السلوك الذى يقيسه، ولكنه قليل الخصوبة. وهذا يعنى أنه قادر على التنبؤ بمدى واسع من السلوك، ولكن عندما يتعلق الأمر بالسلوكيات النوعية فلا يكون هذا التنبؤ بدرجة كبيرة من الدقة. وبالعكس، يمكن للمقياس أن يكون ذا دقة ممتازة فى التنبؤ بجزء من السلوك النوعى، ولكنه محدود النطاق فى حجم تمثيله للسلوك المستخدم فى التنبؤ.

وبشكل عام، يمكن أن نشير إلى أن مفهوم السمة – والاختبارات المرتبطة به– ينطوى على درجة جيدة من الاتساع ولكنه ضئيل فى مستوى الدقة. بمعنى آخر، إن السمات بوصفها مفهومًا شاملاً، فإنها ترتبط بالسلوك الصادر فى مدى

(١) Bandwidth

(٢) Fidelity

واسع من المواقف. وحتى تزداد خصوبتها، يتطلب ذلك أخذ العوامل الموقفية فى الاعتبار. وكما سبق أن أشرنا – أيضًا– فإن أفضل طريقة للتنبؤ بالسلوك فى موقف معين هى مقارنته بسلوك سابق صدر فى موقف مشابه. ومع ذلك فإن مثل هذه الخصوبة لا تقدم لنا مزيدًا من الاتساع.

فى الواقع، يعد التنبؤ بالسلوك فى الحياة اليومية أمرًا شديد الصعوبة بشكل كبير، خاصة فى المواقف شديدة التعقيد. وهذا بسبب تأثير الأحداث غير المعروفة، وغير المتوقعة، وبسبب كثير من العوامل المحدِّدة للسلوك المعقد. إن المرء يمكن أن يفهم الكثير عن الشخص محل اهتمامه، ولكن من الصعب عليه التنبؤ بسلوكه فى المواقف الجديدة؛ لأنه يفتقد المقوِّم الحاسم للسلوك أو لا يعرف كيف يؤلف بين المقومات المتنوعة للسلوك. فالمتنبؤن بالطقس يكونون على علم بالكثير والكثير عن الطقس ولكن – كما نعرف كلنا– غالبًا ما تحدث أخطاء خطيرة بسبب أى تغير بسيط فى حالة الطقس أو محدداته. لذلك فإن قدرة علماء نفس السمة على التنبؤ بسلوك الأفراد قد تكون مؤشرًا مهمًّا على قيمة مفهوم السمة، ولكن هذا ليس المؤشر النهائى على صدق المفهوم.

باختصار، إن علم نفس السمة محدود القدرة على التنبؤ بالسلوك. ومع هذا، لا يجب أن يكون ذلك مصدرًا للدهشة أو يقلل من اهتمامنا بإمكانياته كحجر فى البناء الأساسى للشخصية.

نظرة نقدية للسمات والتحليل العاملى

إن عدد ما أنجِز من بحوث عن مفهوم السمة يعد عددًا كبيرًا ومؤثرًا بحق؛ فهناك الكثير الذى أنجِز منذ أشْهَر ميشيل Michel تحديه، وتساءل عن الفائدة من استخدام مفهوم السمة فى الوقت الحاضر. ومع ذلك فليس كل ما أنجِز فى هذا الصدد يتسم بالجودة، فبالرغم من حماس المقترحين لمفهوم السمة، ومن ينظرون لهذا المفهوم بوصفه اكتشافًا أساسيًّا فى علم نفس الشخصية (MacCrae & John, 1992 ، هناك أسئلة أساسية عديدة لا تزال تطرح.

أشرنا خلال مناقشتنا السابقة لمفهوم السمة، إلى أن ما لاقى اتفاقًا بين علماء نفس السمة هو النظر إلى السمة بوصفها حالة تصورية أو (تكوين فرضى). وهذا أمر لا يثير مشكلات، ولكن تظهر المشكلة بشكل خاص فى نقطتين أساسيتين، يوضحهما السؤالان الآتيان:

أولاً: هل السمة استعداد للاستجابة، أم سلوك فعلي؟ بمعنى آخر، هل الميل أو الاستعداد الطبيعى للاستجابة الكامنة، والتى تكشف عن نفسها – فقط– فى ظروف محددة جدًّا، هى ما نعده يعكس مفهوم "السمة"؟ بمعنى آخر، هل يجب أن تصبح الاستعدادات للاستجابة ظاهرة فى السلوك الحقيقى عبر مدى واسعٍ من المواقف حتى نُقِر بوجود السمة المفترضة؟ من الطريقة التى يتم تناول السمة من خلالها، ومن الطريقة التى تقاس بها نعتقد أن الافتراض الثانى هو الأقرب إلى الصواب، فالسمة تتبدى فى السلوك الظاهر. ومع أهمية هذه النقطة، فإنها نادرًا ما تُناقَش.

ثانيًا: ما وظائف الشخصية التى يعبر عنها مفهوم السمة؟ هل السمات ترتبط حصريًّا بالسلوك الظاهر، أم أنها ترتبط بالمشاعر والأفكار، والقيم كذلك؟ ومع أن علماء نفس السمة يصوغون السمات فى صورة فئات للاستجابات، مؤكدين على السلوك الظاهر، فإن مقترحى نموذج العوامل الخمسة يضمِّنون –رغم ذلك– المشاعرَ والدوافع داخل مفهوم السمة، فإذا شملت السمات كل مظاهر الشخصية التى قد يتباين عبرها الأفراد ويتباين حجم الاتساق بين مدلولاتها عندئذ لن يكون هناك شيء مميز لمفهوم السمة.

تتضمن الاختبارات التى تستخدم لقياس السمات بنودًا تغطى جوانب متشعبة من وظائف الشخصية. مثلاً، نجد فى مقياس عوامل الشخصية الخمسة (NEO-PI) بنودًا مثل "لديَّ رأى سلبى عن نفسى"، "غالبًا ما أكون قلقًا على أشياء قد تصبح خطأ" "يعتقد الآخرون أنى خجول ومتواضع"، "الأفكار المرعبة تأتى أحيانًا من الرأس". مثل

هذه البنود يمكن أن تكون متناقضة مع بنود آخرى ترتبط أكثر بالسلوك الظاهر مثل "أضيع وقتًا طويلاً قبل أن أقعد لأعمل"، "أنا شخص نشيط بوجه عام"، "أتبع الروتين نفسه عندما أذهب إلى مكان معين". إن بعض هذه البنود أكثر ارتباطًا بالسلوك، ولكنها قد تكون غامضة عند تعبيرها عن ذلك. فبند مثل "غالبًا ما أتوق إلى الاستثارة" لا نعرف بدقة هل يشير إلى الاستثارة بمفردها، بصرف النظر عما تؤدى إليه من سلوك يعكس هذه الاستثارة، أم أن البند يفترض أن الاستثارة تؤدى إلى السلوك؟ من المحتمل أن يفكر الفرد فى أشياء تستثير النشوة والإثارة ولكن لا تؤدى إلى سلوك؟ ومن ثم فإن هذا البند قد تكون قيمته التمييزية قليلة القيمة.

إن السؤال الأول الذى يمكن أن نطرحه -باختصار- يركز على مظاهر الشخصية التى يتم تضمينها داخل مفهوم السمة، وأىّ منها يلقى اتفاقًا بين المنظرين.

كم عدد السمات؟ أى منها الأبرز؟ هل كلها موجودة؟

كما لاحظنا من مناقشاتنا المبكرة، لا يتفق علماء نفس السمة حول تحديد عدد الوحدات الأساسية للشخصية؟ ادعى أولبورت ضرورة استخدام عديد من السمات، وأكد كاتل على ستة عشر بعدًا، واقترح أيزنك ثلاثة أبعاد، واليوم هناك العوامل الخمسة الكبرى. ويشير المقترحون لنموذج العوامل الخمسة إلى أن هناك اتفاقًا تجلى حوله، ولكن نموذج العوامل الثلاثة ما زال له أنصاره. ويرى البعض أن نموذج العوامل الثلاثة يمكن أن يُمتد به ليُستوعب داخل نموذج العوامل الخمسة، ولكن لا يوجد اتفاق كامل يدعم هذا الاتجاه.

حتى داخل نموذج العوامل الثلاثة، ونموذج العوامل الخمسة، لا يوجد اتفاق تام حول طبيعة هذه العوامل. ويبدو أن هناك اتفاقًا كبيرًا بين منظّرى العوامل الثلاثة فيما يتصل بالعاملين الأولين – وإن كان اتفاقًا غير شامل– ولكنهم لا يتفقون

على العامل الثالث. وعلى نحو مشابه، يبدى منظّرو العوامل الخمسة عدم اتفاق على بعض العوامل الخمسة، وخاصة عامل "الانفتاح على الخبرة". ومع أن عدم الاتفاق يثير فى الوقت الحالى سؤالاً عن كيفية تسمية العامل بأكثر من اسم، فإن هذا الوضع ليس هو الوضع الدائم. وبألفاظ أحد الداعمين لنظرية السمة "إن التشابه هنا مثل التوائم الأخوية وليس التوائم المتماثلة" (Briggs, 1989, p.248) بالإضافة إلى ذلك، فإن وجود بعض الدلائل عبر الثقافية التى تدعم نموذج العوامل الخمسة، يقابله وجود بعض البيانات التى تتشكك فى عمومية النموذج، وشمولية صدقه عبر جميع الثقافات. ونأتى أخيرًا إلى النقطة الأكثر أهمية وحسمًا، والتى تتصل بإمكان تعريف الشخصية باستخدام أبعاد السمات الخمسة.

أولاً: يشير بعض مقترحى مفهوم السمة أنفسهم، والداعين إلى استخدام التحليل العاملى إلى أن هناك بعض العوامل المفقودة، والتى لم يشملها النموذج إلى الآن، فهناك بعض الاقتراحات – على سبيل المثال– حول الحاجة إلى عوامل مثل: التدين[1]، والتمسك بالتقاليد[2]، والمعالجة اليدوية[3]، والإغواء[4]. (Macdonald, 2000; Paunonen & Jackson, 2000).

ثانيًا: هل السمات هى التى يمكن من خلالها – فقط – تحديد خصال الشخصية؟ هل العوامل الخمسة الكبرى تعكس جوهر خصال شخصية الفرد؟ فَعَلَى حد تعبير ماك آدمز (١٩٩٢) "إنه (أى علم نفس السمة) علم نفس ما هو غريب، إن مقترحى نموذج عوامل السمة يسألون ما إذا كانت العوامل الخمسة تحتوى كل ما يمكن أن يقال عن الشخصية؟ إن الإجابة تكون غالبًا: بالطبع "لا" (Funder, 2000, p . 200) ومع أن مقترحى نموذج العوامل الخمسة يقدمون هذا النموذج

---

(١) Religiosity
(٢) Conventionality
(٣) Manipulativeness
(٤) Seductiveness

بوصفه ينظم حل تلك المشكلة، فإن العديد من الجهود تبذل لتوسيع منظور النموذج باستخدام مفاهيم مثل: مفهوم الذات، وأنماط التكيف المميز[1] (McCrae & Coasta, 1999) كيف لهذه المفاهيم بالفعل التى تضمن داخل أبعاد السمة أن تبقى لتكون موضع تحديد. بالإضافة إلى ذلك علينا تذكر أنه فى جزء من نظرية السمة ودراسة اضطرابات الشخصية يُعْطَى اهتمام كبير للمظاهر التنظيمية والتكاملية لوظائف الشخصية (Livesley, 2001). وبالفعل هو ما أشار إليه فرويد بمفهوم الأنا، والمظاهر التنفيذية لوظائف الأنا. إنه يركز الانتباه ليس على الفروق الفردية، ولكن على وظائف الأجزاء كنسق شامل كلى. هذا التركيز على مظاهر النسق لوظائف الشخصية يعد الأمر الجوهرى، وهو الذى لا يزال إلى الآن يلقى تجاهلاً من علماء نفس السمة.

وتعتمد معظم نظريات السمة الحديثة –إلى حد كبير– على طريقة التحليل العاملى. ومع ذلك، ما زال يثار هنا سؤال مهم، مفاده: ما الذى يقدمه لنا التحليل العاملى، وما الذى لا يستطيع تقديمه؟ هل هو الطريقة المناسبة للوصول إلى البناء الكامن للشخصية؟ ومع أن للتحليل العاملى كثيرًا من الأنصار، فإن هناك آخرين أقل تفاؤلاً بذلك. وكما سبق أن أشرنا، فإن أولبورت رغم كونه من المؤمنين بنظرية السمة قد انتقد بشدة استخدام التحليل العاملى فى استخراج السمات، وإلى جواره وقف ناقدون آخرون لهذه الطريقة. وهؤلاء يشيرون إلى أن هذه الطريقة تعتمد فى مقارناتها بين الأفراد على وضع درجاتهم على الاختبارات داخل آلة للطرد المركزى، وتتوقع بعد ذلك أن يخرج منها جوهر الشخصية (Lykken, 1971; Tomkins, 1962). ومن وجهة نظرى، يعد التحليل العاملى مفيدًا جداً فى تحديد فئات السلوك أو فئات البنود التى ترتبط ببعضها البعض، ولكن من المشكوك فيه أن يستطيع المرء أن يكتشف بدرجة معقولة الجدول الدورى لعناصر الشخصية.

---

(1) Characteristic Adaptations

ومما يستحق الاهتمام هنا طبيعة البيانات التى يجرى عليها الباحث التحليل العاملى. فتستمد البيانات غالبًا من التقديرات، أو الاستخبارات، ويعتمد كلاهما بشكل كبير على اللغة، ووصف السلوك المعبر عن السمات والتى يعتقد الأفراد بوجودها متفاعلة معًا. ويثير هذا سؤالاً: هل يبدأ أى علم من العلوم الأخرى (مثل البيولوجى، والفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا على سبيل المثال) من اللغة الطبيعية فى بحثه عن وحداته الأساسية؟ وإلى أى حد يختلف علم الشخصية عن العلوم الأخرى فى هذا المجال؟ إن ما يدرسه هذا العلم نوع من علم النفس الدارج[1]، فنحن ندرس اعتقادات الناس حول العالم أكثر من دراستنا للبناء الحقيقى للشخصية (Tellegen, 1991,1993). إن هذا السؤال لا يزال مُثارًا حتى بين المقترحين لنموذج العوامل الخمسة، ومع أنهم يقترحون ذلك كحد أدنى للاتفاق، فيجب أن نتخذ من ذلك منطلقًا جيدًا لبدء البحث فى هذه القضية (John , 1990).

وصف أم تفسير؟

وأخيرًا، هناك سؤال آخر يتعلق بتفسير مفهوم السمة، وهو هل تعد السمات وصفًا للانتظامات السلوكية أم تفسيرًا للانتظامات المشاهدة؟ بشكل مبسط، يمكن أن نعيد صياغة السؤال بقولنا: هل للسمات وجود "حقيقى"، أم أنها تصورات مُرضية نتواصل من خلالها؟ (Briggs, 1989, p. 251). لقد اهتم أيزنك بهذه القضية، وأشار إلى أنه بدون النظرية، قد نقع فى فخ التفكير الدائرى، فنستخدم مفهوم السمة لتفسير السلوك، الذى هو نفسه يعد فى المقام الأول المدخل الأساسى لفهم مفهوم السمة. فنقول إن الأفراد يتصرفون بطريقة انبساطية لأنهم انبساطيون، ومع ذلك فإننا نعرف أنهم انبساطيون بسبب سلوكهم الانبساطى. إذا كان هذا هو الحال، فما حجم ما يمكن أن نضيفه لفهمنا للشخصية؟ فقد أسهمت الجهود التى بذلت، والتى تتصل بالفروق الفردية فى السمات، والفروق فى الوظائف البيولوجية فى إحداث

---

(1) Folk Psychology

تقدم ملحوظ أساسًا فى بحوث السمة. ومع ذلك يجب علينا أن نتذكر أن هذه العلاقات تعبر فقط عن ارتباطات، فنحن لا نستطيع أن نستنتج منها أن المتغيرات البيولوجية المرتبطة تسبب الفروق الفردية فى السمات أو الانتظامات السلوكية الملاحظة. إن علاقة المتغيرات النفسية (مثل السمات) بالمتغيرات البيولوجية (مثل الناقلات العصبية)، تعد علاقة معقدة، وهو الموضوع الرئيسى المرشح لأن يلقى مزيدًا من الاهتمام فى المستقبل. وبوضوح، كل العمليات النفسية ذات علاقة بعمليات بيولوجية أخرى مرتبطة بها. ومع ذلك يجادل بعض علماء النفس حول إمكان اختزال العمليات النفسية أو تفسيرها من خلال العمليات البيولوجية، ولذلك، فمن الضرورى أن تقدر الأمور بحق قدرها، وأن تلقى ما يليق بها وما تستحقه من تحليل (Bandura, 2001).

الخلاصة

وصلنا الآن إلى نهاية مناقشتنا لأول وحدة مقترحة للشخصية ألا وهى السمة. فبيَّنَّا كيف تلقى السمات – بوضوح– قبولاً كبيرًا بيننا، حيث نستخدمها فى حياتنا اليومية طوال الوقت. ومن خلال خبراتى الشخصية، لاحظت كيف ينظر الطلاب إلى نظرية السمة بوصفها نظرية جذابة، وبوصفها الأكثر استخدامًا بين كل نظريات الشخصية. وقد أصبح لدينا الآن فرصة سانحة لتناول عديد من أنواع نظريات السمات، ولدينا الدلائل الداعمة للنظر للسمة كوحدة أساسية للشخصية. والآن حان الوقت لأن نتحول للاهتمام بوحدات أخرى للشخصية، وأن نهتم فى نهاية النقاش بالعلاقات الممكنة بين هذه الوحدات.

السمة Trait: استعداد لإصدار السلوك بطريقة معينة، والذى يميز سلوك الشخص عبر مدى واسع من المواقف.

منحى جمعى Nomothetic: منحى لدراسة الشخصية ووصفها، يركز على رصد الفروق الفردية فى الأداء على المقاييس المقننة.

منحى فردى Idiographic: منحى لدراسة الشخصية ووصفها، والذى أكد أهميته أولبورت، ويركز على رصد تفرد الشخص فيما يتصل بالسمات النوعية، وتنظيم الشخصية.

السمات الأصلية،Cardinal trait والسمات المركزية Central Trait والسمات الثانوية Secondary Trait: هو التصنيف الذى اقترحه أولبورت ليميز بين السمات التى تصف مختلف جوانب شخصية الفرد. وتشير السمات الأصلية إلى الاستعدادات شديدة التميز التى يخضع لتأثيرها فعليًّا كل سلوك يصدر عن الفرد. وتشير السمات المركزية إلى الاستعدادات التى تهيئ الفرد لإصدار السلوك بطريقة معينة عبر مدى واسع من المواقف. وتشير السمات الثانوية إلى الاستعدادات التى تهيئ الفرد لإصدار السلوك بطريقة معينة عبر عدد قليل من المواقف.

استخبار عوامل الشخصية الستة عشر Sixteen Personality Factor (16 P.F.) Questionnaire: هو المقياس الذى ابتكره كاتل لقياس موضع الأفراد على ست عشرة سمة أساسية.

النمط Type: تصنيف الأفراد إلى مجموعات صغيرة، يضم كل منها عددًا من الخصال النوعية والمحددة (مثل الانبساط والانطواء لأيزنك).

نموذج ب ى ن: PEN Mode: نموذج أيزنك للشخصية الذى يركز على ثلاثة

أبعاد أساسية للسمات، وهى الذهانية، والانبساط، والعصابية (وتجمعها حروف كلمة "PEN" باللغة الإنجليزية).

الخمسة الكبار Big Five: السمات الخمسة الرئيسية التى يضمها نموذج العوامل الخمسة للشخصية.

نموذج العوامل الخمسة Five-factor Model (FFM): الاتفاق الذى ساد بين علماء نفس السمة حول اقتراحهم بوجود خمسة عوامل أساسية للشخصية، العصابية، والانبساط، والانفتاح على الخبرة، والمسايرة، والوعى.

أوشن OCEAN: هى الحروف الاختصارية للسمات الخمس فى نموذج العوامل الخمسة للشخصية (وتجمعها حروف كلمة "OCEA " باللغة الإنجليزية).

بطارية العوامل الخمسة NEO -PI Fiv- Factor Inventory: الاستخبار الذى يقيس السمات الخمسة المرتبطة بنموذج العوامل الخمسة.

الفروض المعجمية الأساسية: Fundamental Lexical Hypothesis: الفروض التى تترجم خلالها الفروق الفردية المهمة فى التفاعل الإنسانى إلى مصطلحات متفردة فى اللغة.

القابلية للوراثة: Heritability: المفهوم الذى يعبر عن نسب التباين بين الأفراد فى السمة التى يمكن عزوها للفروق الوراثية.

الناقلات العصبية: Neurotransmitters: المواد الكيميائية التى تنقل المعلومات من إحدى الخلايا إلى الخلية الأخرى (مثل الدوبامين والسيروتونين).

مزاج: Temperament الفروق الفردية فى الحالة العامة، أو فى نوعية الاستجابة الانفعالية التى تظهر مبكرًا، والتى تتمتع بقدر من الثبات وذات أسس بيولوجية، وتبنى على عمليات بيولوجية.

الجدل أو التعارض بين الشخص-الموقف Person-Situation Controversy: هو الخلاف الدائر بين علماء النفس الذين يؤكدون أهمية المتغيرات الشخصية فى تحديد السلوك (أنصار السمة)، وأولئك الذين يؤكدون أهمية المؤثرات الموقفية (أنصار الموقف).

التجميع Aggregation: استخدام فئة من السلوكيات عبر مدى من المواقف لقياس السمة.

الاتساع Bandwidth: مدى السلوكيات التى يغطيها مفهوم الشخصية أو مقياس الشخصية.

الدقة Fidelity تحديد إلى أى درجة يمكن استخدام مفهوم الشخصية أو مقياس الشخصية لوصف السلوك أو التنبؤ به.

ملخص الفصل

١- تشير السمات إلى التنظيم والاتساق الكبيرين فى السلوك، ويستخدمها الأفراد بشكل شائع ليصفوا بها شخصياتهم. وينظر علماء نفس السمة إلى السمات بوصفها تشكل الوحدات الأساسية القادرة على تحديد الفروق الفردية فى الشخصية بين الأفراد.

٢- نظر أولبورت إلى السمة كاستعداد للاستجابة بطريقة خاصة بالفرد، وانصب اهتمامه على نمط السمات وتنظيمها داخل الفرد، ورفض استخدام طريقة التحليل العاملى لاكتشاف وحدات الشخصية الأساسية.

٣- استخدم كاتل طريقة التحليل العاملى لاكتشاف السمات، والمقارنة بينها، واستخدم لذلك عدة طرق لجمع البيانات منها طريقة التقديرات والإجابة على الاستخبارات، أو الاختبارات المعملية. وأعطى اهتمامًا كبيرًا أيضًا لإسهامات العوامل الوراثية والبيئية فى ارتقاء السمات، حاول رصد صور ارتقائها عبر الزمن.

٤- باستخدام التحليل العاملى، ابتكر أيزنك نموذجًا للشخصية مؤكدًا أبعاد: الذهانية، والانبساطية، والعصابية. وعُنى أيضًا بأهمية الوظائف البيولوجية فى تشكيل مختلف أبعاد السمات.

٥- يؤكد كثير من علماء نفس السمة الحاليين على وجود اتفاق متنامٍ بين الباحثين على نموذج العوامل الخمسة الكبرى أو العوامل الخمسة للشخصية OCEAN، وقد تبدت الدلائل الداعمة لهذا النموذج فى: الاتفاق عبر الثقافى على العوامل التى اقترحها النموذج، والتى تم استخلاصها من التقديرات، والاستخبارات، وكذلك الاتفاق بين التقديرات الذاتية وتقديرات الآخرين للسمات، والارتباطات بين الدرجات على السمات والمظاهر الأخرى لوظائف الشخصية، والعلاقات بين الفروق الفردية فى السمات والمظاهر المتنوعة للوظائف البيولوجية،

والعلاقات بين الدرجات على السمات واضطرابات الشخصية.

٦- هناك اهتمام متنامٍ بالعلاقة بين الفروق المبكرة فى المِزاج وارتقاء الشخصية فيما بعد. وهناك دليل على أن عديدًا من العوامل يمكن إعادة ظهورها بأشكال متشابهة فى مراحل ارتقائية لاحقة. وهناك دليل آخر كذلك يتبدى فى الاتجاهات العمرية التى لها بعض الاتساق عبر الثقافى. وهناك دليل على بعض الثبات فى درجات السمات الفردية عبر الزمن، مع أن كيفية تقييم درجات الثبات، وأسباب الثبات (أو التغير) ظلت موضع جدال، ولا تزال تتطلب تحديدًا وتعريفًا. ويوافق معظم علماء النفس على أن الثبات يكون أكثر توقعًا إذا كانت المدد الزمنية قصيرة، عنها إذا طالت هذه الفترات الزمنية، وأن الثبات فى السمات يكون أكبر فى مرحلة الرشد عنه فى الطفولة أو المراهقة.

٧- يشير مفهوم السمة إلى وجود اتساق فى الشخصية. ومع أن هناك دليلاً على ثبات السمة طوليًّا، فإن الدليل على الاتساق عبر الثقافى للسمة ما زال أكثر إثارة للجدل. وهذا ينعكس فى الجدل الدائر حول قضية الشخص مقابل الموقف. إن ما نحتاج إليه هو نموذج لوظائف الشخصية يفسر كلاً من الاتساق والتنوع فى السلوك عبر المواقف.

٨- من زاوية التنبؤ، يتسم مفهوم السمة والاختبارات المرتبطة به بالنطاق الجيد، ولكنه ضعيف فى حجم دقته.

٩- إن حجم ما أجرى من دراسات حديثة عن السمات يعد حجما كبيرًا ومؤثرًا، ومع ذلك ما زالت هناك أسئلة عالقة حول: تعريف السمة، ودرجة الاتفاق على عدد السمات الأساسية، وما إذا كانت السمات تعبر بشكل شامل عن كل ما يتصل بوظائف الشخصية، وإلى أى حد تعد طريقة التحليل العاملى فعالة فى استخلاص الأبعاد الأساسية للشخصية، وما إذا كانت السمات تمثل تفسيرات للسلوك، أم وصفًا له.

الفصل الثالث*

الوحدات المعرفية للشخصية

* ترجمة د. أيمن عامر

نظرة عامة على الفصل

نهتم فى هذا الفصل بالوحدات المعرفية للشخصية[١]، أى بالطرق التى يفكر بها الأفراد فى أنفسهم، وفى العالم المحيط بهم. وتأثر هذا المنحى بالتطور الذى حدث فى الحاسبات الآلية، واستخدامها فى التمثيل المجازى لوظائف الشخصية. وتعرف الشخصية -فى إطار هذا التوجه- من خلال ما يتبناه الأفراد من مفاهيم[٢] ومعتقدات[٣]، وفى ضوء طرقهم فى معالجة المعلومات[٤]، وتفسير ما يقع لهم من أحداث. وعلى العكس من مناحى السمة[٥] يوجد اهتمام أكبر بكيف ينوع الأفراد من سلوكهم، حتى يشبعوا حاجاتهم فى المواقف النوعية.

الأسئلة التى يجيب عنها هذا الفصل

١) كيف يؤدى تناول الشخصية فى ضوء الوحدات المعرفية إلى وجهات نظر فى وظائف الشخصية، تختلف عن تناولها فى ضوء وحدات السمة؟

٢) ما التضمينات التى ينطوى عليها استخدام الحاسب الآلى كتمثيل مجازى لوظائف الشخصية الإنسانية؟ وما هى الوحدات المعرفية أو وحدات معالجة المعلومات للشخصية التى يمكن اشتقاقها عند استخدام مثل هذا التمثيل المجازى؟

٣) ما هى تضمينات ما ندركه من أسباب الأحداث بالنسبة للانفعالات[٦] والدوافع؟

٤) ما هى علاقة دراسات المخ بفهمنا لكيف يفكر الأفراد؟ وإلى أى مدى تتنوع طرق التفكير عبر مختلف الثقافات؟

Cognitive Units of Personality (١)
Concepts (٢)
Beliefs (٣)
Process Information (٤)
Trait Approaches (٥)
Emotional (٦)

مقدمة

نعرض فى هذا الفصل وحدات الشخصية التى تختلف تمامًا عن السمات وتتناول هنا الوحدات المرتبطة بوظائف الشخص المعرفية. ويشير مصطلح "معرفة"[١] إلى عمليات التفكير ويتضمن هذا وظائف الإدراك، والتذكر، واللغة. كما يشير كذلك فى بنائه المعرفى إلى الطرق التى يعالج بها الكائن الحى المعلومات المتصلة بالذات والعالم المحيط به. وفى حين اتخذ علماء السمات من الجدول الدورى لعناصر الكيمياء[٢] نموذجًا للاقتداء، اتخذ العلماء المعرفيون من الحاسب الآلى –بما يتضمنه من تخزين، وتحويل، وإنتاج للمعلومات[٣]– نموذجًا يحتذونه فى وصف الشخصية وفهمها.

وتشتمل الوحدات المعرفية للشخصية على كل من: نوع المعلومات المدركة، والطرق التى تُعالَج بها هذه المعلومات. بمعنى آخر، تتناول هذه الوحدات كلاً من المحتوى[٤] والعملية[٥]، كمظهرين للمعرفة، ضروريين لفهم الشخصية.

فيما يتصل بالمحتوى، يركز بعض الأشخاص انتباههم على علم ما بين الأشخاص من علاقات، بينما يركز البعض الآخر انتباهه على العالم غير الشخصى. وبعض الأشخاص يركزون على عالم الوجدانيات بينما لا يركز البعض الآخر إطلاقًا على الوجدانيات. ويجد بعض الأشخاص صعوبة فى فهم الآخرين، إذا كان محتوى أدائهم المعرفى شديد الاختلاف. وفيما يتصل بالعملية، نجد أن بعض الأفراد تتسم معالجتهم للمعلومات بالتفصيل، والتحليل، بينما تميل معالجة البعض الآخر لها إلى التعميم والتجريد. والأكثر من ذلك، أن بعض الأفراد يجد صعوبة فى فهم الآخر، إذا عالج المعلومات نفسها، بطرق مختلفة عن طرقهم. فعندما تتجمع المعلومات نفسها بشكل مختلف، يُنظر إليها غالبًا بطريقة مختلفة.

---

(١) Cognitive
(٢) Chemistry's Periodic Table of Elements
(٣) Stores, Transforms, And Produces Information
(٤) Content
(٥) Process

وكما سبق وأشرنا، لا يعد مصطلح "المعرفة" مصطلحًا جديدًا على المجال، فاستخدم بالفعل فى بدايات ظهور علم النفس. ومع ذلك، فمنذ بدأ ما يسمى بالثورة المعرفية[١] فى الستينات من القرن العشرين (Boneau, 1992)، شكلت المعرفة جزءًا مهمًّا من علم النفس بشكل عام، ومن علم الشخصية على وجه الخصوص. ومن ثم سنهْتمُّ فى الجزء التالى بالتطور التاريخى للمناحى المعرفية للشخصية سعيًا لمزيد من فهم التشعبات التى حدثت فى مناحى تناول الشخصية، والتغيرات التى طرأت عليها عبر هذا الوقت.

مفهوم الأسلوب المعرفى

ركز كثير من الجهود المبكرة فى دراسة المعرفة والشخصية -التى بدأت فى الخمسينات من القرن العشرين- على الفروق الفردية فى الأسلوب المعرفى[٢]. فعلى سبيل المثال، اهتم هيرمان وتكن H.Witkin بالأسلوب المعرفى المعروف باسم "الاستقلال مقابل الاعتماد على المجال"[٣]، ثم واصل اهتمامه بعد ذلك بالأساليب المعرفية التحليلية مقابل الكلية[٤] (Witkin, Dyk, Faterson, Goodenough & Karp, 1962) بدأ وتكن بحوثه بدراسة تجريبية فى مجال الإدراك. اهتم خلالها بمشكلة "كيف يحافظ الأفراد على اتجاههم المناسب وهم فى وضع عمودى فى الفراغ؟" بمعنى آخر، كيف نعرف ما إذا كانت أجسامنا أو شيء ما فى البيئة المحيطة بنا فى وضع عمودى؟ هل نعتمد فى ذلك على الهاديات البصرية[٥] الموجودة فى البيئة المحيطة، أم على الهاديات الجسمية[٦] التى ترشدنا

(١) Cognitive Revolution
(٢) Cognitive Style
(٣) Field Independent Vs Field Dependent
(٤) Analytical Vs Global Cognitive Styles
(٥) Visual Cues
(٦) Bodily Cues

إلى أننا فى وضع عمودى، أم أننا نعتمد على كلا النوعين من الهاديات؟ ماذا يحدث إذا كان لدينا مجموعة واحدة فقط من الهاديات؟ وماذا يحدث إذا تناقضت هذه الهاديات مع بعضها بعضًا، بحيث تخبرنا أجسامنا مثلاً أننا فى وضع مستقيم، فى حين تخبرنا هاديات المجال المحيط بنا، أننا فى وضع مائل، أو العكس بالعكس؟

استخدم "وتكن" لدراسة هذا الموضوع اختبار القضيب والإطار(١)، حيث يجلس المبحوث فى حجرة مظلمة تمامًا، يراقب بداخلها إطارا مضيئًا(٢)، يحيط به قضيب مضىء(٣). ثم يدير المجرب الإطار والقضيب بزوايا مختلفة، والمطلوب من المبحوث أن يضع القضيب المتحرك فى وضع يجعله عموديًّا. ولينجح المبحوث فى هذا، عليه أن يتجاهل ميل المجال (أى الإطار)، وأن يستخدم الهاديات التى تأتيه من وضعه الجسمى. وتكشف إمالة المبحوث الكبيرة للقضيب فى اتجاه الإطار المائل عن اعتماده على الهاديات البصرية، فى حين يوضح الوضع الدقيق للقضيب عند استخدام الهاديات الجسمية، وتجاهل الهاديات البصرية، اعتماد المبحوث على الهاديات الجسمية. ومن الأسئلة التى أثيرت هنا: هل يستخدم الأفراد الهاديات البصرية أم الهاديات الجسمية؟. وهل يديرون القضيب فى اتجاه الإطار آخذين فى الحسبان الوضع العمودى للجسم؟.

ورغم أن اهتمام (وتكن) الأساسى كان منصبًّا على الوصول إلى القوانين العامة للإدراك، فقد وجد تنوعًا كبيرًا فى استجابات المبحوثين؛ حيث وجد أن الوصول إلى تعميم بسيط -يعطى أهمية نسبية لأى من نوعى الهاديات (البصرية، أو الجسمية)- أمر مستحيل، لارتباط تحديد ذلك بسؤال أكثر تعقيدًا وهو "أى هذين النوعين من الهاديات أكثر أهمية بالنسبة للأشخاص؟ (Witkin et al., 1954) لذلك بدأ منذ ذلك الحين – وعلى مدار ٢٥ سنة– البحث فى الفروق الفردية فى الإدراك، وعلاقتها بالفروق الفردية فى تنظيم الشخصية ككل. على النحو التالى:

---

(١) Road And Frame Test
(٢) Luminous Frame
(٣) Luminous Road

أولاً: بُذِلت جهود لتحديد إلى أى حد يستخدم الأشخاص نموذج التوجه الإدراكى نفسه فى مختلف مواقف الإدراك. على سبيل المثال، فى اختبار الأشكال المتضمنة[1] (الشكل ٣-١)؛ وهو اختبار ورقة وقلم، يطلب فيه من المبحوث أن يحدد شكلاً بسيطًا مختبئًا (أو مُتضمَّنًا) داخل شكل أكثر تعقيدًا (أو مجال إدراكى أوسع). هل سيمكن للمبحوث أن يحدد الشكل البسيط داخل الشكل الأكثر تعقيدًا، أم أنه سيتقيد بالسياق المحيط؟ وهل ترتبط درجة الأداء على هذا الاختبار بدرجة الأداء على اختبار الإطار والقضيب، حيث يوجد هنا أيضًا مهمة مشابهة، تتطلب عزلاً لعناصر المجال عن السياق المحيط به؟. واستخلص (وتكن) من ذلك وجود اتساق فى الأداء على مختلف هذه الاختبارات، وعرَّف التكوين الفرْضى "**الاستقلال فى مقابل الاعتماد على المجال**" فى ضوء الفروق الفردية بأنه القدرة على إدراك جزء من المجال على نحو مستقل عما حوله. وأشار إلى أن للأشخاص المستقلين عن المجال -أكثر من المعتمدين عليه- قدرة على إدراك عناصر المجال مستقلة عما يحيط بها. بمعنى آخر، إنهم قادرون على رؤية الغابة وسط الأشجار. ورغم أنه يبدو أن من الأفضل أن يكون الفرد مستقلاً عن المجال أكثر من أن يكون معتمدًا عليه -على نحو ما هو ظاهر فى المثال- فما يجب تأكيده هنا هو أن كل أسلوب من الأسلوبين له مزاياه وعيوبه.

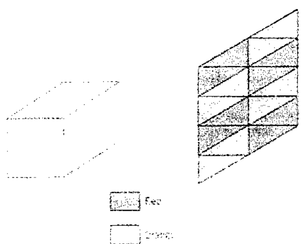
ثانيًا: بُذِلت جهود لتحديد مدى ارتباط مثل هذه الفروق فى الإدراك بالفروق الأخرى فى وظائف الشخصية. ووجد بالفعل أن الفروق الفردية فى الإدراك ترتبط بالفروق الوظيفية فى مجالات أخرى. على سبيل المثال، يتسم الأشخاص المستقلون عن المجال -بالمقارنة بالمعتمدين عليه- بأنهم أكثر بذلاً لجهد التعايش[2]. وأكثر قدرة على السيطرة على اندفاعاتهم على نحو مرن، وأقل تبرمًا من مشاعر

---

(١) Embedded Figures Test (E.F.T.)

(٢) Coping Efforts

الدونية[١](Witkin et al., 1962) بالإضافة إلى ذلك، وجد أن الأسلوب المعرفى يمثل متغيرًا مهمًّا فى اختيار الطلاب القياديين، وفى تحديد أدائهم أثناء تلقيهم دروسهم الأكاديمية. حيث يفضل المبحوثون "المستقلون عن المجال" الدروس الأكاديمية التى تتطلب مهارات تحليلية[٢] (مثل العلوم، والرياضيات، والهندسة)، ويؤدونها على نحو أفضل، بينما يفضل المبحوثون "المعتمدون على المجال" الدروس التى تتصل بالتفاعل مع الآخرين (مثل: العلوم الاجتماعية، والإرشاد النفسى، والتعليم)، ويؤدونها على نحو أفضل (Witkin, 1973) . باختصار؛ هناك أدلة واضحة، على وجود ارتباط بين الفروق فى التوجهات الإدراكية، والفروق الواسعة المشاهدة فى تنظيم الشخصية.



شكل ٣-١ أحد أشكال اختبار الأشـكال المتضمنة الذى يستخدم لقياس الاستقلال عن المجال والاعتماد على المجال

المصدر :

From Personality Through Personality (p.34), by H.A. Witkin et al., 1954, Harper & Row. Reprinted by permission of HarperCollins Publishers, Inc.

وأدت الجهود التالية لـ (وتكن) إلى طرح مفهوم أسلوب "التحليلى مقابل الكلى فى أداء الوظائف المعرفية[٣]". فالشخص ذو الأسلوب التحليلى[٤] يدرك التنبيهات باعتبارها متمايزة عن الخلفية المحيطة بها، كما ينجح فى مواجهة المواقف الغامضة. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يدرك العالم على أنه مكون من أجزاء شديدة

---

(١) Feelings of Inferiority

(٢) Analytical Skills

(٣) Analytical Vs Global Style of Cognitive Functioning

(٤) Analytical Style

التحديد[1]. وعلى العكس من ذلك، ينظر الشخص "ذو الأسلوب الكلى[2] فى إدراكه لخبرات الوظيفية المعرفية" إلى البيئة على أنها أكثر غموضًا، وأن المجال غير متمايز، مما يتطلب فرض النظام على الأجزاء. لذلك فإن الأشخاص التحليليين يدركون الجسم والذات كبناء واحد، ويمايزونهما عن البيئة بدرجة أكبر ممَّا نجده لدى الأشخاص الكليين. ويُظهِر الكليون ميلاً أكبر لإدراك الجسم "ككتلة" غامضة[3]، وإدراك الذات باعتبارها مدمجة فيما يحيط بها. بالإضافة إلى ذلك، يميل الأشخاص الكليون إلى الاعتماد أكثر على البيئة الخارجية من أجل تعريف الذات[4]، كما أنهم أميل -بالمقارنة بالأشخاص التحليليين- إلى الاحتكام إلى الاتجاهات والمشاعر. لذلك فإنهم أكثر عرضة لتغيير وجهات نظرهم فى الموضوعات الاجتماعية ليطابقوها مع وجهات نظر مَنْ هُمْ فى موضع سلطة بالنسبة لهم (Witkin et al., 1962).

والخلاصة، بدأ (وتكن) بدراسة تجريبية للإدراك، وتحرك فى اتجاه بناء نمط من العلاقات يعكس الفروق المتسقة فى الأسلوب المعرفى. ومع أنه وصل إلى عدد كبير وفعَّال من النتائج، فقد حدث تقدم قليل -نسبيًّا- فى المفهوم بعد وفاته. ونادرًا ما نسمع اليوم عن مثل هذه الفروق فى الأسلوب المعرفى. ما الذى حدث لمثل هذه المفاهيم المبكرة المتصلة بالأسلوب المعرفى؟ الجزء الأكبر من هذه المفاهيم اختفى من التراث ونادرًا ما يجد الباحث اليوم مراجع تتناول هذه المفاهيم فى مجلات الشخصية وكتبها، ومن المحتمل - كذلك- ألا يكون قد سمع عنها أغلب الطلاب المتخرجين حديثًا. لماذا اختفت هذه المفاهيم من التراث العلمى؟ إن الخوض فى هذا الموضوع أمر غاية فى التعقيد دائمًا، فلا شك فى أن هذا الاختفاء وراءه عديد من العوامل؛ يبرز من بينها -على نحو خاص- ثلاثة عوامل مهمة، **أولها:** أنه رغم تعدد البحوث التى أجريت -فى هذا الإطار- فالنتائج بدت غير متسقة، فأصبح من

---

(١) Well-Delineated Parts

(٢) Global Style

(٣) Vague Mass

(٤) Self-Definition

الصعب الوقوف على الطرق التى ترتبط من خلالها الأساليب المعرفية المتشابهة. أما **ثانى** هذه العوامل فيتصل بتزايد الأسئلة حول عمومية هذه الأساليب المعرفية (Cantor & Kihlstrom, 1987) فمن الصعب أن نجد اتساقًا فى أسلوب الأشخاص من موقف إلى آخر، ومن أحد مجالات وظائف الشخصية إلى غيره من المجالات، على نحو ما هو مطروح فى إطار الأسلوب المعرفى. بمعنى آخر، حين تناول منظرو الأسلوب المعرفى مثل هذه الفروق فى ضوء مفهوم السمات، برز سؤال آخر حول عمومية هذه الفروق عبر المواقف؟. ويتمثل ثالث هذه العوامل فى أنه حل محل مثل هذه المفاهيم -كما سنرى- مفاهيم أقل ارتباطًا بمفهوم الأسلوب فى طبيعتها، وأقدر على عكس التطورات التى حدثت فى خضم الثورة المعرفية.

وبافتراض صحة ما سبق، فمن المهم أن ندرك أيضًا، أن بعض علماء النفس مستمرون فى النظر إلى مفهوم الأسلوب المعرفى بوصفه مفهومًا له قيمته: "فمثل رابطة العنق الفضفاضة، تبعد الأساليب وتقترب، ولكنها لا تذهب بعيدًا عن محورها الأساسى وهو مفهوم الأسلوب" (Sternberg & Gregorenko, 1997, p. 710) بمعنى أوضح إن لدى الأشخاص تفضيلات وطرقًا مختلفة فى معالجة المعلومات، فعلى سبيل المثال، قد يفضل البعض أن يطرحوا أفكارًا جديدة إبداعية، فى حين يفضل البعض الآخر اتباع الأفكار المُعَدَّة سلفًا، ويفضل البعض أن يركزوا على أداء مهمة واحدة فى الوقت المحدد، فى حين يفضل آخرون أن يعملوا فى عدة مهام على نحو متزامن. مثل هذه الفروق فى الأساليب قد تبرز أهميتها فيما يتصل بالتفضيلات الأكاديمية، وإنجاز العمل. ومع ذلك، فرغم تعدد تأكيدات الباحثين لوجود فروق فى الأساليب، فهناك من يقترح أيضًا تعدد ما لدى الأشخاص من أساليب، يستخدمون بعضها فى أحد المواقف، ويستخدمون بعضها الآخر فى مواقف أخرى، وقد يغيرون أيضًا من أساليبهم المعرفية المفضلة بوجه عام، عبر مجرى الحياة. لذلك، ما يتم تأكيده هنا هو "مزيد من التوجه المرن فى النظر إلى الأسلوب" (Sternberg & Gregorenko, 1997, p. 710).

مُنظران قبل الثورة المعرفية: كيللى و روتر

ظهرت خلال عِقْد الخمسينيات -أى قبل ظهور الثورة المعرفية- نظريتان معرفيتان فى مجال الشخصية، ومع أن كلتيهما تطورت مستقلة عن الأخرى، وسارتا فى مسارين منفصلين تمامًا، فإنهما أكدتا -فى عمومهما- أهمية الوحدات المعرفية، مما يجيز لنا تناولهما - فى ذلك الوقت- بوصفهما حلقتى وصل بين مرحلتين.

نظرية التكوين الشخصى لكيللى

تؤكد نظرية التكوين الشخصى[1] لـــ "جورج كيللى" (Kelly,1955) أهمية الطريقة التى يبنى بها الفرد الأحداث ويفسرها؛ فَيَرَى (كيللى) أنه لا توجد حقيقة موضوعية، بل هناك فقط طرق فى تفسير الأحداث وصياغتها فى تكوينات عقلية. فكما أشرنا فى الفصل الأول، إذا نظرنا إلى الشخص كعَالِم، فهذا يعنى أنه شخص يراقب الأحداث، ليصوغ منها المفاهيم، التى تمكنه من تنظيم الظواهر، واستخدام هذه المفاهيم للتنبؤ بالمستقبل. إن ما يميز العَالِم عن الشخص العادى، هو أن الأول أكثر ممارسة للمشاهدة المنظمة، وأكثر وضوحًا فى اختبار ما يطرحه من فروض، وأكثر تنظيمًا فى اختبارها. ويسعى كل شخص إلى أن يصبح عَالِمًا بقدر ما يمكنه، بمعنى أنه يسعى ليكُون أكثر قدرة على وصف الأحداث وتفسيرها، والتنبؤ بها. وبالعودة إلى المفاهيم التى أشرنا إليها فى الفصل الثانى، فإن هدف كل فرد هو زيادة كل من اتساع الرؤية، والوفاء بالهدف، أى زيادة المجالات التى تستوعبها مفاهيمه (الاتساع) من ناحية، وإمكان التنبؤ الدقيق داخل كل مجال من هذه المجالات (الوفاء بالهدف) من ناحية ثانية.

إن وحدة التحليل المركزية فى نظرية (كيللى) هى التكوين، أى طريقة إدراك الأحداث، أو تركيبها، أو تفسيرها؛ فعلى سبيل المثال، المفهومان "جيد مقابل سيِّئ"

---

(١) The Personal Construct Theory

بعدان تكوينًا، حيث يستخدمهما الأشخاص مرارًا عندما يعالجون معرفيًا ما حولهم من أحداث. وللتكوين دائمًا قطبان، ومع ذلك لا يلزم أن يكون كل قطب مناقضًا منطقيًا للقطب الآخر؛ فعلى سبيل المثال، قد يكون لدى أحد الأفراد التكوينُ "أَعْطِ مقابل تَلَقَّ[١]" فى حين لدى الآخر التكوين "أَعْطِ مقابل خُذْ[٢]". وقد يكون لدى فرد ثانٍ التكوينُ "التوكيد مقابل عدم التوكيد[٣]"، فى حين أن لدى آخر التكوين "العدائية مقابل عدم التوكيد[٤]". وقد يكون لدى شخص ثالث التكوين، "حب مقابل كره[٥]"، فى حين أن آخر لديه التكوين "حب مقابل شهوة[٦]". ومتى يصبح التكوين جزءًا من التكوين المعرفى للشخص، فإنه يصبح – عندئذ– قابلاً للتطبيق على موضوع آخر. لذلك فإن أى تكوينات معرفية يستخدمها الشخص فى تفسير أفعال الآخرين، تكون بالتالى قابلة لأن تطبق عليه هو نفسه، والعكس صحيح. "من الصعب أن يدَّعى أحد الأشخاص على شخص آخر بأنه ابن غير شرعى بدون أن يدخل مفهوم "الخِسَّة[٧]" كبعد فى بنائه المعرفى وحياته الشخصية (Kelly, 1955, p132).

ويميز (كيللى) بين أنماط مختلفة من التكوينات، فهناك التكوينات المركزية[٨]، التى تعد أساسية بالنسبة للوظائف النفسية للشخص، مقابل التكوينات الطرفية[٩]، الأبعد عن المركزية. فعلى سبيل المثال، قد يُعَدُّ التكوين "جيد–سيئ" تكوينًا مركزيًا، فى حين يُعَدُّ التكوين "مرح–جاد[١٠]" تكوينًا فرعيًا. ومع ذلك فإن ما يعد تكوينًا مركزيًا لدى شخص معين، قد يكون هو نفسه تكوينًا فرعيًا لدى شخص آخر. هناك

Give-Receive (١)
Give-Take (٢)
Assertive Vs Unassertive (٣)
Hostile Vs Unassertive (٤)
Love Vs Hate (٥)
Love Vs Lust (٦)
Dastardly (٧)
Core Constructs (٨)
Peripheral Constructs (٩)
Funny-Serious (١٠)

أيضًا تكوينات لفظية[1]، يمكن أن يُعبَّر عنها بالكلمات، مقابل تكوينات أخرى قبل لفظية[2]، تستخدم عندما لا يكون فى مخزون الفرد عنه كلمات وألفاظ. وأخيرًا، هناك تكوينات من رتبة عليا[3] (فى أعلى النسق المعرفى)، تضم بداخلها تكوينات أخرى، مقابل تكوينات من رتبة دنيا[4]، تُدرَج تحت تكوينات أخرى عليا.

وتنتظم تكوينات الشخص لتشكل نسقًا تكوينيًّا[5]، من الممكن أن يكون غاية فى التعقيد أو أن يكون غاية فى البساطة، ويتضمن النسق التكوينى المعقد[6] عديدًا من التكوينات، التى تترتب مع بعضها بعضًا فى مستويات مختلفة من التنظيم. وعلى النقيض من ذلك يتضمن النسق التكوينى البسيط[7] عددًا قليلاً من التكوينات التى لا ترتبط ببعضها البعض، وتنتظم فى مستوى أو مستويين، ويُمكِّن النسقُ التكوينى المعقد الفردَ من الوصول إلى مزيد من التمايز فى إدراك العالم المحيط به، كما يُمكِّنه -كذلك- من وضع تنبؤات أقرب إلى الدقة. أما النسق التكوينى البسيط فيعنى أن كل الأشخاص، وكل الأشياء قابلة لأن تُصنَّف فى فئات، مثل جيد ـــ سيئ، وناجح ـــ فاشل، وتتساوى عندئذ التنبؤات بصرف النظر عن اختلاف الظروف.

ووضع (كيللى) مقياس "مخزون بناء الدور[8]" لتقدير مضمون النسق التكوينى وبنائه لدى الأفراد. وفى هذا الاختبار، يُقدَّم إلى الشخص قائمة، تضم أسماء عدد من الأشخاص الذين يعرفهم (مثل الأب، والأم، والمعلم الأكثر قربًا إليه)، وبعدئذ يتم اختيار ثلاثة أسماء فقط، ويطلب من الشخص أن يحدد الصفة التى تجعل اثنين من الأشخاص الثلاثة متشابهين، وفى الوقت نفسه تجعلهما يختلفان معًا عن الشخص

---

(1) Verbal Constructs
(2) Preverbal Constructs
(3) Super Ordinate Constructs
(4) Subordinate Constructs
(5) Construct System
(6) Complex Construct System
(7) Simple Construct System
(8) Role Construct Repertory Test

الثالث. فعَلَى سبيل المثال، قد ينظر إلى اثنين من هؤلاء الأشخاص الثلاثة بوصفهما متشابهين فى الانبساط، ويختلفان عن الثالث الذى ينظر إليه بوصفه خجولاً عندئذ نستنتج وجود التكوين (منبسط – خجول) [١]. ومع مزيد من التقدم فى الأداء على المقياس، يستخدم الفرد التكوينات، ويحدد العلاقات فيما بينها. ويعرض الجدول (٣-١) التكوينات التى طرحها أحد الأشخاص.

جدول (٣–١)

اختبار مخزون تكوين الدور: تكوينات توضيحية

الأشكال المتشابهة	التكوين المتشابه	الأشكال غير المتشابة	التكوين المتناقض
الذات، الأب	تأكيد على السعادة	أم	تأكيد على العملية
المعلم، الشخص السعيد	هادئ	أخت	القلق
صديق ذكر، صديقة أنثى	مستمع جيد	صديق قديم	تعبير عن مشاعر مضطربة
شخص غير محب، الموظف	السعى لتحقيق أهداف خاصة	شخص محبوب	الاهتمام بالآخرين
الأب، شخص ناجح	نشاط فى المجتمع	موظف	غير نشط على المستوى المجتمعى
شخص غير محبوب، موظف	مقاطع للآخرين	أخت	احترام الآخرين
أم، صديق ذكر	انطوائى	صديق قديم	انبساطى
الذات، المدرس	اكتفاء الذات	شخص مساعد	مستقل
الذات، صديقة أنثى	جمالى	صديقة أنثى	غير مبدع
موظف، شخص أنثى	تفصيلى	أخ	غير تفصيلى

ما يهمنا الآن هو توضيح إلى أى حد تبنى كيللى المنظور المعرفى، فعَلَى سبيل المثال، نجده بدلاً من أن يستخدم مفهومًا دافعيًّا[٢] مثل الحافز[١] أو الحاجة[٢]، أشار

Outgoing- Shy (١)
Motive Concept (٢)

إلى أن الأفراد نشطون بالفطرة، ويسعون إلى توقع الأحداث، أى التنبؤ بالمستقبل. وعلى نحو مشابه فسر (كيللى) الانفعالات داخل الإطار المعرفى فالقلق -مثلاً- خبرة يعايشها الشخص إذا ما اكتشف أن أحداثًا تقع خارج إطار نسقه التكوينى. ويعايش الفرد خبرة الخوف عندما يبدأ تكوين جديد لديه فى التشكل والظهور. أما "التهديد" فيرتبط بحدوث تغير شامل فى النسق التكوينى. وعلى هذا، يرتبط كل من القلق، والخوف، والتهديد، بمواجهة صعوبات تتصل بوظائف النسق التكوينى، أى فى طرق معالجة الأحداث المتوقعة. بمعنى آخر، إنها تقف كمفاهيم مرتبطة بمشكلات تعوق مسار عملنا وتقدمنا كعلماء.

هناك أيضًا عناصر أخرى عديدة، لها أهميتها فى نظرية التكوين الشخصى لكيللى، فهى تهتم -من بين ما تهتم- بوصف عدد من الاضطرابات والأعراض المرضية المرتبطة بوظائف النسق التكوينى، والطرق التى يحدث بها التغير فى الأنساق التكوينية. ومع ذلك فما علينا فعله الآن هو أن نقيد أنفسنا داخل إطار ما عرضنا له من عناصر النظرية، ويكفينا فقط أن نبين إلى أى حد تبنى (كيللى) المنظور المعرفى؛ فوحدة الشخصية -فيما يرى (كيللى)- هى التكوين، ويمكن وصف الأشخاص فى ضوء: ما لديهم من تكوينات، وطرق تنظيمهم للتكوينات فى أنساق، ووظائف هذه الأنساق التكوينية. فيسلك الشخص بطرق متشابهة فى المواقف التى تتشابه فى تكوينها. ويمكن للنسق التكوينى أن يتسم بالمرونة والتكيفية[٣] مع الحفاظ على تكوينه الأساسى. فالتكوين مرتفع الرتبة يمكن أن يصبح منخفض الرتبة، أو أقل أهمية، لمدة قصيرة، وبعد ذلك يعود إلى موضعه السابق كتكوين عالى الرتبة، وسواء أكان الأفراد أذكياء أم غير أذكياء فمن الممكن أن تكون لديهم تكوينات مرتفعة الرتبة. ومع ذلك، فالأقرب إلى التوقع سيادة التكوينات

Drive (١)
Need (٢)
Adaptiveness (٣)

مرتفعة الرتبة فى المواقف الخلاقة. على سبيل المثال، يقع التكوين "جمالى – غير جمالى"[١] فى رتبة عليا عند معالجة الأحداث ذات الطابع الجمالى، فى حين أن التكوين "اجتماعى مقابل غير اجتماعى[٢]" هو السائد فى المواقف الاجتماعية كالحفلات مثلاً. ومن المعتقد أن يكون التكوينان السابقان أقل أهمية من التكوين "ذكى مقابل غير ذكى[٣]". وأخيرًا، يشير (كيللى) إلى أن أداء الأشخاص يظل مستقرًا ومتسقًا طوال الوقت، طالما بقيت أنساقهم التكوينية هى نفسها ولم تتغير.

ومن الجدير بالملاحظة، أن نظرية (كيللى) تؤكد أهمية كل من البناء والعملية، وكذلك أهمية كل ما هو متفرد وما هو ناموسى (جمعى) لدى الأشخاص. فيكمن البناء فى التكوينات، وطرق انتظامها داخل الأنساق التكوينية. أما العملية، فتظهر فى طرق استخدام التكوينات للتنبؤ الجيد بالأحداث. وبينما يتسم الأفراد بالتفرد فى طرقهم فى تفسير الأحداث، فإنهم يتشابهون فى العمليات التى يستخدمونها للتنبؤ بالأحداث المتوقعة. وأخيرًا، يتسم كل شخص بالتفرد فيما يستخدمه من تكوينات، لذلك فإن كل فرد لديه واقعه الخاص المتفرد، رغم وجود عمليات معينة مشتركة بين سائر الأشخاص؛ فكلنا نسعى لنتوقع الأحداث، ونسعى إلى تقليل القلق، والخوف، والتهديد، ولذلك كلنا نحيا -فى حدود معينة – لنواجه التحدى الأساسى، وهو السعى المتواصل للامتداد بنسقنا التكوينى، والسعى كذلك إلى تجنب التهديدات التى تواجه ما لدينا فعليًّا من تكوينات.

وأخيرًا، ننهى الجزء الحالى عن (كيللى)، بمناقشة تأثيراته اللاحقة على النظرية والبحث. ونلخصها فى نقطتين: *أولاً*: أنه على الرغم مما كان لـــ (كيللى) من تأثير فى بعض منظرى الشخصية اللاحقين عليه، مثل تلميذه (ميشيل)، فما طرأ على نظريته من تطوير -منذ طرح صياغتها الأولى- كان قليلاً. وعلى الرغم –

---

(١) Athletic – Unathletic

(٢) Sociable – Unsociable

(٣) Intelligent – Unintelligent

كذلك– من إشادة منظرى الشخصية المعرفيين بجهود كيللى، فقد اتجهوا أحيانًا إلى اتجاهات أخرى مختلفة على النحو السابق ذكره. *ثانيًا*: لم تشكل –فى الغالب– نظرية التكوين الشخصى جزءًا كبيرًا من حجم البحث الراهن فى مجال الشخصية، فكيللى نفسه، طور أفكاره، مستفيدًا من خبرته العيادية، بدلاً من الاستفادة من نتائج ما توصل إليه فى بحوثه من ارتباطات منتظمة، وما أجراه من دراسات تجريبية. ومع ذلك اعتمد كثير من الدراسات التى انبثقت من نظرية التكوين الشخصى على مقياس مخزون الدور للشخصية. ورغم نظرة الباحثين إلى نظرية (كيللى) بوصفها إسهامًا كبيرًا، وإنشاء مؤسسة متخصصة فى نظرية التكوين الشخصى والبحث، فإن ما نشر من بحوث عن هذه النظرية فى المجلات العلمية الكبرى، يعد محدودًا نسبيًّا.

نظرية التعلم الاجتماعى لروتر

وضع جوليان روتر Julian Rotter (1955) نظريته عن التعلم الاجتماعى[1]، فى الوقت نفسه، والجامعة نفسها، التى وضع فيها (كيللى) نظريته عن التكوين الشخصى. وقد عمل (روتر) كأخصائى نفسى، وأيضًا كباحث تجريبى حيث تأثر بأفكار المحللين النفسيين، مثل: "فرويد" Freud و"آدلر" Adler، وكذلك بأفكار منظرى التعلم التجريبيين، من أمثال (هل) Hull، و(تولمان Tolman) واتضح تأثير (آدلر) – بشكل خاص– على أفكار (روتر) فى تأكيدات روتر أهمية المكون الاجتماعى[2] فى الوظائف النفسية. فأشار (روتر) إلى ضرورة الانتباه إلى أن تَعَلُّمنا –فى معظمه– يحدث فى إطار سياق اجتماعى، وأن أغلب تنبيهات دوافعنا مصدرها الآخرين. أما تأثيرات (هل)، و(تولمان) ذات الدلالة فى أفكار (روتر)، فتظهر فى تأكيد الأخير أهمية المعززات[3]، والجوانب المعرفية فى الوظائف النفسية.

---

(1) Social Learning Theory
(2) Social Component
(3) Reinforces

وأثير -خلال فترة الأربعينيات- جدل كبير بين منظرى التعلم التقليديين، حول ماذا نتعلم، وكيف نتعلم. وحينئذ أكد أنصار نظرية (هل) -الذين تبلورت آراؤهم فيما بعد على يد (كلارك هل) - أهمية الارتباط بين التنبيه والاستجابة (ت ــ س)، والتى تتشكل على أساس التعزيز[1]، فى حين أكد أنصار نظرية (تولمان) -التى تبلورت آراؤهم فيما بعد على يد (إدوارد تشاس تولمان)- على أهمية تعلم الخرائط المعرفية[2]، التى تتشكل فى غياب المعززات. فيرى تولمان أن التعزيز يتأثر بالدافعية والأداء، ولكن التعلم يتم فى غياب التعزيز. بالإضافة إلى ذلك، فإن ما نتعلمه هو "الخرائط المعرفية"، وليس الارتباطات بين المثيرات والاستجابات. ومن ثم تتعلم الفئران -التى تجرى فى المتاهة- خريطة المتاهة، وليس طريقة الالتفات يمينًا ويسارًا. وكما انشغل (تولمان) بتأكيد أهمية المتغيرات المعرفية المتصلة بالتعلم والأداء، اتجه (روتر) إلى الجمع بين أهمية التعزيز -الذى أكده (روتر)- وأهمية المعرفة -التى أكدها (تولمان)-، لذلك أشار إلى أن الفرد عندما يواجه موقفًا يتضمن عددًا من البدائل السلوكية، فإن صدور أى سلوك -من بين بدائل السلوك المحتملة- يرتبط بناتج محدد. ويرتبط بكل ناتج قيمة[3] محددة. على سبيل المثال، ينتج عن التصرف بطريقة عدوانية فى مقابل التصرف بطريقة اعتمادية، عديد من النواتج المحتملة، كل منها يرتبط بقيمة محددة للمعزز. ومن ثم تظهر أهمية المعززات للتعلم والأداء، على النحو الذى أشار إليه (كلارك هل). فضلاً عما سبق، تتشكل توقعات[4] الأفراد فى ضوء احتمالات ما سوف يترتب على سلوكهم من تعزيز، وهو ما يمكن صياغتها -فى أى من مثَالَى الشخص أو الفأر السابقين- كما يلى: "إن احتمال حصولى على هذا المعزز، عند قيامى بهذا السلوك هو س".

---

(١) Reinforcement
(٢) Cognitive Map
(٣) Value
(٤) Expectancies

إن ما لدينا هنا هو إيحاء بأن السياق الحالى يوضح أن نواتج السلوك، أو المعززات قد يكون لها قيمة أكبر أو أقل، وقد ترتفع احتمالات (أو توقعات) حدوثها أو تنخفض. وعندئذ يصبح احتمال صدور السلوك دالة لكل من قيمة المعزز المرتبط بهذا السلوك، واحتمالية الحصول على هذا المعزز. ويُعرف هذا بـ "**نموذج القيمة المتوقعة للسلوك**[١]" (Feather,1982). وبالعودة إلى المثال السابق المتعلق بِهَلْ أتصرف بطريقة عدوانية أم بطريقة اعتمادية؟ فإنه قد ينتج عن كل طريقة من الطريقتين نواتج محتملة عديدة، كل منها يتوقف على قيمة المعزز، واحتمالات الحصول عليه. وعندئذ يقع الاختيار على السلوك النوعى بوصفه أفضل تركيب بين القيمة والتوقع.

من المهم أن نلاحظ هنا، أنه فى إطار نموذج (روتر)، تتسم قيمة المعزز، و"احتمالاته المتنوعة" بالتفرد؛ فهى لا تعد مقياسًا موضوعيًّا لأهمية القيمة، والاحتمال، ولكنها بالأحرى تتصل بقيم الفرد، وحسابات التوقع[٢]. لذلك، غالبًا ما نندهش من تعلم الفرد لقيم غير معتادة، ترتبط عادة بنواتج وتوقعات تبدو غريبة. ويمكن فهم هذا السلوك غير المعتاد أو المثير للدهشة – فقط– فى ضوء ما لدى الفرد من توقعات، ودرجة ما يحصل عليه من تعزيز، وهو ما ينطبق كذلك على مختلف صور السلوك. فيربط الشخص شديد العدوانية السلوك العدوانى بقيم مرتفعة من التعزيز، وتوقعات مرتفعة بالحصول على المعزز. بينما يربط الشخص الجبان– شديد الكف[٣]– الفعل العدوانى بنواتج سلبية، تتعلق بقيمة تصرفه على هذا النحو، وما يرتبط بذلك من توقعات.

ويشير (روتر) إلى أن التفرد[٤] فى قيم المعززات والتوقعات لا يقتصر على التفرد الشخصى فحسب؛ بل إنه تفرد أيضًا بالنسبة للموقف. ومن ثم ليس للسلوك –

---

(١) Expectancy Value Model

(٢) Expectancy Calculation

(٣) Timid – Inhibition Person

(٤) Unique

وما يرتبط به من توقعات واحتمالات- الناتج نفسه، فى الموقف نفسه؛ فالتصرف بعدوانية -على سبيل المثال- له نواتج مختلفة فى المواقف الاجتماعية بالمقارنة بالمواقف الرياضية. لذلك فإن تغير سلوك الأفراد وتنوعه من موقف إلى آخر -تبعًا لظروف التعزيز المرتبطة بالسلوك فى كل موقف- أمر لا يثير الدهشة. وهو ما يعنى كذلك أنه من الممكن فهم المواقف، وطرق تقديرها فى ضوء النواتج (أى قيمة المعززات وتوقعاتها) المرتبطة بالسلوك النوعى (Rotter, 1981) مرة أخرى نكرر، أنه يوجد دائمًا موقف نفسى متفرد - يرتبط بالشخص- يكون له أهميته فى تحديد السلوك.

ورغم تأكيد (روتر) لأهمية قيم المعزز، وتفرد التوقعات عبر مختلف المواقف، فإنه يشير أيضًا إلى تطوير الأفراد الدائم لتوقعاتهم بتنوع المواقف، والتى يطلق عليها **التوقعات المعممة**(١) (Rotter, 1966, 1971, 1990) وأحد هذه التوقعات المعممة التى أشار إليها (روتر) "**الثقة بين الأشخاص**(٢)" التى يقصد بها درجة ثقة الفرد بالآخرين وعالمهم؛ فلدى مرتفعى الثقة فى الآخرين، توقع معمم يسمح لهم بالثقة فى الحفاظ على عالمهم الخاص دون التخلى عن الآخرين. وفى مقابل الاهتمام الضئيل الذى لقيه هذا المفهوم، لقى توقع معمم آخر اهتمامًا بحثيًّا أكبر، وهو ما يعرف **بمركز التحكم فى التعزيز الداخلى مقابل التعزيز الخارجى**(٣)، أو **مركز التحكم**(٤). فيستند المرتفعون فى مركز التحكم الداخلى - بشكل كبير- إلى المعززات الداخلية، وينسبونها إلى جهودهم الخاصة، بينما يستند المرتفعون على مركز التحكم الخارجى إلى توقع معمم ينسب نواتج سلوكهم -بشكل كبير- إلى الحظ، أو القدر، أو الصدفة، أو غيرها من القوى الخارجية الأخرى. بمعنى آخر، لدى ذوى التحكم الداخلى توقع معمم بأن الجهد الشخصى هو المسئول عن خلق

(١) Generalized Expectancies
(٢) Interpersonal Trust
(٣) Internal Vs. External Locus of Control
(٤) Locus of Control

الفروق بين الأفراد، بينما لدى ذوى التحكم الخارجى توقع معمم بأن جهودهم لا تخلق سوى فروق ضئيلة. ومن ثم يشعر ذوو التحكم الخارجى -نسبيًّا- بالعجز فيما يتصل بالتحكم فى الأحداث التى تقع لهم.

ويرجع ارتفاع عدد ما أجرى من بحوث على مفهوم مركز التحكم، إلى الأهمية النظرية والتطبيقية للمفهوم، وإلى توفر استخبار لقياسه. وصمم مقياس التحكم الداخلى مقابل الخارجى(١) لقياس الفروق الفردية فى التوقعات المعممة المتصلة بمدى اعتقاد الفرد فى خضوع الثواب والعقاب للتحكم الداخلى والخارجى (جدول٣-٢). وظل المقياس يستخدم مرارًا لعقْد كامل أو أكثر فى بحوث الشخصية. بالإضافة إلى ذلك، صممت عدة مقاييس على غرار هذا المقياس، أدخلت تعديلات نوعية فيه، مرة لقياس التوقعات المعممة لدى الأطفال. ومرة أخرى لقياسها فى مجالات أخرى كالصحة (Lau, 1982, Lefcourt, 1984, Strickland, 1989, Wallston & Wallston, 1981)

وأثَّرت أعمال روتر تأثيرًا كبيرًا فى أفكار باحثى الشخصية الآخرين، وفى الحث على إجراء البحوث. وهو ما بدأ يتناقص فى الفترة الأخيرة، نتيجة إدخال تعقيدات عديدة على مقياس مركز التحكم أكثر مما كان عليه الأمر فى صورته الأصلية. فضلاً عن ميل البحوث - كما سيتضح فى جزء تالٍ- إلى التحول إلى موضوعات وأدوات قياس مختلفة؛ حيث فضل عديد من الباحثين فى التعلم الاجتماعى، أن يربطوا بحوثهم بالتطورات التى حدثت فى علم النفس المعرفى. ومع أن أعمال روتر اجتازت مرحلة الثورة المعرفية، فإن جهوده النظرية الأساسية سبقت هذه الثورة، وتُركت دون أن تمسها الثورة المعرفية بشكل كبير.

منظران بعد الثورة المعرفية: ميشيل وباندورا

سيتركز اهتمامنا فى هذا الجزء من الفصل على اثنين من المنظرين تأثرا

---

(١) Internal Vs. External Scale

بوضوح بالثورة المعرفية، والتطورات فى علم النفس المعرفى. ومن الجدير بالذكر أن جذورهما الشخصية كانت مختلفة إلى حد كبير؛ فقد وُلد (ميشيل Mischel) فى فيينا، وعاش وترعرع فى نيويورك. أما (باندورا Bandura) فوُلد وعاش فى ألبيرتا الشمالية بكندا. وتتلمذ ميشيل على (كيللى) و(روتر)، بينما تتلمذ (باندورا) على (كينث سبينس Kenneth Spence) الذى تبنى نظرية (كلارك هل) فى التعلم عن التنبيه - الاستجابة، (ت - س)، ومع ذلك ظل (ميشيل) و (باندورا) لمدة ٢٠ سنة زميلين فى جامعة ستانفورد، ومنها انطلقا ليصبحا رأس حربة التطور فى المنحى المعرفى للشخصية.

جدول ٣-٢ بنود توضيحية من مقياس مركز التحكم الداخلى-الخارجى لروتر

١أ - كثير من الأشياء غير المبهجة التى يواجهها الناس فى حياتهم ترجع جزئيًّا إلى سوء الحظ.

١ب - سوء حظ الأفراد هو نتاج ما يقترفونه من أخطاء.

٢أ - أحد أهم الأسباب الرئيسية لاشتعال الحروب هو عدم الاهتمام الكافى بالسياسة.

٢ب- دائمًا ستكون هناك حروب مهما حاول الناس بِجدٍّ أن يمنعوها.

٣أ- أحيانًا لا أفهم كيف يمكن بلوغ الدرجات التى يريدنى المعلمون بلوغها.

٣ب- هناك علاقة مباشرة بين المذاكرة باجتهاد والدرجات التى أحصل عليها.

٤أ - المواطن المتوسط له تأثيره فى القرارات الحكومية.

٤ب- هذا العالم يديره عدد قليل من البشر ذوى النفوذ ولا يوجد الكثير الذى يمكن أن يفعله الرجال إزاء ذلك.

Source: Rotter , 1966.

نظرية التعلم الاجتماعى المعرفى لميشيل

حاول والتر ميشيل Walter Mischel - وهو المشهور منذ سنة ١٩٦٨ بنقده لنظرية السمات- أن يطرح تصورا بديلاً للشخصية، استند فيه إلى ثلاث نقاط، تمثل

مفاتيح فهم وجهة نظره (Mischel, 1990, Mischel & Shoda, 1995, 1999)

أولها: تأكيده لأهمية نوعية المواقف[١] حيث يُنظر إلى سلوك الفرد بوصفه متغيرًا شديد التغير[٢]، يخضع نسبيًّا لمدى نوعية المواقف وخصوصيتها. ***ثانيها***: هناك تأكيد لأهمية التمايز[٣] فى وظائف الإنسان المعرفية-الإدراكية؛ فالأشخاص عمومًا قادرون على التمييز بين المكافآت[٤]، والمطالب[٥] المرتبطة بمختلف المواقف. وينوعون من سلوكياتهم تبعًا لذلك، هذا التمايز المدرك بين المواقف هو ما يؤدى إلى التنوع السلوكى. ويعتقد (ميشيل) أن تجاهل مثل هذه الوظائف المعرفية هو الذى أدى إلى المشكلات التى اتسمت بها مناحى السمة. ***ثالث*** هذه النقاط: يوجد تأكيد على جوانب تنظيم الذات التكيفى[٦] لأداء الشخصية. واستكشف ميشيل قدرة الأفراد على تنويع سلوكهم من موقف إلى آخر بطرق تكيفية. أى أنهم قادرون على تنويع وظائفهم النفسية لتتناسب مع ما تتطلبه المواقف النوعية. بالإضافة إلى ذلك، حاول (ميشيل) توضيح كيف أن للأفراد القدرة على تأجيل إشباعاتهم، والحفاظ على اتجاهاتهم نحو تحقيق أهدافهم عبر فترات زمنية ممتدة (Mischel, 1999) .

وكما سبق أن أشرنا، أنجز (ميشيل) موضوعات تخرجه من جامعة أوهايو، فى مرحلة تأثره بـــ (كيللى) و(روتر). ووصفهما بمعلِّميْه[٧]، حيث إنهما أثَّرا فى تفكيره على نحو دائم. وفى سنة ١٩٧٣، عندما اكتسبت الثورة المعرفية قوتها الدافعة، نشر (ميشيل) كتابه "**التعلم الاجتماعى المعرفى: إعادة تصور لمفهوم الشخصية**[٨]"، وتضمن هذا التصور خمس وحدات أساسية، عكس كثير منها تأثره بـــ (كيللى) و(روتر). ماذا كانت إذن هذه الوحدات المعرفية-الاجتماعية؟

---

(١) Situational Specificity
(٢) Highly Variable
(٣) Discriminativeness
(٤) Rewards
(٥) Demands
(٦) Adaptive Self-Regulatory
(٧) Dual Mentors
(٨) Reconceptualization of Personality

أولاً: لدى الأفراد تكوينات شخصية، واستراتيجيات للترميز[١]. أى أن طرق الأفراد فى تكوين المعلومات، ومعالجتها تتصل دائمًا بالذات والآخرين، وأحداث العالم المحيط بنا. ويكشف تأكيد ميشيل أهمية التكوينات الشخصية عن تأثره بأفكار (كيللى) فى هذا الصدد. كما يكشف تأكيده لأهمية استراتيجيات الترميز الخاصة بنماذج معالجة المعلومات عن تأثره بالثورة المعرفية.

ثانيًا: للفرد قِيَمه الذاتية، وتفضيلاته، وأهدافه: وتعبر هذه الوحدات عن الفروق الفردية فى القيم التى تؤدى إلى مختلف المخرجات السلوكية، وهى تعبر أيضًا عن قدرة الأفراد على عمل تمثلات عقلية[٢] حول الغايات النهائية[٣]، أو الأهداف، ومن ثم ينجذبون إلى السلوك القصدى الموجه نحو الهدف[٤] (Cantor & Zirkel, 1990) ووجهت كانتور (Cantor (1990a – بشكل خاص– جهودها البحثية لفهم كيف يختار الأفراد مهام الحياة[٥]. وتمثل مهام الحياة الوحدات المعرفية–الدافعية التى توجه الانتباه نحو جوانب الشخصية الموجهة نحو المستقبل[٦]. فنجد مثلاً أن أهم مهام الحياة التى يختارها طلاب الجامعة تتركز على "السعى إلى الاستقلال"، ورغم أهميتها لدى مَنْ هُمْ فى هذه المرحلة العمرية، يتباين الطلاب فى قدر ما يعطونه لها من أهمية. ومن مهام الحياة الأخرى لدى هؤلاء الطلاب، الإفراط فى بذل الجهد الزائد للإنجاز على المستوى الأكاديمى والاجتماعى ومع ذلك نجد فروقًا فردية كبيرة فى الأهمية المعطاة لهذه المهمة. الجانب الجوهرى فيما يتصل بمفهوم المهمة–الهدف[٧]، هو التركيز على ماذا يحاول الأفراد

---

(١) Encoding Strategies
(٢) Mental Representation
(٣) End Points
(٤) Goal-Oriented
(٥) Life Tasks
(٦) Future – Oriented
(٧) Task-Goal Concept

فعله بدلاً من ماذا لديهم من استعداد للفعل، فالأمر فى الحالة الثانية، يكون أقرب إلى ما يُطرَح فى إطار مفهوم السمة.

ثالثًا: لدى الأفراد توقعات تتصل بالمترتبات المحتملة للفعل؛ فكما سبق واقترح (روتر)، حتى يمكن التنبؤ بسلوك الأشخاص فى أحد المواقف، يجب أن نهتم بتوقعاتهم النوعية، التى تتصل بالمُخْرَجات السلوكية المحتملة استجابة لهذا الموقف، أى التى تركز على التوقعات النوعية الخاصة بالمواقف النوعية؛ حيث يعمل الأشخاص عندئذ وفقًا للصياغة "إذا ... إذن" حتى يمكنهم تحديد التوقعات المترتبة، والتى ترشدهم إلى اختيار سلوك معين، استجابة لموقف معين. وكما فعل (روتر)، أشار (ميشيل) إلى أن سلوك الفرد يختلف تمامًا إذا ارتبطت التوقعات بموقفين مختلفين: فمثلاً "الطفل الذى كوفئ -بشكل منتظم- فى مرحلة ما قبل المدرسة على الاعتماد على المعلم، لا يحتمل أن يظهر دليلاً على الارتباط المرتفع بين الاعتماد الذى يتم تقديره فى الموقفين.

رابعًا: لدى الأفراد كفاءة معرفية وسلوكية(١)، حيث يختلف الأفراد فيما لديهم من معلومات، وفى طرقهم فى استخدام هذه المعلومات، وفى مهاراتهم السلوكية النوعية. فيشير (ميشيل) (Mischel, 1999) إلى أن التوقعات المعرفية والسلوكية ترتبط بالإنجازات الممكنة وليست بالإنجازات المتحققة المقيدة بعدة متغيرات. لذلك، فإن التركيز هنا على ماذا بإمكان الشخص أن يفعل وليس ماذا يفعل على نحو نموذجى؟. بالإضافة إلى ذلك، إنه رغم أن الكفاءات المعرفية تظهر قدرًا كبيرًا من الثبات عبر الزمن، وتظهر قدرًا من التعميم عبر المواقف، فإنه من المهم عدم النظر إليها نظرة جامدة تجعلها ذات طبيعة مشابهة للسمة(٢). ويحتل مفهوم الكفاءة المعرفية موضعًا خاصًّا داخل مفهوم كانتور Cantor وكليستروم Kihlstrom

---

(١) Behavioral And Cognitive Competencies

(٢) Trait –Like

(1987)عن الذكاء الاجتماعى[١]. فيتمثل الذكاء الاجتماعى -فى تصورهما- فى مجموعة المفاهيم، والذكريات، والقواعد -أو ما يعبر عنها اختصارًا بمفهوم المعرفة- التى يستحضرها الأفراد ليتمكنوا من إنجاز مهام الحياة الشخصية ١٩٨٧ p. Ix، حيث يتضمن الذكاء الاجتماعى القدرة على استخدام المعرفة لمواجهة مواقف حل المشكلات النوعية، والتكيف فضلاً عن التوجه نحو المهمة[٢]. كما ينظر إليه بوصفه نوعىَّ المهام[٣] أو نوعىَّ المجالات[٤]؛ فمثلاً، يكون لدى أحد الأشخاص خبرة بالمهام الأكاديمية، فى حين لدى آخر خبرة بالمهام الرياضية. ولدى ثالث خبرة بالعلاقات الاجتماعية، ولدى رابع خبرة بالموضوعات الأسرية. فعَلَى العكس من مفهومى الذكاء العام، أو الأسلوب المعرفى العام، يشير الذكاء الاجتماعى إلى أن الأشخاص ينمون غالبًا معارف وخبرات تتصل بمهام أو مجالات نوعية. فالشخص المهذب فى موقف ما، قد يتصرف بحماقة فى موقف آخر، وقد يتصرف الشخص الأكاديمى فى بعض المواقف على نحو جيد، ثم يأتى تصرفه - فى بعض المواقف الأخرى- أقل حذقًا، وذلك تبعًا لدرجة استخدامه لرجاحة عقله. وكلا الشخصين (المهذب، والأكاديمى) قد يتصرف على نحو أقل حذقًا من شخص رياضى. وينظر (كانتور)، و(كيلستروم) إلى الذكاء الاجتماعى كوحدة شديدة الأهمية ويضعانها فى موضع الصدارة من نظريتهما.

لدينا أخيرًا، مفهوم أنساق تنظيم الذات[٥]، الذى يتصل بكيفية وضع الأهداف المعقدة طويلة المدى، والحفاظ على اتجاهها، عبر مدد زمنية طويلة، حتى إذا لم تَلْقَ هذه الأهداف تعزيزًا خارجيًا فعالاً يمكن متابعته. إن ما يتم تأكيده هنا هو قدرة الأفراد على وضع خطط طويلة المدى، بهدف تحديد المعايير[٦]، وكيفية العمل بها،

Social Intelligence (١)
Task-Oriented (٢)
Task-Specific (٣)
Domain-Specific (٤)
Self Regulation Systems (٥)
Standers (٦)

وكيف يقاوم الفرد الإغراءات، ويحافظ على متابعة الاتجاه نحو الهدف بدون أن يصاب بالإحباط. فالأشخاص يضعون الأهداف لأنفسهم، ويختارون الخطط المناسبة لتحقيقها. وأثناء اقتفائهم لهذه الأهداف يراقبون أداءهم، ويُقوِّمون إنجازاتهم، ويكافئون أنفسهم بالإشادة بما حققوه من مكاسب، كما يعاقبون أنفسهم، بالنقد عند الفشل، الذى يسعون دائمًا إلى تجنبه.

اهتم (ميشيل) (Mischel, 1990) -بشكل خاص- بالاستراتيجيات التى يستخدمها الأطفال فى محاولاتهم لإرجاء الإشباع[1]. فعلى سبيل المثال، ماذا يفعل الطفل عندما يكون بصدد الاختيار بين الحصول على شيء متاح فى الحال -كعكة أو لعبة مثلاً- فى مقابل الحصول على شيء آخر غير متاح الآن، ولكنه أكثر قيمة -كعكة أفضل أو لعبة أفضل- إذا كان مستعدًّا لتحمل الانتظار لحين الحصول على ذلك الأخير؟ هذا الموقف كثيرًا ما يواجهه الأطفال، وكذلك الراشدون، ونجدهم عندئذ يهمسون لأنفسهم "أعرف أنه يجب علىَّ أن أنتظر، ولكن كيف أدفع نفسى إلى ذلك؟" وليس مدهشًا، أن يجد (ميشيل) أن الأطفال يكونون قادرين أكثر على الانتظار للحصول على المترتبات المرغوبة لهم مقارنة نسبيًّا بتلك المتاحة التى تنطوى على مترتبات أقل مرغوبية، وذلك إذا استطاعوا أن يصرفوا انتباههم بعيدًا عن الموضوع المتاح الأقل قيمة. وكما هو متوقع لمعظمنا، من السهل أن نرجئ موضوعًا مرغوبًا أمكن تجنب الالتفاف إلى هذا الموضوع. من ثم، تعكس القدرة على إرجاء الإشباع أهمية الكفاءة السلوكية المعرفية فى تنظيم الذات. فهى قدرة ثابتة عبر الزمن، وترتبط بالقدرة على تتبع الأهداف عبر المدد الزمنية الممتدة (Mischel, 1990, Shoda, Mischel & Peake, 1990)

واشتمل أحدث عرض لنظرية ميشيل على تطورين مهمين جديدين (Mischel, 1990, Mischel & Shoda, 1995, 1990) **أولهما**: أضيفت وحدة جديدة للشخصية، تتعلق بالوجدان والانفعال، مما أضفى بعدًا جديدًا إلى النظرية،

---

(1) Delay Gratification

حيث أضيفت الانفعالات الساخنة إلى المعرفة الباردة. **أما التطور الثانى**، فتعلق بتأكيد أهمية التفاعل بين وحدات الشخصية كجزء من النسق الدينامى. حيث يعكس السلوك المعقد التفاعل بين الوحدات وليس عمل الوحدات منفردة. فتتغير الوحدات النشطة -التى ترتبط بغيرها من الوحدات- على نحو متسق أثناء مسار السلوك اليومى وتدفقه، وتختلف وجهة النظر هنا كثيرًا عما هو مطروح فى نظرية السمات ووصفها الساكن (الاستاتيكى) لوظائف الشخصية · (Pervin, 1994a)، فبدلاً من الحديث عن نظرية معرفية اجتماعية تمامًا، نتحدث عن نظرية فى الشخصية تتناول نسقًا معرفيًّا ووجدانيًّا للشخصية[١].

إذن تقترح نظرية (ميشيل) عدة وحدات للشخصية تضم بينها: التكوينات الشخصية، واستراتيجيات الترميز، والأهداف، والتوقعات، والكفاءة، وأنساق تنظيم الذات، والوجدانيات، (جدول ٣ - ٣). ومع أن بعض الوحدات -مثل الأهداف- تنطوى على مكون دافعى، فإنها فى الأساس ذات طبيعة معرفية. وهذه الوحدات سبق أن أكد أهميتها ما أطلق عليهم كانتور وكيلستروم (Cantor & Kihlstrom, 1987)اسم "علماء الشخصية المعرفيون[٢]". وبالإضافة إلى تأكيد هذه الوحدات على المعرفة، فهى تؤكد كذلك على المعنى شديد الخصوصية، الذى يشير إلى احتمال تعلق الأفراد بالمواقف. لذلك فإنها تؤكد تنوع السلوك عبر المواقف، كعنصر مميز لاستجابة الأفراد عبر المواقف، حيث يتبنونها، ويستخدمونها كفروض لتحقيق الأهداف المرغوبة.

(١) Cognitive-Affective Theory

(٢) Cognitive Personologist

جدول (٣-٣)

وحدات الشخصية المقترحة: نظرية المعرفة الاجتماعية

١- التكوينات واستراتيجيات الترميز.　　٢- الأهداف.

٣- التوقعات.　　٤- الكفاءة.

٥- أنساق تنظيم الذات.

Sourse : "Toward a Cognitive Social Learning Recognition of Personality " by W. Mischel , 1973 , *psychological Review, 80* ; "Personality Dispositions Revised : A View After Three Decades" by W. Mischel 1990, in L.A. Previn (ED), *Handbook of Personality : Theory and Research* New York : Guilford.

من ناحية أخرى، هناك نقطتان أخريان تتعلقان بالتصور المعرفى الاجتماعى للشخصية، يتم تجاهلهما مرارًا، رغم أهميتهما، وهما:

أولاً : ضرورة عدم تجاهل أهمية الفروق الفردية وعدم التقليل منها. ولأن ميشيل كان ناقدًا لمنحى السمات، فقد نُظِرَ إليه أحيانًا على أنه من المعترضين على مفهوم الفروق الفردية. وفى الواقع ليس الأمر كذلك. فيعتقد ميشيل فى وجود الفروق الفردية، وفى وجود التهيؤ[١](Mischel, 1990). إن اعتراض ميشيل ينصب على نظرة نظرية السمات إلى الثبات عبر المواقف التى تتجاهل تمايز الوظائف المعرفية، وارتباطها بتنوع السلوك عبر المواقف. وهو يرى أن ذلك يحدث فقط، عندما يكون الأفراد فى حالة قلق مفرط، أو عندما تكون ذخيرتهم السلوكية محدودة، عندئذ يتصرفون بالطريقة التى يقترحها علماء السمة.

ثانيًا : لم يعن (ميشيل) بما للمواقف من تأثير على متغيرات الشخصية؛ فبسبب هجومه على نظرية السمات، ووصفه للسلوك بأنه يتسم -نسبيًّا- بالنوعية والموقفية، نُظِرَ غالبًا إلى ميشيل بوصفه عدوًّا لعلم نفس الشخصية. ومع ذلك، فإن

---

(١) Dispositions

اعتقاد ميشيل الواضح فى أهمية متغيرات الشخصية، وما تعنيه من زيادة قدرة الأفراد على اختيار المواقف وانتقائها، وقدرتهم -أيضًا- على إعادة تشكيل المواقف التى يعجزون - بصورة ما- عن تغييرها أو تجنبها، لم يجعل هذا منه ضد علم الشخصية، ولكن جعله بالأحرى صاحب تصور مختلف لهذا العلم، تبلور فى التصور المعرفى- الاجتماعى.

أضواء على الباحث

نسق الشخصية الوجدانى المعرفى

والتر ميشيل



ربما معرفة أن المسكن الذى عشت فيه أيام الطفولة كان قريبًا من مسكن سيجموند فرويد فى فينا، هو الذى جعلنى أصبح مفتونًا بتنظيراته. ومع أن هذا الجوار إلى جانب فرويد قد انتهى وأنا فى سن الثامنة -عندما اجتاح النازيون النمسا وفَرَّت عائلتى إلى نيويورك- فقد ظللت -على مدار السنوات العشرة التالية- راغبًا فى تطبيق أفكاره لمساعدة الناس بوصفى معالجًا نفسيًّا.

على أية حال، واجهتنى حالة من الازدواجية عندما رأيت أن كثيرًا من "الوقائع" التى كنت أعلمها للآخرين ربما عكست الإيمان المشترك لدى المعتقدين فى صواب هذه الأفكار أكثر مما كانت انعكاسًا للنتائج العلمية. وقد ازدادت تشككاتى عندما حاولت أن أطبق ما تعلمته لمساعدة المضطربين من المراهقين،

والمتوحدين، والمسنين الذين يعانون من العزلة، خلال عملى كأخصائى اجتماعى فى مناطق الشرق الأدنى من نيويورك، واكتشفت أن ما كنت أعلمه للآخرين لم يكن مرتبطًا بالعالم الواقعي ومجالاته.

لقد دعمت – بداخلى– بحوثى وخبراتى السريرية مثل هذه المخاوف. وخلال عملى كمرشد نفسى لمؤسسة "محاصيل السلام" the Peace Crops فى أوائل الستينات، اكتشفت أن الأشخاص –فى ظل ظروف معينة، وعندما يثقون فعليًّا فى علماء النفس– يصبحون راغبين فى تقويم أنفسهم وقادرين على ذلك، ويمكنهم التنبؤ بدقة بما يقترفونه من سلوك بصورة أكبر مما تكشف عنه أفضل الاختبارات المقننة المتاحة، أو الأحكام السريرية للمعالجين المحترفين.

أمدنا الوصف المقدم عن أبعاد السمات المشتركة لدى الأفراد (مثل الوعى أو الاجتماعية) بخلاصات عامة مفيدة عن مستويات السلوك الشائع أو المتوسط وإن كانت الأمور لا تزال يشوبها بعض النقص، وقد بَدا لى أن التمايزات الدالة المُميِّزة للفرد تكون –فى أغلب الأحيان– شديدة الوضوح لدى نفس الشخص. وغالبًا ما تلاحظ بشكل أوضح عبر الزمن و المواقف. فهل يكون الشخص الأكثر اهتمامًا بعائلته، والأكثر عطاءً، ومساندة لها فى سياق معين، أقل حنانًا وإيثارية تجاهها فى سياقات أخرى؟. هل تشكل هذه التباينات –باختلاف المواقف– أنماطًا ثابتة ذات دلالة بحيث يمكن النظر إليها كوظائف مميزة للشخص بشكل دائم أكثر من كونها وظائف عشوائية؟ وإذا كانت كذلك، كيف يمكن فهمها؟ وماذا تعكس؟ هل يؤخذ ثراؤها فى الحسبان عند تقدير الشخصية لتصور حجم الثبات والمرونة فى السلوك الإنسانى؟. هذه الأسئلة ظلت تؤرقنى، وأصبح الجهد المتطلب للإجابة عليها هدفًا أساسيًّا نذرت له بقية حياتى.

وقد بدأت –فى الوقت نفسه– أرى أن تأثير التنبيهات، أو المواقف، أو المكافآت، أو الضغوط التى يواجهها الأفراد يعتمد على كيفية ترميز الأفراد لهذه المتغيرات، وكيف يتمثلونها فى داخلهم، معرفيًّا، ووجدانيًّا. على سبيل المثال،

الطفلة نفسها التى لا تتحمل انتظار تحقيق رغباتها لأكثر من دقائق معدودة، ولا تقوى على إرجاء إشباع حاجاتها، قد تكون قادرة على انتظار إشباع الباحث لرغباتها -فى المواقف المعملية- إذا نجحت فقط فى أن تتمثل المعلومات، وأن تعيد التفكير فى المكافأة بأساليب مختلفة بعض الشيء. فإذا أثرت بشكل حاسم الطريقة التى يتمثل من خلالها الأفراد معرفيًّا التنبيهات أو المواقف التى يواجهونها، فستتطلب دراسة الفروق الفردية فى الشخصية التركيز على هذه الطريقة، وعلى المتغيرات المميزة للشخص "المتوسط". بمعنى آخر، يحتاج عالم نفس الشخصية أن يحدد المتغيرات النفسية الأساسية التى تقف خلف السلوك، ولا تلخص فقط المستوى العام، أو نمط السلوك الذى يسم الشخص النموذجى.

وتتلاقى نتائج البحوث المتراكمة -التى أجريت عبر العديد من السنوات- عند هذه النقطة، مقترحة مجموعة من المتغيرات الأساسية المتصلة بالشخص، والتى تقف خلف الفروق الفردية فى السلوك الاجتماعى للأشخاص وحالاتهم الوجدانية. ومن وجهة نظرى، تتجلى هذه المتغيرات فى الطرق التى يرمز من خلالها الأفراد، أو يتمثلون عبرها المواقف أو ما يتصل بأنفسهم. إنها التوقعات، والمعتقدات، والقيم، والأهداف، والمشاعر التى تصبح نشطة فى السياق الذى يواجهونه، والكفاءات والمهارات التى تكون متاحة ويستخدمونها للتعايش مع واقعهم. إنها التفاعل بين هذه المتغيرات داخل سياق المواقف الخاصة التى تقف خلف أنماط السلوك المتميز، والمشاعر التى تميِّز الأفراد.

لقد طرحت أنا ويوشى شودا Yuichi Shoda هذه الوجهة من النظر فى صورة "نظرية النسق المعرفى - الوجدانى" للشخصية. فى هذه النظرية، يتم تصور كل شخص كنسق معرفى وجدانى متميز، تولد تفاعلاته مع البيئة الاجتماعية أنماط السلوك المميزة له. وبالرغم من أن النسق نفسه يكون ثابتًا ومستقرًّا، فإنه يُوَلِّد أنماطًا من السلوك شديدة التغير، والتى تعتمد على المواقف والمعلومات التى تتم معالجتها، وعلى الفرد أيضًا الذى يفسرها ويتفاعل معها. لذلك فإن التنوع فى

السلوك، بدلاً من النظر إليه بوصفه يعكس عدم اتساق فى الشخصية، يمكن النظر إليه بوصفه يعكس البصمات المميزة للسلوك. ومن ثم فإن التحديات التى تلقاها البحوث المستقبلية تتمثل فى فهم كيف تتم التفاعلات بين نسق الشخص والمواقف التى تولد البصمة.

الدراسات التى توضح النوعية الموقفية

الى أى مدى يتسق سلوكنا عبر مختلف المواقف على النحو الذى تقترحه نظرية السمات؟ والى أى حد يتسم السلوك بالنوعية عبر المواقف، على النحو الذى يقترحه (ميشيل)؟ هذان السؤالان كانا محور اهتمام بعض الدراسات التى تناولت سلوك الأطفال داخل معسكرات الكشاف (Shoda, Mischel, & Wright, 1994). كانت نقطة الاهتمام فى هذه الدراسات، هى الكشف عن سيطرة الصيغة (إذا ··· إذن)على العلاقة التى تربط بين الفرد والموقف. بمعنى آخر، توضيح ما إذا كان لدى الأفراد أنماط ثابتة من السلوك تتغير تبعًا لدرجة التشابه والاتساق عبر المواقف. التأكيد هنا على الاتساق داخل مجالات المواقف، مع تأكيد وجود تمايز بين فئات أو سياقات المواقف. باختصار، الهدف من الدراسة هو توضيح أن السلوك مستقر (أو متسق) من ناحية، ومتنوع (أو معتمد على السياق) من ناحية ثانية.

فى هذه الدراسة، جمعت مشاهدات منظمة -عبر مراحل اليوم- عن سلوك مجموعة من الأطفال، يعانون من مشكلات سلوكية، خلال وجوده في إحدى المعسكرات الصيفية. وسجلت المشاهدات، التى تتصل بخمسة مواقف: [١] عندما يبادر زميل للطفل باتصال إيجابى معه. [٢] عندما يثير الزميل مضايقة للطفل ويستثيره أو يضايقه. [٣]عندما يتلقى الطفل مدحًا (كمكافأة) من راشد. [٤] عندما يحذِّر الراشد الطفل من فعل معين. [٥] عندما يعاقب الراشد الطفل. واختيرت المواقف الخمسة السابقة لأنها تضمنت مواقف إيجابية، وأخرى سلبية، كما تضمنت

تفاعلات للطفل مع الأقران، وأخرى مع الراشدين. وفى كل موقف، رصدت استجابة الطفل، وما إذا كانت استجابته عليه تضمنت إصدار أى من الاستجابات الخمسة الآتية: [١] عدوان لفظى، [٢] عدوان بدنى، [٣] أنين (أو انتحاب) [٤] إذعان (أو خضوع)[١]. [٥] الحديث قبل اجتماعى[٢]. وسجلت المشاهدات يوميًّا، خلال فصل الصيف، فى ضوء أنماط التفاعل النفسى التى تتم بين الأطفال عبر تلك المواقف. وتم ذلك، خلال خمس ساعات يوميًّا، على مدار ستة أسابيع من البرنامج الصيفى، بمتوسط ١٦٧ ساعة مشاهدة لكل طفل، بجهد مشكوك فى دقته!!

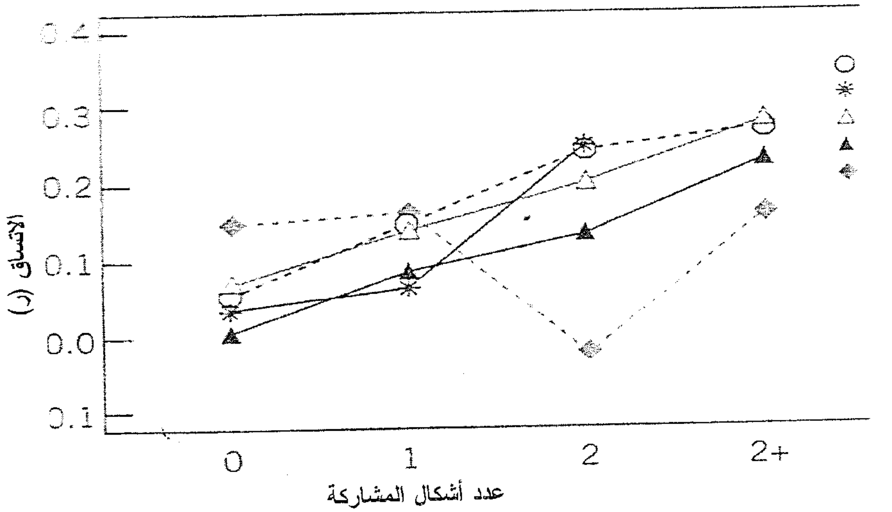
السؤال الذى حاول الباحثون الإجابة عنه ركز على ثبات السلوك عبر مواقف التفاعل الخمسة. وصيغت الأسئلة على النحو التالى: "ما احتمالات استجابة كل طفل بأى من فئات السلوك الخمس – سابقة الذكر– خلال أى من مواقف التفاعل الخمسة؟ هل هناك دليل على ثبات السلوك الفردى داخل كل موقف من مواقف التفاعل الخمسة؟ هل هناك دليل على ثبات السلوك الفردى عبر مواقف التفاعل الخمسة؟ وأشارت النتائج إلى ما يلى:

١– يتسم سلوك الأطفال بالثبات والاتساق داخل كل فئة من فئات المواقف النفسية، وليس عبر هذه المواقف، بمعنى آخر، الطفل الذى يستجيب بعدوان لفظى فى موقف مواجهة زميل له يتعمد مضايقته، من المحتمل أن يظهر هذا السلوك إذا حدثت هذه المضايقة، داخل كابينة قيادة لعبة القطار، أو داخل الملعب، أو داخل الفصل، ولكن ليس من الضرورى أن يظهر هذا السلوك فى الموقف الذى يلقى خلاله تحذيرًا شديدًا من أحد الراشدين، أو فى أى من مواقف التفاعل الأخرى.

---

(١) Compliance

(٢) Presocial Talk



° عدوان لفظى * عدوان بدنى Δ تأفف Δ خضوع ◊ حديث غير اجتماعى

شكل ٣-٢ اتساق الفروق الفردية فى السلوك (ر) تبعًا لتشابه المواقف (أشكال المشاركة). تشير البيانات إلى أنه باستثناء "الحديث غير الاجتماعى" هناك اتساق كبير فى الفروق الفردية فى السلوك كدالة للزيادة فى تشابه المواقف.

(Source: "From "Intra-Individual Stability in the Organization and Patterning of behavior: Incorporating Psychological Situations into the Idiographic Analysis of Personality ,"By Y. Shoda, W. Mischel , and J. c. Wright, 1994, Journal of Personality and Social Psychology, 67, p.6.Reprinted by permission of the American Psychologyical Association.)

٢- يميل الأفراد إلى الاتساق فى سلوكهم عبر المواقف النفسية الأكثر تشابهًا بعضها البعض على نحو أكبر مما هو الأمر فى حالة المواقف غير المتشابهة. وحُدِّد التشابه هنا فى ضوء حالة كانت المواقف مشتركة فى عدد من المظاهر مثل كون التفاعل إيجابيًا أم سلبيًا، وهل طرف التفاعل زملاء الطفل أم

الراشدون (شكل ٣-٢). ووفقًا لهذا، أوضحت النتائج ميل الفروق الفردية فى السلوك إلى أن تكون أكثر اتساقًا عبر المواقف النفسية المتشابهة، أكثر منها فى المواقف التى لا تكون متشابهة مع بعضها بعضًا.

٣- أظهر الأفراد -طوال الوقت- أن لديهم مخططات سلوكية ثابتة، فيما يتصل بأنماط المواقف التى يعبرون فيها عن سلوكيات التفاعل الخمسة، بمعنى آخر، كل فرد كان له نمط محدد فى التنوع فى التعبير عن السلوكيات الخمسة، فى المواقف الخمسة، وهو ما يسمى بالبصمات السلوكية[١]، أو بنمط العلاقات بين المواقف والسلوك.

٤- يزيد التجميع بين الفئات السلوكية[٢] والتركيب بينها عبر مدى متسع من المواقف، من ثبات الفروق الفردية فى السلوك، ولكن يبقى تأثير السياق الموقفى فى السلوك.

باختصار، خلص المؤلفون فى قبولهم للمفهوم المعرفى-الاجتماعى للشخصية[٣]، إلى أن الأفراد لديهم ميول سلوكية ثابتة، والتى تصبح سياقية فى حالة أنماط خاصة من المواقف النفسية، ويظهر تأثير الدعم[٤] من أجل افتراض الثبات، وليس العلاقات التمييزية " إذا ····إذن". وأخيرًا، توضح هذه الدراسة أن منحى السمة على الرغم من أنه يؤكد أهمية التجميع فى توضيح الفروق الفردية المتعلقة بمتوسط التوجهات السلوكية، فإن مثل هذا المنحى يتجاهل التمييزات الموقفية، والبصمات السلوكية المتفردة التى تمييز الشخص.

إن ما يقترحه هذا البحث هو أن كلاً منا له أسلوبه الشخصى فى السلوك، يتشابه داخل مجموعة محددة من المواقف، ويختلف فى مجموعة أخرى من المواقف. بمعنى آخر، كل منا لديه بصمات سلوكية مميزة، أو نمط من العلاقات

---

(١) Behavior Signature
(٢) Classes of Behavior
(٣) Cognitive -Social Conception of Personality
(٤) Support

التى تربط بين السلوك والموقف، فمن النادر أن نجد شخصًا انبساطيًّا أو انطوائيًا فى كل المواقف الاجتماعية، ولكن بالأحرى، نجد أن معظمنا لديه نمط من الميول الاجتماعية فى بعض المواقف، وميل إلى الخجل فى مجموعات أخرى من المواقف. فقد يملك اثنان نفس المتوسط من درجة الميل الاجتماعى، ومع ذلك، فإن مجموعة المواقف التى يظهر فيها كل منهما الميل للاجتماعية أو للخجل تكون مختلفة تمامًا. إن هذا النمط من الثبات أو التغير ينظر إليه ميشيل كمركز شخصية أى فرد.

ووفقًا لاعتقادات (ميشيل)، فإن الأفراد لديهم أنماط شخصية ثابتة، ولكنهم يستخدمون كفاءتهم المعرفية للتكيف مع المتطلبات المدركة للمواقف النوعية أو فئات المواقف. فى الواقع، إنه استخدام لكل الكفاءات التى تعطى بصمة متفردة لكل شخص.

النظرية المعرفية الاجتماعية لباندورا

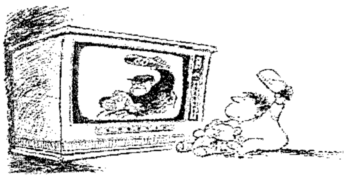
تتوازى التأكيدات النظرية لـــ (ألبرت باندورا) A.Bandura مع التأكيدات النظرية لـــ (ميشيل) من عدة جوانب، رغم أن جذورها فى هذا المجال بدت مختلفة تمامًا. فأطلق على نظرية الأول –فى البداية– اسم "نظرية التعلم الاجتماعى(١)"، التى كان اهتمامها ضئيلاً بالمتغيرات المعرفية. وبالتدريج تزايد تأكيد الباحث لأهمية هذه المتغيرات، مما جعل نظريته تعرف الآن باسم "النظرية المعرفية الاجتماعية للشخصية (Bandura, 1986, 1999).

والمتابع لما طرأ على وجهة نظر (باندورا) من تغيرات عديدة عبر تطور نظريته، يجد أن حجم هذا التطور فاق ما يحدث عادة فى مثل تلك النظريات، أو فى مثل تلك التحولات العلمية الجذرية(٢). بالإضافة إلى ذلك، اتسمت محاولات تطوير النظرية، بمظهرين جديرين بالانتباه: الأول، يتصل بما طرأ على النظرية من

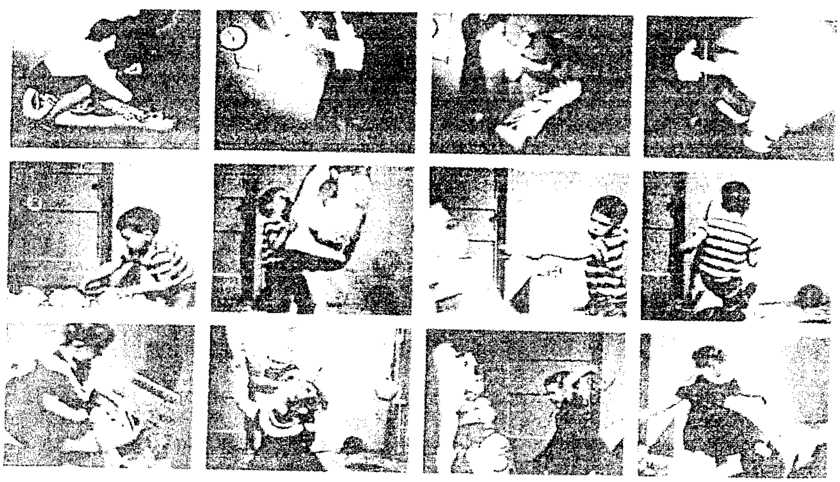
---

(١) Social Learning Theory
(٢) Radical Transformation

تغيرات ارتبطت بمجالات بحثية جديدة؛ فرغم التدريب العيادى الذى تلقاه (باندورا)، واهتمامه بعمليات التقدم العلاجى(١)، ظل يؤكد دائمًا أهمية الفحص التجريبى(٢)، وضرورة أن تخضع المفاهيم، والإجراءات الإكلينيكية للاختبار التجريبى.



التعلم بالمشاهدة. يمكن تعلم السلوك العدوانى من مشاهدة النماذج، بما فيها النماذج المشاهدة عبر التلفاز



التعلم بالمشاهدة. الأطفال الذين يشاهدون نموذجًا يظهر سلوكا عدوانيًا (يعاقبون اللعبة البلاستيكية كما هو واضح فى الأشكال الموجودة بالصف الأعلى)، يتعلمون (أو يكتسبون) هذه السلوكيات ويقدمون على فعلها عندما تتاح لديهم البواعث لفعل ذلك (الصف الأوسط والأدنى).

---

(١) Therapeutic Change

(٢) Experimental Investigation

أما المظهر الثانى، فتبدى فى استفادة (باندورا) -أثناء محاولته وضع نظرية مقبولة للشخصية- من التطورات التى حدثت فى المجالات الأخرى، وخاصة تلك التى حدثت فى علم النفس المعرفى، وعلم النفس الاجتماعى. وفى ظل الندرة الواضحة فى النظريات الشاملة فى مجال الشخصية، تقلدت النظرية المعرفية الاجتماعية لباندورا مكانتها البارزة ففى الفترة السابقة على بداية حقبة الستينات، ظهرت عديد من النظريات الضخمة، غطت علميًا جميع جوانب الاهتمام بالشخصية، فوجدت نظرية فرويد وغيرها من النظريات التحليلية، ونظرية (روجرز)، ونظريات السمات، والنظريات التى طرحها (كيللى) و(روتر). وفى بداية الستينيات، تزايد ظهور دراسات الشخصية التى تركز اهتمامها على المتغيرات النوعية، وفضل الباحثون النظريات الصغرى على النظريات الكبرى ذات الطبيعة الشاملة. وفى خضم ذلك، مثلت أعمال (باندورا) بزوغاً لإطار واسع لنظرية كبرى فى الشخصية، أو ما عبر عنه أحد الباحثين بقوله "ما الذى يمكن أن نطلبه أكثر من ذلك من زميل واحد يعمل منفردًا" (Baron, 1987, p415).

وبدلاً من الاستغراق فى تقديم تفاصيل النظرية، فسوف نركز اهتمامنا على ثلاثة من مكوناتها، ترتبط أكثر بالوحدات المعرفية للشخصية، وهى: [١] الجوانب المعرفية فى عملية التعلم أو اكتساب السلوك. [٢] الاعتقادات المتصلة بكفاءة الذات. [٣] المعايير والأهداف. وفى الواقع، ترتبط هذه المكونات الثلاثة -على التوالى- بما طرأ على النظرية من تطورات، وما طرأ على الإطار البحثى من تغيرات.

انصبت جهود (باندورا) المبكرة على دراسة التعلم بالمشاهدة(١) أى العملية التى يتعلم بها الأفراد غالبًا من خلال مشاهدة سلوكيات الآخرين. وترجع معظم الأفكار المتصلة بهذا إلى تصورات مُنظِّر التعلم (تولمان)، الذى أبرز أهمية

---

(١) Observation Learning

المتغيرات المعرفية فى التعلم، حيث ميز بين اكتساب السلوك[1] وأدائه، فدور التعزيز فى الحالة الثانية (فى حالة الأداء) دور أساسى، بينما لا يعد الأمر كذلك فى الحالة الأولى (فى حالة الاكتساب)، وهذا التصور هو ما يميز نظرية (تولمان) عن نظرية التعزيز [م ـ س]، وعن المنحى الإجرائى لسكينر Skinner؛ فكلتا النظريتين الأخيرتين تؤكدان أهمية دور التعزيز فى كل صور التعلم.

وفى بحثه التجريبى على الأطفال، حاول (باندورا) أن يوضح: "كيف يمكن تعلم السلوك فى غياب المكافآت؟ فى حين أنه لا يظهر كسلوك صريح إلا فى وجود هذه المكافآت. (Bandura, Ross & Ross, 1963)" ومن ثم، فى إحدى دراساته، شاهد الأطفال "قدوة" يصدر عنه سلوك عدوانى، تمثل فى إلحاق العقاب بالدُمْية البلاستيكية (بوبو Bobo) ولدراسة تأثير مكافأة النموذج على السلوك، شاهدت مجموعة من الأطفال النموذج وهو يكافأ على سلوكه العدوانى، فى حين شاهدت مجموعة ثانية النموذج وهو يعاقب على سلوكه. وشاهدت مجموعة ثالثة نموذجًا لا يتلقى أى مترتبات على سلوكه العدوانى. وفى ظل الظرف التالى[2]، ترك أطفال المجموعات الثلاثة بمفردهم فى الحجرة مع الدمية بوبو، ومع دمى أخرى كذلك، وشوهدوا من قبل الباحثين، للكشف عما إذا كانوا سوف يعبرون عن سلوكهم العدوانى تجاه الدمى أم لا. وقبل بدء التجربة، أجريت المشاهدات على الأطفال وهم يسلكون فى ظل غياب أى حوافز تدفعهم لتقليد سلوك النموذج. باختصار، أجريت هذه الدراسة، على ثلاث مجموعات من الأطفال، شاهدت كل مجموعة منها مترتبات مختلفة لسلوك عدوانى صادر عن نموذج (مكافأة النموذج ــ معاقبة النموذج، لا مترتبات على سلوكه)، وشوهدوا فى ظل ظرفين مختلفين (أحدهما لا يتضمن حافزًا[3]، والآخر يتضمن حافزًا).

Acquisition of Behavior (١)
Subsequent Condition (٢)
No Incentive (٣)

وطرح فى هذه التجربة سؤالان، الأول: هل أظهر الأطفال سلوكًا أكثر عدوانية عندما أعطيت لهم حوافز على مثل هذا السلوك؟

وأظهرت البيانات -بوضوح- أن كل مجموعات الأطفال الثلاث، أظهروا قدرًا أكبر من مظاهر السلوك العدوانى فى ظل ظرف الحفز، بالمقارنة بسلوكهم فى غياب هذا الظرف. بمعنى آخر تعلم الأطفال، (أو اكتسبوا) عديدًا من السلوكيات العدوانية، التى لم تظهر فى أدائهم فى غياب ظرف الحفز، ولكنها ظهرت فى ظل وجود هذا الظرف. وكانت المكافأة ضرورية للأداء، ولكنها لم تكن ضرورية لاكتسابه.

ونأتى للسؤال الثانى هل تؤثر المترتبات المتصلة بسلوك النموذج فى إظهار الأطفال للسلوك العدوانى؟ هنا اختلفت المشاهدات؛ فنجد أن المجموعات الثلاثة اختلفت فى درجة ما أظهرته من سلوك عدوانى فى غياب شرط الحفز. فمَنْ شاهدوا النموذج وهو يكافأ على سلوكه العدوانى أظهروا أكبر قدر من العدوان، فى حين أن الذين شاهدوا النموذج وهو يعاقب على سلوكه، أظهروا أقل درجة من العدوان. واختفت هذه الفروق بين المجموعات عندما وضع الأطفال فى ظرف لا يتضمن حفزًا؛ حيث تشابهت المجموعات الثلاث من الأطفال (مجموعة مكافأة النموذج، ومجموعة عقاب النموذج، ومجموعة اللامترتبات) تشابهًا كبيرًا فى سلوكهم العدوانى تجاه الدمية بوبو. وأظهر أطفال المجموعة الثانية (مجموعة معاقبة النموذج)، والذين لم يتعرضوا لظرف الحفز، أقل قدر من السلوك العدوانى، بالمقارنة بالمجموعتين الأخرتين. واللتين انتحتا العدد نفسه من السلوكيات العدوانية عندما لم تتلقيا حفزًا لفعل ذلك. ومن ثم، أشارت النتائج إلى تأثير مترتبات سلوك النموذج فى أداء الأطفال للسلوك العدوانى، وليس فى تعلمهم.

فى ضوء ما سبق، اقترح (باندورا) أن الأطفال يتعلمون -تقريبًا- أشياء كثيرة من خلال مشاهدة الآباء والآخرين، والذين يسميهم "النماذج". من خلال عملية يطلق

عليها اسم "النمذجة[1]". ومن ثم، تقدم (باندورا) خطوة للأمام ليفحص المجالات التى يمكن أن يمتد إليها المفهوم. أحد أهم المجالات التى امتد إليها البحث، بينت أن الأطفال يكتسبون الاستجابات الانفعالية، وأيضًا، الاستجابات السلوكية من خلال مشاهدة النموذج، وأطلق على هذه العملية اسم "الاشتراط بالعبرة[2]". فعلى سبيل المثال، وجد أن المبحوثين الآدميين الذين يشاهدون "نموذج" يعبر عن الخوف، يتكون لديهم "تشريط بالعبرة" لاستجابة الخوف من منبهات تكون أصلاً طبيعية (Bandura, Ross & Ross, 1963) وعلى نحو مشابه، يحدث "تشريط بالعبرة" لعدد من ردود الأفعال الانفعالية لدى صغار القردة، عبر مشاهدة الاستجابات الانفعالية للقردة الكبار. ومما يسترعى الانتباه الخاص -فى هذه البحوث- أنها توضح أن مدة مشاهدة ردود الأفعال الانفعالية، حتى لو كانت صغيرة جدًّا، قد تؤدى إلى مترتبات انفعالية واضحة تظهر فى مراحل متأخرة، على المدى الطويل، لدى من شاهدها. باختصار يمكن أن تُكتسب الانفعالات الشديدة، طويلة المدى والمرجأة من خلال مشاهدة النماذج، ولا يتطلب اكتسابها معايشة الخبرة المباشرة، فكثير مما نحبه أو نكرهه، ومما ننجذب إليه أو نخاف منه، يكون من خلال التعلم بالعبرة أكثر من معايشة الخبرة ذاتها على نحو مباشر.

وفى سنة ١٩٧٧، نشر (باندورا) مقالاً، ظهر فى ثناياه بوضوح أنه يمثل تحولاً جذريًّا فى أفكار (باندورا)، وأعماله. حيث حدث -فى الواقع- تحول تدريجى فى أفكار الباحث ودراساته، فى اتجاه مزيد من تأكيد أهمية المعرفة. فأبرز المقال أهمية مفهوم كفاءة الذات، واعتبره مركز التغير فى العلاج النفسى (Bandura, Ross & Ross, 1963). ويرتبط مفهوم باندورا عن كفاءة الذات بالقدرة المدركة على التوافق مع المواقف النوعية. فهو يتصل بما يصدره الأفراد من أحكام تركز على قدراتهم على الفعل وهم بصدد إنجاز مهمة معينة فى موقف معين. حيث تؤثر

(١) Modeling

(٢) Vicarious Condition

أحكام كفاءة الذات[1]– عند باندورا– فى اختبار أى الأنشطة نمارسها، وكم من الجهد نبذله فى الموقف، والى أى حد نثابر على أداء المهمة، وما هى ردود الفعل الانفعالية التى تصدر عنا حين نتوقع ما سيحدث فى موقف ما، أو حين نندمج فى هذا الموقف.

فنحن نفكر، ونشعر، ونتصرف على نحو مختلف فى المواقف التى نشعر فيها بالثقة فى قدراتنا بالمقارنة بالمواقف التى نشعر فيها بعدم الأمان أو عدم الكفاءة لذلك تؤثر اعتقادات كفاءة الذات فى أفكارنا، ودوافعنا، وأداءاتنا، ومستوى استثارتنا الانفعالية.

ومما يجدر ملاحظته حول مفهوم كفاءة الذات –لدى باندورا– أنه لا يشير إلى "ذات" الفرد، ولكن يشير بالأحرى إلى العمليات المعرفية التى يندرج تحتها مفهوم الذات. بمعنى آخر، تعبر "الذات" عن مفهوم، أو تكوين، أو تمثيل عقلى كغيرها من المفاهيم الأخرى، فيما عدا أنها أكثر أهمية من باقى المفاهيم فى تأثيرها على الأفكار والمشاعر والانفعالات، وهى مثلها يمكن أن تدرس بالطريقة نفسها التى ندرس بها باقى التمثلات العقلية، لذلك يمكن أن نهتم بالعوامل المؤثرة فى تطوير اعتقادات كفاءة الذات وكيف يمكن تغيير هذه الاعتقادات.

النقطة المهمة الأخرى المتصلة بمفهوم كفاءة الذات لدى باندورا، أنه لم يُشِرْ إلى مفهوم للذات الكلية[٢]؛ فالأفراد يكوّنون أحكامًا متصلة بكفاءة الذات عند التعامل مع مهام نوعية، ومواقف نوعية. وهم يعتقدون أنهم فعالون فى بعض المواقف بالمقارنة ببعضها الآخر. بمعنى آخر، إنه أكثر تأكيدا لفكرة "التنوع الموقفى". ومع أن بعض علماء النفس، يتحدثون عن أهمية كل من "مفهوم الذات[٣]"، و "تقدير الذات[٤]"، فإن (باندورا) يشير إلى أن مثل هذه المفاهيم ذات طبيعة شديدة الكلية

---

(١) Self – Efficacy Judgments
(٢) Global Self-Concept
(٣) Self Concept
(٤) Self-Esteem

والاتساع، ولذلك فهى ذات تنبؤ ضعيف بكيف سوف يؤدى الأفراد فى المواقف النوعية. إن مثل هذه المفاهيم تنطوى على درجة ما من العمومية، أو رحابة الرؤية وعلى درجة أقل من الوفاء بالهدف، أى القدرة على التنبؤ فى المواقف النوعية. ويحدث هذا لأن هذه المفاهيم لا تنجح –على نحو كافٍ– فى أن تكشف عن عديد من تباينات الأفراد التى تظهر عبر المواقف، وقدرتهم على التغلب على المتطلبات المختلفة المرتبطة بذلك.

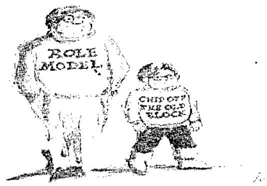
ويتضمن مجال الاهتمام الثالث لدى (باندورا)، الإسهامات المعرفية فى مجال الدافعية؛ ففى بعض الأحيان يتجاهل المهتمون بنظرية المعرفة الاجتماعية مجال الدافعية، رغم أن هذا المجال يندرج تحته موضوعات من قبيل الأهداف، والمعايير. فترتبط "الأهداف" بنقطة النهاية المرغوبة. ويرتبط "المعيار" بالنقاط المرجعية للسلوك أو الأداء المرغوب. وقد تكون المعايير خارجية، تعبر عن تقويمات مفروضة من قِبل الآخرين، كما قد تكون داخلية، معبرة عن تقويمات مفروضة داخليًّا. المدح والنقد –سواء أكانا داخليين أم خارجيين– يمثلان أنواعًا من السلوك توافق أو لا توافق. وعلى هذا تمثل المعايير أهدافًا علينا أن نحققها، وهى أيضًا أسس للمساندة المتوقعة من الآخرين أو من أنفسنا.

ويمكن أن نحدد ثلاثة اتجاهات تلخص أهمية العلاقة بين العمليات المعرفية والدافعية: أولاً، أوضح (باندورا) فى أحد البحوث التجريبية اعتماد الأفراد على عائد الأداء لاستمرار الارتباط بالهدف؛ فننجح غالبًا فى الاستمرار فى أحد المهام بدافعية مرتفعة عندما يكون لدينا معلومات كافية عن كيف نتقدم فى اتجاه الهدف على عكس افتقادنا لمثل هذه المعلومات. ثانيًا: تؤدى أحكام كفاءة الذات –كذلك– دورًا مهمًّا فى شحذ الجهد والدافعية. فنستطيع أن نحافظ على دافعيتنا إذا ارتفعت أحكام كفاءة الذات للوصول إلى الهدف. فإذا افتقد الفرد المعلومات التى تشير إلى تقدمه فى أداء المهمة، وإلى إدراكه لكفاءة ذاته، كان الجهد المبذول لتحقيق الهدف ضعيفًا. فى المقابل يتحمل الأفراد الجهد من أجل الوصول للهدف إذا حصلوا على عائد مناسب وكان لديهم إدراك مرتفع لكفاءة الذات فى أداء مهمة ما.

ثالث الجوانب التى تظهر من خلالها أهمية العمليات المعرفية فى أداء السلوك المدفوع تتمثل فى مفهوم التوقعات أو النتائج المرتقبة؛ فمن خلال الارتقاء المعرفى للتوقعات التى تهتم بنتائج الأفعال المختلفة يستطيع الفرد توقع نتائج السلوك قبل بدء الفعل، وكذلك يمكن للفرد توقع المكافآت والعقاب فى المستقبل.

وللعملية السابقة وعمليات الارتقاء المعرفى الأخرى أهمية خاصة فى ضبط وتنظيم الذات. إذن كيف يمكننا أن نستمر فى الارتباط بهدف، مع استمرار الوقت، ولمدة طويلة، وعلى وجه الخصوص فى غياب التعزيزات أو المكافأة الخارجية؟

الاقتداء بالنموذج: تؤكد النظريات المعرفية الاجتماعية أهمية مشاهدة الآخرين لاكتساب السلوك.



الإجابة: إننا نفعل ذلك من خلال قدرتنا المعرفية على الاحتفاظ بالهدف فى عقلنا، وكذلك القدرة على توقع المكافآت المستقبلية، كما أنه -جزئيًا- يقوم على أحكام كفاءة الذات الإيجابية، ومن خلال قدرتنا على تعزيز أنفسنا للتقدم تجاه الهدف.

أضواء على الباحث

نظرية كفاءة الذات

ألبرت باندورا



كان اهتمامى بكفاءة الذات المدركة تطورًا تلقائيًّا لمسار البحث، والسير فى اتجاه مختلف عما هو سائد. فقد حاولت أساليب العلاج النفسى التقليدية أن تغير السلوك الإنسانى معتمدة على الكلام والتحدث مع العميل. أما وجهة النظر المعرفية الاجتماعية، فسعت -بدرجة أكبر من الثقة- إلى تحسين السلوك الإنسانى بإدخال العميل فى خبرات متقنة الإعداد وليس باستخدام الحوار. وكترجمة لهذه الفكرة إلى ممارسات علاجية مع مرضى المخاوف المرضية، طورت أنا وتلامذتى طريقة فعالة ومتقنة للعلاج الموجه. إنها تجتز السلوك المتصل بالمخاوف واستجابات المشقة البيوكيميائية، وتزيل الأفكار المتصلة بالمخاوف، وتخلق اتجاهًا إيجابيًّا نحو ما كان يستثير سابقًا تهديدات مُخيفة. ويمكن لأى شخص أن ينجز هذه التغيرات المدهشة فى فترات قصيرة. ويجعلها دائمة وثابتة.

لتطوير هذا النمط من العلاج الفعال، أجرينا سلسلة من الدراسات حول سبل تقليل فرص الاستهداف للوقوع فى غمرة الخبرات السيئة المتصلة بالتهديدات الناشئة عن المخاوف المرضية التى قد تحدث فى المستقبل. لقد افترضنا أن

المرضى إذا لم يخبروا قدرًا من التهديدات المتصلة بالمخاوف بعد الاستعادة الكاملة لوظائفهم النفسية فإن هذه الخبرات البغيضة قد تعيد ثانية معاناتهم من المخاوف. أما إذا عايشوا عديدًا من المواقف التى تتيح لهم مواجهات بارعة لتهديدات المخاوف فور إتمام العلاج، فإن تأثير الخبرات السلبية التالية يمكن أن يصبح طبيعيًا نتيجة معايشتهم للخبرات الإيجابية الضخمة. ولاختبار هذا الفرض، هيَّأنا فرصًا لمعايشة المرضى خبرات ناجحة تتصل بتوجيه الذات فى مواجهة تهديدات المخاوف المختلفة، بعد أن تم استئصال اضطرابات المخاوف من المرضى. وبينت تقارير وتقديرات المتابعة أن المشاركين لم يحافظوا فقط على ما جنوه من مكاسب علاجية، ولكن طرأ عليهم أيضًا تحسنات بارزة فى مجالات نفسية لا تتصل إطلاقًا بتلك الاضطرابات المهددة. على سبيل المثال، بعد السيطرة على المخاوف المرضية المتصلة بالحيوانات، قل لدى المشاركين كذلك خجلهم الاجتماعى، وكذلك وظَّفوا ما لديهم من كفاءات فى مجالات أخرى مختلفة، ومارسوا مغامراتهم بطرق متنوعة. إن النجاح فى التغلب على المخاوف المرضية المفزعة خلال عدد قليل ومحدود من الساعات، والتى طوقت حياة المرضى، وأصابتهم بعديد من صور الأذى على مدار ٢٠ إلى ٣٠ عامًا أنتجت تغيرًا حادًا فى اعتقاداتهم حول كفاءتهم الشخصية وقدرتهم على التحكم فى حياتهم بدرجة أكبر. إنهم وضعوا أنفسهم فى اختبارات حقيقية واستمتعوا بالنجاح فى اجتيازها أكثر من الاستسلام لها والاندهاش منها.

لقد أعدت توجيه جهودى البحثية لأصل إلى فهم أعمق للكفاءة الشخصية. ولإنجاز هذه المهمة الجديدة وضعت نظرية تمثل مدخلاً ومفتاحًا لفهم مختلف جوانب الكفاءة الإنسانية. والتى تشمل جذور معتقدات الكفاءة، من حيث بنائها ووظيفتها، تأثيراتها المتعددة، العمليات النفسية التى تصاحبها، طرق التأثير التى يمكن من خلالها تطوير الكفاءة الإنسانية وتحسينها. وقد بينت دراساتنا أن معتقدات الكفاءة تقوم بدور مركزى، وممتد فى فهم السببية الشخصية Personal

Causation وراء السلوك، إنها تؤثر فى الكيفية التى يفكر بها الأفراد، وفى الكيفية التى يشعرون بها، ويستثيرون من خلالها دافعيتهم، وسلوكهم.

لقد أنتجت نظرية كفاءة الذات برامج بحثية عديدة، تشمل مجالات متنوعة للسلوك الإنسانى وبعيدة عن الأصل السرنديبى الذى نبعت فى ظله. هذا الحجم الضخم من التراث البحثى تمت مراجعته فى المجلد المعنون باسم: *كفاءة الذات: تمارين فى التحكم. Self-Efficacy: The Exercise of Control.*

امتد أيضًا التنظير والبحث فى كفاءة الذات المدركة فى اتجاهات متعددة. وتُدرس معتقدات كفاءة الذات الآن فى علاقتها بمحددات أخرى داخل الإطار الواسع للنظرية المعرفية الاجتماعية. وسوف يضيف تحليل محددات السلوك الإنسانى إلى فهمنا كيف تعمل الكفاءة الشخصية فى إطار السبب الشخصى.

إن التكيف الشخصى والتغيرات التى تطرأ على الفرد لها جذورها فى الأنساق الاجتماعية؛ فالنظريات الاجتماعية والنظريات النفسية غالبًا ما ينظر إليها كمفاهيم متنافسة عند وصف السلوك الإنسانى أو بوصفها مستويات مختلفة ممثلة للسببية. وفى الواقع لا يمكن فهم السلوك الإنسانى بوصفه منفصلاً تمامًا عن عوامل البناء الاجتماعى أو العوامل النفسية. فيتطلب الفهم الكامل له منظورًا متكاملاً تعمل خلاله المؤثرات الاجتماعية عبر الآليات النفسية لإنتاج مؤثرات سلوكية. وتبين البحوث الحديثة التى تجرى فى ظل الإطار الواسع للسببية أن الظروف الاجتماعية الاقتصادية تؤثر واقعيًا فى السلوك الإنسانى بشكل جزئى من خلال تأثيرها فى معتقدات الأفراد عن كفاءتهم. هذا المسار البحثى قد يزيد من فهمنا بشكل أفضل لكيف يصبح الأفراد منتجين فى مجتمعاتهم، وكيف يصبحون منتجين أيضًا لأنساقهم الاجتماعية.

تتأثر الحياة الإنسانية بشكل كبير بطبيعة البيئات الثقافية الاجتماعية التى يندمج داخلها الأفراد؛ فتتطلب كثير من تحديات الحياة التى تتصل بالمشكلات المشتركة أن يعمل الأفراد معا ليغيروا من حياتهم نحو الأفضل. فوراء القوة التى

تسم الأسر، والمجتمعات، والمؤسسات الاجتماعية، وحتى الدول هناك -جزئيًا- إحساس الأفراد بالكفاءة الجماعية التى يمكن أن يحلوا بها المشكلات التى يواجهونها ويحسنون من خلالها حياتهم عبر تكاتف جهودهم الموحدة. فمعتقدات الأفراد تؤثر فى كفاءتهم الجماعية فى شكل المستقبل الاجتماعى الذى يسعون لتحقيقه، فكم من الجهود يبذلونها فى اتجاه ذلك، وكم يتحملون ويصبرون عندما تفشل الجهود الجماعية فى الوصول إلى نتائج سريعة. إن معرفة دور الكفاءة الجماعية وكيفية تنميتها تنطوى على تضمينات اجتماعية جديرة بالاهتمام. فتتأثر الحياة فى المجتمعات الحديثة بحجم الزيادة فى التفاعلات المتبادلة بين الدول. إن حدثًا اقتصاديًا أو سياسيًا فى جزء من العالم يمكن أن يؤثر فى رفاهية عدد ضخم من السكان فى مكان آخر. لذلك أصبحت الكفاءة الجماعية المدركة، ذات أهمية متزايدة لمساعدتها فى اتساع رقعة فهمنا لكيف يمكن للأفراد ممارسة بعض التحكم فى اتجاه حياتهم ونوعيتها.

وفى المقابل نجد مشكلة كبيرة عندما يكون لدينا قدرات معرفية محدودة للاحتفاظ بالهدف فى العقل لمدة طويلة أو عندما تكون لدينا قدرة محدودة لتوقع المستقبل، وعندما لا نعتقد فى أن لدينا فرصة لاستمرار الهدف، وعندما لا نحصل على مكافآت داخلية أو خارجية للتقدم المنجز.

تناولنا فى هذا الجزء بشكل سريع الاهتمام بالدوافع وهى مجال اهتمامنا فى الفصل القادم؛ ذلك لأنه من الصعب وضع حدود جامدة بين وحدات الشخصية. ومن المهم أن نؤكد فى هذه النقطة على المتغيرات المعرفية مثل التوقعات وعائد الأداء والتمثيل المعرفى للأهداف والمعايير ومعتقدات كفاءة الذات.

وقد أصبح عمل باندورا فى هذا المجال ذى التوجه المعرفى أكثر تأثيرًا وأصبح مفهومه عن كفاءة الذات ذا أهمية على وجه الخصوص فى مجال العلاج النفسى والصحة؛ حيث أجريت بحوث متعددة عن الإجراءات العلاجية التى تزيد

من كفاءة الذات المدركة فى اتِّباع سلوكيات تحسين الصحة والاستجابة للمشقة، وتفترض البحوث بشكل واضح أن كفاءة الذات المدركة ترتبط باستعداد الأفراد لاتِّباع سلوكيات تحسين الصحة. كما أوضحت دراسات أخرى أن انخفاض الاعتقاد فى كفاءة الذات يرتبط باستجابة المشقة وبضعف وظائف جهاز المناعة فى الجسم، ومثل هذه الدراسات عند باندورا وغيره من علماء نفس الشخصية تقدم برهاناً واضحًا على أهمية المتغيرات المعرفية فى أداء الشخصية.

ومن المهم هنا قبل إنهاء مناقشتنا حول أعمال باندورا أن نشير للعلاقة بين أعماله ودراسة الفروق الفردية، ففى معظم الأحوال لم يجعل باندورا الفروق الفردية النقطة المحورية لبحوثه حيث لم يبدأ من خلال الفروق بين المجموعات فى خصال الشخصية أو فى السمات. فباندورا يتشابه مع "ميشيل" فى أنه لم يهتم بالخصال الواسعة وبتصنيف الأفراد. وعلى العكس، تركزت أعماله فى المقابل على البناءات والعمليات المعرفية المهمة لكل الأفراد فى علاقتها بالفروق الفردية. وكانت أعمال باندورا فى معظم الأحوال تجريبية أكثر منها ارتباطية، واهتم بالشخصية بشكل خاص وكذلك اهتم بالفروق الفردية. ومع ذلك فقد تركز الاهتمام على تكيفية الأفراد للمواقف والمهام النوعية خاصة التى تتضمن عمليات معرفية.

هل التقارب بين السمة والمعرفة الاجتماعية ممكن؟

بعد سنوات عديدة من الخصومة والجفاء بين علماء نفس السمة، وعلماء المعرفة الاجتماعية، دعا كل من ميشيل وشودا (Mischel & shoda, 1998, 1999) إلى التقارب (أو إقامة علاقات حميمة) بين الفريقين، ومد الجسور بين منحيى الشخصية. وارتكز اقتراح الباحثين إلى صعوبة وجود عالمين للشخصية، وهو ما يستلزم شق طريق للتكامل بين المنحيين، ذلك الذى يركز على الانتظامات البنائية، والآخر الذى يركز على العمليات الدينامية:

"إن المجال الآن فى نقطة اختيار حاسمة؛ علينا أن نحاول حفر قناطر تكامل بين الفرعين.... إن غياب مثل هذا التكامل سيجعل من استمرار انقسام علماء

الشخصية على أنفسهم الى فريقين أمر أكثر احتمالاً ففى أحسن الأحوال سيصبحان مختلفين عن بعضهما بعضًا، وفى أسوأ الأحوال، سيحفر كل فريق للآخر حفرًا، وفى كلتا الحالتين سيصبح من الصعب أن يتكون منهما علم تراكمى مترابط (Mischel & shoda, 1998, p.23).

إن الهدف الأكثر أهمية يتصل بالسؤال: "ما مدى إمكان إحداث مثل هذا التقارب؟ فى الوقت الراهن، يبدو أن هذا أمر غير محتمل، والسبب الأول وراء ذلك، هو أن علماء كلا الفريقين غير معنيِّين إطلاقًا بذلك. فاستمر باندورا (١٩٩٩) ناقدًا لنظرية السمات، ومعارضًا لنموذج السمة ومتعاطفًا مع الوحدات المعرفية الاجتماعية للشخصية، وبعيدًا عن الاستثمار الشخصى، فإن علماء النفس الفرديين لديهم ذلك فى نظرياتهم الخاصة؛ فهناك فروق أساسية بينهم بين مناحى السمات والمناحى المعرفية الاجتماعية فى الشخصية. وتتصل هذه الفروق بالجانب المفهومى والجانب المنهجى، ويتضمن الجانب المنهجى فروقًا فى مناحى البحث التى أكدنا عليها فى الفصل الأول. وفى بعض المواضع فى المستقبل، فإن نظرية الشخصية التى تكامل بين البناء والعملية، ستطور وحدات الفروق الفردية، التى يؤكد عليها علماء السمات، ووحدات العمليات المعرفية التى يؤكد عليها العلماء المعرفيين الاجتماعيين. ومع ذلك فمثل هذا التطور لا يبدو أنه سيكون فى الأفق المباشر، وأى شكل ستتخذه هذه النظرية أمر غير واضح تمامًا.

وحدات معرفية إضافية :المخطط، والعزو السببى، والاعتقادات

تركز اهتمامنا – فى الجزء السابق من هذا الفصل– على النظريات التى تؤكد بشدة أهمية المفاهيم المعرفية[١]، وفى الجزء الحالى، سنهتم بثلاثة مفاهيم أخرى، ذات أهمية كبيرة فى المناحى المعرفية للشخصية[٢]، ولأننا سنولى هذه المفاهيم – فى الفصول القادمة– اهتمامًا خاصًّا، فلن نستفيض فى مناقشتها هنا، بل سنتناولها

---

(١) Cognitive Concepts

(٢) Cognitive Approaches To Personality

بوصفها أمثلة للمفاهيم الأخرى التى يتم استخدامها فى إطار المنحى المعرفى للشخصية.

المخططات[1]

يزخر العالم من حولنا بالمعلومات، وتزخر عقولنا كذلك بها. وفى ظل تعدد زوايا النظر إلى هذه المعلومات، يصبح من الضرورى الوصول إلى طرق لتصنيفها إلى فئات، حتى تسهل معالجتها معالجة حصيفة، تسمح بالاقتصاد فى الجهد الفكرى. فعلى سبيل المثال، بدلاً من التعامل مع وسائل المواصلات بوصفها أنواعًا مختلفة، فإننا نصنفها إلى فئات محددة، فيدرج بعضها تحت فئة السيارات، وندرج بعضها الآخر تحت فئة الشاحنات.. إلى آخره. ويبين لنا هذا المثال، أنه رغم تعدد أنواع وسائل المواصلات واختلافها، نستطيع دائمًا أن نصنفها فى مجموعات -نطلق على بعضها السيارات، وعلى بعضها الآخر الشاحنات- رغم إدراكنا أن استخدامات السيارات تختلف عن استخدامات الشاحنات. إن هذا التصنيف يبسط إدراكاتنا للعالم من حولنا، ويسهل تذكرنا واستدعاءنا لمختلف مفرداته، وهو ما يسمح لنا بالتقدم نحو اتخاذ أنسب القرارات. وعلى القارئ أن يتصور ما كان من الممكن أن يحدث إذا تناولنا كل تنبيه نتعرض له على أنه تنبيه جديد تمامًا، مع غياب طريقة لمعالجته بوصفه شيئًا مشابهًا لشىء آخر نعرفه. عليك أن تتوقع كم حجم الوقت المستنفذ لأداء فعل معين، إذا لم يكن لدينا طريقة لتنظيم ما هو متاح من معلومات؛ فبدون وجود طرق لتنظيم عالمنا، سنغرق فى زخم المعلومات، ونعجز عن أداء الأفعال على نحو تكيفى، ومن ثم يعد "التصنيف إلى فئات[2]" من الطرق شديدة الفائدة فى تنظيم المعلومات.

ويشير المخطط إلى مثل هذه الفئات، أو الطرق المستخدمة فى إدراك العالم والذات. فهو بمثابة البناء المعرفى الذى ينظم المعلومات، والذى يؤثر فى كيفية

---

(١) Schema

(٢) Categories

إدراك ما هو جديد منها وتنظيمها، واستدعائها. أى أنه – بمصطلحات معالجة المعلومات– يؤثر فى كيفية ترميز المعلومات وتخزينها واستدعائها. إنه يشبه مصطلحى "كيللى" المفهوم أو التكوين. كما ينظر إلى عوامل السمات التى ناقشناها فى الفصل الثانى، والوحدات المعرفية التى ناقشناها فى هذا الفصل بوصفها أنواعًا أيضًا من المخططات.

وتشير البحوث إلى أن بعض الأفراد ينظرون إلى الشخصية بوصفها مجموعة من السمات الجامدة، فى حين أن آخرين ينظرون إليها بوصفها مكونة من عديد من المتغيرات، ويستخدمون فى وصفها "المصطلحات النوعية للموقف[1]" (Chiu, Hong & Dweck, 1997, J.G., Miller, 1999). كما أن هناك من الدلائل ما يشير إلى ميل الأشخاص إلى استخدام مخططات "السمة" لوصف الأشخاص غير المألوفين لهم، فى حين نجدهم أكثر اعتمادًا على المخططات المعتمدة على السياق[2] (مثل الأهداف، والعناصر الموقفية) لوصف من هم على ألفة بهم (Idson & Mischel, 2001). وعلى هذا، يكمن جزء من الفروق بين "باحثى السمة"، و"الباحثين المعرفيين/الاجتماعيين"، فيما يتبناه كل فريق منهما من مخططات تتصل بالطبيعة الإنسانية.

ومن وجهة نظر باحثى الشخصية، يختلف الأفراد فيما يكوِّنونه من مخططات، وما يُقيمونه من علاقات بينها، كما يختلفون فى الطرق التى يعالجون بها ما يتصل بهذه المخططات من معلومات. وكما سبق أن لاحظنا أثناء مناقشة نظرية كيللى، قد يجد شخصان صعوبة فى فهم بعضهما بعضًا إذا لم يشتركا فى تبنى مخططات متشابهة. وقد ينشأ بينهما مشكلات، إذا تبنيا مخططًا له اسم واحد، ولكنه –مع ذلك– يضم بداخله عناصر مختلفة، وهذا يحدث غالبًا عندما يعتقد شخصان أنهما يفهمان بعضهما بعضًا، ويستمران فى الاعتقاد فى ذلك، ثم يكتشفان فى النهاية فقط أنهما

---

(1) Situation -Specific Terms

(2) Context –Dependent Schema

يتحدثان عن أشياء مختلفة. فعلى سبيل المثال، قد يكون لدى الشخصين مخطط باسم "الإخلاص[1]" ولكن أحدهما يضمّن مفهوم "الكذب لحماية الأصدقاء" كجزء من هذا المخطط، فى حين أن الآخر لا يضمّن هذا المفهوم فى مخططه. وعلى نحو مشابه، قد يكون لدى الشخصين مخطط باسم "العدائية[2]"، يضمن أحدهما بداخله مفهوم "السخرية[3]" فى حين لا يضمن الآخر هذا المفهوم فى مخططه.

ويعرف علماء النفس المعرفيون المخطط بأنه "الطريقة التى يُدرك بها الأفراد الآخرين، ويدركون بها أنفسهم". والمخططات أنواع، منها ما هو مشترك ثقافيًا، ومنها ما هو متفرد ومميز للأشخاص. ومن وجهة نظر علماء نفس الشخصية المعرفيين، يعد مفهوم المخطط من المفاهيم المفيدة فى دراسة طرق الأفراد فى معالجة المعلومات، وهو ما يمكن تحقيقه غالبًا عبر الأساليب والإجراءات التجريبية للإجابة عن أسئلة من قبيل: هل تختلف المخططات، وطرق معالجة المعلومات لدى الذكور عنها لدى الإناث؟ وهل يؤثر وجود مخطط معين عن الذات فى الطريقة التى ندرك بها الأحداث المتصلة بأنفسنا؟ وهل يمكن أن نصبح شيئًا ما إذا لم يكن لدينا مخطط متصل به؟ بمعنى آخر هل أستطيع أن أنقص من وزنى، إذا لم يكن لدى مخطط عن نفسى كشخص أنحف مما أنا عليه؟ هل يختلف ما لدى المكتئبين من مخططات، وطرق معالجة المعلومات عما لدى غير المكتئبين؟. هذه أمثلة للأسئلة التى هى موضع اهتمام علماء نفس الشخصية المعرفيين، وكما هو واضح، سيكون لدينا الفرصة لإعطاء مزيد من الاهتمام لكثير من هذه الأسئلة فى الفصول القادمة.

أنواع العزو والتفسير

يؤكد معظم علماء نفس الشخصية المعرفيين على أهمية التوقعات[4]. ولكن

Loyalty (١)
Hostility (٢)
Sarcasm (٣)
Expectancies (٤)

عَلامَ تبنى التوقعات؟. يبنى جزء كبير من توقعاتنا على تذكرنا للأحداث السابقة، وعلى ما نعزوه، أو نتبناه من تفسيرات لهذه الأحداث؛ فوفقًا لمنظرى العزو، عندما يقع حادث معين –خاصة ما له دلالة أو ما يثير الدهشة والانتباه– فإننا نسأل أنفسنا لماذا وقع هذا الحادث؟ (weiner, graham, 1999) . فمثلاً قد يسأل الشخص نفسه: لماذا تصرف معى (محمود) بهذه الطريقة الحادة؟ ولماذا كان اليوم (يحيى) ظريفًا؟ ما ننسجه من توقعات بشأن هذه الأحداث هو ما نسميه بـــ "العزو السببى[1]"، الذى يؤدى دورًا مهمًّا فى تحديد ردود أفعالنا الانفعالية تجاه الأحداث، وفى نسج توقعاتنا نحو المستقبل.

واهتم المنظرون المعرفيون بكيف تتم عملية العزو السببى؟ وهل هناك توقعات محددة يعتمد عليها الأشخاص فى عزوهم للأحداث؟ وإذا كان ذلك كذلك، ما الذى يحدد تبنيهم لإحدى هذه التوقعات دون غيرها؟. وبالإضافة إلى مثل هذه الأسئلة يهتم علماء نفس الشخصية المعنيون بالعزو السببى بموضوع الفروق الفردية فى العزو؛ فيهتمون بسؤال مثل: هل يميل بعض الأفراد إلى الاعتماد أكثر على بعض التفسيرات، فى حين يميل البعض الآخر إلى نمط آخر من التفسيرات؟ وما هى مترتبات هذه الفروق –إن وجدت– على وظائف الشخصية؟.

تناولنا فى الفصل الأول دراسة (سيلجمان) وزملائه عن علاقة العجز المتعلم[2] بالعزو السببى للاكتئاب. وحينئذ وُصِف استخبار أسلوب العزو[3] بأنه طريقة لتحديد الدرجة التى يعزو بها الأفراد الأحداث الإيجابية (أو السلبية) إلى أسباب داخلية، ثابتة وشاملة. ويرى هؤلاء الباحثون أن دراسة مثل هذا العزو له تطبيقاته المفيدة فى فهم مرض الاكتئاب. وفى هذا السياق، تشير بحوث أخرى إلى ارتباط "أسلوب التفسير التشاؤمى[4]" (أى أسلوب العزو الداخلى للأحداث السلبية

---

(١) Casual Attributions

(٢) Learned Helplessness

(٣) Attribution Style Questionnaire

(٤) Pressimistic Explanatory Style

الذى يتسم بالثبات والشمول) بضعف الأداء الأكاديمى فى حين يرتبط أسلوب التفسير التفاؤلى[1] بممارسة الأنشطة الرياضية (Peterson & Park, 1998) لذلك، تكشف هذه الدراسات عن الفروق الفردية فى العزو، وأهمية مثل هذه الفروق فى دراسة الانفعال والدافعية.

وسوف تتاح لنا الفرصة فى الفصل القادم للاهتمام بجهود منظرين آخرين فى العزو، والاهتمام كذلك -على نحو أعم- باستعراض تطبيقات أخرى لمختلف أساليب العزو وعلاقتها بالوظائف الدافعية والشخصية.

الاعتقادات

"الاعتقاد" هو الوحدة المعرفية الأخيرة التى سنوليها اهتمامنا فى هذا الجزء من الفصل. وهو -أيضًا- من المفاهيم التى سبق أن تناولناها من قبل، على نحو ما حدث عند مناقشة تأكيد (باندورا) لأهمية اعتقادات كفاءة الذات. وتعبر الاعتقادات عن الاقتناع بأن شيئًا صواب أو خطأ، كالاعتقاد بأن العالم هو المكان المناسب لمعيشتنا أم لا؟ واعتقادنا فى مدى كون هذا الشخص جدير بشغل منصب معين أم غير جدير بذلك؟ وهل هو شخص حسن السلوك أم لا؟. ويختلف الأشخاص فى مضمون اعتقاداتهم، وفيما يتبنونه من اقتناع يتصل بها، وما يرتبط بذلك من انفعالات ومشاعر. ومرة أخرى يتضح لنا أننا بصدد وحدة معرفية مهمة، لها أهميتها فى فهم الشخصية.

إن مفهوم الاعتقادات مفهوم واسع جدًّا فى دلالاته، لذلك يستخدم فى عديد من المجالات، وسوف نتطرق باختصار لمجالين بارزين من بين هذه المجالات، يتصلان مباشرة بوظائف الشخصية، وسوف نتناولهما -فيما بعد- بمزيد من التفصيل.

أول مجالات الاهتمام البارزة بالاعتقادات هو مجال دراسة المَشَقَّة، ويفترض

---

(1) Optimistic Explanatory Style

الباحثون هنا أن مقدار ما نعايشه من مشقة يتأثر باعتقاداتنا بالمخاطر التى تهددنا، وقدراتنا على التعايش معها. فاستخدم (لازاروس (1991) Lazarus –وهو احد الرواد فى هذا المجال– (انظر الفصل العاشر) مصطلح التقدير[١] ليشير به إلى العملية التى يقوِّم بها الأشخاص العوامل الداعمة فى الموقف، التى تيسر المواجهة الممكنة للمشقة، وما إذا كانت مواردهم[٢]، وإمكاناتهم كافية لسد احتياجاتهم فى الموقف أم غير كافية.

ويختلف الأشخاص فى تقديراتهم لاحتمالات ما سوف يعود عليهم بالضرر أو الفائدة فى مختلف المواقف. كما يختلفون فى تقديراتهم لمصادر التأثير إذا ما وقع الضرر أو الفائدة. وفيما وراء دراسة المشقة، ينظر إلى مثل هذه التقديرات بوصفها مهمة فى تحديد الانفعالات النوعية التى يعايشها الفرد فى مختلف المواقف، وفى تحديد طبيعة حياته الانفعالية عمومًا.

وتكشف مناقشاتنا للوحدات المعرفية المتصلة بالمخطط، والعزو عن تطبيقاتها المهمة فى مجال حسن الحال الوجدانية[٣] للأفراد. وهو ما ينطبق كذلك على الاعتقادات، حيث يهتم منظرو الشخصية المعرفيون المعنيون بالاضطرابات فى وظائف الشخصية، وبالتغيرات العلاجية بتأكيد أهمية مفاهيم مثل: الاعتقادات غير التكيفية[٤] والاعتقادات غير العقلية[٥] (انظر: الفصل ١٢).

وتؤثر الاعتقادات غير التكيفية سلبًا فى الوظائف التكيفية[٦]؛ فمثلاً، يؤثر الاعتقاد العام بأن "أفعال الفرد لا تتأثر بأحداث الحياة"، فى إقدام الشخص على التصرف على نحو تكيفى. فغالبًا تتسم الاعتقادات غير التكيفية بنوعية التنبؤ

Appraisal (١)
Resources (٢)
Emotional Well Being (٣)
Maladaptive Beliefs (٤)
Irrational Beliefs (٥)
Adaptive Functions (٦)

المتصل بتحقيق الذات[١]"، فعلى سبيل المثال، اعتقاد المكتئب أنه مرفوض من الآخرين مما قد يجعله يتصرف بطريقة من شأنها أن تؤدى به إلى الوصول فعليًّا إلى هذه النتيجة السلبية، فتتأكد بذلك اعتقاداته، دون أن يعى أن المشكلة تكمن فى طبيعة اعتقاداته هو نفسه. أما الاعتقادات اللاعقلانية فهى الاعتقادات غير المنطقية، ومن أمثلتها الواضحة، "إذا حدث شيء ما (أتشاءم منه)، فهناك أشياء سيئة من الضرورى أن تعقب ذلك" أو "إذا عبَّرتُ عما أريده للآخرين فسوف يقابلونه بالرفض". (Ellis & Harper, 1975).

هنا أيضًا، قد يرتبط الاعتقاد بـــ "جودة تحقيق الذات[٢]". ويصعب فى الغالب تقويم جانب المنطقية فى الاعتقاد. فإذا اعتقد الفرد مثلاً أنه مضطهد، فقد يكون ذلك هذاء (أى اعتقادًا خاطئًا[٣])، وقد يكون –على العكس– اعتقادًا صحيحًا، ففى معظم الحالات، تتسم الاعتقادات غير العقلانية بأنها أضعف فى استنادها إلى الأدلة من الاعتقادات العقلانية وقد يبدو هذا –على الأقل– صحيحًا فيما يتصل بالاعتقادات غير العقلانية التى يتبناها المضطربون ممن يعانون من مشكلات نفسية. وهؤلاء –غالبًا– يكونون على وعى بعدم معقولية اعتقاداتهم، ولكنهم غير قادرين على فعل أى شيء إزاءها، فنجدهم يرددون "أعرف أن هذا ليس له معنى ولكن".

الخلاصة، يهتم عديد من منظرى الشخصية المعرفيين بتقديرات الأفراد لمدى كون اعتقاداتهم تكيفية أم غير تكيفية، منطقية أم غير منطقية. فتشكل بعض الاعتقادات أجزاء كبيرة من عدد من النظريات الفردية، وهو ما يصدق على الاعتقادات فى كفاءة الذات فى نظرية باندورا، والاعتقادات المتصلة بوجهة الضبط فى نظرية (روتر). وهناك اعتقادات أخرى تعد أكثر نوعية فى عدد من المجالات البحثية النوعية، كما هو فى عمل (سليجمان) على الاكتئاب والتفسيرات السببية للأحداث.

Self – Fulfilling Prophecy (١)
Self – Fulfilling Quality (٢)
False Belief (٣)

العلم العصبى المعرفى

تركز اهتمامنا فى الفصل الثانى، على السمات فى جوانبها البيولوجية والثقافية. وعلى نحو مشابه، سوف نتناول -فى هذا الجزء من الفصل- التطورات فى مجال العلم العصبى المعرفى[1]، على أن نتبع ذلك -مباشرة- بتناول الجوانب الثقافية المتصلة بالعمليات المعرفية.

يمكننا بوضوح أن نُطلق على هذا العِقْد من القرن: "عِقْد المخ[2]"؛ فمما لا شك فيه أننا حققنا -فى السنوات الأخيرة- مكاسب ضخمة فى فهم وظائف المخ، صاحَبَها نمو متزايد -أيضًا- فى التقنيات التى ستساعد مستقبلاً فى زيادة هذا الفهم. إذن هل يمكن فهم "العقل[3]" بفهمنا لوظائف "المخ"؟ هل بالغنا فى إعطاء كل هذه القيمة للمخ، فى حين أنه مجرد كمبيوتر معقد؟ هل يمكن ربط الفروق الفردية فى الوظائف المعرفية بالفروق فى بناء المخ ووظائفه؟ هذه بعض الأسئلة من بين عدة أسئلة مطروحة، لازالت محل اهتمام كل من: علماء الأعصاب المعرفيين، وعلماء النفس، وغيرهم من العلماء.

أحد الموضوعات الشيقة المتصلة بموضوع الفروق الفردية فى وظائف المخ، طُرِح فى كتاب شائع باسم "قيادة مستر ألبرت: رحلة عبر أمريكا بصحبة مخ أينشتاين[4]". فى هذا الكتاب، وصف الكاتب رحلته عبر الولايات المتحدة بصحبة الباحث فى علم الأمراض الذى استأصل -لأغراض علمية- مخ ألبرت أينشتاين. حيث سافرت أجزاء من مخ عالم الفيزياء الشهير بصحبة هذين الباحثين لتسليمها إلى أحد أقاربه.

ويرجع -جزئيًّا- السبب وراء شيوع هذا الكتاب إلى الوصف الدرامى الملحمى لرحلة المخ عبر مختلف الدول، كما يرجع أيضًا إلى غرابة أطوار الباحث

---

(١) Cognitive Neuroscience

(٢) Decade of The Brain

(٣) Mind

(٤) Driving Mr. Albert : A Trip Across American With Einstein's Brain

الباثولوجى الراعى لمخ أينشتاين، فضلاً عن التشويق المتصل بالسؤال الغامض الذى كان موضع اهتمام الباحث الباثولوجى عبر ٤٠ سنة، واستحوذ على تفكيره لمدة طويلة، وهو "هل يمكن أن نحدد الموضع المسئول عن العبقرية فى مخ (أينشتاين)؟"، هل ترقد العبقرية العقلية داخل المخ؟ ما هى الأسس العصبية للذكاء؟. إن البحث- بالطبع- فى الفروق فى تشريح المخ التى قد تتسبب فى الفروق الفردية الشخصية -بما فى ذلك الذكاء- لها تاريخ طويل. وأكثر جوانب هذا التاريخ استحقاقًا للذكر، تتصل بجهود (فرانز جوسيف جال) F.J.Gall ، مؤسس علم الفرَاسَة[1](*). ففكر "جال" -بوصفه باحثًا فى علم الأمراض- فى تحديد مواضع المخ المسئولة عن مختلف جوانب الشخصية ووظائفها؛ حيث حاول أن يربط بين الفروق الفردية فى الشخصية قبل الوفاة، بالفروق فى فسيولوجيا المخ المشاهدة عند فحص الجثة بعد الوفاة. ورغم النظرة السائدة الآن إلى علم الفِرَاسَة بوصفه نوعًا من الشعوذة أو الخرافة التى تأخذ شكلاً علميًّا، فإن (جال) يعد بحق عالمًا تشريحيًّا ماهرًا، وصاحب عقل علمى ثاقب. وكان علم الفِرَاسَة خلال القرن التاسع عشر ذائع الصيت، ومحيطًا نفسه -كلما أمكن- بهالة من العلم -على أساس من التجريب الفِرَاسِى- وذلك لتقديم أوصاف عقلية كهاديات لتحسين الذات، والسعادة فى الحياة.

وأصبح متاحًا اليوم لعلماء الأعصاب المعرفيين كثير من التقنيات المعقدة التى تساعد فى فهم دور تركيب المخ فى تحديد الوظائف المعرفية والشخصية، من أهمها -بشكل خاص- تقنيات صور الرنين المغناطيسى الوظيفى[2] التى تحدد أى أجزاء المخ تصبح نشطة أثناء العمليات المعرفية الخاصة. فلو أن (أينشتاين) حى إلى الآن، لكان من الممكن أن نستخدم معه هذا الأسلوب، لنحدد أى أجزاء المخ ستنشط أثناء تفكيره فى الفيزياء النظرية، والإجابة عن السؤال: هل كان مخه -بالمقارنة

Phrenology (١)

(*) علم زائف يربط بين الملكات العقلية والخصال المزاجية بتضاريس الجمجمة وأغوارها (المُراجع).

Functional Magnetic Resonance Imaging (٢)

بأمخاخ غير العباقرة- مختلفًا بنائيًا أم وظيفيًا أى مختلفًا فى تركيبه أم فى الطريقة التى يعمل بها؟. وكما سبق أن لاحظنا، كان هذا السؤال - فى الواقع- هو السؤال موضع اهتمام باحث علم الأمراض الذى فحص مخ أينشتاين -بعد أن استأصل مخه بعد موته خلال العملية التى أجريت له سنة ١٩٥٥- وشارك فى فحص بعض عينات من مخ أينشتاين باحثان آخران لهما الاهتمام نفسه بالأسس العصبية للعبقرية، وهو ما يمكن النظر إليه اليوم كصورة معاصرة -إلى حد ما- من علم الفرَاسَة، وهو ما وصفه أحد علماء الأعصاب -فى الواقع- بأنه "العنوان الحافل بالذكريات لعصر علم الفراسة الملحمى[1] (Lepore, 2001)

وأشارت مجلة نيويورك تايمز إلى أن مفتاح التميز العقلى قد يَكمن فى تلافيف مخ أينشتاين، وبنيت هذه العناوين والمقالات على تقرير فيشر الذى نشره فى المجلة الطبية المتميزة Lancent، التى أشارت إلى أن أجزاء من القشرة المخية لأينشتاين (مثل أجزاء من الفصوص الجبهية، كانت أكبر منها لدى غيره من الأشخاص ذوى العقول العادية) (Witelson, Kigar & Harvy, 1999) .

وارتبط هذا الجزء من المخ فعليًا بالتفكير الرياضى، وتصور الفراغ، مما أضفى مزيدًا من الثقة على التقرير الذى نشرته مجلة Lancent وتلا ذلك تقرير نشر بالمجلة الشهيرة "العلم Science" والذى أشار إلى أن الأسس المادية للذكاء موجودة فى جزء من اللحاء قبل الجبهة[2] (Duncan, Seitz & Kolondy, 2000)

وتعود بنا هذه النتائج إلى السؤال الذى طُرِح فى بداية هذا الجزء من الفصل، هل يمكن فهم الفروق الفردية فى الوظائف المعرفية بفهم الفروق فى تركيب المخ؟ هل عزل بعض أجزاء المخ يعد مسئولاً عن جوانب محددة من الوظائف المعرفية الشخصية؟ هل بعض وظائف العقل موضع اهتمام علماء النفس، يمكن اختزالها إلى

(١) A Headline Reminiscent of Heroic Age of Phrenology

(٢) Prefrontal Cortex

وظائف المخ الجسمية؟. رغم أننا لا نملك إجابات واضحة عن هذه الأسئلة فهناك نقطتان مهمتان يجب أخذهما فى الاعتبار: **الأولى**: تشير إلى أن البحث باستخدام الرنين المغناطيسى يبين بوضوح أن أجزاء محددة فى المخ تنشط فى ظل ممارسة أنشطة متنوعة مثل، القراءة، أو الاستماع إلى الموسيقى، أو الاستغراق فى التفكير أو عند التصويب لإلقاء ضربة البداية لكرة التنس، أو إجراء عملية حسابية، أو تخيل وجه صديق (Posner, Digirolamo, 2000) وفى الوقت نفسه، رغم أن بعضًا من الوظائف المعرفية يبدو أن لها مواضع محددة من المخ، فإن معظم الأنشطة العقلية المعقدة تتطلب عمل أجزاء تتوزع فى مناطق متعددة من المخ، أى تتطلب عمل نسق المخ بمختلف وظائفه.

ثانيًا: مع أن هناك بوضوح أسس وراثية للفروق الفردية فى بناء (تركيب) المخ، وكذلك فروق فردية فى الوظائف المعرفية، فإن هناك دلائل على مرونة تركيب بناء المخ، التى تمتد إلى مرحلة الرشد (Gould, Reeves, Graziano & Gross, 2000) وأن استخدام المرء للعقل من شأنه أن يبين الفروق فى ارتقاء مخ الإنسان.

ثالثًا: مع أن المبادئ النفسية للوظائف المعرفية، لا يمكن أن تتعدى ما نعرفه عن تركيب المخ ووظائفه، فإن هذه المبادئ لا نحتاج إلى ذكرها عند الحديث عن تركيب المخ وعملياته.....إلخ. ويعبر باندورا (Bandura, 2001) عن هذه الوجهة من النظر بقوله:

> "هناك نقلة تجريدية لا يستهان بها، عند الانتقال من دراسة مختلف ظواهر علم النفس إلى دراسة البيولوجى فالإحاطة بأنشطة الدوائر العصبية التى تنشط فتيسر لمارتن لوثر كينج تأليف روايـــــته "لقد حلمت" تخبرنا بالقليل عن طبيعة قوته الاجتماعية، وقوة إلهامه... أيضًا هناك القليل على المستوى العصبى الذى يمكن أن يخبرنا بكيف نزيد من فعالية أداء الآباء، والمدرسين، والمسئولين، والمصلحين الاجتماعيين لأدوارهم (pp. 18, 19) "

هذه النظرة البيولوجية تهيئ لنا المسرح للانتقال لعرض الفروق الثقافية فى المعرفة.

المعرفة و الثقافة

البحث فى عمومية العمليات المعرفية[١] هى القضية الفاصلة بين اهتمامات علماء النفس المعرفيين، واهتمامات علماء الأنثروبولوجية (Pervin, 2002) فمن ناحية، يطرح بعض علماء النفس أفكارًا حول ما كشف عنه التراث الوراثى[٢] من وجود مواضع محددة فى المخ مختصة بمعالجة مهام تكيفية نوعية، وهم يرون أن المخ يعمل فى صورة وحدات أو "موديول[٣]" أو أعضاء عقلية[٤]، لكل منها تركيب محدد يجعلها مختصة بإحدى مجالات التفاعل مع العالم المحيط بنا. وتحدد البرامج الوراثية[٥] المنطق الأساسى لعمل هذه الوحدات "أو الموديولات". كما يفترضون أن عمليات هذه الموديولات تشكلت من خلال عمليات الاختيار الطبيعى[٦]، أثناء حل أسلافنا لمشكلات حياتهم اليومية (كالصيد والحصاد.. إلخ)، وذلك عبر أغلب ما حدث من ثورات وراثية.(Pinper, 1997, p.21) بمعنى آخر، إن معظم طرقنا فى التفكير (كمعالجة المعلومات مثلاً) ما هى إلا آثار باقية وراسخة بداخلنا منذ القدم، فعلى سبيل المثال، يولد جميع الناس وهم مزودون بالموروثات التى تمكنهم من تعلم اللغة، والتى تمكنهم كذلك من القدرة على سماع جميع الأصوات المرتبطة بهذه اللغة والنطق بها (Werke, 1989) ، كما أن جميع الأفراد –فى سائر أنحاء العالم– حساسون تجاه بعض الألوان بصرف النظر عن الاسم الذى يطلقونه على اللون، ويحتفظون به فى مخزونهم اللغوى (Berline, Kay, 1969 , Heider, 1972)

Universality of Cognitive Process (١)
Evolutionary Heritage (٢)
Modules (٣)
Mental Organs (٤)
Genetic Program (٥)
Natural Selection (٦)

من ناحية أخرى، هناك أدلة كثيرة على وجود فروق ثقافية عديدة فى تفسير أحداث الحياة وماذا نعنى بمفهوم "شخص[١]" (Schweder, Bourne, 1984) " بالإضافة إلى ذلك هناك أدلة على وجود فروق ثقافية فى اللغة، فروق يمكن أن تؤثر فى الوظائف المعرفية على نحو دال.

ولقد تركز -لسنوات عديدة- اهتمام علم النفس الاجتماعى على دراسة ما يسمى بخطأ العزو الأساسى[٢]، وهو يعنى الميل لعزو سلوك الآخرين إلى خصال فى الشخصية (مثل السمات) بحيث يتم المضى أبعد من السلوك الظاهر للفرد، وفيما يتصل بالسلوك المدرك من قبل الآخرين، هناك ميل لعزو السلوك الخاص بالفرد إلى الموقف. ويُنظر إلى الخطأ هنا على أنه كامن فى عزو أسباب السلوك إلى محددات داخلية (مثل السمات) بدلاً من عزوها إلى الموقف. ومن المفترض هنا أن بعض الأشخاص يدركون اختلاف سلوكهم من موقف إلى آخر، فى حين أن البعض الآخر يعتقدون أن هذا الاختلاف محصور فى حدود ضيقة من المواقف، لذلك يعتقدون أن خطأ سلوكهم مصدره السمات. ويلاحظ هنا أن علماء النفس الاجتماعيين، وبعض علماء علم نفس الشخصية يستخدمون الأدلة على حدوث هذا الخطأ كجزء من نقدهم لنظرية السمات. بمعنى آخر ينظرون إلى علماء السمات على أنهم متورطون فى خطأ العزو الأساسى، ويوصف هنا الخطأ بأنه خطأ أساسى لسببين: أولاً، لدوره فى الوظائف المعرفية، وللاعتقاد -ثانيًا- فى أنه أساسى، ومظهر عام وشامل للوظائف المعرفية. ومع ذلك تشير البحوث التالية أن الخطأ ليس أساسيًّا بكل هذا القدر، على الأقل بالنسبة للحس العام، المتصل بوجود فروق حضارية دالة فى تفسير الأحداث بإرجاعها إلى خصال الشخص مقابل خصائص الموقف، فمثلاً، يعطى المبحوثون الأمريكيون وزنًا أكبر -نسبيًّا- للخصال الشخصية بالمقارنة بالمبحوثين الصينيين والهنود (J.Miller, 1984, Morris &.

---

(١) Person

(٢) Functional Attribution Error

Peng, 1994) بمعنى آخر، يعد المبحوثون الأمريكيون ذوى توجه فى التفكير يستند إلى المحددات المتمركزة على السمات، مقابل الصينيين والهنود ذوى التوجه الموقفى فى تفكيرهم. بمعنى ثالث، هناك فروق أساسية فى الطرق التى ينظر بها مختلف أفراد الثقافات للشخصية، وفى تفسير الأسباب التى تقف وراء ما يقع من أحداث (Norenzayan, Choi & Nisbett, 2002).

وينظر الآن إلى الفروق بين الأفراد فيما يتصل بخطأ العزو الأساسى، كجزء من فروق أوسع فى الطرق التى ينظر بها أعضاء مختلف الجماعات لموضوعات من قبيل الذات والانفعالات، والأخلاق (Cross& Markus, 1999, Norenzayan, Choi & Nisbett, 2002). ونجد مثل هذه الفروق بوضوح فيما يتصل بالمحتوى، ولكن يسأل البعض: هل تنعكس أيضًا هذه الفروق الأساسية فى الوظائف المعرفية (Masuda & Nisbett, 2001)، هل الطرق التى تعالج بها المعلومات أكثر شبهًا بعمل "برامج أجزاء الحاسوب المرنة[1]" منها إلى عمل "الأجزاء الصلبة[2]"، أى هل هى أكثر شبهًا بأجزاء الحاسوب المرنة التى نتعلم لغتها وبرامجها أكثر منها شبهًا بأجزاء الكمبيوتر الصلبة الشائعة عالمية، والتى نجبر على تعلم مكوناتها وطريقة عملها؟ الموضوع على هذا النحو لا يزال مفتوحًا للمناقشة، ولكن النقطة المهمة لنا كعلماء نفس الشخصية هو أن نكون على دراية بالطرق الأساسية التى ننظر بها إلى العالم المحيط بنا، بما يشمله من طرق ننظر بها إلى الشخصية، والتنوع عبر الثقافى[3]. ومما له صلة بذلك، الإجابة عن السؤال، ما الذى نعتقد فى أنه أجدر بالفحص والاختبار عبر الحضارى: وحدات الشخصية الأساسية (كالسمات، والأهداف، ...إلخ) أم العمليات المعرفية الأساسية (كعمليات العزو والتفسير)، وذلك قبل قبولنا لها كوقائع فى إطار مجتمعنا العلمى (Pervin, 1999).

---

(١) Software
(٢) Hardware
(٣) Vary Cross Culturally

تحليل الوحدات المعرفية

أنهينا – حتى الآن– مناقشاتنا للوحدات المعرفية للشخصية، ومع ذلك، سيستمر – بالتأكيد– اهتمامنا بها عند التطرق لعلاقتها بمختلف جوانب وظائف الشخصية، وحينئذ سيدور حديثنا حول:

أولاً: إن الوظائف المعرفية رغم أنها ليست مفاهيم جديدة، فإن تناولها فى إطار الشخصية هو الذى يعد جديدًا خاصة إذا ما عدنا بالتاريخ إلى فترة ما قبل الثورة المعرفية، وزيادة الاهتمام بهذه المفاهيم منذ ذلك الحين.

ثانيًا: كما لا توجد نظرية واحدة للسمات، لا يوجد أيضًا مفهوم معرفى واحد للشخصية. وإذا كان هناك اتفاق بدأ يبزغ حول نموذج العوامل الخمسة فى نظرية السمات، مقابل هذا نجد أن المنظور المعرفى الاجتماعى يلقى –عمومًا– قبولاً بين علماء الشخصية المعرفيين. وتنصب محاور الاهتمام الأساسية – التى يتم تأكيدها فى إطار هذا المنظور الشائع– على دور العمليات المعرفية فى التأثير على وظائف الشخصية، والطبيعة الاجتماعية لهذه الوظائف، وتنوع مجالاتها. ويصاحب هذا، – فى الوقت نفسه– تأكيد أهمية الوحدات المعرفية النوعية، التى طرحت من قِبَل مختلف المنظرين على تنوع اهتماماتهم.

ما هى إذن هذه الوحدات المعرفية للشخصية؟ إنها تشمل الوحدات المعرفية الخالصة مثل: التوقعات، والاعتقاد فى كفاءة الذات، والعزو السببى. ومع أنها تشمل أيضًا وحدات مثل القيم، والأهداف، فإن ما يضاهى هذا فى الأهمية هو الوحدات الدافعية. وأصبحت الأهداف فى الواقع –كما سوف نرى– وحدات دافعية مهمة للشخصية. وعلاوة على ما سبق، تشمل الوحدات المعرفية أيضًا القدرات، مثل: الكفاءة المعرفية فى المواقف التى تتطلب تقديرًا(١)، واستراتيجيات التخطيط المطلوبة لمواجهة متطلبات المهمة. وهى تشمل أخيرًا، عمليات تنظيم الذات، التى

---

(١) Cognitive Competencies In Assessing Situation

تؤكد أهمية القدرة على توقع ما سوف يحدث فى المستقبل، وتحمل إرجاء الإشباع. بمعنى أوسع، تشمل الوحدات المعرفية جميع الجهود التى يبذلها الكائن الحى للتكيف، بما يتطلبه ذلك التكيف من تجهيز للمعلومات، ومعالجتها، واستخدامها لمواجهة المهام والمطالب.

وعند هذه النقطة، يجب أن يكون واضحًا للطالب، أهمية إدراك الفروق بين ما تركز عليه وحدات السمات مقابل ما تركز عليه الوحدات المعرفية؛ ففى حين تبدأ وحدات السمة من الفروق الفردية المدركة، تبدأ الوحدات المعرفية من إدراك العمليات المشتركة وعلاقتها بما يختلف فيه الأشخاص، وخاصة ما يتصل بالمتطلبات الموقفية النوعية. وفى حين يؤكد منظرو السمات على الفروق الفردية، ويستخدمون أساليب التحليل العاملى فى أبحاثهم، يؤكد المنظرون المعرفيون على العمليات المشتركة بين الأفراد، مستخدمين الدراسات التجريبية. كما يتسم منظرو السمات بأنهم تجميعيون، يسعون إلى طرح تنبؤات عامة، فى حين أن المنظرين المعرفيين يركزون على الجوانب الموقفية النوعية للوظائف الفردية، ويطرحون تنبؤات موقفية نوعية. ورغم كل ما سبق، فإنه من المثير للدهشة أن قسمًا كبيرًا من علماء نفس السمات، وكذلك، من علماء النفس المعرفيين يؤكدون أهمية تنميط وظائف الفرد وتنظيمها، لذلك نجد ندرة فى الدراسات المتعمقة التى تجرى على الأفراد، سواء لدى علماء السمات المعاصرين أو لدى علماء الشخصية المعرفيين. ويؤكد كلا الفريقين أهمية الوحدات أكثر من تأكيدهم التنظيم الواقع بين هذه الوحدات.

المفاهيم الأساسية

معرفة Cognition: العمليات التى تسم تفكير الفرد، والتى تشمل الإدراك، والذاكرة، واللغة. وهى أيضًا الطرق التى يعالج بها الكائن الحى ما يَرِد إليه من معلومات.

الاستقلال – الاعتماد على المجال Field Independence– Field Dependence: مفهوم "وتكن" عن الأسلوب المعرفى الذى يصف الفروق الفردية بين الأفراد فى درجة التركيز على الهاديات الجسمية عند إدراك التنبيهات البيئية مقابل الاعتماد على هاديات السياق المحيط.

الأسلوب المعرفى التحليلى مقابل الكلى Analytical vs Global Cognitive Style: مفهوم وتكن عن الأسلوب المعرفى الذى يصف الفروق الفردية التى يخبر فى ظلها الأفراد السياقات بوصفها ذات أجزاء شديدة التحديد فى مقابل من يدركها بوصفها كليات غير متبلورة.

تكوين Construct: فى إطار نظرية كيللى، هو طريقة إدراك الأحداث، وتأويلها، وتفسيرها.

اختبار مخزون تكوينات الدور Role Construct Repertory : هو اختبار كيللى المُعد لقياس التكوينات التى يستخدمها الفرد، وما بين هذه التكوينات من علاقات، وكيف تطبق التكوينات على أفراد محددين.

نموذج التوقع– القيمة Expectancy – Value Model: هو النموذج الذى يُعنى باحتمالات إصدار السلوك كدالة لطبيعة النتائج المتوقعة وقيمتها.

التوقعات المعممة Generalized Expectancies: مفهوم روتر عن التوقعات التى ينسجها الفرد عبر عديد من المواقف أو معظمها.

الثقة بين الأشخاص Interpersonal Trust: مفهوم روتر عن التوقعات

المعممة عندما يمتد بها الفرد فيصبح قادرًا على الثقة فى أقوال ووعود الآخرين.

مركز التحكم فى التعزيز الداخلى أو الخارجى Internal-External Locus of Control: مفهوم روتر عن التوقعات المعممة التى تتعلق بمحددات المكافأة والعقاب.

نوعية المواقف / نوعية المجال Situational Specificity, Domain Specificity: هو تأكيد تنوع السلوك بتنوع الموقف أو المجال، كمقابل لتأكيد نظريات السمة على الاتساق فى السلوك عبر المواقف.

التمايز Discriminativeness: مفهوم "ميشيل" عن قدرة الأشخاص على التمييز بين المواقف وتنويع سلوكهم وفقًا لها.

تنظيم الذات Self-Regulation: توظيف العمليات المعرفية لتنظيم الفرد لسلوكه.

استراتيجيات الترميز Encoding Strategies: طرق الأفراد فى تنظيم ما يرد إليهم من معلومات. أو الطرق التى ينظم من خلالها الأفراد المعلومات الواردة.

الأهداف Goals: فى إطار النظرية الاجتماعية المعرفية، هى الأحداث المرغوب فى تحقيقها مستقبلاً، والتى تستثير دافعية الفرد لفترات زمنية طويلة، وتمكن الشخص من التقدم فى اتجاهها متخطيًا المؤثرات اللحظية.

مهام الحياة Life Tasks: مفهوم "كانتور" عن الوحدات المعرفية الدافعية التى توجه الانتباه إلى الأهداف المستقبلية الرئيسية.

التوقعات Expectancies: فى إطار النظرية الاجتماعية المعرفية، هى الطرق التى يتوقَّع من خلالها الأفرادُ الأحداثَ.

الكفاءات المعرفية السلوكية Cognitive and Behavioral Competencies: تأكيدات "ميشيل" على ما لدى الأفراد من مهارات عند معالجة المعلومات والتكيف سلوكيًّا مع المواقف.

الذكاء الاجتماعى Social Intelligence: مفهوم "كانتور" و"كيهاستروم" عن

المعلومات التى يستحضرها الأفراد ويضعونها نصب أعينهم عند حل مشكلات الحياة الشخصية.

نسق الشخصية المعرفى- الوجدانى Cognitive – Affective Personality System: هو الامتداد الذى أدخله "ميشيل" بنظريته الاجتماعية المعرفية لتشمل الوجدان (الانفعالات) وباقى جوانب نسق وظائف الشخصية.

البصمة السلوكية Behavioral Signature: مفهوم ميشيل عن النمط المتفرد من الثبات والتغير فى الوظائف النفسية عبر المواقف فى السلوك اليومى لأى شخص.

التعلم بالمشاهدة Observational Learning: مفهوم باندورا عن العملية التى يتعلم من خلالها الأفراد لمجرد ملاحظتهم لسلوك الآخرين، أولئك الذين يسمون بالنماذج Models.

النمذجة Modeling : مفهوم "باندورا" عن عملية إعادة إصدار السلوك المتعلم من خلال ملاحظة الآخرين.

التشريط بالخبرة Vicarious Conditioning: مفهوم باندورا عن عمليات تعلم الاستجابات الانفعالية من خلال الاقتداء ومشاهدتها لدى الآخرين.

كفاءة الذات Self-Efficacy: مفهوم باندورا عن القدرة المدركة المتطلبة للتوافق مع المواقف النوعية.

المعيار Standard: فى إطار النظرية المعرفية الاجتماعية، هو النقطة المرجعية للسلوك أو الأداء المرغوب.

المخططات Schema: البناء المعرفى الذى ينظم ما يرد للفرد من معلومات، والذى يؤثر فى كيفية ترميز المعلومات، وتخزينها، واستدعائها.

العزو السببى Causal Attribution: السبب المدرك للأحداث.

المعتقد Belief : الاقتناع بأن شيئًا ما صائب أو غير صائب.

التقدير Appraisal : مفهوم "لازروس" عن تقويم الأشخاص وتقديرهم لما

هو مفتقد فى المواقف، وما لديهم من موارد تمكنهم من تحديد إذا كانت الأحداث التى يواجهونها ضارة أم مفيدة.

<u>المعتقدات غير التكيفية Maladaptive Beliefs</u>: هى المعتقدات التى تتعارض مع الوظائف التكيفية، والتى يفترض أن لها دورًا مهمًّا فى اضطراب الوظائف النفسية.

<u>المعتقدات غير المعقولة Irrational Beliefs</u>: هى المعتقدات غير المنطقية التى لا مجال لإثبات صحتها أو خطئها. وينظر إليها علماء نفس الشخصية المعرفيون بوصفها تقوم بدور مهم فى اضطراب الوظائف النفسية.

ملخص الفصل

١- تركز المناحى المعرفية على الطرق التى يعالج من خلالها الأفراد المعلومات التى تتصل بالذات والعالم المحيط بالفرد. بمعنى آخر، تركز هذه المناحى على كيف يكتسب الأفراد المعلومات وكيف يخزنونها، ويرمزونها، وينتجونها. ويستخدم الحاسب الآلى هنا كوسيلة مجازية لتصور كيف تتم مثل هذه الوظائف.

٢- ركزت الجهود المبكرة لدراسة المعرفة والشخصية على مفهوم الأسلوب المعرفى، والتى تبلورت فى أعمال "وتكن" عن أسلوب الاستقلال عن المجال مقابل الاعتماد على المجال، وأكدت هذه الجهود بشكل أقل على الفروق الفردية فى الوظائف المعرفية، مقابل تأكيدها أهمية النوعية الموقفية.

٣- استعرضت نظرية التكوين الشخصى لكيللى، ونظرية التعلم الاجتماعى لروتر نظريات الشخصية مستخلصة وجود تأكيد معرفى قوى على أسبقية الثورة المعرفية فى علم النفس. نظر كيللى إلى الشخص كعَالِم وأكدت نظريته على التكوينات الشخصية أو على طرق الإدراك، أو تأويل الأحداث وتفسيرها. أكد روتر كذلك أهمية كل من المعززات والمعرفة للوظائف الاجتماعية للأفراد، على نحو ما تم التعبير عنه فى نموذج القيمة-التوقع للسلوك. وقد أكد أيضًا على أهمية التوقعات المعممة مثل الثقة بين الأشخاص ومركز التحكم فى التعزيز.

٤- قدم ميشيل وباندورا منظِّرا الشخصية اللذان تأثرا بالثورة المعرفية آراء. وأكدت نظرية التعلم الاجتماعى المعرفى لميشيل (وما طرأ من تطورات حديثة على نسق الشخصية المعرفى الاجتماعى) أهمية النوعية الموقفية، والتمايز بين المواقف، وجوانب تنظيم الذات المتصلة بوظائف الشخصية. وتناولت وحدات الشخصية التى تم التأكيد عليها أساليب ترميز الاستراتيجيات، والأهداف،

والتوقعات، والكفاءات، والمشاعر الوجدانية، وأنساق تنظيم الذات. وقد نُظر إليها بوصفها مواقف تتسم بالنسبية – أو مجالات نوعية. أما النظرية المعرفية الاجتماعية لباندورا فتؤكد أهمية المعرفة فى اكتساب السلوك، وفى نمو معتقدات كفاءة الذات، وفى ارتقاء المعايير والأهداف والاسترشاد بها. هذه المفاهيم وقفت كمفاهيم مهمة هيئت للامتداد بالنظرية إلى مجالات الدافعية والصحة. ومع أن ميشيل وحَّدَ بين نظرية السمة والنظرية الاجتماعية المعرفية، فإن باندورا قد بيَّن أن وجهتى النظر لا يتفقان وبعضهما البعض.

٥- من وحدات الشخصية الأخرى التى أكد عليها علماء نفس الشخصية المعرفيون: المخططات، والعزو- التوقعات، والمعتقدات. يعبر المخطط عن التنظيمات التى يتم إضفاؤها على المعلومات التى تؤثر فى كيفية إدراكنا، وتذكرنا، وتناولنا للمعلومات. يختلف الأفراد فى محتوى مخططاتهم، وأيضًا فى طرق معالجتهم للمعلومات. وللعزو، بما يشمله من توقعات سببية للأحداث، تضمينات مهمة للأحداث، فيما يتصل بحياة الأفراد الانفعالية والدافعية. على نحو مشابه، قد تكون المعتقدات التى يتبناها الأفراد، كما تظهر فى تقديراتهم للمواقف ولأنفسهم، تكيفية أو غير تكيفية، معقولة أو غير معقولة، وتنطوى على تضمينات مهمة لحسن الحال النفسية.

٦- ساعدتنا التطورات الحديثة فى العلم العصبى، وبشكل خاص، طرق قياس وظائف المخ مثل FMRI على فهم دور أجزاء مختلفة فى المخ فى العمليات المعرفية، والتى قد ترتبط بالفروق الفردية فى الوظائف المعرفية.

٧- هناك دليل على أهمية الفروق الثقافية فى طرق إدراك الوظائف الشخصية (مثل الذات، وتفسيرات الأحداث المتصلة بالشخص – الموقف). ولكن يجب أن تدرس المفاهيم الشخصية والعمليات عبر الثقافية قبل افتراض عالميتها.

٨- لا توجد نظرية معرفية واحدة للشخصية. ومع ذلك يشترك علماء نفس الشخصية المعرفيون فى تأكيدهم أهمية العمليات المعرفية فى الوظائف

الشخصية، وأيضًا فى تأكيد النوعية الموقفية أو المجالية. أما علماء نفس السمة، فإنهم يميلون لتأكيد العمليات المشتركة بين الأفراد، والبحث التجريبى. ومع ذلك فقد تركت المناحى المعرفية للشخصية – فى تطوراتها الحديثة نسبيًّا– تأثيرات ملحوظة فى مجال دراسة الشخصية.

الفصل الرابع*

الوحدات الدافعية للشخصية

* ترجمة د. أيمن عامر

نظرة عامة على الفصل

يتناول الفصل الحالى "الدوافع[1]" بوصفها الوحدات الأساسـية للشخـصية. وتتصل الدوافع بالسؤال الجوهرى: لماذا نسلك على النحو الذى نسلك بـه؟ وتعـد الحاجة إلى مفهوم "الدافعية" أمرًا جليًّا وواضحًا، ومع ذلك نجد تذبذبًا فـى اهتمـام علماء نفس الشخصية به، ففى بعض الأحيان نجد اهتمامًا شديدًا بـالمفهوم، وفـى أحيان أخرى نجد تجاهلاً ملحوظًا. وسنهتم فى الفصل الحالى بعدد مـن نظريـات الدافعية المنتقاة، كما سنعنى بالنظر فيما إذا كانت مفـاهيم "الـسمة"، و"المعرفـة"، و"الدافع" تمثل مفاهيم متعارضة فى مجال دراسة الشخصية، أم أنها تمثـل جميعًـا مفاهيم ضرورية لتحليل الشخصية على نحو مقبول.

الأسئلة التى يجيب عنها الفصل:

١. هل مفهوم الدافعية مفهوم ضرورى لنظرية الشخصية؟
٢. هل الأفراد مدفوعون كلية للسعى إلى اللذة[2] وتجنب الألم[3] (مبدأ التوجه نحو اللذة[4]) أم هناك احتمال لوجود دوافع أخرى ممكنة؟
٣. أى الدوافع أو فئات الدوافع تعد أساسية لأداء الإنسان لوظائفه؟
٤. ما العلاقة بين مفهوم "الدافع" وكل من مفهومى "السمة" و"المعرفة" اللذين سبق مناقشتهما؟

Motives (١)
Pursuit of Pleasure (٢)
Avoidance of Pain (٣)
Hedonic Orientation (٤)

مقدمة

سنتناول فى الفصل الحالى الوحدة الثالثة للشخصية، ألا وهى "**الدوافع**".

ويستخدم – فى المعتاد– مفهوم ***الدافعية*** ليجيب عن ثلاثة أسئلة أساسية:

١– ما الذى *يستثير* الكائن الحى؟

٢– لماذا *يختار* الكائن الحى أن يستجيب بإحدى الاستجابات دون غيرها؟ على سبيل المثال، عند الاختيار بين الطعام والماء، لماذا يختار الكلب أحدهما دون الآخر؟ أو عند الاختيار بين العمل كمدير تنفيذى لأحد الأعمال مقابل العمل كأستاذ جامعى، لماذا يختار الشخص أحدهما دون الآخر؟

٣– عند التعرض للتنبيهات نفسها، لماذا *يستجيب* الكائن الحى أحيانًا بطريقة معينة ويستجيب فى أحيان أخرى بطريقة ثانية؟ بمعنى آخر، لماذا يفضل الفرد أحيانًا أن يكون بين الناس، ويفضل فى أحيان أخرى أن يكون بمفرده؟

ويمثل التنشيط(١)، وتوجه الاختيار(٢)، والاستعداد للاستجابة(٣) أهم جوانب الدافعية: التى تتصل بماذا ينشط الكائن الحى، ولماذا يختار توجهًا معينًا دون آخر، ولماذا تختلف الاستجابات فى أوقات مختلفة ردًّا على تنبيهات متشابهة. ويفترض مفهوم الدافعية أن هناك حالات داخلية(٤) تقوم بدور مهم فى استثارة السلوك وتنظيمه؛ فمن وجهة نظر علم نفس الشخصية، يفترض مفهوم الدافعية أن هذه الحالات الداخلية تؤثر فى الجوانب النفسية الأخرى لأداء الفرد. لذلك، ينظر إلى الدوافع بوصفها متغيرات تؤثر فى المعرفة والفعل، أو فى التفكير والسلوك. فمثلاً، من الواضح أن لكل من دوافع الإثارية(٥) والدافع العدوانى(٦) متضمنات مختلفة عما

---

(١) Activatation

(٢) Selection-Direction

(٣) Preparedness of Response

(٤) Internal Qualities

(٥) Altruistic Motives

(٦) Aggressive

نفكر فيه، وعن كيف نشعر، وكيف نسلك. فيترتب على افتراض وجود فروق فردية فى الدافعية، قيام دوافعنا وطرق تعبيرنا عنها بدور مهم فى إضفاء الطابع المميز لنا كأشخاص. بمعنى آخر، تمثل دوافعنا فى حد ذاتها جزءًا مهمًّا من شخصيتنا، ولها تأثيراتها على باقى جوانب الشخصية.

لكونها من أكثر المصطلحات جوهرية، تجيب الدافعية عن السؤال: لماذا – أى لماذا نسلك على النحو الذى نسلك به؟ ولهذا السبب يبدو بوضوح أننا فى حاجة إلى مثل هذا المفهوم، رغم أن الأمر ليس على هذه الحال دائمًا. فعلى الرغم من أن مفهوم الدافعية يمثل بوجه عام مجالاً لاهتمام شديد من علماء النفس، فقد بدت الفائدة من استخدامه – فى بعض الأحيان– موضع تساؤل واستفهام (Cofer 1981 ;Mook 1987; Pervin, 1983)؛ فخلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، بدأ تناقص ملحوظ فى الاهتمام بالمفهوم، وكان ذلك نتاجًا لعاملين أساسيين، هما: التوقف عن الاهتمام بمفهوم *الدافع*، وبدء الثورة المعرفية. وقد شهدت حقبة السبعينيات أكبر تناقص فى الاهتمام بمفهوم الدافعية، والتحول عنه إلى النموذج المعرفى، فنجد مثلاً محررى السلسلة الشهيرة "ندوة نبراسكا للدافعية[١]" قد أسقطوا مصطلح الدافعية من عنوان السلسلة. وبدأ المنظرون المهتمون بالدافعية يتساءلون "أين موقع المطالب الملحة القوية، والانفعالات الساخنة والعواطف الحادة[٢] داخل النظرية المعرفية، والتى تحتل موضعًا مركزيًّا من تفكيرنا، خاصة ما يتصل منها بالدافعية والانفعالات ذات الدوام النسبى (Cofer, 1981, p.52).

إن اسم السلسلة لم يتغير، وذلك لأسباب عملية أكثر منها نظرية؛ فدور النشر (والمكتبات) حصلت على موافقات بنشر السلسلة بهذا الاسم، وأى تغيير فى ذلك يهدد بقاء تلك الموافقات. ومع ذلك فإن الأمر الجدير بالإشارة هو أن إصدارات عام ١٩٩٠ من مجلة "ندوة نبراسكا للدافعية" أشارت إلى أن السلسلة عادت مرة أخرى

---

(١) Nebraska Symposium on Motivation.

(٢) Hot Emotions or Passions

إلى جذورها، وسوف تواجه مرة أخرى مفهوم الدافعية مباشــرة (Dienstbier, 1990).

وبعد عشرين سنة من النقص الشديد فى تناوله، عاد الاهتمام بمفهوم الدافعية (Emmons 1997; Little, 1999)، فالمواضيع التى كانت محــل اهتمــام هــذا المجال البحثى لم يتم تناولها بالشكل الكافى عبر مناحىَ أخرى. فمثلاً وُجِّه النقد إلى منظر التعلم "تولمان"؛ لأنه ترك فئرانه تنحرف فــى تفكيرهــا (Guthrie, 1952) بدون أن يفسر ماذا استثارها، أو شحذ طاقاتها، أو وَجَّهَها إلى ذلك، ومن ثم حذرت النماذج المعرفية – فى البدايات المبكرة للثورة المعرفية– مــن تــرك الأشــخاص ينحرفون فى تفكيرهم. وقد عادت الدافعية مرة أخرى فى بؤرة الاهتمام لما لها من جوانب إيجابية، ولتأثيرها المهم فى فهم كيف نعالج المعلومات المتــصلة بالعــالم المحيط بنا. وإذا كان لعلم السلوك الإنسانى حجر زاوية، فيجب أن يكون هذا الحجر هو "الدافعية". فنظريات الدافعية تطرح سؤالاً أساسيًّا: ماذا يحرك الشخص؟ لــذلك اهتمت هذه النظريات بالقوى الأولية التى تؤثر فى الطبيعــة الإنــسانية، والثقافــة الإنسانية (Ryan , 1998, p. 114).

وتضم معظم – وليس كل– نظريات الشخصية نظرية فى الدافعية. وتفترض بعض النظريات وجود دافع واحد، فى حين يفترض البعض الآخر عددًا أساسيًّا من الدوافع، ويفترض البعض الثالث وجود مدرج للدوافع. على سبيل المثال، يفتــرض ماسلو Maslow (١٩٠٤–١٩٧١) وجود مدرَّج للدوافع[١] يمتــد مــن الحاجــات البيولوجية[٢] مثل الجوع، والنوم، والعطش، إلى الحاجات النفسية[٣] مثــل تقــدير الذات[٤] ، وتحقيق الذات[٥]. وفى ظل مثل هذا التنوع فى المناحى، يُثار الــسؤال:

---

(١) Hierarchy of Motives

(٢) Biological Needs

(٣) Psychological Needs

(٤) Self-Esteem

(٥) Self-Actualization

هل توجد فئات أو مجموعات من النظريات التى تتفق عمومًا فى عدد من العناصر المهمة؟ دعونا نلقِ الضوء على وجهة نظر عالم نفس الشخصية المعرفى "جـورج كيللى" الذى رغم اعتراضه على حاجاتنا إلى مفهوم الدافعية، فقد قدم النسق التـالى لتصنيف النماذج النظرية المتنوعة:

"يمكن تقسيم نظريات الدافعية إلى نمطين: نظريـات الـدفع(١)، ونظريـات الجذب(٢)، وتحت نظريات الدفع نجد مصطلحات مثل الحافز والدافع أو حتى التنبيهات. فى حين تستخدم نظريات الجذب تكوينات فرضية، مـن قبيـل: الغرض، والقيمة، والحاجة. وبالتعبيرات المجازية المتداولة، هناك نظريات "العصا(٣)" من ناحية، ونظريات "الجزرة(٤)" من ناحية أخرى؛ ولكن نظريتنا ليست هذه ولا تلك. فنحن نفضل النظر إليها فى ضوء طبيعة الحيوان نفسه، لذلك فإن أفضل تسمية لها هى نظرية الحمار(٥)" (Kelly, 1958, p. 50).

واستكمالاً لما سبق ذكره، تعد التصنيفات المقدمة لنظريات الدافعية مصطنعة إلى حد كبير؛ لأننا لا نجد دائمًا بعض التداخلات بين النظريات، مع وجود فـروق داخل كل فئة. ومع ذلك فإن التصنيف الذى قدمه "كيللى" ينطوى على وعى جيـد بطبيعة نظريات الدافعية، إذا استثنينا – من وجهة نظرنا– نظريته الخاصـة التـى يصعب وصفها بالغباء. لذلك، دعونا نلقِ الضوء على نظريات الدافعيـة بفئتيهـا: نظريات الدفع مقابل نظريات الجذب، أو نظريات العصا مقابل نظريات الجـزرة، فضلاً عن النظريات المهمة الأخرى فى هذا المجال.

نظريات الدافعية المتصلة بالدافع كعصا(٦)

ربما أفضل مثال على نظريات العصا فى الدافعية، تلك النظريات المرتبطـة

---

(١) Push Theories
(٢) Pull Theories
(٣) Pitchfork Theories
(٤) Carrot Theories
(٥) Jackass Theory
(٦) Pitchfork-Drive Theories of Motivation

بحالات **الحافز** وما يرتبط بها من خفض للتوتر؛ فتفترض النظريات التقليدية للحافز أن التنبيهات الداخلية هى التى تقود الكائن الحى وتوجهه. فيرتبط الدافع – مثاليًّا– بالحالة البيولوجية الداخلية للكائن، مثل حالات الجوع أو العطش اللذَيْن يخلقان درجة من التوتر داخل الكائن الحى. فيصيب الحرمان من الطعام – فى صوره البسيطة– الكائن الحى بحالة من الاضطراب النفسى، وحالة من التوتر اللذين يرتبطان بدافع الجوع، وحينما يحرم الكائن الحى من الماء يصاب بحالة من الاضطراب النفسى والتوتر المرتبطان بدافع العطش. وترتبط هذه الحالات من التوتر بعدم اللذة والألم. فى حين يرتبط خفض التوتر بالتدعيم الإيجابى واللذة. وعلى هذا تندرج نظريات الحافز التقليدية تحت نماذج الدافعية المرتبطة بخفض التوتر. وهذه النظريات يمكن ربطها كذلك بنظريات الدافعية ذات التوجه المتمركز حول اللذة والسعادة. والتى تعنى بجهود الكائن الحى فى البحث عن اللذة، وتجنب الألم.

نظرية الحافز لدى فرويد

تعد نظرية فرويد فى الدافعية مثالاً واضحًا لنظريات الحافز، أى خفض التوتر، والبحث عن اللذة. ويكمن مركز الطاقة النفسية كلها –وفقًا لنظرية فرويد– فى حالات الاستثارة[1] داخل الجسم، والتى تبحث عن التعبير عن خفض التوتر. وتسمى هذه الحالات من الاستثارة *بالغرائز*[2] أو *الحوافز*. وهى تعبر عن القوى الثابتة داخل الإنسان والتى لا مفر من إشباعها. وتتحدد الغرائز (أو الحوافز) فى ضوء مصدرها، والهدف منها، وموضوعها. ويتمثل مصدر الغرائز –كما سبق وأشرنا– فى حالات الاستثارة الجسمية أو التوتر. أما هدف كل الغرائز فهو خفض التوتر وما يرتبط به من مشاعر السرور واللذة. ويتمثل موضوع الغريزة فى طريقة إشباع الغريزة أو فى الطريقة التى يتم بها خفض التوتر. وكما سوف نرى

Excitation (١)
Instincts (٢)

تمثل الطرق التى نستخدمها لإشباع غرائزنا – لدى المحللين النفسيين– مفتاح ارتقاء الشخصية.

تضمنت نظرية فرويد المبكرة كلاًّ من غرائز الأنا[١]؛ التى ترتبط بالميل للحفاظ على الذات، والغرائز الجنسية[٢]؛ التى ترتبط بالميل للحفاظ على النوع. أما نظريته اللاحقة فقد تضمنت كلاًّ من *غريزة الحياة*[٣] التى تجمع بين كل من غرائز الأنا والغرائز الجنسية؛ *وغريزة الموت*[٤] التى تعبر عن هدف الكائن فى الحياة أن يموت أو يعود إلى الحالة اللاعضوية. وتسمى الطاقة المرتبطة بغريزة الحياة *الليبيدو*. أما الطاقة المرتبطة بغريزة *الموت* فلم يَشِع استخدام مصطلح محدد للإشارة إليها. وفى الواقع ظلت غريزة الموت واحدة من أكثر أجزاء نظرية فرويد إثارة للجدل، حيث لا تلقى قبولاً كبيرًا بين الباحثين؛ فمعظم باحثى التحليل النفسى يستخدمون مصطلح غرائز العدوان[٥] بدلاً منها. أما مصطلحا "الغريزة" و"الحافز"، فلايزال أنصار التحليل النفسى يستخدمونهما بالتبادل؛ فيفضل البعض أحدهما ويفضل البعض الآخر المصطلح الثانى. ولإحداث نوع من الاتساق عند مناقشة نظرية فرويد فى الدافعية؛ فسوف نستخدم مصطلح "الدافع" مع ضرورة أن نتذكر أن مصطلح غريزة قد يستخدم أيضًا.

معظم الطلاب الدارسين لعلم نفس الشخصية لديهم ألفة بنموذج بناء الشخصية لفرويد، والذى يتشكل من مفاهيم الهو[٦]، والأنا[٧]، والأنا الأعلى[٨]. و"*الهو*" مصدر كل طاقة الحفز، ويسعى إلى التخلص من الاستثارة أو التوتر، وبذلك يصدر وفقًا لمبدأ اللذة، وعلى النقيض من الهو يأتى "*الأنا الأعلى*" الذى يمثل الجانب

---

(١) Ego Instincts
(٢) Sexual Instincts
(٣) Life Instincts
(٤) Death Instincts
(٥) Aggressive Instincts
(٦) Id
(٧) Ego
(٨) Super Ego

الأخلاقى من وظائفنا النفسية، فهو يتضمن المُثُل العليا التى نكافح من أجل تحقيقها، كل ما عوقبنا عليه عندما سلكنا ضد ما تمثلناه من أخلاقيات. وأخيرًا يـأتى البنـاء الثالث وهو "*الأنا*" الذى يخضع لمبدأ الواقع. وتكمن وظيفته فى التعبير عن غرائـز الهو وإشباعها تبعًا للواقع ومتطلبات الأنا الأعلى. وبهذا المعنى، ينظر إلى "الأنـا" بوصفه المسئول عن تحقيق الوظيفة التنفيذية للشخصية، بمعنى أنـه يوفـق بـين متطلبات "الهو" الساعى إلى تحقيق اللذة، ومتطلبات الأنا الأعلى الساعى إلى جعـل السلوك اجتماعيًّا، متطلبات الواقع الفعلى.

ويُعرف التحليل النفسى بوصفه نظرية دينامية فـى الشخـصية. وتتـضمن ديناميات الشخصية قوى الدافعية داخل الفرد وما بين هذه القوى من تفاعل. لـذلك تتضمن ديناميات الشخصية فى التحليل النفسى جهود الشخص لإشباع دوافع الهـو فى ظل مراعاة متطلبات الأنا الأعلى والواقع. ولا يكون هذا ممكنًا دائمًا إذا وُجِـد صراع[١] بين دافعين أو أكثر، أو بين الدوافع والمحرمات الأخلاقية (الأنا الأعلى) أو الواقع (الأنا). ومما له أهمية خاصة فى نظرية فرويد، فهم طبيعة الـصراعات التى تنشأ بين "الرغبة فى التعبير عن الحوافز[*]" و"الخوف من الأذى"، سواء مـا يتصل منها بالعالم الداخلى (مثل مشاعر الخزى أو الخجل) أو ما يتـصل بالعـالم الخارجى. فقد يأمل الفرد فى التعبير عن الرغبات الجنسية، ومع ذلك يخشى مـن مشاعر الخزى أو النقد والرفض من قِبَل الآخرين. وعلى نحو مشابه، قد يرغـب الفرد فى التعبير عن الغضب ولكنه يشعر مع ذلك بالخجل من مشاعر الغـضب أو يخشى أن يلقى عقابًا من الآخرين.

وترتبط مثل هذه الحالات من الصراع بالقلق وأحيانًـا تـسهم فـى تكـوين العصاب. ويعنى القلق أن هناك ما يشير إلى وجود خطر ما، وأن هنـاك أذى قـد

---

(١) Conflict

(*) الحافز: هو حالة داخلية ذات أصل جسمى تدفع الكائن لمتابعة إشباعها غالبًا، وهى مثل الجوع والعطش والجنس.

يقع. ومثل هذه الإشارات هى نتاج خبرات مبكرة ارتبط خلالها التعبير عن الدافع بالعقاب أو الألم. لذلك، فإن خبرات الفرد – فى بعض مستوياتها– تعنى "إذا ما فعلت ذلك فسوف يصيبنى أذى وأشعر بالألم". وقد تدفع معايشة حالة الألم الناتجة عن القلق بالفرد إلى استخدام ما يعرف بـ "**الآليات الدفاعية**[١]" والتى هى طرق يستخدمها الفرد فى محاولة التعايش مع الدوافع بدون أن يشعر بأذى أو ألم. فقد يستخدم الفرد مثلاً حيلة *الإنكار*[٢]" فيدَّعى أنه ليس لديه من الأساس أية رغبة جنسية أو عدوانية، أو قد يستخدم حيلة *"الإسقاط*[٣]" ليسقط رغباته على الآخرين كأن يُحَدِّث نفسه بأن الآخرين لديهم رغبات جنسية أو أنهم عدائيون تجاهه، أو قد يستخدم حيلة "الكبت"[٤] فيزيل الرغبة من مستوى الوعى.

وتوظف هذه الحيل الدفاعية بسرعة وبشكل لا شعورى، لذلك فإن الشخص لا يكون واعيًا بوجود الرغبة لديه ولا باستخدامه للحيلة الدفاعية تجاهها. ويصبح الأفراد عصابيين عندما يزداد بداخلهم الصراع، بمعنى آخر عندما يصبح لديهم طاقة مفرطة محولة فى اتجاه إرضاء الغرائز للحماية من القلق. وبسبب القلق الزائد وما يصاحبه من الاستخدام المفرط للحيل الدفاعية يحيا العصابيون حياة مقيدة ويصبحون محدودين فى تعبيرهم عن رغباتهم، وتحصيل اللذة نتيجة ما يفعلونه أيضًا.

وخلاصة ما سبق، تتضمن نظرية فرويد فى الدافعية الغرائز أو الحوافز، والتى توصف بأن لها مصدرًا (يتمثل فى الاستثارة البدنية) ولها هدفًا (يتمثل فى الوصول إلى خفض الطاقة أو التوتر). وعندما تسير الأمور بشكل إيجابى، يخبر الشخص اللذة نتيجة تعبيره عن حوافزه، والتى غالبًا ما تنسج داخل الأنشطة التى تتضمن مصادر متعددة للإشباع. وعندما تسير الأمور على نحو سلبى، فإن الفرد

---

(١) Mechanism of Defense
(٢) Mechanism of Denial
(٣) Mechanism of Projection
(٤) Mechanism of Repression

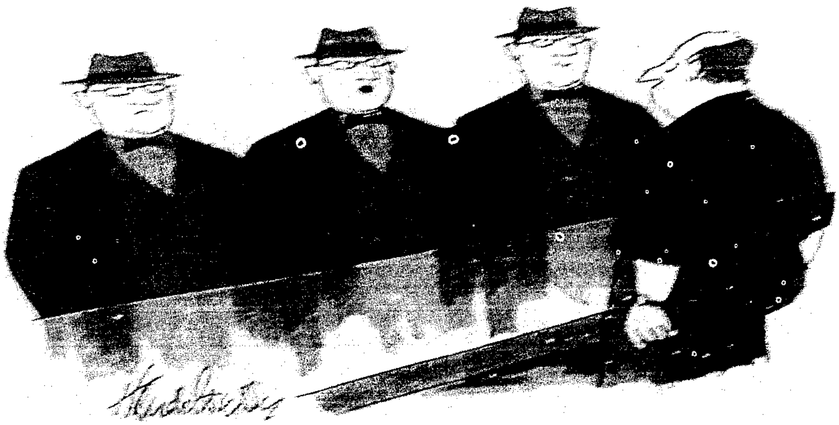
يمر بخبرة الصراع، والقلق، والكرب. وداخل هذا الإطار النظرى يثار السؤال: ما الذى يعطى الفرد شخصيته المميزة؟ بمعنى آخر كيف تفسر الفروق الفردية داخل النظرية؟ فى الجزء الكبير من نظرية التحليل النفسى فى الدافعية، تفسر الفروق الفردية بحجم أو كثافة الحوافز الفردية، وكيف يتم التعبير عن الحوافز وما يتصل بالصراع والقلق، والطرق التى يستخدمها الفرد لمواجهتهما. دعونا نلقِ الضوء على كل واحدة من هذه الطرق على التوالى:

أولاً: يؤدى اختلاف سياقات التشكل والخبرة إلى اختلاف الأفراد فى قوة الحوافز الجنسية والعدوانية.

ثانيًا: يختلف الأفراد فى رغباتهم الجنسية والعدوانية وطرق تعبيرهم عنها. فوفقًا لفرويد، تتسم – واقعيًّا– الطرق التى يُعبر من خلالها عن الطاقة الجنسية والعدوانية، والتى تتحول عبرها هذه الطاقة من صورة إلى أخرى، بأنها طرق غير محدودة. فيمكن أن يستثار الأفراد جنسيًّا من خلال عدد ضخم ومتنوع من التنبيهات البصرية، والسمعية، واللمسية؛ كما أنهم يَجْنون اللذة عند التعبير عن حوافزهم العدوانية عبر عدد ضخم من الطرق، وهو ما يظهر فى أنشطة متنوعة من قبيل مشاهدة أفلام الأبطال، أو الألعاب الرياضات التنافسية، أو المشاركة فى جدال ساخر. علاوة على ذلك يمكن أن يصل الأفراد إلى كل من الإشباع الجنسى والعدوانى معًا بعدة طرق تشمل التلذذ بعذاب المحبوب، أو المشاعر المصاحبة لمواقف التقاتل. ما يجب أن نلاحظه هنا ارتباط الأمثلة التى سُقناها إلى الآن بالفهم التقليدى إلى حد ما للاستثارة الجنسية، ومع ذلك فقد استخدم فرويد المصطلح ليشير به إلى معانٍ أوسع من ذلك، شملت أنشطة من قبيل الأكل، والتدخين، وعديد من أشكال العمل والنشاطات الأخرى. فى أى حالة من هذه الحالات والتى تتصل بأى من الشكلين الأساسيين للحوافز – الجنسية والعدوانية– كان فرويد قادرًا على اقتراح عدد كبير من صور الفروق الفردية فى أشكال ووسائل إشباع الحاجات والحوافز.

ماذا تكون حوافز الفرد بهذا المعنى، إنها فى الحقيقة حوافز فردية[١].

نظرية التحليل النفسى: تؤكد نظرية فرويد فى الدافعية على حوافز "الهو" كما تنتظم بفعل قوى الأنا والأنا الأعلى.



"أعطنى كأسين من الخمر الإسكتلاندى لى ولأنايا الأعلى، وكوبًا من الماء "للهو" فهو الذى سيقود بنا.

ويكمن المصدر الثالث من مصادر الفروق الفردية فى كل من مدى التعـايش مع الصراع والطرق المستخدمة لتحقيق هذا التعايش. ففـى أحـد أطـراف بُعـد التعايش، تتسم الطرق المتنوعة التى يستخدمها بعض الأفراد لإشباع حوافزهم، بأنها تعمل بتناغم وبشكل تكاملى. وفى الطرف المقابل فإن كل جهد حقيقى يـؤدى إلـى حدوث صراع مع حافز آخر أو مع عائق آخر، وهو ما يظهر فى صورة قلق. فى الحالة الأولى، يمكن أن يصل الفرد إلى إشباع للحوافز الجنـسية والعدوانيـة مـن خلال عدد متنوع من الممارسات المتحررة من القلق نسبيًا، أو اللجوء إلى الحيـل الدفاعية. وبمصطلحاته الأبسط "يستطيع الشخص أن يحب ويعمل". وفـى الحالـة

---

(١) Idiosyncratic

الثانية يعانى الشخص من صراع بين رغبة فى إشباع الحوافز ومعايشته لحالات التهديد بالقلق المرتبط بعديد من الطرق المفضية إلى الوصول للإشباع والرضا. وتعد هذه الحالة الأخيرة من الحالات المتطرفة. لذلك يكمن المصدر المهم للفروق الفردية فى كيف نواجه القلق – أى الاختلاف بيننا فى تفضيلاتنا لأىٍّ من الحيل الدفاعية الخاصة سوف نستخدِم.

لذلك تمثل نظرية فرويد إحدى نظريات "العصا فى الدافعية" بتأكيدها على الحوافز أو حالات الاستثارة البدنية وحالات التوتر؛ فتركيزها ينصب على جهودنا لإشباع حوافزنا وصولاً إلى خفض التوتر. وتمثل النظرية إحدى نظريات اللذة؛ لتأكيدها على السعى لتحقيق اللذة وتجنب الألم. وهى نظرية ديناميية؛ بسبب ما تعطيه من اهتمام للحوافز والتفاعل بين القوى المتنوعة داخل الفرد، وبشكل خاص القوى التى تدفع بالفرد للبحث عن اللذة وتجنب الألم (أو القلق). إنها نظرية بسيطة فى عدد ما تؤكده وتحصيه من حوافز، ومع ذلك تعد من النظريات شديدة التعقيد، خاصة عند وصفها للطرق التى تشبع من خلالها الحوافز أو تعاق عن التعبير، وعند وصفها أيضًا للطرق التى يمكن أن تتركب وتتداخل عبرها الحوافز. وأخيرًا تتميز النظرية بأنها تفترض أن لكل فرد بناءً شخصيًّا أو بناءً خاصًّا من الحوافز، وطرقًا لإشباع الحوافز، ووسائل لتجنب القلق. وهذا البناء الشخصى هو ما يعطى للفرد طابعه الشخصى الفريد. إن هذا البناء الشخصى هو ما يبقى ثابتًا نسبيًّا عبر كل المواقف، وعلى امتداد الحياة.

الملاحظة الأخيرة على نظرية فرويد فى الحوافز وتفسيرها للدافعية تتصل بنموذج الطاقة[1] الذى تفترضه. فتتشكل الدافعية –وفقًا للنظرية– من طاقة نفسية تُستمد من الحوافز. هذه الطاقة يمكن أن تُفرغ، أو تنحرف عن مسارها، أو تكبح. فإذا أعيقت إحدى قنوات تفريغ الطاقة فإنها تجد قنوات أخرى، وإذا سعى الفرد

---

(1) The Energy Model

لكبح حوافزه فإن الطاقة تُستخدم لأغراض دفاعية، وينتهى الأمر بأن يستنزف الشخص طاقته بدون أن يجنى اللذة. فاستنادًا إلى معلوماته المشتقة من دراسة الفيزياء، تصور فرويد دافعية الإنسان بأنها تشبه النظام الهيدروليكى الذى تتدفق خلاله الطاقة عبر مسارات متعددة، فيتيسر مسار تدفقها هنا ويعاق هناك، وهى بشكل عام تتدفق عبر المسار الأقل مقاومة. إنه تصور مجازى قوى عن طبيعة الطاقة النفسية، والذى يعد واحدًا من المجازات التى مازال يستخدمها عديد من التحليليين النفسيين إلى الآن، على الرغم مما حدث من تغيرات فى معارفنا عن الفيزياء، وفى فهمنا للعمليات البيولوجية التى تتم داخل الكائن الحى.

وتكوِّن نظرية الحافز لدى فرويد مقومًا جوهريًّا من مقومات نظرية التحليل النفسى التقليدية، ولكى ينظر إلى الشخص على أنه فرويدى حقيقى عليه أن يقبل نظرية الغرائز التى عرضنا لجزء واحد منها فقط. فعبر تاريخ التحليل النفسى بدأ عديد من الباحثين كتابعين لفرويد ونظريته فى الغرائز، ولكنهم بعدئذ طوروا نظرياتهم الخاصة فى الدافعية، وغالبًا ما كانت النظريات التى حلت (مكان نظرية فرويد) أقل تأكيدًا على المؤثرات أو القوى البيولوجية وأكثر تأكيدًا على المؤثرات الاجتماعية والحضارية. وبعيدًا عن ذلك فإن نظرية فرويد فى الدافعية لها القليل من التأثير المباشر على البحث الأكاديمى، وإن كان الموقف على النقيض فيما يتصل بتأثيرها على العمل العيادى فهناك الكثير من الجهود الضخمة التى بذلت لفهم كيف تتشكل الدوافع لدى المرضى، وكيف تنتظم، وكيف تعبر عن نفسها، وكيف تكف، وقد أجرى علماء نفس الشخصية فى المواقف الأكاديمية عددًا قليلاً نسبيًّا من البحوث التجريبية والارتباطية فيما يتصل بهذه المواضيع.

نظرية التنبيه – الاستجابة

اقتفاءً لأعمال "واطسن" Watson، رفض كثير من السلوكيين المفاهيم

الذهنية[1] مثل الدافعية، وما يندرج تحتها من مفاهيم كالحافز على سبيل المثال. ورفض منظر التعلم السلوكى "ب. ف. سكينر" B.F.Skinner كل هذه المفاهيم وحصر تركيزه على تشريطات التعزيز[2] فى البيئة. وفى المقابل افترض باحثون نفسيون آخرون أن مفهوم الحافز يمكن استخدامه بقدر ما يرتبط بظروف خارجية نوعية تكون قابلة للقياس الموضوعى. قد ترتبط هذه الظروف الخارجية عندئذ بحالات الدافع الداخلية، مثل الساعات التى يمكن أن يتحملها الكائن الحى بدون طعام، حيث يتم عندئذ ربطها بقوةٍ بدافع الجوع. واستخدم كثير من منظّرى التنبيه/الاستجابة S–R مثل هذا النموذج، على نحو ما فعل مُنظّر التعلم "كلارك هل" Clark Hull.

كان "كلارك هل" –تقريبًا– أبرز منظّرى التعلم فى زمانه، وإن كان من الصعب تقدير قيمته اليوم. فخلال الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضى، كانت نظريته عن التنبيه/ الاستجابة هى النظرية الأكثر تأثيرًا فى عديد من مجالات علم النفس. ليس هذا فيما يتصل بتعلم الحيوان فقط ولكن فسرت عديد من ظواهر علم النفس الاجتماعى والشخصية فى إطار نظرية التنبيه/ الاستجابة. ووفقًا لما طرحه "هل" ١٩٤٣، فإن الحوافز هى المسئولة عن استثارة الكائن الحى وتنشيطه. وقد ميز "هل" بين **الحوافز الأولية الفطرية**[3]، و**الحوافز الثانوية المتعلَّمة**[4]. فترتبط الحوافز الأولية مثل (الألم والجوع) بشكل عام بالتشريطات النفسية التى تتم داخل الكائن الحى، أما الحوافز الثانوية، فتتمثل فى الحوافز التى تُكتسب على أساس ارتباطها بإشباع الحوافز الأولية. على سبيل المثال، يمكن أن يصبح اكتساب المال دافعًا ثانويًّا لارتباطه بإشباع الدافع الأوّلى. المثال الآخر عن الدوافع الثانوية هو القلق أو الخوف، لارتباطه بالألم كدافع أوّلى. والقلق هو الدافع

---

(١) Mental Concepts
(٢) Reinforcing Conditions
(٣) Primary Drives
(٤) Secondary Drives

الثانوى الأكثر أهمية؛ لأنه يمكن تعلمه سريعًا وبقوة، ومن ثم يصبح دافعًا قويًا.

وتبعًا لنموذج "**التعلم الأدائى لهل**"[1]، ترتبط الاستجابات بالتنبيهات نتيجة للتعزيز خلال خفض المثير الحافز (أى المكافأة[2]، أو تجنب الألم). ويسمى ارتباط الاستجابة بالتنبيه **بالعادة**[3]. وتتكون الشخصية على هذا الأساس من العادات، أو الروابط بين التنبيهات والاستجابات، التى يتم تعلمها من خلال خفض الدافع.

إن أفضل المشاعر تجاه نموذج "هل" يمكن جنيها عند دراسة التجربة النموذجية للتعلم الإجرائى التى أجراها "هل" على الفئران لزيادة حجم التحكم التجريبى فى المتغيرات إلى أقصى درجاته. فى هذه التجربة، تم التحكم تجريبيًّا فى كثافة الدافع، وكمية التعزيز لمشاهدة تأثير ذلك فى التعلم. على سبيل المثال، قد يسعى المجرب لدراسة تعلم الفأر للمتاهة. وقد يتحكم المجرب فى عدد ساعات الحرمان من الطعام (حافز الجوع) وفى كمية الطعام الذى يقدم كمكافأة على أداء الاستجابة الصحيحة فى المتاهة، وتحديد أثر هذا فى تعلم المتاهة. ويتم تعزيز الاستجابة الأدائية (المتمثلة فى اتجاه الحركة داخل المتاهة) من خلال خفض تنبيه حافز الجوع.

ويتمثل المثال التوضيحى الآخر فى تعلم الهروب الأدائى. فى هذا النمط من التجارب (N. E. Miller, 1951) ، وضع الفأر فى صندوق مكون من جزءين: جزء أبيض موصل بقطبين كهربائيين يمثل الأرضية، وجزء أسود ذو أرضية صلبة. وتم الفصل بين الجزءين باستخدام باب. وتلقت الفئران فى بداية التجربة صدمات كهربائية وهى داخل الجزء الأبيض، وسمح لها بالهروب إلى القسم الأسود. لذلك فإن استجابة الخوف قد تم تعلمها فى ارتباطها بالجزء الأبيض، وقد كان الهدف هنا هو اختبار إلى أى حد يمكن للخوف من الجزء الأبيض أن يؤدى

---

(1) Hull's Model Of Instrumental Learning

(2) Reward

(3) Habit

إلى تعلم الاستجابة الجديدة، بمعنى آخر هل يعمل الخوف – كدافع ثانوى– كأساس للتعلم؟ والآن لكى يهرب الفأر من الجزء الأسود، يجب عليه أن يحرك عجلة موجودة فى الجزء الأبيض. حيث يفتح تحريك العجلة الباب للجزء الأسود ويسمح للفأر بالهروب. وبعد عدد من المحاولات، يبدأ الفأر فى إدارة العجلة بسرعة معروفة، يوضح "قلم الاستجابة" مدى ارتباطها بخفض دافع الخوف الثانوى، ونلاحظ هنا أنه فى حين استخدم الطعام كمعزز فى المثال التوضيحى الأول، فإن خفض الخوف استخدم كمعزز فى هذه التجربة.

حتى هذه النقطة قد يتأثر القارئ بهذه التجارب تاركًا الجانب المدهش المتعلق بكيف لمثل هذه التجارب مع الفئران أن ترتبط بشخصية الإنسان. وذلك على النقيض تمامًا من فرويد. لقد استخدم كل من "هل" و"فرويد" مفهوم الدافع وأكدا أهمية خفض الحافز فى التعلم، وكلاهما ربط مفهوم الحافز بالوظائف الفسيولوجية. ومع ذلك، مفهوم فرويد كان مجازيًّا وارتبط بعديد من المشاهدات العيادية، بينما مفهوم "هل" تأسس على القياسات الموضوعية والبحث التجريبى. لذلك، فإنه باستثناء تشابه المفاهيم بدت الفجوة بين النظريتين هائلة جدًّا. وهى الفجوة التى حاول كل من جون دولارد John Dollard ونيل ميللر Neal Miller (1950) أن يقيما جسرًا فوقها. فكلاهما كانا من التابعين لـ "هل"، وتدربا كذلك كمحللين نفسيين. لقد كان دولارد وميللر من بين أول المنظرين الذين ربطوا مفاهيم نظرية التعلم الأدائى بظواهر الشخصية، خاصة الظواهر التى وصفت لدى التحليليين النفسيين.

ولتوضيح منحى "دولارد" و"ميللر"، دعونا نلقِ النظر على مفهوم الصراع، الذى هو محور مركزى فى نظرية كل من "هل" و"فرويد". اكتشف ميللر (Miller,1944) من خلال تجاربه على الفئران ما يمكن أن يحدث إذا ارتبطت نفس الاستجابة بكل من السرور والألم. فبافتراض أن فأرًا جائعًا جرى فى متاهة، ثم كوفئ فى نهايتها بتقديم الطعام له، عندئذ سيتم تعلم استجابة الجرى فى المتاهة

بناء على حدوث التعزيز الإيجابى. ويمكن للمرء أن يرى أيضًا أنه كلما اقترب الفأر من نهاية المتاهة سوف تقوى استجابته (أى سيجرى بسرعة أكبر)، لذلك يمكن للمرء أن يضع خطًا يعبر عن حالة الإقدام أو الاقتراب الذى يعكس تعاظم قوة الاستجابة كلما اقترب الفأر من المكافأة (شكل ٤-١).

والآن، بافتراض أن الفأر قد تلقى فى بعض المرات عددًا من الصدمات الكهربائية فى نهاية المتاهة، عندئذ سترتبط لديه استجابة الجرى فى المتاهة بالعقاب. وبديلاً عن استجابة الإقدام والاقتراب، سيتعلم استجابة الإحجام والتجنب. فى هذه الحالة يمكن لكثيرين منا أن يروا أنه كلما اقترب الفأر من الوصول إلى نهاية المتاهة قويت استجابة الخوف. لذلك يمكن لنا أن نرسم خطًا يمثل استجابة الإحجام والتجنب الذى يعكس أكبر قوة لهذه الاستجابة، أى الاستجابة التى يقترب عندها الفأر من تلقى الصدمة (انظر: شكل ٤-١).

إن الفأر الذى وضع فى مثل هذه المتاهة سيواجه الآن موقفًا ينطوى على صراع. نقطة النهاية نفسها قد يتم ربطها بمعزز إيجابى أو بالعقاب، مع الشعور باللذة أو بالألم. إن الجرى فى اتجاه نقطة النهاية قد يرتبط بخفض حافز الجوع ولكن التجنب قد يرتبط بخفض حافز الخوف. ماذا على الفأر أن يفعل إذن؟ لا بد لكل من استجابتى الإقدام والإحجام أن يختلف خط ميلهما المعبر عن اتجاه حركة كل منهما، لذلك فإن الخطين يتقاطعان عند نقطة معينة، هى النقطة التى تنبأ ميللر بأن الفأر سوف يتوقف عندها عن الحركة، وذلك لأن قوى الإقدام والإحجام أصبحت متساوية. وهذا ما حدث بالفعل، لقد جرت الفئران فى اتجاه نقطة النهاية، ولكنها توقفت عندما أصبحت استجابة الخوف أقوى. علاوة على ذلك، فإنه عند تقوية دافع الجوع، أو عند إنقاص دافع الخوف بتقليل العقاب، تحركت الحيوانات أكثر فى اتجاه بلوغ نقطة نهاية المتاهة.

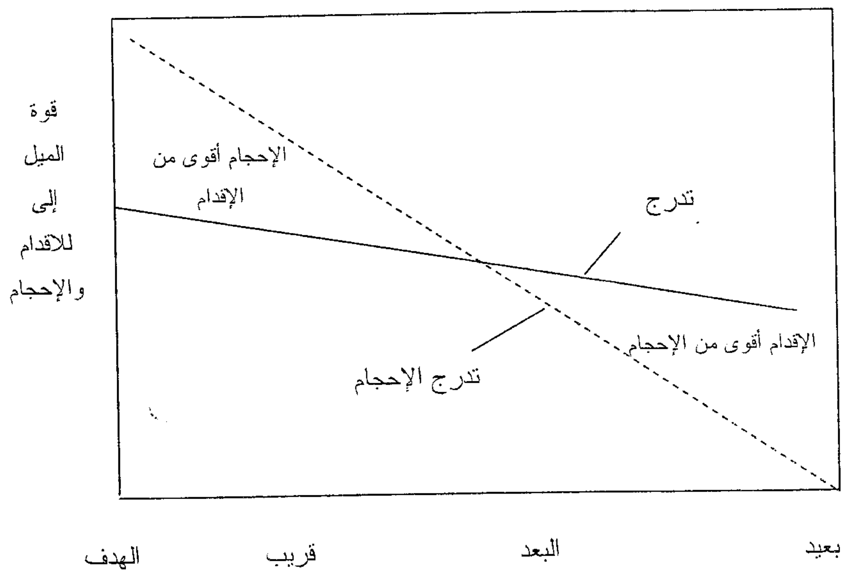
واستخدم دولارد وميللر هذه التجربة كنموذج توضيحى لكيف يمكن أن يصل الأفراد إلى حالة الصراع عندما يخبروا كلاً من استجابتى الإقدام والإحجام فى

علاقتهما بالموضوع نفسه. إن هذا النموذج يمثل لى دائمًا نموذجًا للتحدى لكونه نموذجًا قويًّا عند استخدامه لتفسير ما يواجهه الأفراد من صراعات، ولوصف كيف تسير وظائف الأفراد فى علاقاتها بهذه الصراعات المتصلة بالإقدام والإحجام. إننى أتذكر المريض الذى حدث بداخله صراع يتصل بمشاعره الجنسية تجاه المرأة. فارتبطت مشاعر اللذة لديه بإشباع لذته الجنسية عندما يكون فى اتصال جنسى بامرأة، ولكنه يعانى من ناحية أخرى من عجز الانتصاب ويعايش حالة من الخزى نتيجة ذلك، ومن ثم ارتبط بداخله معًا كل من شعورى اللذة والخزى من الاتصال الجنسى مع المرأة. علينا أن نلاحظ هنا أن استجابة الخزى هذه تأسست جزئيًّا كاستجابة تجاه إحدى السيدات التى حاول أن يمارس معها الجنس، وبقى السؤال: هل إذا كان الأمر مرتبطًا بامرأة أخرى سوف تكون استجابته مشابهة للأولى؟ لقد بقى هذا أمرًا غامضًا بالنسبة له. على أية حال، إن السلوك النمطى الذى سيفعله هو مقابلة امرأة، وسيواعدها للتلاقى لمدة محدودة من الوقت، وسيتطور بداخله فقدانه الاهتمام بعمق العلاقة، وبالاتصال الجنسى. إن ما يسميه بـ "بؤرة الراحة" بالنسبة له تتمثل فى الوصول إلى حالة الاستمتاع بالاتصال الجنسى، ومع ذلك فإنه لا يرغب أن يَخْبُر حالة الخزى المتوقعة عند العجز عن الانتصاب(١).

من خلال مفاهيم الدافع، والصراع بين الحوافز، والقلق، والتعزيز، ترجم دولارد وميللر عديدًا من مفاهيم التحليل النفسى إلى مفاهيم التعلم الإجرائى التى طرحها "هل"، فالمفاهيم التى تبدو غامضة، أو مجازية ربما توضع فى إطار مفاهيم منظمة وفروض قابلة للاختبار بطرق تجريبية. ومع أن إسهامات ميللر كانت بارزة، فإن هذه الإسهامات والجهود لم تذهب بعيدًا وتتطور على النحو المأمول؛ لأن معظم علماء النفس فقدوا اهتمامهم بمفهوم الدافع، وأصبح علماء النفس الإكلينيكيين أكثر اهتمامًا بمبادئ سكينر، كما صاحب ذلك اقتراب بزوغ الثورة المعرفية.

---

(١) An Erectile Dysfunction



شكل ٤-١: شكل يعبر عن صرع الإقدام – الإحجام. الميل إلى الإقدام بعيدًا أكثر عن الهـدف، بينما الميل إلى التجنب أكثر قربًا من الهدف. ويتعاظم الصراع حيثما تتقاطع الخطوط.

(المصدر:

From Personality and Psychotherapy, P. 356; by J.Dollard and N.E.Miller, 1950, New York: McGraw–Hill. *Reprinted by permissionof HarperCollins Publishers, Inc*

نموذج الحاجة – الضغط لموراى[١]

هنا نأتى إلى أعمال هنرى موراى ١٨٣٨ -١٩٣١ خاصة كتابه المهم عـن الشخصية، وابتكاره لاختبار تفهُّم الموضوع (التات)، وسنهتم هنـا بنظريتـه فـى الدافعية، التى شكلت الأساس لنظريته فى الشخصية. وفى الواقع، هناك من يـشير إلى أن موراى يُعَد عالم نفس الدافعية الأبرز (Hall& Lindzey, 1957, p. 71).

---

(١) Murray's Need-Press Model

في مناقشته لمتغيرات الشخصية، أعطى موراى اهتمامًا رئيسًا بمفهوم "الحاجة"، الذى استخدمه بالطريقة نفسها التى استخدم بها الآخرون مفهوم الدافع، وافترض أن "الحاجة" تشتق من قوى داخل المخ، هى المسئولة عن تنظيم عمليات الإدراك والفعل. وهذه القوى قد تستثيرها تنبيهات داخلية أو تنبيهات خارجية. وقد ميز موراى بين الحاجات *الأولية*(١) والحاجات *الثانوية*(٢). وذلك على نحو مشابه لما ذكرناه سابقًا عن التمييز بين الحوافز الأولية والحوافز الثانوية. وميز أيضًا بين الحاجات *الصريحة*(٣) التى يسمح بالتعبير عنها مباشرة، والحاجات *الضمنية*(٤) التى يثبط التعبير عنها أو يعوق. كما ربط موراى بين الحاجات وحالات التوتر داخل الكائن الحى، وربط بين إشباع الحاجات وخفض التوتر. ومع ذلك أشار موراى إلى أن تركيز الباحثين على الحالة النهائية المتصلة بخفض التوتر أعطى صورة غير مكتملة عن العمليات الدافعية للإنسان. ووفقًا لما ذكره، لا توجد رغبة فى الوصول إلى حالة من عدم التوتر، ولكن خفض التوتر هو الأمر الأكثر إرضاءً. لذلك فإن الفرد قد يزيد التوتر كطريقة لتحقيق اللذة التى تصاحب خفض التوتر.

واهتم موراى – بسبب خلفيته البيولوجية والكيميائية– بتصنيف الحاجات، وأدرك أن الباحثين يعتقدون أن مثل هذا التصنيف غير ضرورى، أو بالأحرى مستحيل، ومع ذلك أشار إلى أن الوصف، والتعريف، والتصنيف مراحل مهمة فى ارتقاء العلم. لذلك، نتج عن دراساته المكثفة لعدد صغير من المبحوثين، أن اشتق قائمة من ٢٠ حاجة واضحة و٨ حاجات كامنة، وكل حاجة ارتبطت بها رغبة أو مؤثر متعمد، ومشاعر، وأفعال، وسمات بعينها. على سبيل المثال، ارتبطت بالحاجة إلى السيطرة(٥) الرغبةُ فى التحكم، أو التأثير فى الآخرين، أو توجيه سلوك الآخرين،

Primary Needs (١)
Secondary Needs (٢)
Overt Needs (٣)
Covert Needs (٤)
Need of Dominance (٥)

ويصاحب ذلك الشعور بالثقة، وأداء الأفعال التى توصف بأنها تؤثر وتقود وتستحث وتسود، كما ترتبط بسمات بعينها مثل وصف الفرد بأنه نشيط أو فعَّال أو حاسم. وقد افترض آخرون حاجات أخرى واضحة وهى الحاجة إلى الإنجاز(١)، والتَّواد(٢)، والعدوان، والرعاية(٣)، واللعب، والجنس.

وتركيز موراى على كل من البيئة، والفرد يعد إسهامًا مهمًّا له. فيشير موراى إلى أن خصائص البيئة قد ترتبط بإشباع الحاجة أو إحباطها. هذه الخصائص البيئية هى ما أطلق عليه موراى "الضغط"(٤)، والتى عرفها بأنها جوانب البيئة التى تؤثر فى حسن حال الشخص. وتشكل ضواغط البيئة النظيرِ الخارجى للحاجات الداخلية؛ فالأفراد ذوو الحاجات الخاصة، سوف يجدون بيئات خاصة تتفاوت فى درجة إشباعها لهم، ولأن الأفراد يختلفون فى حاجاتهم، فإنهم يختلفون أيضًا فى البيئات التى سيجدون فيها معظم إشباعاتهم. وعلى هذا يمكن الاهتمام عندئذ بالأفراد والبيئات بدراسة درجة الاتساق بين الحاجات والضواغط، بمعنى آخر مدى وجود درجة من التطابق بين حاجات الفرد وخصائص البيئة؛ فالبيئات التى تتضمن كثيرًا من مظاهر التفاعل الاجتماعى يمكن أن تتطابق مع حاجات الانبساطى، ولكنها لا تتطابق مع حاجات الانطوائى.

وكما لاحظنا، اعتقد موراى أن الجانب المهم فى الشخصية يكمن فى تنظيم الحاجات داخل الفرد. لذلك ابتكر مع كرستينا مورجان Morgan نظامًا لتقدير الحاجات رابطًا إياها بقصص اختبار تفهم الموضوع التى تُقدَّم للمبحوثين. واستخدم هذا الاختبار كمقياس مجازى للحاجات؛ لاعتقاده فى أن الأفراد غالبًا يعجزون عن تحديد وتقرير حاجاتهم الخاصة. وفى حين ركز الباحثون العاديون على النمط أو تنظيم الحاجات داخل الفرد، فإن باحثى الشخصية مالوا إلى التركيز على أفعال الفرد، أو على القليل من الحاجات النوعية.

Achievement (١)
Affiliation (٢)
Nurturance (٣)
Press (٤)



إحدى بطاقات مقياس الحاجة إلى الإنجـــاز. وفيها يطلب من المبحوثين كتابة قصة تعبر عما يحدث فى البطاقة، وما أدى إلى حدوث ما حدث، وما سوف يحدث فى المـــستقبل. وتعطى الدرجة على القصص تبعًـــا لنظـــام تصحيح مقنن.

أشرنا إشارة مختصرة بالفعل لعمل ماكليلاند McClelland فى هذا الاتجاه. (McClelland, 1961; McClelland, Atkinson, Clark, & Lowell, 1953). ما فعله ماكليلاند وزملاؤه هو ابتكـــار مقيـــاس مجـــازى للحاجـــة إلـــى الإنجاز[1] (n Ach)، مستخدمين بطاقات تحتوى على صور صممت بشكل خـــاص لترتبط بهذه الحاجة، والحصول على درجات لفئات التقدير، تُبنى على الفروق بين القصص التى تقص تحت شروط استثارة الحاجة إلـــى الإنجـــاز مقابـــل الـــشروط الطبيعية. وعرفت الدافعية إلى الإنجاز كحاجة لفعل الأشياء على نحو أفضل أو لكى تفوق معايير الامتياز. على سبيل المثال القصة التى تصف شخصًا يكافح لتحقيـــق هدف صعب، أو يتنافس مع الآخرين للوصول إلى النجاح؛ تحصل على درجـــات مرتفعة على مقياس الحاجة إلى الإنجاز مقارنة بالقصة التى تصف شخصًا يفكر فى مصاحبة أسرته فى إجازة سعيدة فى نهاية الأسبوع، لقد نظر إلى هذا بوصفه وظيفة تشبه الدافع البيولوجى إلى حد ما عندما يقوم بتزويد الفـــرد بالطاقـــة، والتوجيـــه، وانتقاء السلوك. ويُنظر إلى الفروق الفردية فى الدافعية إلى الإنجـــاز كاســـتعدادات ثابتة تنشط فى ظل ظروف خاصة، فالأفراد المرتفعون على مقياس الحاجـــة إلـــى

(١) Achievement Need

الإنجاز سنجدهم مختلفين عن أولئك المنخفضين على هذا المقياس بطرق متنوعة. فسنجدهم يفضلون المهام الصعبة (مقابل المهام شديدة السهولة أو شديدة الصعوبة)، إنهم سيفضلون المهام التى سيكونون مسئولين عن نواتجها، والنشاطات التى تتيح لهم فرص التحدى والمسئولية عن نواتج السلوك (Koestner & McClelland, 1990). والدرجة على مقياس الحاجة إلى الإنجاز لا تتنبأ بالنجاح الأكاديمى؛ لأن مثل هذا النجاح غالبًا ما يعتمد على مؤثرات دافعية مختلفة.

بالإضافة إلى الاهتمام بدراسة دافع الإنجاز، بذلت جهود أخرى لدراسة دافع القوة[1] ودافع المودة[2] (McAdams, 1988, 2001; Winter, 1973, 1988). كما أنه تم تقدير الفروق الفردية فى قوة الدافع من خلال الدرجة على قصص اختبار تفهُّم الموضوع، فيما يتصل بالموضوعات المتصلة بدوافع خاصة. فوجد أن الأفراد المرتفعين على دافع القوة يبحثون عن الأدوار القيادية والمناصب ليؤكدوا على ويتحكموا فى تفاعلهم مع الآخرين، ومع الأصدقاء، ويعانون من مشكلات فى علاقاتهم العاطفية. ومقارنةً بذوى الدرجات المنخفضة، وُجِد أن الأفراد المرتفعين على دافع المودة يقضون وقتًا كبيرًا يفكرون فى الأفراد، والعلاقات بالآخرين، وللتعليقات على الأقران، ولوضع أنفسهم على مقربة فيزيقية من الآخرين فى الجماعة، كما يستخدمون فى الاجتماعات الجماعية الكلمات الدالة على الجمع مثل "نحن" و"لنا"..إلخ (Winter, 1988).

قبل أن ننهى مراجعتنا لنموذج الدافعية لموراى، هناك نقطتان مهمتان. تتضمن الأولى بالمقارنة بين مقاييس التقرير الذاتى للدافعية والمقاييس المجازية، وبالعودة إلى ما سبق ذكره، فإن موراى كان قليل الثقة بالتقارير الذاتية، فيقول:

"إن إدراكات الأطفال غير دقيقة، وهم أقل وعيًا بحالاتهم الداخلية، كما يعيدون تجميع الأحداث بشكل خاطئ، وكثير من الراشدين لا تكون إدراكاتهم

---

(١) Power Motive

(٢) Intimacy Motive

أفضل من ذلك (1938, p.15). لقد ذهب ماكليلاند إلى اقتراح أن مقاييس التقارير الذاتية للدافعية تمثل مقاييس مختلفة بالمقارنة بالمقاييس المجازية للدافعية (Koestner & McClelland, 1990; McClelland, Koestner & Weinberger, 1989)، فنادرًا ما ترتبط مقاييس التقرير الذاتى والمقاييس المجازية المتصلة بنفس الدافع بشكل دال، بل إنها قد ترتبط بسلوكيات مختلفة. والاقتراح المطروح هنا هو أن المقاييس المجازية للدافعية هى الأكثر تعبيرًا عن مفهوم الدافعية. بينما تعد مقاييس التقرير الذاتى أكثر تعبيرًا وانعكاسًا للقيم والمعايير الاجتماعية. لذلك، تعد المقاييس المجازية أكثر دقة فى التنبؤ بالسلوك فى المواقف غير المقيدة، بينما مقاييس التقرير الذاتى أكثر دقة فى التنبؤ بالاتجاهات. أيضًا تعد المقاييس المجازية أكثر دقة من مقاييس التقدير الذاتى فى التنبؤ بالأفعال عبر مدد الزمن الممتدة. والسبب المفترض وراء ذلك أن الدوافع التى تقاس بهذه الطريقة تعكس مستوى أكثر أساسية من الوظائف الدافعية".



إحدى بطاقات مقياس الحاجة إلى الألفة وفيها يطلب من المبحوثين كتابة قصة تعبر عما يحدث فى البطاقة، وما الذى أدى إلى حدوث ما حدث؟ وما الذى سوف يحدث فى المستقبل. وتعطى الدرجة على القصص تبعًا لنظام تصحيح مقنن.

إن النقطة الثانية المرتبطة بموقف موراى تتصل بتصوره لعلاقة مفهوم الدافع بمفهوم السمة. لقد ميز موراى بوضوح بين المفهومين ولكنه بعد ذلك فضل مفهوم الدافع. لقد وصف السمة بأنها تشير إلى الاتساقات فى السلوك، بينما تشير الحاجة الى العملية الداخلية التى قد تنعكس أو لا تنعكس فى السلوك، فيقول:

"فى رأيى، إن علم نفس السمة أكثر تركيزًا على الأفعال الأكثـر تكـرارا وتواترًا، والتى تتسم بالاتساق، وهى الأفعال الأكثر وضوحًا وتجليًا (سطح الشخصية)، المشعور بها، والمنظمة، والمنطقية. إنه يقلل من حجم الأهمية المعطاة للعمليات الفسيولوجية المتكررة، والدفعات اللامنطقية، والمعتقدات، والخبرات الطفلية، والدوافع المثبطة.... إنه يقف وقفة قصيرة عند النقطة التى يحتاج علم النفس إلى فهمها، ألا وهى النقطة التى يصبح عندها مـن الصعب فهم ما الذى يجعلنا نتقدم للأمام ونـستمر فـى التقـدم" (1938, p.715).

باختصار، تنطوى نظرية موراى للدافعية على مظاهر عديدة تجعلها تتلاقـى مع باقى نظريات الدافع الأخرى، ونماذج خفض التوتر. ومع ذلـك، كـان لـدى "موراى" اهتمام أكبر من "فرويد" و"دولارد" و"ميللر" بتـصنيف الـدوافع وتقـدير الفروق الفردية، ومع أن الثورة المعرفية جلبت اهتمامًا أقل بنماذج الدافع وبجوانب الدافعية اللاشعورية، فمن خلال أعمال ماكليلاند وآخرين، بقـى بعـض الاهتمـام منصبًّا على دراسة عدد محدود من الدوافع، واستخدام المقاييس المجازية المرتبطة بها. بالإضافة إلى ذلك، استخدمت مقاييس التقرير الذاتى المصممة فى ضوء قائمة موراى للحاجات، واستمارة بحث الشخصية، فى كثير مـن الدراسـات والجهـود البحثية(Jackson, 1984). وعلى النقيض من المحاولات التى بذلها موراى للتمييز بين الدافع والسمة، بذلت جهود أخرى عديدة لربط الدرجات علـى الأدوات التـى تقيس الحاجات بمقاييس السمات والتى منها العوامل الخمسة الكبرى، كمـا بـذلت محاولات أكثر عمومية، لتضمين مفاهيم الدافعية داخل نظرية السمة (Borkenau & Ostendorf, 1989; Costa & McCrae, 1988; McCrae & Costa, 1999).

أضواء على الباحث

دراسة القصص

دان بى ماك أدم



ربما لأن ما يحركنى دائمًا هو القوة التى تتولد بداخلى عند قراءتى للقصص الجيدة، فقد تركزت جهودى فى مجال علم نفس الشخصية على دراسة ما يسرد بشكل قصصى Narrative؛ فحينما كنت طالبًا بالمرحلة الجامعية عملت مع "ديفيد ماكليلاند" David McClland فى أواخر السبعينات، حيث ابتكرت مقياسًا قصصيًّا يكشف عن الفروق الفردية فى الدافعية نحو تكوين الصداقات الحميمة، والرغبة المستمرة فى الشعور بالدفء، والحاجة إلى الحميمية فى العلاقة بالآخرين، والرغبة فى الانخراط فى تفاعلات اجتماعية معهم. ومن خلال تصحيح الاستجابات التى يطرحها المبحوثون حول مواضيع ذات طابع خيالى، والتى ينسجونها بعد اطِّلاعهم على مجموعة من الصور (اختبار تفهُّم الموضوع)، يمكن أن يرصد الباحث شدة دافعية أى فرد لتكوين صداقات حميمة فى حياته. وخلال الثمانينات أجريت مع زملائى عددًا من الدراسات أظهرت نتائجها بالفعل اختلاف الأشخاص مرتفعى الدافعية نحو تكوين الصداقات الحميمة عن المنخفضين فى مستوى هذا النوع من الدافعية على نحو ما تم التنبؤ به على المستوى النظرى؛ فعلى سبيل المثال يدرك مرتفعو الدافعية أنهم أكثر تلقائية، وتعبيرًا عن الحب، كما يقضون معظم يومهم المعتاد فى تأمل طبيعة العلاقات مع الآخرين، ويميلون أكثر إلى الابتسام، والتواصل

بالعين فى مختلف السياقات الاجتماعية، ويكشفون عن مستوى مرتفع من "حسن الحال الذاتية"، بالإضافة إلى أنهم يميلون إلى إعادة صياغة حياتهم الخاصة فى صورة حكايات قصصية تؤكد قيم الدفء، والاتصال الوثيق، والتفاعلات الاجتماعية مع الآخرين. كما بينت النتائج أن الإناث أظهرن مستوى مرتفعًا من الدافعية لتكوين الصداقات الحميمة مقارنةً بالذكور، وتصل هذه الفروق إلى ما هو أبعد من مجرد الفروق الفردية بين الجنسين، عندما نقارن بين الفئتين فى مرحلة الطفولة.

وعلى هذا تعد دراساتى المبكرة عن مفهوم الدافعية لتكوين الصداقات الحميمة من الجهود التى تُبرز الفوائد المثمرة لمدى فاعلية منهج التحليل القصصى (أى تحليل مضمون القصص المتضمنة فى اختبار تفهم الموضوع)، وتوظيفها فى مجال دراسة الفروق الفردية فى الشخصية. والأكثر من ذلك، فإن منهج التحليل القصصى قد أتاح لى فرصة الالتزام بالفروض التقليدية لـ "علم الشخصية"(Personology) و"دراسة سير الحياة" Study of lives كما انعكست فى أعمال كل من هنرى.أ.موراى Murray، وروبرت وايت White. ونتيجة لإلحاح علماء نفس الشخصية على ضرورة الاهتمام بدراسات السير الذاتية، صدرت كتابات موراى التى أشارت إلى أن "تاريخ الكائن الحى يكمن فى تتبع الكائن الحى نفسه". واقتفاء لما أشار إليه موراى، بدأت فى ابتكار، واختبار كفاءة وصدق بعض نظم التصحيح والترميز التى تستخدم فى تحليل السير الذاتية للخبرات الحياتية المبكرة، وخبرات الذروة، ومراحل التحول فى حياة الفرد.

وتطرح نتائج هذه الدراسات بعض الاقتراحات – كما أكدها موراى ووايت– مؤداها أن الفرد باستخدام السرد القصصى يُعيد صياغة كثير من جوانب حياته بطريقة تتسم بالتماسك الموضوعى الملحوظ، ورغم عدم الدقة المتناهية التى تسم هذه الطرق فإننا نجد اتساقًا فى الموضوع؛ فعندما يروى الأشخاص قصصًا حدثت لهم خلال حياتهم، فإنهم يميلون أثناء ذلك إلى تنظيم رواياتهم لهذه القصص وفقًا لتسلسل متماسك و"قوى" (القوة/ الإنجاز/ الاستقلالية) داعم لمفهوم "المشاركة" (الحب/

الحميمية/ الزواج).

وعلى هذا، يمكن أن يمدنا مجال الروايات القصصية بهاديات لفهم ما وراء الشخصية من استعدادات كالدوافع مثلاً. بل يمكن أيضًا أن يُنظر إلى هذه القصص التى يتم سردها بوصفها –هى نفسها– وحدات للشخصية، وذلك على أساس أنها ظواهر نفسية جديرة بالاهتمام الكافى. وأصبحت خلال السنوات العشرة الأخيرة شغوفًا بمعرفة الطرق التى يستخدمها الأشخاص –بشكل طبيعى– لصياغة قصص حياتهم، أو الأساطير الشخصية، التى تمدهم بما أطلق عليه إيرك إركسون "**الهوية**" identity. وحاليًا، أقوم بإجراء دراسات أولية عما يستدمجه الأشخاص وما يمكن أن يستنبط من قصص الحياة، أى القصص الكامنة بداخل الذات التى ينسجونها ليعيدوا بها صياغة الماضى بالشكل الذى يختارونه، وفهم الحاضر، وتوقع المستقبل؛ لكى يعطوا لحياتهم معنى يحقق الوحدة والهدف. إننى أدرس قصص الحياة ليس لأن قصص الحياة تخبرنا عن الدوافع والسمات، ولكن لأن هذه القصص تعبر عن هويتنا؛ فبدءًا من المراهقة المتأخرة، والشباب اليافع، نعيش الحياة كقصة، ونتحدث عنها (سواء لأنفسنا أو للآخرين) بوصفها قصة، وبعدئذ نكمل حياتنا وفقًا لهذه القصص التى رويناها. إن الحياة والقصة يتضافران معًا، وهناك تفاعل جدلى بينهما، فكل منهما يمد الآخر بالمعلومات. إن نظريتى عن تحليل "قصة الحياة الخاصة"، هى جزء من الحركة العقلية النامية اليوم فى العلوم الإنسانية التى تركز على الأنماط القصصية لحياة الإنسان، على نحو ما يتضح فى كتابات علماء مثل جيروم برونر Jerome Bruner، وسيلفان تومكينز Silvan Tomkins، وهوبيرت هيرمانس Hubert Hermans.

ويبتكر الأفراد أنواعًا مختلفة من القصص لينسجوا منها معنى لحياتهم. ولا توجد قصتان متشابهتان بالقدر نفسه. ولكن هناك أشخاصًا، ومواضيع، ومواقف، وحبكات قصصية معيارية واضحة يكيّفها الأشخاص لتتناسب مع قصص حياتهم الخاصة، وذلك لإضفاء المعنى للحياة. لقد عملت فى السنوات القليلة الماضية لوضع

تصنيف للأشكال القصصية – أى لوضع نظام تصنيفى لأنواع مختلفة من القصص التى ابتكرها الأفراد لتعبر عن هوياتهم. وبذلت أيضًا قصارى جهدى لمحاولة فهم إلى أى مدى يمكن النظر إلى بعض القصص على أنها ذات طابع نفسى أو اجتماعى أو أخلاقى، بصورة أوضح من بعض القصص الأخرى. من هذا المنظور، ركزت معظم اهتمامى الحالى على قصص الحياة التى يرويها الرجال والسيدات الراشدون، والذين صنفوا أنفسهم بوصفهم ذوى إسهامات قيمة فى مجال مساعدة الآخرين، وخاصة الأجيال الصغيرة منهم. حيث يميل هؤلاء الراشدون المولدون ***للبناء*** بشكل خاص إلى أن يسردوا قصص حياة يدعون فيها أنهم يساعدون الآخرين ذوى الأعمار الصغيرة، ويقودونهم ليصبحوا متبنين لأيديولوجية واضحة أو لنسق اعتقادى يمكنهم من أن يصنعوا ما هو أفضل من الكثير من الخبرات السيئة التى يواجهونها فى الحياة. إنها قصة الاعتقاد فى أننى كرست حياتى المبكرة، وتفردت لفعل شيء خاص، لذلك فإنه بإمكانى أن أقتفى ما أهدف إليه فى الحياة، وأواجه تحديات الحياة وأنا مزود بحس مرهف تجاه المهمة، وتجاه ما هو مقدر على فعله. وهنا يختار الراشدون المنتجون أن يسلكوا هذا الطريق. إن قصصهم ليس من الضرورى أن تتناول ما "حدث فى ماضيهم بالفعل"، ولكنها تتناول ما اختاروا أن يفعلوه ويُشكل هويتهم الراهنة.

تمثل القصص التى يسردها الأفراد عن حياتهم مفتاحًا لفهم الشخصية، أكثر من السمات، والدوافع، والمخططات، أو أى تكوينات فرضية أخرى تتصل بالاستعدادات فى علم نفس الشخصية. إن التحدى الأساسى الذى سوف أكرس له دراساتى المستقبلية هو التوثيق بطريقة علمية وصحيحة لأوجه التشابه والاختلاف بين الأنواع الكثيرة من القصص التى يسردها الأفراد ليضفوا على حياتهم الوحدة والهدف. وعلى نحو ما نجده لدى كاتبى السيرة الذاتية من الرجال والسيدات الذين نقابلهم كل يوم، فإننى أرى عملى هذا بوصفه فرصة ممكنة لتنمية حياة الأفراد، والإسهام فى حسن حال المجتمع، حيث إن الطريق الذى أسلكه يجعلنى قادرًا على فهم كيف يخلق الأفراد القصص النبيلة، والبطولية، والنموذجية ليحيوا من خلالها.

نظرية التنافر المعرفى لـ: فستينجر

تعد النظرية المعرفية – باختصار – ضمن نظريات خفض التوتر؛ ففى عام ١٩٥٧ نشر ليون فستينجر Festinger كتابه الشهير عن "نظرية التنافر المعرفى[١]" التى أثرت بشكل كبير فى مجال علم النفس الاجتماعى على مدار عقدين من الزمن. ووفقًا لما طرحه فستينجر، يشير التنافر المعرفى إلى حالة التوتر التى تتخلق عندما يصبح اثنان أو أكثر من المعارف التى نتبناها غير متسقة مع بعضها البعض، أو فى حالة صراع مع بعضها البعض، وذلك مثل الجمع بين معلومتىّ "أنا أدخن"، و"أنا أريد أن تكون حياتى صحية". عندما يتولد عن مثل هذه المعارف درجة من التوتر، فإن الأفراد يُدفعون إلى خفض هذا التوتر الذى تخلق نتيجة التنافر المعرفى. وكما أشار أنصار فستينجر حديثًا، أنه أصبح ينظر إلى نظرية التنافر المعرفى خلال السبعينيات بوصفها أهم تطور فى علم النفس الاجتماعى فى ذلك الوقت (Aronson, 1992)، ونحن نعرض لها هنا أيضًا، داخل سياق الشخصية، لما أحدثته من تأثير فى باحثى الشخصية، خاصة اهتمامها بتوضيح كيف يمكن الاهتمام بالعمليات المعرفية داخل إطار نظرية خفض التوتر.

كما لاحظنا مبكرًا، أصبح نموذج التعزيز فى إطار نظرية التنبيه – الاستجابة ممثلاً لوجهة النظر السائدة داخل المجال خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. وظهرت أثناء ذلك نظرية فستينجر فى التنافر المعرفى. دعونا نتتبع إذن تاريخ نشأة هذه النظرية كما أرخ لها "إيليوت أرونسون" Aronson تلميذ فستينجر، الذى كان هو نفسه أحد المساهمين المهمين فى إثراء التراث البحثى الخاص بهذه النظرية. وفى هذا الصدد يقول:

"لأن المجال كان يسيطر عليه "الماركة المسجلة" المتمثلة فى نظرية المكافأة / التعزيز، وكان السلوك المزمع أداؤه يُفسر بوصفه نتاج حصول

(١) Theory of Cognitive Dissonance

الفرد على مكافأة عيانية تكمن فى مكان ما فى خلفية الموقف، لذلك كان اسم اللعبة التى يمارسها الباحثون فى ذلك الوقت شعارها "دعونا نجد المعزز"، وعندما ظهرت نظرية ليون فستينجر وبرز علم النفس الاجتماعى لم يكونوا متماشيين مع ما هو سائد.. وبدأ ليون بقضية بسيطة فافترض أن الشخص إذا تبنى مكونين معرفيين غير متسقين (على المستوى النفسى)، يصبح فى حالة تنافر معرفى، وسيحاول إنقاص هذا التنافر على نحو مماثل لمحاولة خفض حالة الجوع أو العطش أو أى دافع آخر". إن ما أدركه ليون فى سنة ١٩٥٦ هو ضرورة إبرام عقد زواج بين المعرفة والدافعية (Aronson, 1992, pp. 303–304).

ولتوضيح نظرية التنافر المعرفى، وكيف انفصلت بشكل واضح عن نظرية التعزيز التقليدية، دعونا نلقى الضوء على بعض البحوث التى أجريت مبكرًا فى هذا الصدد. افترض أنك تلقيت مكافأة بعد طرحك لإحدى القضايا التى تتناقض مع معتقداتك السياسية، فهل سينتج عن هذا تغير فى معتقداتك هذه؟. تفترض نظرية التعزيز أن هذا ما سوف يحدث، وكلما كبر حجم المكافأة المصاحبة للاستجابة (أى المصاحبة للقضية المعبرة عن المعتقد) كبر حجم التغير فى المعتقد. والمفترض هنا أنه عند حدوث التعزيز، فإنك سوف تربط بين قيمة المكافأة والمعتقد الذى تتبناه، ومع ذلك أوضحت دراسة فستينجر أن الأمر الأكثر احتمالاً، هو أن يغير الأفراد معتقداتهم لتتطابق مع القضايا العامة التى يطرحونها، دون تلقى مكافآت مقارنة بما إذا تلقوا مكافآت كبيرة (Festinger, 1965). وتوضح البحوث التى أجريت بعد ذلك أن الأفراد الذين يبادرون بجدية ويسعون بشدة للارتباط بالجماعة يسعون لأن يصبحوا أكثر شبهًا بالجماعة، وذلك أكثر مما يفعل ذوو المبادرات المتوسطة. وبينما تفترض نظرية التعزيز أننا نتجنب الأشياء التى ترتبط بالألم، تبين نظرية التنافر المعرفى أننا يمكن أن نقدم على أداء أفعال قد تسبب معاناة بالنسبة لنا.

كيف يمكن فهم مثل هذه النتيجة؟ إن ما يفترضه فستينجر فى هذا الصدد هو

أن القضايا العامة التى تتناقض مع المعتقدات الخاصة تمثل معارف متنافرة، وتنتج حالة من التوتر داخل الفرد. فتلقى مكافأة كبيرة على تبنى القضايا العامة يسمح للشخص أن يقلل من التنافر المعرفى لديه من خلال قوله "حسنًا، إننى أفعل ذلك فقط من أجل المال. أنا لا أعتقد حقيقة فى صحة ذلك"، وكلما كبر حجم المال، سهل خفض التنافر بهذه الطريقة. من ناحية أخرى، عندما يتلقى الفرد مكافأة ضئيلة جدًّا تتركه غير مرتاح للفجوة بين ما هو خاص وما هو عام، وتخلق ضغطًا عليه لإحداث درجة من التكيف بين وجهة النظر الخاصة لتتطابق مع وجهة النظر العامة. وعلى نحو مشابه، نجد أن مقاومة المحن التى نواجهها فى البدايات العصيبة (لأى موضوع نبدأ فى خوضه) تتنافر مع الصورة التى يملكها معظمنا عن نفسه، ما لم ير الفرد نفسه كمازوخى يستعذب العذاب والألم أساسًا. لماذا إذن نمضى فى اتجاه اتباع باقى الإجراءات؟ إن هذا أمر من الضرورى حدوثه لأن الجماعة تكون أكثر اندهاشًا، وهو ما يجعل الأمر مفعمًا بالثراء، وكلما زادت صعوبة البدايات الأولى، زاد حجم التشويق الذى يتملك الجماعة، وقد عانت من شيء من هذا القبيل فيالق البحرية الأمريكية لسنوات.

دعونا نلقِ الضوء على واحدة من أكثر الدراسات توضيحًا للنظرية. السؤال الذى عنيت الدراسة بالإجابة عنه تمثل فى: كيف يوفق مدخنو السجائر بين معرفتهم بأن التدخين يسبب السرطان، وآمالهم فى عيش حياة صحية أفضل؟ بالطبع، إن إحدى الحيل التى قد تساعد على خفض حالة التنافر المعرفى هى رفض المعلومات، وكثير من المدخنين يفعلون ذلك. ومع هذا، تبين الدراسات أن كثيرًا من المدخنين يكونون أكثر حذقًا من ذلك فى مساعيهم لخفض حالة التنافر المعرفى لديهم. وهو ما ينعكس فيما يطرحونه من أسئلة، فهناك من المدخنين – وغير المدخنين كذلك– من يطرح أسئلة من قبيل: كم حجم التهديد بالإصابة بالسرطان يمكن إرجاعه إلى التدخين؟ كم حجم التدخين الذى يعد بالفعل مسببًا للخطر؟ متى يحق للفرد تلقى الرعاية الصحية الخاصة بالإصابة بالسرطان؟ ما عدد سنوات التدخين التى يصبح

عندها التدخين خطرًا بالفعل؟ يوضح الجدول (٤-١) النتائج المرتبطة بهذه الأسئلة. وليس أمرًا مدهشًا أن يتبين لنا أن المدخنين يقدرون خطر الإصابة بالسرطان الراجع إلى التدخين بتقديرات أقل من تلك التى يضعها غير المدخنين. بالإضافة إلى ذلك، يشير المدخنون إلى أنه كلما زاد عدد السجائر المثيرة لمخاطر حقيقية، وكلما زاد عدد ما يدخنونه من سجائر، زاد العدد الذى يقدرونه بأنه يسبب خطرًا حقيقيًّا. أخيرًا، يعتقد المدخنون أن الاهتمام بالرعاية الصحية، والوقاية من الإصابة بالسرطان يجب أن تأتى مبكرة بالمقارنة بما يعتقده غير المدخنين. والأمر المثير للانتباه هنا، هو أنه عند زيادة عدد سنوات التدخين، وعدد السنوات المنقضية قبل أن يصبح الأمر خطرًا بالفعل، وعندما تتوافر الرعاية الصحية من السرطان، نجد أن المدخنين يعتقدون أن الرعاية الصحية يجب أن تقدم إليهم قبل أن يصبح هناك خطر حقيقى عليهم! فى المقابل – وكما سبق أن أشرنا– يعتقد غير المدخنين أن عددًا قليلاً من سنوات التدخين تمثل خطرًا على الصحة، وأن الرعاية الصحية يجب أن تكون لاحقة للإصابة بالسرطان، ويجب أن تأتى بعد عدد من السنوات اللاحقة للخطر. ويتضح مما سبق أن مدخنى السجائر قد خفضوا من التنافر المعرفى لديهم من خلال التقليل من حجم التهديد، ليس فقط من خلال رفضهم للربط بين التدخين والسرطان، ولكن من خلال الاعتقاد أيضًا فى أنهم ليسوا مستهدفين، أو لاطمئنانهم بأن الرعاية الصحية متاحة (Pervin & Yolko, 1965).

ومع أن التأثير الأكبر لنظرية التنافر المعرفى تركز أساسًا على علم النفس الاجتماعى، فكثيرًا ما يُنظر إلى النظرية بوصفها ذات تطبيقات مهمة لنظرية الشخصية (Elliot & Devine, 1994). وإذا كان تركيزنا إلى الآن يتصل باستثارة دافعية الأفراد لتقليل حجم التوتر الناتج عن الاعتقادات المثيرة للتنافر المعرفى، إذن ماذا عن الاعتقادات المرتبطة بالذات؟ هل الشخص الذى لديه صورة إيجابية عن ذاته يكون أكثر دافعية لرفض المعلومات المتنافرة مع هذه الصورة؟ وهل الشخص الذى لديه صورة سلبية عن ذاته يكون أكثر ميلاً لقبول العائد السلبى

الناتج عن سلوكه من قبوله للعائد الإيجابى، أى هل تستثار دافعيته فى اتجاه التصرف بالطرق التى تؤكد صورته السلبية عن ذاته. وتشير الدراسات -فى الواقع- إلى أن الأمر على هذا النحو الأخير هو الأكثر توقعًا. وعلى سبيل المثال، وُجِد أن الأفراد ذوى الآراء السلبية عن أنفسهم يتصرفون بما يؤكد صورتهم السلبية عن ذواتهم (Aronson & Mettee, 1968). والسؤال هنا، هل هناك من تفسير معرفى فيما نظر إليه الفرويديون كسلوك مازوخى؟ ربما، فالمازوخيون يبحثون -فقط- عن المعلومات السلبية فيما يتصل بالمجالات التى لديهم فيها مفهوم سلبى عن ذواتهم، أكثر مما يفعله الأفراد الأسوياء عمومًا.

جدول ٤-١

تقديرات المدخنين وغير المدخنين للخطر من التدخين

بالمقارنة بغير المدخنين، قدر المدخنون عددًا أكبر من السجائر التى يمكن أن تؤدى إلى الإصابة بالسرطان، وكذلك عددًا أكبر من سنوات التدخين التى تؤدى إلى ذلك، ورأوا أيضًا ضرورة الاكتشاف المبكر وتقديم الرعاية الصحية من السرطان. وقلل المدخنون من حجم التنافر المعرفى من خلال تقليل تقدير الخطر المرتبط بتدخين السجائر ومن خلال افتراض أن الرعاية من السرطان سوف تأتى قبل أن يصبحوا فى خطر.

البند	المدخنون		غير المدخنين	
	المتوسط	الوسيط	المتوسط	الوسيط
١- تقدير عدد السجائر المدخنة فى اليوم التى تمثل خطرًا بالفعل.	٢٦,٥	٣٠	٢٠,١	٢٠
٢- تقدير الحد الأدنى من عدد السنوات التى يصبح عندها الفرد لديه استعداد للإصابة بالسرطان.	٢٤,٥	١٥	٢٢,٨	١٠
٣- تقدير عدد السنوات التى يجب خلالها تقديم الرعاية الصحية للجميع للوقاية من الإصابة بالسرطان.	٢٢,٦	٢٠	٣٣,١	٢٠

وفى رأى الباحثين ذوى التوجهات المعرفية، أنه من الأفضل افتراض دافع معرفى "لتحقيق الذات[1]" بدلاً من افتراض وجود دافع مازوخى على نحو ما يفترض الفرويديون (Swann, 1992, 1997).

ما الذى حدث لنظرية التنافر المعرفى؟ من بين أكثر الأسباب التى وقفت وراء تناقص الاهتمام بالنظرية ما تتسم به من تعقيد. ولكن جزءًا مما يفسر ذلك أيضًا تأكيدها لخفض التوتر. فعلى نحو ما ذكر فى الاقتباس الذى عرضنا له مبكرًا، عندما أشرنا إلى أن الشخص الذى يخبر تنافرًا معرفيا "سوف يحاول أن ينقص التنافر بطريقة مشابهة لما يفعله الشخص الذى يحاول أن يخفض دافع الجوع والعطش أو أى دافع آخر". بمعنى آخر، تعد نظرية التنافر المعرفى نظرية فى الدافع، وتخضع لنموذج خفض التوتر فى الدافعية. ويخبرنا أرنسون بتفاصيل هذه القصة قائلاً:

> "إنه بحلول منتصف السبعينيات، بدأت فى التضاؤل إغراءات استخدام نظرية التنافر المعرفى كمجال للاهتمام سواء على مستوى المواضيع محل اهتمام المعنيين بالدافعية ككل، أو على مستوى النشر بالمجلات العلمية، بل غُمرت النظرية، كذلك وسط ركام الاهتمام، الذى لا يصدق، بالمناحى المعرفية النقية... إن هذه المناحى بالنسبة لنا، نحن الذين نحيا فى العصر الحديث الذى تسوده المعرفة النقية فى مجال علم النفس الاجتماعى، نعد أكثر دراية بهذه الحقيقة، فلعدد كبير من السنوات، أصبح من السائد أن ندعى اختفاء مفهوم الدافعية، وهو ما يعد بالطبع صياغة خيالية مريحة بالنسبة لقائلها (1992, pp303 – 304).

سوف يكون لدينا فى فقرات قادمة فرصة أكبر للاهتمام بمناحى معرفية صرفة، ولكن دعونا نهتم أولاً بنظريات الجزرة (نظريات الجذب) كما هى لدى كيللى.

Self -Verification (١)

نظريات الدافعية المتصلة بالباعث كجزرة

والآن – واستمرارًا فى الحديث عما سبق طرحه– فإن السلوك الموجه نحو الهدف[1] هو فى الحقيقة مشاهدة وليس استدلالاً... ومن ثم فهو يتطلب المزيد والمزيد من التوضيح، فعلينا أن نسأل: كيف يظهر موقف الهدف؟ ما الذى ينظم النشاطات الموجة نحو الهدف ويوجهها، ويجعلها تتواصل؟ هذه هى الأسئلة المباشرة والتى تحتاج إلى إجابات مباشرة (P.T. Young, 1961, p.58).

لقد اهتمت نظريات الدافعية مبكرًا بتأكيد حالة القلق التى يعايشها الفرد تجاه الأمور التى يتسبب فيها التوتر الداخلى، وبجهود الكائن الحى للتخلص من التوتر، أو التعبير عن الغرائز، أو خفض مستوى الدافع لديه. فى المقابل، فإن التصورات النظرية – التى سنهتم بها هنا– تؤكد أهمية "قوة الجذب الدافعى للبواعث"[2]، أى أنها تهتم بما يتوقعه الكائن الحى من عوامل جذب تدفع به لبلوغ الغايات النهائية. فليس من الأمور التى تحدث كثيرًا أن يكون الكائن الحى مدفوعًا، بل إنه ينجذب نحو شيء ما. فمثلاً تعمل الغايات النهائية المرتبطة باللذة "كجزرة" أو كباعث، فهى تجذب الكائن الحى تجاهها. أما الغايات النهائية المرتبطة بالألم فتجذب الكائن الحى للمُضِى فى الاتجاه الآخر، أى بعيدًا عن الألم. ومع أنه توجد فروق هنا بين هذه النظريات والنظريات المقابلة المتصلة بالدافع، ونموذج خفض التوتر، فيجب أن يكون واضحًا أن نظريات الباعث فى الدافعية لاتزال تؤكد أهمية الكفاح لبلوغ اللذة، وتجنب الألم. وفى هذه الحالات نكون أيضًا أمام نظريات للدافعية تؤكد اللذة.

ملاحظات تاريخية

ترجع نظريات الباعث فى الدافعية –فى بعض الأحيان– إلى الجذور القديمة فى علم النفس. لقد كافح ماكدوجال McDougall كثيرًا لتأكيد أهمية السلوك

---

(١) Goal-Directed Behavior

(٢) Motivational Pull of Incentive

الموجه، والبحث عن الهدف، وأذاع عن نفسه أنه عالم نفس الغرضية[١]. ورفض النظر إلى السلوك بوصفه نشاطًا ميكانيكيًّا، ومتراخيًا، ومحدد التنبيهات، مؤكدًا أن السلوك كفاح نشط تجاه الأهداف المتوقعة: "فنحن نتنبأ بالحدث النوعى بوصفه إمكانية، ونرغب فى رؤية هذه الإمكانية تتحقق، نحن نسلك ونتصرف استجابة لرغباتنا، ونهتدى إلى الطريق والمسار الذى تسير على هَدْيه الأحداث فى ضوء النتائج المرغوبة والمتنبأ بها (1930, p.5). إنه المثابرة، والتغير، بل والسلوك الموجه نحو الهدف هى التى قادت ماكدوجال لوصف نظريته بأنها **غرضية**[٢].

وفى وقت متزامن تقريبًا أكد تولمان (Tolman, 1932) أهمية الغرض والمعرفة عند تعلم الحيوان. وأهمية البحث عن الهدف، وما يسم السلوك من خصائص غرضية – بما فى ذلك سلوك الفئران. وقد أكد كذلك الطبيعة العامة لأفعال الكائن الحى وتكاملها بدلاً من تأكيد تراكمية العادات التى تتكون عند الربط بين التنبيهات والاستجابات النوعية، لذلك رفض تولمان بشدة وجهة نظر "هل". ومثله مثل ماكدوجال؛ كافح تولمان من أجل وضع نموذج للخصائص الغرضية للسلوك وتنظيمها. فرأى أن الكائنات الحية تكافح من أجل تحقيق الأهداف، تلك التى تنتظم فى صورة تدرجية إلى أهداف مرتفعة الرتبة وأخرى منخفضة الرتبة. وترتبط هذه الأهداف بالمكافاة أو القيمة كما ترتبط أيضًا باحتمال إنجاز الأهداف. فيتحدد السلوك من خلال توقع الحصول على الهدف، وقيمة هذا الهدف. وسنجد فى الفصل الثالث ملاحظات أخرى عن نموذج التوقع– القيمة.

وأكد منظرون آخرون أيضًا أهمية الغرضية، ونوعية السلوك الموجه نحو الهدف. ومع ذلك، فإن هذه التصورات لاقت تجاهلاً واضحًا لثلاثة أسباب:

أولاً: أنها بدت شديدة العقلانية (بمعنى أنها أكدت على ما يجرى فى العقل

---

(١) Purposive Psychologist

(٢) Purposive

بدلاً من السلوك المشاهد) وتركز اهتمامها كذلك على "الغاية النهائية[١]". ويشير علم الغايات[٢] إلى اتجاه الوظائف النفسية لتحقيق بعض الغايات النهائية. وعلى سبيل المثال، قد يحيا الفرد لبلوغ غايات معينة كالحصول على مهنة معينة، أو حياة أسرية مميزة، أو عيش حياة أخلاقية يرغبها. ويعنى هذا بالنسبة لبعض علماء النفس أن الأحداث المستقبلية تحدد الأحداث الراهنة. وقد رفض بالطبع أغلب علماء النفس مثل هذه الوجهة من النظر. فرفضوا القول بأن الحاضر فقط هو ما يحكم سلوكنا، بما يشمله من تصورات الإنسان عن المستقبل. وباستثناء هذا الجدل، فقد رُفضت وجهات النظر التى تؤكد الغرضية.

ثانيًا: كانت نظرية التنبيه/ الاستجابة من القوة والانتشار، بما جعلها تسيطر على المجال سيطرة كبيرة، وقادرة على تنحية وجهات النظر الأخرى جانبًا (كوجهة النظر الغرضية)، وتجعلها محدودة المكانة.

ثالثًا: مع تجاهل نظرية الدافع –على نحو ما لاحظنا– وبدء الثورة المعرفية كان هناك ابتعاد بشكل عام عن التوجه الدافعى فى تفسير السلوك، وتهميش للاهتمام بالدافعية؛ فالنظريات الغرضية للدافعية لاقت نفس المصير الذى لاقته باقى نظريات الدافعية على الرغم من تضمنها عنصرًا معرفيًا قويًا – يتمثل فى "التوقع[٣]" أو "التمثل العقلى للمستقبل[٤]".

أدى الارتقاء فى مجال المعرفة فى نهاية الأمر على نحو متزايد، إلى إعادة الاهتمام القوى بالسلوك الموجه نحو الهدف. فخلال الأربعينيات حدث تقدم كبير فى مجال علم الضبط والتحكم (السبرانية[٥]) – وهو المجال المعنى بدراسة كيف يمكن للماكينات المعقدة أن تتحكم فى وظائفها ذاتيًا وتوجهها لتحقيق بعض المهام أو

---

(١) Teleological

(٢) Teleology

(٣) Anticipation

(٤) Mental Representation

(٥) Cybernetics

الغايات النهائية (Winte, 1948). ومن الإنجازات التى تحققت فى هذا المجال على سبيل المثال، الترموستات المنزلى (الذى يتحكم فى الحرارة وتحويلاتها)، والتكييف (الذى يفتح ويغلق للحفاظ على ثبات الحرارة لتحقيق الغاية النهائية المتمثلة فى ثبات حرارة الغرفة)، والطائرة المضادة للنيران (التى تقاد أتوماتيكيًّا بواسطة الرادار الذى يوجه حركتها). لقد أصبحت مثل هذه الماكينات الآن غاية فى التعقيد، وفى الوقت نفسه فإنها تتحكم فى وظائفها وتوجهها بدرجة أكبر تمايزًا عما يحدث لو وُجِّهت من خلال الإنسان، لذلك عندما نركب الطائرة لا نكون على وعى تام – كركاب– بأن الطائرة تهبط ميكانيكيًّا.

بالإضافة إلى ذلك – فيما يتصل بعلم الضبط والتحكم "السبراتية"– حدث تطور ملحوظ فى الحاسبات الآلية منذ الخمسينيات. فأشارت نماذج الحاسب الآلى الخاصة بالوظائف الإنسانية إلى أن الأفراد يستخدمون مبادئ عديدة واسعة النطاق لتوجيه السلوك فى اتجاه بلوغ الأهداف (Newell, Shaw & Simon, 1958) ولذلك فى الستينيات من نفس القرن، ابْتكَرَ الكتابُ ذو التأثير الكبير فى المجال، والمعنوَن باسم "الخطط وبناء السلوك[1]"، نموذجًا مهمًّا يبين كيف يضع الأفراد معيارًا أو غاية نهائية، ويحاولون بعدئذ أن يكيِّفوا سلوكهم ليتلاقى وهذا المعيار (Miller, Galanter, Pirbram 1960). وتنصب افتراضات المؤلفين هنا على توضيح كيفية وضعنا للبناءات التى ننظم من خلالها يومنا المعتاد، وكيفية الجمع بين بعضها البعض. فيشمل بناء اليوم المعتاد خططًا لما نحتاج أن نفعله، وما نتوقع أن يحدث، بمعنى أن أهم ما يَسِمُ اليوم المعتاد من خصائص أنه يخضع للنظام والنمذجة والتوجه نحو الهدف. وعلى هذا فإن لب ما يفترضه الباحثون هو أن أهداف الشخص يتم تمثلها فى صورة غايات نهائية، أو أهداف نهائية توجّه سلوكه، وهذا ما يعد صحيحًا فيما يتصل بالترموستات، أو الرادار الموجّه للطائرات

---

(1) Plans And The Structure of Behavior

المضادة للرصاص. إن الخطط التى يطورها الفرد لتحقيق الهدف والأفعال تُختبر فى اتجاه مقابل للتمثل العقلى للغايات النهائية؛ لنتحقق من: هل مازلنا محافظين على مسار توجهنا؟ وهل اقتربنا من الهدف؟ على سبيل المثال، فإن الشخص قد ينظم يومه حول اجتماع عمل مهم، مركِّزًا اهتمامه على كل من: هل فريق العمل مستعد؟ هل الوثائق رتبت ونظمت على النحو المطلوب؟ وهل تم التدريب على طريقة العرض؟ شخص آخر قد ينظم اليوم حول حدث رياضى مهم، فيعتنى بأكل أطعمة خاصة، وأخذ راحة مناسبة وكافية، وتوفير وقت كاف للإحماء، والتخطيط للحفل الذى سيتبع النجاح المتوقع.

إن الكفاح من أجل تحقيق هذا النمو والارتقاء هو ما أصبح أمرًا مشروعًا يتم تناوله باستخدام مصطلحات الغرضية، والتوجه نحو المستقبل، والسلوك الموجه نحو الهدف. والسلوك هنا لا يوجهه المستقبل بل يوجهه التمثل العقلى للمستقبل، فإذا كانت الماكينات قد وظّفت لتتلاقى وبعض المعايير أو الغايات النهائية فلماذا لا يكون هذا صحيحا أيضًا بالنسبة للبشر؟ وبالرغم من كل ما سبق، فإن الأمر الذى لم يَلقَ الاهتمام الكافى فى هذا النموذج هو كيف تُخلق الأهداف، وكيف نختار من بين الأهداف أو النواتج المرغوبة؟ وعلى الرغم من تركيز النموذج على السلوك الغرضى، فقد بقى مع ذلك ذا توجه معرفى فى طبيعته، حيث ظل يقلل من الأهمية الراجعة إلى القوى الدافعية. ويمثل قول "جاثرى" (١٩٣٥، ١٩٥٢): "إن الشخص يترك ليفكر"، الامتداد الواضح لهذا التصور، وهو قول ينطبق أيضًا على فئران "تولمان"، ولذلك لم يكن من الضرورى فى هذه الحالة العودة للأخذ بنظرية التنبيه/الاستجابة، أو نموذج خفض الدافع.

الجهود الراهنة حول نظرية الهدف

تمضى التطورات فى الثورة المعرفية طوال الوقت من التركيز على

المعرفة الباردة[١]" أى العمليات المعرفية البحتة، إلى التركيز على "المعرفة الساخنة[٢]" أى علاقة الانفعال والدافعية بالمعرفة. وارتبط بهذا الاهتمام بـ "نظريات الهدف فى الدافعية" أن أصبح اليوم مفهوم "الهدف"، بأى شكل من أشكاله جزءًا رئيسيًّا من نظرية الدافعية ونظرية الشخصية (Austin & Vancouver, 1996; Emmons, 1997; Little, 1999; Pervin, 1989). وعُبر عنه بمفاهيم متنوعة مثل مهام الحياة[٣] (Cantor, 1999a)، أو الكفاح الشخصى[٤] (Emmons, 1989b) أو المشروعات الشخصية[٥] (Little, 1989)، أو الاهتمامات الراهنة[٦] (Klinger, 1977)، أو الذوات الممكنة[٧] (Markus & Ruvolo, 1989)، أو المعايير[٨] (Ford, 1992; Locke & Latham, 1990; Pervin, 1983; Sheldon & Elliot, 1999). وما هو مشترك بين هذه المفاهيم هو تأكيدها الغرضية، والسلوك الموجه نحو الهدف، بمعنى آخر نظرتها إلى سلوك الشخص بوصفه ينتظم ليتجه نحو اقتفاء الغايات النهائية المرغوبة أو "الأهداف".

كيف ترتبط نظرية الهدف بالشخصية؟

أولاً: تعيد "نظرية الهدف" مفهوم الدافعية إلى سابق عهده كمركز لاهتمام علماء الشخصية. إنها تفترض أن فهم السلوك الإنسانى، خاصة ما يتصل بكيفية تنظيمه ونمذجته وتوجيهه، يتطلب فهم الدوافع التى تقف خلفه. كما تفترض أن مفهوم الهدف، والنظر إلى الإنسان كنسق من الأهداف المنظمة، يعد تصورًا دافعيًّا مفيدًا.

---

(١) Cold Cognition
(٢) Hot Cognition
(٣) Life Tasks
(٤) Personal Strivings
(٥) Personal Projects
(٦) Current Concerns
(٧) Possible Selves
(٨) Standards

ثانيًا: تؤكد النظرية أن هناك فروقًا فردية فى أنواع الأهداف التى يسعى الأفراد إلى تحقيقها.

ثالثًا: هناك فروق فردية فى الطرق التى يتبعها الأفراد لبلوغ أهدافهم، وهى تتجلى فى الاستراتيجيات والخطط التى تتشكل منها "وظائف نسق تحقيق الهدف".

رابعًا: يُنظر إلى الأهداف بوصفها تقوم بدور مهم ومؤثر فى الجوانب الأخرى للشخصية. والآن دعونا نلقِ الضوء على بعض البحوث التى تتصل بهذا.

ما أنواع الأهداف التى يسعى الأفراد إلى تحقيقها؟ تبرز هنا على الأقل خمس فئات من الأهداف كشفت عنها دراسات "الهدف" المتنوعة (Emmons & Diener, 1986; Ford, 1992; Novacek & Lazarus, 1989; Pervin, 1983). وهى:

١) السعى إلى استرخاء/ والاستمتاع[١] (أى الرغبة فى الاستمتاع: "فكثير من أنشطة حياتى اليومية تتضمن عمل أشياء هدفها فقط بلوغ الاستمتاع والاسترخاء").

٢) العدوان/ القوة[٢] (أى توكيد الذات، والسيطرة: "فبشكل عام أحاول أن أمارس دورًا قياديًا فى المواقف المهمة بالنسبة لى").

٣) تقدير الذات[٣] (أى الارتقاء بالذات وحمايتها: "فكثير من الأنشطة التى أمارسها تتجه نحو الحفاظ على الذات وتحسين تقديرى لذاتى").

٤) الوجدان/ والمساندة[٤] (أى الرغبة فى الارتباط بالآخرين، والاندماج معهم: "إننى أبحث عن الصداقة والعلاقات الحميمة").

٥) خفض القلق/ والتهديد[٥] (أى تجنب التعرض للمشقة: "حيث أقضى وقتًا طويلاً لتجنب المواقف المثيرة للتهديد والخوف").

---

(١) Relaxation/Fun

(٢) Aggression/Power

(٣) Self-Esteem

(٤) Affective/Support

(٥) Anxiety/Threat Reduction

ونلاحظ أن الأهداف السابقة تتضمن صورتين من صـــور الإيجابيـــة، عنـــدما نقترب من بعض الأهداف، أو عندما نتجنب بعض الأهداف الأخرى، بمعنى آخر يمكن أن يكون الهدف شيئًا نبحث عنه للحصول عليه، وقد يكون أيضًا شيئًا نحاول أن نتجنبه (Higgins, 2000, Elliot. 1999; Elliot & Covington, 2001). علينـــا أن نلاحظ كذلك أنه على الرغم من ارتباط بعض هذه الأهداف بعديد من الحاجات التى ذكرها "موارى"، وارتباطها كذلك بعديد من السمات الشخصية، فإن المفـــاهيم هنـــا ليست متماثلة تمامًا. بالإضافة إلى ذلك، فعلى العكس من نظريات الدافع أو الحاجة، فإن التأكيد هنا على طبيعة الفعل المدفوع، والغرضية، والفعل الموجّه نحو الهـــدف بدلاً من التأكيد على خفض التوتر. وعلى العكس من نظريات السمة، فإن التركيـــز يكون على التفسير الدافعى للسلوك بدلاً من التركيز على وصف السلوكيات التـــى تحدث فى تضافر معًا.

ووراء هذه الأهداف، بمختلف فئاتها، فإن لدى الأفراد أهدافًا شديدة الفرديـــة وبناءات أهداف. فمن الممكن أن يصبح أى شىء هدفًا، بعض الأشياء يتم الـــسعى للحصول عليها وبعضها الآخر يتم السعى لتجنبها. والهدف الذى يأخذ أولوية كبرى لدى أحد الأشخاص، قد يكون له أولوية أقل لدى شخص آخر، حينما يتكامل هدفان أو أكثر مع بعضهما لدى أحد الأشخاص فقد يصبحان متصارعين لـــدى شـــخص آخر. وفى الوقت نفسه، هناك عدد من المبادئ تصلح أن تكون أساسًا للبحث فـــى هذا المجال، أهمها:

١) يرجح أن يندمج الأفراد فى السلوك المرتبط بالأهداف مرتفعة القيمة والمحتمـــل تحقيقها أكثر من الاندماج فى السلوك المرتبط بالأهداف منخفضة القيمة والمحتمل تحقيقها بنسبة أقل (Locke & Latham, 1990; Pervin, 1983).

٢) يصاحب التقدم فى اتجاه تحقيق المعايير (أو بلوغ الأهداف) تأثيرات إيجابية، بينما الحركة بعيدًا عنهـــا يـــصاحبها تـــأثيرات ســـلبية (Bandura, 1986; Higgins, 1987; Locke & Latham, 1990; Pervin, 1983; Sheldon & Elliot, 1999; Sheldon & Houser-Marks, 2001; Sheldon & Kasser, 1998)

٣) ترتبط وظيفة نسق الهدف[1] بحسن الحال على المستويين الذاتى والصحى، بمعنى أن الأفراد ذوى الأهداف المحددة، والقابلة للتحقق، والمتكاملة مع الخبرة، يكونون فى صحة أفضل، ويتمتعون بحسن حال ذاتية أفضل، بالمقارنة بالأفراد عديمى الأهداف، أو ذوى الأهداف الغامضة، أو الذين يدركون أهدافهم على أنها صعبة المنال، أو الذين لديهم أهداف متصارعة مع بعضها البعض (Emmons, 1986; Emmons & King, 1988; Palys & Little, 1983; Ryan & Deci, 2001; Sheldon & Elliot, 1999)

٤) يتمايز الأفراد عبر مناطق (أو مجالات) حياتهم، وفى اختياراتهم للأهداف النوعية المتطلب تحقيقها فى المجالات النوعية (مثل تحقيق أهداف فى المدرسة أو العمل، وأهداف الانتماء فى المواقف الاجتماعية)، كما يتمايزون أيضًا فيما يتصل بالاستراتيجيات النوعية المرتبطة بالأهداف والمواقف (Cantor, 1990a; Cantor & Langston, 1989). وبمعنى آخر، على نحو ما افترضه منظّرو المعرفة الاجتماعية، فإن وظيفة نسق الأهداف يمكن أن توصف بالتمايز والمرونة، وفى الوقت نفسه، فإن الأفراد قادرون على العودة إلى بناء الأهداف بشكل عام. وبهذا المعنى ترتبط وظيفة نسق الأهداف بكل من الجوانب الثابتة والجوانب المتغيرة فى سلوك الفرد (Pervin, 1983).

تمثل النتائج – التى عرضنا لها فى الفقرة السابقة– أمثلة توضيحية لأنواع البحوث التى أجراها علماء نفس الشخصية المهتمون باستخدام نموذج الهدف فى الدافعية. مرة أخرى نشير إلى أن ما يربط هذه النظريات ببعضها البعض هو تأكيدها أهمية الدافعية فى فهم الشخصية، وتأكيدها أن السلوك ينتظم فى اتجاه تحقيق غايات نهائية والتى تتمثل فى الأهداف. وتمثل هذه التصورات – فى الوقت نفسه–

---

(١) Goal-System

مجموعة شديدة التنوع والتباين؛ فبعضها مستمد بوضوح من المنظور المعرفي الاجتماعى، بينما بعضها الآخر ليس كذلك. بعضها يحاول خلق صلة مع نظريات السمات، بينما يفترض بعضها الآخر أن السمات والدوافع مفاهيم مختلفة عن بعضها البعض اختلافًا أساسيًّا. ويؤكد بعضها أن الأهداف غايات مشعور بها، فى حين يشير بعضها الآخر إلى أن بعض الأهداف، شاملة الأهداف شديدة الأهمية، تكون لاشعورية أو غير متاحة فى مجال الوعى. بعض التصورات تؤكد أهمية المكونات المعرفية للأهداف، فى حين تؤكد تصورات أخرى أهمية المكونات الوجدانية والانفعالية. وأخيرًا تفترض بعض التصورات أن اللذة ترتبط بعملية التقدم فى سعينا نحو الهدف، بينما يؤكد بعضها الآخر أن اللذة ترتبط بالهدف نفسه.

باختصار، تعد الجهود الراهنة فى مجال دراسة "الأهداف" من الأمور الشاقة. فهناك مجالات للاهتمام وتصورات نظرية تلقى قبولاً عامًّا، فى حين توجد تصورات أخرى غير مقبولة أو لا تلقى اتفاقًا. وفى الواقع هناك مجالان يستحقان الآن اهتمامًا خاصًا. أولهما، يتصل بالسؤال: ما الذى يعطى للأهداف قوتها الدافعة؟ وكيف نكتسب الأهداف؟ معظم نظريات الهدف تصمت تجاه هذا السؤال، ومع ذلك هناك تصورات قليلة تشير إلى أن الأهداف تظهر نتيجة التأثيرات الإيجابية والسلبية وارتباطاتها بالأفراد أو الأشياء (Pervin, 1983, 1989). أما ثانى المواضيع الجديرة بالاهتمام فتتصل بالسؤال: كيف ترتبط الأهداف بالأفعال والمشكلات أثناء الفعل؟ (Cantor, 1990a; Gollwitzer & Bargh, 1996; Kuhl & Beckman, 1985; Pervin, 1991). فمعظم النشاطات تتضمن فعلاً ناتجًا عن أهداف متعددة. لذلك، فإن السؤال عن كيف ترتب الأهداف وتنتظم أصبح موضوعًا مهمًّا. ففى بعض الأحيان لا يكون الأفراد قادرين على الفعل والتحرك فى اتجاه بلوغ أهدافهم؛ فيعجزون عن الدفع بأنفسهم ليصبحوا قادرين على فعل ما يريدون فعله (على نحو ما يحدث عندما يصيرون روتينيين أثناء كتابة مقال معين) أو لا

يستطيعون أن يوقفوا أنفسهم عن فعل ما لا يريدون فعله (مثل الانغماس فى الأكل على نحو قهرى)، مثل هذا التعطل فى السلوك الموجه نحو الهدف أو الذى يسمى بالمشكلات المرتبطة بالإرادة، بقيت لغزًا لدى الباحثين فى هذا المجال، وسوف نعود لهذه المواضيع، والبحوث المرتبطة بها فى الفصل التاسع.

النظريات المعرفية للدافعية: حِمار كيللى(١)

أشرنا فى بداية هذا الفصل إلى أن التصور النظرى لكيللى يرتكز على مفهوم الدافعية. واستخدمنا تصنيفه لنظريات الدافعية وتقسيمه لها إلى "نظريات العصا" و"نظريات الجزرة"، عند وصفه لنظريات الدفع ونظريات الجذب الدافعيتين، مع ملاحظتنا أن كلتيهما من نظريات المتعة المبنية على مَبْدَأىْ بلوغ اللذة وتجنب الألم. علينا أن نتذكر أن كيللى فضل النظر إلى الحيوان نفسه، وأطلق على نظريته نظرية "الحِمار". ومع ذلك – كما سوف نرى– فإن نظريته من الصعب النظر إليها بوصفها نظرية عن "الحِمار" ولا على أنها تندرج ضمن نظريات الدافعية الأخرى القائمة طوال الوقت على أساس معرفى.

سنهتم فى هذا الجزء من الفصل بنظريات الدافعية المبنية على عوامل معرفية. وسنلحظ وجود خاصيتين مميزتين لهذه النظريات بين مختلف النظريات التى نهتم بها، فهى لا تؤكد على مبادئ المتعة واللذة، والألم، وفى المقابل تؤكد أهمية المتضمنات المعرفية.

فى الوقت الراهن، تعتنى النظريات المعرفية بـ "الحاجة إلى الاتساق(٢)" أو "الحاجة إلى أن نعرف(٣)". على سبيل المثال، أكد عالم نفس الذات "برسكوت ليبى" Prescott Leaby (١٩٤٥) أهمية دافعية الشخص للحفاظ على الوحدة، أو التنظيم، أو اتساق الذات. ومع أن هذا قد يبدو مشابهًا لتأكيدات فستينجر Festinger على

---

(١) Kelly's Jackass
(٢) Need For Consistence
(٣) Need to Know

الحاجة إلى الاتساق المعرفى[1]، فإن "ليكى" Lecky لم يربط أى حالة توتر أو قلق بالاتساق نفسه. فنحن نُدفع إلى الحفاظ على الاتساق، لأن هذه هى الطريقة التى لها دلالة بالنسبة لنا. فقد تكون اللذة ناتجًا لتحقيق مثل هذا الاتساق، ولكن ليست هى القوة الدافعة إليه. ومن ثم، مع أن مصطلح *الحاجة* قد يستخدمه بعض المنظّرين المعرفيين، فلا يوجد تأكيد على خفض التوتر أو على مبادئ الدافعية. أو بمصطلحات كيللى إن الكائن يبحث عن الوضوح المعرفى والاتساق المعرفى لأن هذا هو طبيعة الحيوان.

ما الذى تقدمه إذن النظريات المعرفية لفهمنا للمواضيع المرتبطة بالدافعية؟ دعونا نهتم بوجهتين من النظر تتصلان بذلك: نظرية كيللى من ناحية، والنظريات القائمة على مبادئ العزو من ناحية ثانية.

تأكيد كيللى أهمية الأحداث المتوقعة

لاحظنا بالفعل كيف رفض منظِّر "التكوين الشخصى" جورج كيللى مفهوم الدافعية. لقد فعل ذلك لرغبته فى أن ينشق عن نظريات الدافع التقليدية، والطرق التقليدية فى النظر إلى السلوك الإنسانى. ومع ذلك فقد أدرك الحاجة إلى الاهتمام بمواضيع من قبيل: التنشيط، والاختيار، والاستجابات المتمايزة. إذن كيف فسر كيللى ما يمكن أن ينشط الفرد، ولماذا هناك استجابات متمايزة للتنبيهات نفسها؟

افترض كيللى (Killy, 1955, 1985) أنه بدلاً من اللجوء إلى بعض المفاهيم التفسيرية، مثل الدافع أو الباعث، لتفسير ما يدفع الفرد نحو الأمام. علينا أن نقبل الشخص بوصفه كائنًا نشطًا، لأن طبيعة الكائن الحى أن يكون نشطًا. فإذا كان المرء يحتاج إلى مفتاح بدء تشغيل الآلة على نحو ما يحدث فى السيارة، فهذه ليست هى الحال بالنسبة للكائنات الحية. فهى نشطة بطبيعتها، لمجرد كونها حية. ومن ثم

(1) Cognitive Dissonance

يصبح السؤال الأكثر أهمية والأكثر إثارة للتحدى يتصل عندئذ بكيف نفسر اتجاه الاستجابة الدافعية والإعدادات التى تسبقها. لقد افترض كيللى أن الأفراد يسلكون مثل العلماء فى سعيهم لاستباق الأحداث والتنبؤ بها أو الأحداث المتوقعة. نذكر تأكيد كيللى على نسق التكوين الشخصى كطريقة لتمثُّل العالم الذى يساعد الفرد على خلق التنبؤات، أو شحذه فى اتجاه توقع ما يحتمل أن يحدث. ويسعى الأفراد عند القيام بتنبؤات أن يزيدوا من دقة تنبؤاتهم، أن يكونوا – إلى حد كبير– دقيقين فى تنبؤاتهم. ومثل كل العلماء المهرة، يبحث الأفراد عن تفصيل نظرياتهم أو ما لديهم من أنساق التكوينات الشخصية. ومثل كل العلماء المهرة فإنهم يسعون لعمل تنبؤات أفضل وأفضل عبر مدى واسع من الظواهر. بمعنى آخر إنهم يبحثون عن زيادة كل من جانبى "الدقة" و"الاتساع" فى نظرياتهم. أى أنهم – بمصطلحات كيللى– يبحثون عن التفصيل الزائد لنسق تكويناتهم الشخصية. باختصار، يختار الشخص – تبعًا لكيللى– سياق الفعل الذى يبشر بأكبر ارتقاء لنسق تكوينه الشخصى. وخلال أداء وظائفنا اليومية، فإننا نسعى لعمل أفضل التنبؤات التى تتصل بسلوكياتنا الخاصة، وتلك التى تتصل بالآخرين.

ما الإعدادات التى تسبق الاستجابة؟ لم يعطِ كيللى عنوانًا مفصلاً ومباشرًا لهذه القضية. ومع ذلك، اهتم بمتضمناتها وما يتصل بمدى كون تنبؤاتنا للأحداث مؤكدة أم غير مؤكدة. ووفقًا لما طرحه كيللى، فإننا نسعى لتكون تنبؤاتنا مؤكدة وقابلة للتحقق، ونسعى كذلك لتجنب السأم أو الوصول إلى التنبؤات نفسها دائمًا، أو تكرار حدوث الأشياء نفسها دائمًا. وعلى الطرف الآخر، افترض كيللى أن مواجهة الموقف بدون وجود تكوين شخصى مرتبط به، أو بدون تبنِّى طريقة للتنبؤ بالأحداث المتوقعة، ينتج عنه حالة من القلق. أكثر من هذا يخبر الأفراد تهديدًا إذا ما واجهوا أحداثًا تمثل إمكان حدوث كل هذا معًا. وهو ما يؤدى إلى إحداث تغير كلى شامل فى أنساق تكويناتهم الشخصية.

وتبعًا لكيللى، فإن الرعب يتمثل فى كل شيء يعتقد الشخص فى صحته إذا

ما واجه تهديدًا بأن كل شيء يعتقد فى صحته قد أصبح خطأً. لذلك يفترض كيللى أن استجاباتنا للتنبيهات والمواقف يختلف تبعًا لعلاقتها بالتنبؤات التى صنعناها. فنحن دائمًا فى حالة سعى لتفصيل نسق تكويناتنا الشخصية، والبحث عما يجنبنا سأم الروتين، والرعب من حالة عدم التيقن التام.

لاحظ أن الفعل "يسعى" يستخدم هنا فى علاقته بوظيفة نسق التكوين الشخصى، ولا يستخدم ليشير إلى حالة البحث عن بعض الغايات النهائية (أو الأهداف) المرتبطة بقيمة إيجابية. فضلاً عن أن هذا الفعل يستخدم فقط ليعبر عن طبيعة الوظيفة المعرفية للكائن الحى. وتبعًا لكيللى: نحن نبحث عن التنبؤات الأفضل لأنها هى التى تجعل منا "حمير"، أو "علماء"، أو أى شيء من هذا القبيل. فنحن لا نبحث عن التوقعات الأفضل لإرضاء دوافعنا، أو للحصول الأفضل على بعض البواعث. كما أننا لا نبحث كذلك – وعلى نحو متسق– لإنقاص التنافر المعرفى وما ينتج عنه من توتر؛ بل نحن نبحث عن المعرفة المتسقة المتحررة من التنافر حتى نخلق مزيدًا من التنبؤات الأفضل. وباستثناء ما ذكرناه فلا يوجد مزيد من الافتراضات الضرورية.

قد يتساءل هنا الدارس المنتبه: هل يمكن أن ندرج كيللى ضمن من استفادوا من مبدأ اللذة، وهو ما يرجحه اقتراحه بأننا نسعى لتجنب النمطية والملل من ناحية، والقلق والتهديد من ناحية أخرى. كما أشرنا فى مواضع عديدة سابقة (Pervin, 1993b) أن ذلك بالفعل كذلك. ففى تأكيده على الانفعالات المؤلمة المرتبطة بالفشل فى خلق تكوينات مرتبطة، أو خلق تكوينات جوهرية غير صادقة، استفاد كيللى من مبدأ اللذة، وإن كان هذا لم يأخذ صورة التأكيد على الدافع أو مبدأ خفض التوتر. قدم كيللى وجهة النظر التى ترى أن الأفراد يتصرفون كعلماء يسعون إلى التنبؤ بالأحداث، وهو ما يمثل مسلمة أساسية فى نظريته، ومع ذلك لا توجد بحوث لتدعيم أو لرفض هذه الوجهة من النظر. كل ما هنالك دراسة تشير إلى أن عدم التيقن فى ظل ظروف التهديد يخلق لدى الشخص قلقًا ودافعية لإنقاص وخفض حالة عدم التيقن

(Mineka, 1985; Pervin, 1963). ما بقى غير واضح بين كل هذا يتصل بإذا كان عدم التيقن، وعدم الاتساق – على التتابع- يدفعان إلى السلوك أم لا؟ وهل يدفعان إلى ذلك بسبب ارتباطهما بالتوتر والتهديد المصاحب لهما؟ وهل يتضمن الموقف حاجة معرفية شديدة للاتساق أو حاجة إلى التنبؤ والتحكم بحيث يعملان في خدمة باقى الحاجات؟ (Swann, 1997).

باختصار، ما عرضناه هنا من نظرية كيللى هو محاولة الباحث الجريئة لتفسير المواضيع الدافعية بمصطلحات معرفية. فباستثناء الاستخلاصات التى تهتم بموضوع عدم التحدد المعنون من قبل، فإنه من الواضح أن تفسيره يتميز بانحرافه الجذرى عن نظريات اللذة التقليدية المتصلة بالدفع والجذب.

نماذج العزو

في الفصل الثالث، كان الاهتمام بمفهوم "العزو[1]" بوصفه أحد الوحدات المعرفية للشخصية، وألقى الضوء على البحوث التى أجريت على العزو الداخلى والثابت والشامل المرتبط بالأحداث السلبية المتصلة بالاكتئاب. ومع أن تركيزنا انصب على الوحدات المعرفية، فقد لاحظنا أن العزو يمكن أن ينطوى على تضمينات تتصل بالدافعية، لذلك نجد من المناسب أن نتناول الآن "نماذج العزو" داخل سياق النظريات المعرفية للدافعية.

نموذج العزو لوينر

بالعودة إلى ما سبق ذكره، تهتم نظريات العزو[2] بالتفسير السببى الذى يقدمه الأفراد للأحداث. واهتم "برنارد وينر" (Bernard Weiner Weiner, 1983, 1990, 1993) – مثله مثل "سليجمان" Seligman- بالتفسيرات السببية وتضميناتها المتصلة بالدافعية والانفعالات. وتتشابه أبعاد "العزو" التى توصل إليها

(1) Attributions
(2) Attribution Theory

"وينر"، مع تلك التى افترضها "سليجمان" وإن لم تكن متطابقة معها تمامًا. وطرح "وينر" الأسئلة التالية: ما أنواع التفسيرات السببية التى نعطيها للأحداث؟ وعَلامَ تنطوى مختلف التوقعات السببية التى تتصل بكيف نشعر وماذا نفعل؟ فهل يختلف الأمر إذا تبنينا اعتقادًا بأن النجاح هو نتاج الحظ فى مقابل اعتقادنا أنه نتاج العمل الجاد؟ هل تحدث فروق فى تعاملنا مع الآخرين إذا ما عزونا مشكلات تفاعلنا معهم إلى ضرورة تجنب أمر ما يناقض الأحداث الواقعية التى حدثت؟ إلى أى حد يعد العزو مسئولاً عن الأحداث المؤثرة فى كيف نشعر تجاه الآخرين وكيف نستجيب لأنفسنا وللآخرين؟

ما أنواع التفسيرات السببية التى نعطيها للأحداث؟ يفترض "وينر" أنَّ هناك ثلاثة أبعاد تتصل بالتفسيرات السببية. البعد **الأول**، يستمد من جهود روتر Rotter حول **مركز التحكم**[1] **فى التعزيز**، واهتمامه بما إذا كانت الأسباب التى يفسر بها الفرد الأحداث تدرك على أنها تأتى من داخله (عزو داخلى) أم تأتى من خارجه (عزو خارجى). وقد أطلق على هذا البعد "مركز التعليل[2]". أما البعد **الثانى**، فهو "**الاستقرار**[3]"، ويتصل بمدى إدراك الفرد للسبب على أنه سبب مستقر وثابت نسبيًا، مقابل إدراكه على أنه غير ثابت ومتغير. ومن ثم، يمكن أن يتم عزو النجاح أو الفشل لما لدى من قدرات (كقولى: "إننى نابغة")، أو للجهد الذى أبذله ("إننى أبذل قصارى جهدى")، أو إلى مدى صعوبة المهمة ("كان الامتحان سهلاً") أو إلى الحظ والتوفيق ("لقد كنت محظوظًا فى تخمينى للإجابة الصحيحة").

البعد **الثالث** الذى افترضه "روتر"، هو "**القابلية للتحكم**[4]"، وهو الذى يتصل بمدى قابلية الأحداث لأن تخضع للتحكم مقابل ما تتطلبه من جهد إضافى حتى يمكن التأثير فيها. على سبيل المثال، عدم القبول الاجتماعى بسبب "عدم الجاذبية

---

(١) Locus of Control

(٢) Stability

(٣) Locus of Causality

(٤) Controllability

البدنية[1]" قد يُعزى إلى أسباب داخلية، مستقرة، غير متحكم فيها، بينما عدم القبول الاجتماعى بسبب "إصدار السلوك البغيض" قد يُعزى إلى أسباب داخلية، مستقرة، متحكم فيها. فى كل حالة من هذه الحالات، هناك عزو وسبب مهم يفسر به الشخص الأحداث. فقد يرى بعض الأشخاص أداءهم العقلى نتاجًا لما لديهم من ذكاء مستقر[2]، بينما قد يراه آخرون نتاجًا للجهد والمعرفة المكتسبة (Dweck, 1999) .كما هو واضح، وكما سوف يتضح فيما سنعرضه من بحوث، مثل هذه الطرق المختلفة من العزو لها متضمنات ودلالات مهمة فيما يتصل بدرجة فعالية الأفراد فى مختلف المواقف الاجتماعية والتعليمية التى يواجهونها.

هل هناك متضمنات انفعالية ودافعية لمختلف أساليب العزو؟ أشار "وينر" – كما لاحظنا– إلى حدوث هذا فى كثير من الحالات. وهو ما يتجلى فى الفروق الكبيرة التى نلحظها عندما يتصل الأمر بكيف نشعر، وماذا نفعل إذا عزونا النجاح إلى الجهد مقابل إذا عزوناه إلى الصدفة، فعزو النجاح إلى أنفسنا (مثل قدراتنا وجهودنا) يؤدى إلى مزيد من تقدير الذات أكثر مما يحدث عندما نعزو نجاحنا لأسباب خارجية، كأن نعزو النجاح إلى سهولة المهمة أو التوفيق أو الحظ. فى المقابل، يؤدى عزو عدم النجاح إلى أسباب سلبية أيضًا إلى مزيد من "لوم الذات[3]" والتقليل من "تقدير الذات[4]". ووفقًا لما يشير إليه "وينر"، يكمن الأمر الأكثر أهمية ودلالة فى امتداد أساليب العزو على بُعد "القابلية للتحكم"، وهو البُعد الذى يُظهر جانب المسئولية الشخصية الذى ينطوى عليه مفهوم العزو. فيرتبط العزو المتصل بالتحكم لدى الأفراد الفاشلين (والذى يظهر فى تعبيرات مثل: "أنا لا أستطيع أن أمنع ذاك......") بانفعالات من قبيل "تأنيب الذات" و"الشعور بالخزْى" و"المهانة" بينما العزو المرتبط بعدم التحكم فى الفشل الشخصى (كالقول بأن كل ما يحدث

---

(١) Unattractiveness

(٢) Fixed Intelligence

(٣) Self-Blame

(٤) Self-Worth

حولى يقع بعيدًا عن تحكمى) لا يؤدى لمثل هذا النوع من نقد الذات[1]. على نحو مشابه، يعد العزو المرتكز على القابلية للتحكم عند تفسير فشل الآخرين أمرًا مهمًّا فى علاقته بالدافعية الاجتماعية، والفعل الاجتماعى؛ فنحن نضع على عاتق الآخرين مسئولية فشلهم عندما نعزو ذلك لأسباب تتصل بالقابلية للتحكم، وبالتالى نشعر بالغضب تجاههم. وفى المقابل نشعر بالتعاطف تجاه أولئك الذين ننظر إلى فشلهم بوصفه نتاج ظروف بعيدة عن تحكمهم. فإذا نظرنا إلى الفشل أو المرض بوصفهما نتاج ضعف سلوك المخاطرة لدى الأفراد، فإننا سنشعر بالغضب تجاههم وسوف نصفهم بهذا الضعف، بينما إذا نظرنا لذلك بوصفه نتاجًا لوجود عوامل وراثية، أو لوجود ظروف أخرى تقف وراء تحكم الفرد، فإننا سوف نشعر بالتعاطف معه وسوف نبحث عمَّا يساعده. باختصار، إن العزو الذى نفسر به السلوك يحدد ما إذا كنا ننظر إلى المشكلة على أنها واحدة من خطايانا (القابلية للتحكم) أم على أنها مرض أو ضعف يصيبنا (عدم القابلية للتحكم). بشكل أكثر تجريدًا، تتأثر بشكل دال مشاعرنا تجاه أنفسنا، وتجاه الآخرين وما يترتب على ذلك من أفعال، ودوافع بطريقة عزونا السببى للأحداث، وتفسيرنا لها.

نموذج دويك عن الاعتقادات الضمنية عن الذات والعالم

إن النموذج الآخر الذى تأثر بشكل كبير بالمعرفة ودلالات العزو هو المنحى المعرفى الاجتماعى للدافعية لكارول دويك[2] Carol Dweck (Dweck, 1999). بدأت أعمال دويك بملاحظتها لاختلاف استجابات أطفال المدارس نحو فشلهم على المهام الأكاديمية (C.I Diener & Dweck, 1978. 1980). حيث أبدى التلاميذ أسلوبين للاستجابة للفشل جديرين بالملاحظة، وهما: "أسلوب العجز[3]" و"الأسلوب الموجه نحو السيطرة[4]". ففى استجاباتهم للفشل، أبدى الأطفال ذوو الأسلوب

---

(1) Self-Criticism
(2) Caroal Dweck' Social Cognitive Approach To Motivation
(3) Helpless Style
(4) Mastery-Oriented Style

العاجز بسرعة خبرات معرفية سلبية بالذات (أنا لست كُفْئًا، إنه خطئى)، فضلاً عن الضجر والقلق وكره المهمة. ونتيجة لهذه المعارف والتأثيرات السلبية حدث تناقص ملحوظ فى أدائهم اللاحق. وفى المقابل، واجه الأطفال ذوو "الأسلوب الموجه نحو السيطرة"، المشكلات الصعبة، وأدركوها على أنها خبرات تتطلب التحدى، وعليهم أن يسيطروا عليها بجهودهم الشخصية. فحدثوا أنفسهم بأقوال من قبيل (لقد فعلت ذلك من قبل، ويمكننى أن أفعل ذلك ثانية). وفى حين نظر الأطفال ذوو الأسلوب العاجز إلى الصعوبات والمشكلات على أنها خبرات فشل تدل على ضعف قدراتهم وضعف تشخيصهم لأسباب الفشل، نظر الأطفال ذوو "التوجه نحو السيطرة" لما يواجهونه من صعوبات كنكسات مؤقتة، وفرص لمزيد من الارتقاء بالكفاءة الذاتية. ومن ثم تعد أساليب العزو التى تتصل بمواجهة الصعوبات والمشكلات شديدة الاختلاف، ولها دلالات شديدة الأهمية فيما يتصل بالانفعالات والدافعية.

لماذا تظهر مثل هذه الفروق فى أساليب الاستجابة؟ لقد وجدت "دويك" أن مجموعتىّ الأطفال تسعيان إلى تحقيق أهداف مختلفة (Elliot & Dweck, 1988)؛ فبينما يسعى الأطفال ذوو "الأسلوب العاجز" إلى تحقيق أهداف أدائية، يسعى الأطفال ذوو "الأسلوب الموجّه نحو السيطرة" إلى تحقيق أهداف تتصل بالتعلم. فتبحث المجموعة الأولى عما يبنى قدراتها ويجنبها مشاعر عدم الكفاءة، فى حين تبحث المجموعة الثانية عما يحسن كفاءاتها. إن ما تنطوى عليه هذه الفروق تعكس وجهات نظر مختلفة، أو نظريات مختلفة عن طبيعة الذكاء. فبينما تنظر المجموعة الأولى من الأطفال إلى الذكاء كهوية أو **ككيان**(١) (أى كأمر راسخ وثابت). تنظر المجموعة الثانية من الأطفال للذكاء على أنه شىء **طيِّع**(٢) (أى بوصفه وظيفة طيِّعة وقابلة للتشكل). والنظرة إلى الذكاء بوصفه قدرة راسخة أو مستقرة تترك أطفال المجموعة الأولى لمشاعر القلق والاستهداف بينما النظرة إلى

---

(١) Entity

(٢) Incremental

الذكاء كشيء طَيِّع يجعل الأطفال الآخرين مستعدين لمواجه التحديات ببذل مزيد من الجهد والتزود بالحماس.

الخلاصة، تفترض بحوث "دويك" أن أساليب عزو الأحداث تعد أمرًا مهمًّا، وبالأحرى يكمن خلف أساليب العزو عدد من الاعتقادات حول الذات والعالم. وينظر إلى مثل هذه الاعتقادات، أوالنظريات الضمنية[1] عن الذات والعالم على أنها الأكثر جوهرية من أساليب العزو، وفى الحقيقة اعتنت "وينر" بوصف ما يكمن من أسباب وراء عمليات العزو. هل هذه النظريات تنطبق على الميادين غير الأكاديمية أيضًا؟ تفترض "دويك" أن الاستجابة للرفض الاجتماعى تكشف تعدد الاستجابات المتشابهة والمتنوعة. ولتقدم مزيدًا من التوضيحات التى استخدمتها فى بحوثها، اهتمت "دويك" بالسؤال التالى: "افترض أنك حاولت التقرب من جار جديد لك. فالفتاة التى قابلتها قد لا تحبك فلماذا يحدث ذلك لك؟" مع أن هذا الموقف قد يأخذ صورًا مختلفة ظاهريًّا، فكثيرًا ما يواجهه المرء بشكل متكرر. وفى حين يعزو البعض الرفض إلى عدم الكفاءة الاجتماعية/ الشخصية، يعزو البعض الآخر ذلك إلى العوامل الشخصية بدرجة أقل. وعند مشاهدة السلوك الواقعى، وجدت "دويك" أن الأطفال الذين يعزون الرفض إلى عدم الكفاءة الاجتماعية/ الشخصية (الاعتقاد فى الهوية) أظهروا درجة أكبر من الانسحاب، ودرجة أقل من المرونة الاجتماعية، بينما الأطفال الذين عزوا الرفض الاجتماعى إلى العوامل الشخصية بدرجة أقل (اعتقاد الإضافة) عايشوا درجة أقل من الإعاقة بسبب الرفض وكانوا أكثر قدرة على التكيف مع سلوكهم ليغيروا الظروف. باختصار، قد يحدث تشابه بين "النمط العاجز" فى مقابل "النمط الموجه نحو السيطرة" عند الاستجابة للرفض الاجتماعى كما يظهر فى الاستجابة نحو الفشل على المهام العقلية.

أخذًا بنتائج هذه البحوث كنقطة انطلاق، دعُونا نتأمل نموذج "دويك" فى

---

(١) Implicit Theories

الدافعية. تفترض دويك أن الأفراد ينمُّون بداخلهم نظريات ضمنية عن أنفسهم وعن العالم. هذه النظريات توجههم بعدئذ فى اتجاه أهداف مختلفة. تأخذ مثل هذه الفروق أشكالاً مختلفة، منها ما لاحظناه عن مدى سيادة الإنجاز العقلى– الأهداف الأدائية مقابل الأهداف المتصلة بالتعلم. وتؤدى النظريات والأهداف عندئذ إلى أن يختلف الأفراد فى طرق عزوهم لنتائج سلوكهم، كما تؤدى لاختلافهم أيضًا فى درجة تأثيرهم فى الأحداث، واستجاباتهم السلوكية نحوها.

النظرية ← التوجه نحو الهدف ← النمط المعرفى الوجدانى السلوكى.

نؤكد مرة أخرى أهمية أساليب العزو التى أشرنا إليها، وكونها تبنى على أساس وجود أهداف ضمنية، تعكس نظريات ضمنية كامنة، تركز على الذات والعالم. فيختلف الأفراد فى نظرياتهم الضمنية وما يترتب على ذلك من فروق فى أهدافهم، وأنماط استجاباتهم. ومع ذلك من المهم أن نلاحظ أنه فى إطار النظرية المعرفية الاجتماعية يُفترض أن الأفراد ينمُّون نظريات مختلفة، وأهدافًا مختلفة، فى علاقاتها بمختلف المجالات، لذلك لا يوجد سبب لافتراض أن الشخص الذى يكشف عن أسلوب العجز فى علاقته بالمواقف الأكاديمية لن يكشف عن أسلوب موجّه نحو السيطرة فى علاقاته بالمواقف الاجتماعية.

وكنتيجة لتأكيد أهمية النظريات الضمنية، والأهداف والاستجابات المعرفية فى إنجاز الأهداف أو عدم إنجازها، يمثل نموذج دويك نموذجًا اجتماعيًّا معرفيا للدافعية. إن وحدات الشخصية التى يتم التأكيد عليها فى هذا النموذج هى الوحدات التى أشرنا إليها بوضوح فى الفصل الثالث – الاعتقادات، والأهداف، وأساليب العزو. ولأن دويك قد أكدت على الأهداف بوصفها وحدات معرفية مهمة، فتندرج تأكيداتها الأولية تحت المتغيرات المعرفية أكثر مما تندرج تحت مبادئ جنى اللذة – وتجنب الألم (مبادئ اللذة) المرتبطة بنظريات الباعث فى الدافعية. ولهذا السبب عرضناه هنا لمناقشتها كنظريات معرفية فى الدافعية.

أضواء على الباحث

التصورات الضمنية عن الذات والعالم

كارلوس س. دويك



عندما كنت طالبة بجامعة ييل Yale في أواخر الستينيات، أجريت بحثًا عن التعلم لدى الحيوان، وقد ملك خيالي، واستولى على تفكيري دراسة العجز المتعلم hopeless Learning لدى الحيوان. وأدركت في ذلك الحين أن هذا المفهوم ذو علاقة وثيقة بكيفية توافق الأفراد مع الأحداث السلبية، لذلك وجهت بحوثي في اتجاه هذا الموضوع. ورغبت في تفسير ما يكشف عنه بعض الأطفال من استجابات تتسم بالعجز المتعلم عندما يتعرضون لمواقف تنطوي على نوع من الفشل، مقابل ما يكشف عنه أطفال آخرون، لهم نفس الإمكانات والقدرات، عن درجة أكبر من "التوجه التحكمي". وفي البداية استغرقني البحث عن كيف يفسر الأطفال فشلهم: فقد فسره بعضهم بوصفه مؤشرًا لما يملكونه من ذكاء، وفسره بعضهم الآخر بأنه مؤشر على ضرورة أن يبذلوا من جانبهم مزيدًا من الجهد، أو يستخدموا استراتيجيات جديدة لمواجهة مثل هذه المواقف.

وبتقدمنا في البحث، تدعم لدينا هذا الفرض بعمق أنا وتلامذتي أكثر وأكثر، لقد بدأنا نكتشف أن الأطفال يتبنون الكثير من الاعتقادات الأساسية عن أنفسهم (النظريات الضمنية) وهي التي تمثل -فيما يبدو- البدايات الأولى التي تنطلق منها تفسيراتهم للموقف.فقد وجدنا أن الأطفال الذين يتبنون تصورًا عن ذكائهم بوصفه

سمة مستقرة لا تتطور، هم الأكثر عرضة للوقوع في الفشل (وأكثر إظهارًا لاستجابات العجز). بينما الذين يعتقدون أن ذكاءهم سمة قابلة للتشكل، أي يستطيع الفرد تنميتها، فقد قادهم هذا إلى إعادة التفكير في استراتيجياتهم، وليس فيما ينطوي عليه ذكاؤهم عندما يواجهون العقبات.

و بيَّن لنا هذا البحث كيف يمكن أن تخلق النظريات الضمنية التي يتبناها الأفراد إطارًا لفهمهم لذواتهم. ومن هنا يمكن أن نفترض أنه إذا واجه شخصان – لديهم المستوى نفسه من القدرة– ظروفًا موضوعية متماثلة ستكون تفسيراتهم، وردود أفعالهم للموقف الواحد مختلفة بشكل واضح.

إن نموذج النظريات الضمنية يقودنا إلى عديد من التوجهات الجديدة. إنه يساعدنا على فهم تطور استجابات العجز لدى الأطفال الصغار (الذين يعتقد أنهم غير مستهدفين للعجز). كما يساعدنا على فهم مختلف الاستجابات تجاه المعوقات الاجتماعية. وربما تكون دراسة الأحكام الاجتماعية هي أفضل التوجهات الجديدة أهمية، وأكثرها تشويقًا؛ فهي تتصل بالإجابة عن أسئلة من قبيل: كيف للأفراد – الذين يعتقدون في استقرار ذكائهم، مقابل الذين يعتقدون في إمكان تطوير هذا الذكاء– أن يفهموا الآخرين ويحكموا عليهم؟ أي النظريات الضمنية تدعم في اتجاه إصدار الأحكام المرنة، وأي منها تشجع أكثر على إصدار الأحكام النمطية المتصلبة؟ ومع ذلك، إننا نحاول أن نلقي الضوء على المعتقدات الأساسية التي نتبناها، والتي يمكن أن توجه أفكارنا وأفعالنا تجاه العالم.

نظريات الدافعية لتوكيد الذات والنمو

حان الوقت الآن، للتركيز على نموذج الدافعية الرابع والأخير: المتمثل في نظريات الدافعية المتصلة بتوكيد الذات والنمو. فقد شاعت النظريات التي تبنت هذا النموذج بشكل خاص في الستينيات، مما أفرز ما وصفناه في الفصل الأول بحركة

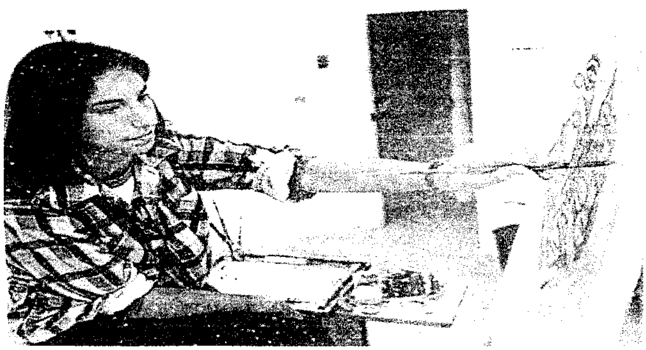
الإمكانات الإنسانية[1]. ونُظِر إلى هذه الحركة بوصفها القوة الثالثة فى علم النفس الأمريكى، تقابل ما كان ينظر إليه على أنه سلبى ومتشائم، وتصورات محددة للطبيعة البشرية، الذى يتضمن القوتين الأخريين: التحليل النفسى، والسلوكية. وقد تمثل العنصر الرابط بين المواقف النظرية المتنوعة داخل هذه الحركة فى تأكيد هؤلاء المنظّرين على ميل الكائن الحى الأساسى للنمو وتوكيد الذات.

ونمت وتطورت "حركة الإمكانات الإنسانية" – مثل معظم النقلات التطورية– بعيدًا عن كل من التطورات العلمية والتطورات الاجتماعية؛ فقد كان عقد الستينيات أحد العقود التى اتسمت بالمثالية، والتأكيد على النمو وعلى إدراك الفرد بوصفه مليئًا بالإمكانات الإنسانية وذلك كجزء من هذه النظرة المثالية. وفيما يتصل بالتطورات العلمية المتصلة بعلم النفس، ظهرت دلائل واضحة على محدودية مفهوم الدافع، ونموذج الشخصية الخاص بخفض التوتر فى تفسير السلوك. فمن خلال عمله مع القردة، صُدم مارلو Harlow (١٩٥٣) بواقعة أن القردة تتعلم بشكل أكثر كفاءة إذا أعطيت الطعام قبل أن تُختبر بدلاً من إعطائها إياه بعد الاختبار، وهو ما وقف مناقضًا للتصور الشائع عن الآثار الميسرة المفترضة (الجوع) والآثار التعزيزية المرتبطة بخفض الدافع. بالإضافة إلى ذلك، وجد "هارلو" وتلامذته أن الحيوانات تندمج فى السلوك الاستكشافى من أجل الاستكشاف ذاته، ولذلك تسعى للحصول على فرصة للاكتشاف. هل يفترض المرء دافعًا للاستكشاف ودافعًا آخر منفصلاً تبعًا لكل نمط من أنماط النشاط؟ هذا بالطبع يصعب قبوله.

بعد ذلك – وبشكل موجز– نشر واليت Wlite (١٩٥٩) مقالة تحدى فيها وجهات النظر التقليدية فى الدافعية. وفى هذه المقالة –التى أصبحت من الأعمال التقليدية (الكلاسيكية) فى المجال– افترض "واليت" أن الدافع الإنسانى الأساسى يتمثل فى الدافعية نحو الكفاءة[2] – أى دافعية التعامل بشكل كفء وفعال مع البيئة–

Human Potential Motivation (١)
Competence Motivation (٢)

وتمثل كل من الدافعية للاستكشاف، ومعالجة المواضيع، ومواجهة التحديات، والارتقاء بالمهارات جزءًا من جهود الكائن الحى للنمو والازدهار أكثر منها تعبيرًا عن خلل فى الأنسجة أو توترات تصاحب الدافع. وانطلاقًا من أطر نظرية مختلفة واسعة، توقع واليت ما أتى به باندورا بعد ٢٠ سنة بتأكيده على دافع كفاءة الذات. ويعد كارل روجرز Carl Rogers وإبراهام ماسلو Abraham Maslow هما القائدان الأساسيان لحركة الإمكانات الإنسانية. فكما لاحظنا فى الفصل الأول، افترض روجرز "توكيد الذات" كدافع وحيد للحياة. وافترض ماسلو (Maslow,1968) نموذجًا تدرجيًا لدوافع الإنسان. واعترف ماسلو بأهمية الحاجات البيولوجية (مثل: الجوع، والنوم، والعطش) بما تتضمنه من توتر، وحركة فى اتجاه خفض التوتر. ومع ذلك، افترض ماسلو أيضًا أن أعلى حاجة على قمة مدرج الدوافع الإنسانية هى الحاجة التى تنطوى – غالبًا– على توتر مرتفع – أى الدوافع التى تعبر عن نفسها عندما يصبح الأفراد مبدعين ومحققين لإمكاناتهم.



توكيد الذات والدافعية الداخلية بعض نماذج الدافعية ليست نظريات "دفع" أو "جذب"، إذ إنها تؤكد بدلاً من ذلك على حركة الفرد فى اتجاه تحقيق إمكاناته والاهتمام بالأنشطة المستقلة عن المكافآت الخارجية.

إن تأثير تصورات "ماسلو" و"روجرز" النظرية كان لها تأثير ضعيف نسبيًا على جهود البحث الواقعى. وربما يعد أفضل تعبير اليوم عن روح ما طرحه

الباحثان من وجهات نظر يتمثل فى أعمال "دى سى" و"ريان" (Deci and Ryan 2000; Ryan & Deci, 2000, 2001) وحديثهما عن الدافعية الداخلية[١] وعن نظرية تحديد الذات[٢] (SDT)؛ فوفقًا لما طرحه "دى سى" و"ريان" فإن البشر لديهم ميل طبيعى وفطرى للاندماج فيما هو محل اهتمامهم، ولديهم ميل إلى اتساع بقدراتهم، والتغلب على التحديات القصوى. وقد عبر الباحثان عن الحركة فى اتجاه تحديد الذات بمصطلح الدافعية الداخلية، أو الدافعية نحو الاندماج فى المهمة كنتاج للاهتمام بالمهمة نفسها. والنقيض للدافعية الداخلية هو الدافعية الخارجية[٣]، حيث يندمج الفرد فى المهمة بسبب ما سوف يجنيه من مكافآت تتبع نجاحه فى اجتيازها. ويعد التعلم من أجل التعلم مظهرًا من مظاهر الدافعية الداخلية، بينما يعدّ التعلم من أجل الحصول على المكافآت الخارجية -كتلقى الثناء أو الحصول على المال- مظهرًا من مظاهر الدافعية الخارجية.

فى بحوثهما المبكرة، أشار كل من "دى سى" و"ريان" إلى أن المبحوثين الذين يندمجون فى المهام بدون أن تقدم لهم مكافأة، قد أظهروا اهتمامًا كاملاً بالمهام التى ينجزونها أكثر مما فعله المبحوثون الذين تلقوا مكافأة مباشرة على جهودهم. فعلى النقيض من نظرية التعزيز، لم تكن هذا المكافآت ضرورية للتعليم. والدلالات التى تكمن وراء ذلك، أنه قد حدث تداخل بالفعل بين تلقى المكافآت وأداء المهمة (Flink, Boggiano & Berrett, 1990) بمعنى آخر، هناك دائمًا "تكلفة خفية للمكافأة[٤]" فهناك شىء ما يتصل بالمكافأة يقلل من الدافعية، ويغير مسار اللعبة أثناء العمل.

وعلى نحو أكثر تعميمًا، امتد كل من "دى سى" و"ريان" – بعدئذ- بوجهة نظرهما عن تأثيرات المكافأة إلى قضية الضبط الاجتماعى، والمشاعر المرتبطة

---

(١) Intrinsic Motivation
(٢) Self-Determination Theory
(٣) Extrinsic Motivation
(٤) Hidden Cost Of Reward

بتحديد الذات. فافترضا أن أداء المهام استجابة لصور معينة من الضبط الاجتماعى الخارجى (مثل: التهديد، أو ضغط الالتزام بالموعد الأخير لتقديم العمل، أو التنافس الضمنى، أو التقويم)، ينتج عنه نقص فى حجم الدافعية الداخلية. من ناحية أخرى، عندما يعطى الأفراد فرصة لزيادة كفاءتهم وخبراتهم المرتبطة بالمهمة بوصفها محددًا للذات، من المحتمل أن تزيد دافعيتهم الداخلية. وفى دراستهما الواقعية اختبر الباحثان هذه الوجهة من النظر، حيث عرضا أطفال الصف الرابع إلى نمطين من المدرسين، نمط يضغط على التلاميذ لبلوغ ذروة الأداء، ونمط آخر دوره ببساطة ينصب على إرشاد التلاميذ لكيف يتعلمون. وقُدر سلوك المعلم من خلال حجم الاستراتيجيات التحكمية التى يستخدمها. وتبع ذلك، التقدير المبدئى لأداء التلاميذ على المهام التى تعلموها، وعلى المهام الأخرى المرتبطة بها كذلك. وقد أوضحت النتائج أن التلاميذ الذين تعلموا على أيدى المعلمين الذين يستخدمون استراتيجيات ضاغطة تحكمية، يؤدون بشكل أضعف نسبيًّا من التلاميذ الذين تعلموا على أيدى المعلمين الذين يؤكدون أهمية التعلم، ويستخدمون طرقًا غير تحكمية (Flink & Barrett, 1990). وعلى نحو مشابه لدراسات "دويك"، فإن الاهتمام بتعلم الأهداف (الدافعية الداخلية) له تأثير مفيد بالمقارنة بتأكيد أهمية الأهداف الأدائية (الدافعية الخارجية). وعلى نحو أكثر عمومية، تفترض الدراسات أن الاستراتيجيات المعتمدة على التحكم تؤثر بشكل سلبى على الدافعية الداخلية، والإبداع، والإنجاز.

وافترض "دى سى" و"ريان" – حديثًا جدًّا– أن هناك ثلاث حاجات أساسية، هى: *الكفاءة* Competence، *والتحكم الذاتى* Autonomy، *والعلاقية* Relatedness. وحتى يمكن تذكرها اختارا لها اللفظة المختصرة car. وتتمثل *الحاجة إلى الكفاءة* فى الدافعية المرتبطة بالشعور بالميل إلى السيطرة على المهام الصعبة. وتشير *الحاجة إلى التحكم الذاتى* إلى الدافعية المرتبطة بالشعور بالحرية فى اختيار الفعل فى ضوء اهتمامات الفرد وقيمه. أما *العلاقية* فتشير إلى الدافعية المرتبطة بالشعور بالاقتراب، أو الرغبة فى الاتصال مع الآخرين ذوى الأهمية

بالنسبة له. وقد نظر إلى هذه الحاجات الثلاث كجوانب أساسية فطرية فى الطبيعة الإنسانية. ومع أن مصطلح الحاجة قد استخدم لوصف هذه الدوافع، فلم ينظر الباحثان إليها بالطريقة نفسها التى يستخدمها منظّرو الحافز والمتعة عند تعاملهم مع مفهوم الحاجات. ولكن نظر إليها الباحثان كمظاهر أساسية لكينونتنا، بنفس الروح التى سيطرت على "ماسلو" و"روجرز" فى تأكيدهما على حركة الكائن الحى نحو النمو وتوكيد الذات، ومع أن الحاجات فسرت كجزء من ميراثنا التطورى(١)، بدلاً من القول بتعلمها واكتسابها، فلم يسع الباحثان إلى تقديم تفاصيل هذه العلاقة. فعندما يسلك الفرد فى ضوء هذه الحاجات، فإنه يشعر بأنه أكثر تحقيقًا وتحديدًا للذات. وعندما نكافح كذلك لتحقيق الأهداف التى تعبر عن هذه الحاجات، يصبح الفرد أكثر دافعية، ويخبر درجة مرتفعة من الدافعية الداخلية، ويتعاظم لديه مستوى حسن حاله. (Deci & Ryan, 2000; LaGuardia, Ryan, Couchman, & Deci, 2000; Reis, Sheldon, Gable, Rosceo, & Ryan, 2000). من ناحية ثانية، عندما يشعر المرء بعدم الكفاءة نتيجة أن أفعاله مرهونة بأفعال الآخرين، وشعوره بعدم الاتصال مع من حوله، تبزغ عندئذ الدافعية الخارجية، أو يعايش المرء نقصًا فى الدافعية، واكتئابًا، أو شعورًا بالضيق. بالإضافة إلى ذلك، عندما توجه المرءَ حاجاتٌ غير جوهرية، مثل المال أو الشهرة فمن المحتمل أن يشعر بنقص فرص تحقيقه لذاته، والشعور بعدم الرضا فيما يتصل بحسن الحال الشخصية. إن التمييز الذى وضعه "دى سى" و"ريان" بين حسن الحال الذاتية، التى ترتبط بالتأثير الإيجابى واللذة (وجهة نظر اللذة) وحسن الحال الشخصية، والتى ترتبط بحس تحقق الذات، والنمو، وتوكيد الذات (Ryan & Deci, 2001)، وتأكيد الباحثين كذلك على حاجات النمو وتوكيد الذات، فقد جعل كل هذا من توجهاتهما جزءًا من الاهتمامات الحديثة بعلم النفس فى جانبه الإيجابى كمقابل للاهتمام بالجوانب المرْضية للوظائف الإنسانية.

---

(١) Evolutionary Heritag

ويتصل أيضًا بهذا الاهتمام بالدافعية الإيجابية، وتوكيد الذات، أعمال ميهالى كزيسزميهالى (Mihaly Csikszentmihalyi, (1975 عن "**الخبرات المُثلى**[١]"، وخبرة **التدفق**[٢]. فى مثل هذه الخبرات، يندمج الشخص فى نشاطات تلقَى – فى الحالات التقليدية– القليل من المكافآت. حيث ينغمس المرء فى النشاط سعيًا لجلب اللذة التى ستعود عليه من هذا الاندماج، كما هو الحال بالنسبة للموسيقِي الذى يعزف من أجل البهجة المصاحبة للعزف، أو العالِم الذى تسحره عملية الاستكشاف ذاتها. فيندمج الأفراد فى مثل هذه النشاطات التى توصف غالبًا بأنها خبرات "تدفق" حيث يتركز خلالها الانتباه بالكامل على المهمة ويصحبها عندئذ نقص فى الوعى بالذات. فعند معايشة خبرات التدفق، يبدو كل شىء "متزامنًا[٣]"، وتمر الساعات بدون وعى بالوقت. أثناء بذل مثل هذه الجهود تكون وتنشأ لذة عن الرغبة فى الانغماس فى النشاط، والرغبة فى الاستمرار فيه، وذلك على النقيض من حالتىّ الضجر والقلق المرتبطيْن بالمهام التى تؤدَّى فى ظل ظروف الضغط والتهديد.

---

(١) Optimal Experiences

(٢) Experience of Flow

(٣) In Synch

أضواء على الباحثين

نظرية محددات الذات

"إدوارد ل. دى سى" و"ريتشارد م. ريان"





يرتكز اهتمامنا دائمًا – سواء بوصفنا ممارسين عياديين أو باحثين- على محاولة فهم حقيقة التباينات فى السلوك؛ فيسلك الأفراد فى بعض الأحيان بطريقة تعكس حالات من الإثارة، والحيوية، والاهتمام، والتفاؤل، ويسلكون – فى بعض الأحيان الأخرى- بطريقة سلبية، انسحابية كانت أو اغترابية أو إذعانية. مثل هذه العوامل، بجانبيها الارتقائى والاجتماعى – التى تعكس فروقًا فى مستويات الدافعية، والقدرة على استثمار الإمكانات الشخصية- أثارت رغبتنا المشتركة فى ابتكار نظرية واسعة فى الدافعية الإنسانية، والتى تبلورت فى النهاية فى صورة نظرية فى محددات الذات. ورغبنا من ذلك، فى الوصول إلى نظرية تعتمد على البحوث الواقعية، التى تستمد تفسيراتها من خبرات الأفراد، وترتبط مباشرة بالتنبؤ بحسن الحال النفسية لدى الأشخاص، وبالعديد من مجالات الحياة. ومن الواضح أن إنجاز هذا الهدف، يتطلب أن تتضمن النظرية أنماطًا مختلفة من صور الدافعية، وليس مجرد التركيز على حجم ما لدى الأفراد من دافعية.

وبدأنا بحثنا مركزين الاهتمام على الدافعية الداخلية، لأنها تعبر عن المستوى الأولى لاستقلالية الفرد *Autonomous* وإرادته الشخصية. وبالاستعانة

بكل من التراث البحثى السابق، وما أجريناه من دراسات تجريبية اختبرنا الظروف التى يمكن أن تحسن أو تضعف هذا النوع من الدافعية. ولعل أهم ما توصلنا إليه من نتائج من مثل هذه الدراسات المبكرة، والتى بدت مثيرة لكثير من الجدل، هو الكيفية التى يمكن من خلالها استخدام المكافآت المادية دون خفض مستوى الدافعية الأساسية.

وتوضيح كيف أن المكافآت ليس لها *أى* مترتبات سلبية على استمرارية الدافعية، أمر يصعب تحقيقه كلية لدى العديد من الأشخاص فى هذا الوقت، خاصة فى العصر الذى يسيطر فيه على علم النفس التفكيرُ السلوكى. كما اكتشفنا أيضًا التأثيرات المعقدة المؤثرة فى الدافعية الداخلية مثل الشعور بالتهديد والمراقبة، والمكانة، والاختيار، والتنافس، وفاعلية العائد. وبالتالى، فقد نظرنا إلى أن السلوكيات المدفوعة بعوامل غير داخلية –أى التى ليست محل اهتمام أو استمتاع فى حد ذاتها– على أنها قد تصبح سلوكيات مدفوعة أكثر بالقصور الذاتى، وتزداد قيمتها لدى الفرد من خلال عمليات *الاستدماج* Internalization *والتكامل* *Integration*. ولتوضيح ذلك،ميزنا بين أنماط الدافعية الخارجية مستخدمين مصطلح (الإشراب) Introjections للإشارة إلى التمثل الذاتى الجزئى بطريقة غير واعية، ومصطلحى (التوحد) Identification و(التكامل) للإشارة إلى أنماط الاستدماج الكلى، وهما اللذان –أى التوحد والاستدماج– يقودان الفرد إلى مزيد من الاستقلالية فى الفعل فى أعلى صورها، وإلى مزيد من الخبرة الإيجابية.

وبناء على نتائج هذه البحوث المبكرة، يبدو لنا أن أكثر الطرق المفيدة لإحداث تكامل بين النتائج المتصلة بالدافعية الداخلية أو الدافعية الخارجية هو تحديد مجموعة من الحاجات النفسية الأساسية. وفى الحقيقة إن الأشخاص ليسوا فقط مدفوعين ذاتيًّا، ولكن أيضا يمارسون ذلك بحيوية وبطريقة صحية، وذلك عندما يخبرون أنفسهم بأنهم ذوو كفاءة، ومستقلون، ولديهم علاقات جيدة بالآخرين. ونحن نعتقد أن العوامل الاجتماعية / السياقية التى تعزز خبرات الأفراد المتصلة بالكفاءة،

والاستقلالية، والعلاقية فى أى مجال من مجالات الحياة سوف تساعد على الحفاظ على وتنمية كل من الدافعية الداخلية والدافعية الخارجية الاستقلالية، وذلك عندما يمكن أن نحد من العوامل التى تعوق إشباع هذه الحاجات. وتفترض نظرية محددات الذات أن هذه الحاجات تتسم بالعمومية والعالمية Universal، حتى فى ظل إشباعها بمختلف الطرق، وفى مختلف المواقف، وفى مختلف الثقافات وعبر مختلف المراحل الارتقائية. ولهذا أجرينا غالبية بحوثنا عبر مجالات، وأعمار، وثقافات مختلفة، بما يسمح لنا باختبار كيف وبأى الطرق يمكن أن نشبع هذه الحاجات، وهو المتغير الأساسى لفاعلية أداء الفرد وحسن حاله النفسية.

وقد سمحت لنا الفروق فى توجهات تناول الباحثين للدافعية والاستدماج بفهم وتفسير بحوثنا فى ضوء النظريات السابقة، كالنظرية الترابطية، ونظريات التعلم الاجتماعى، اللتين تؤكدان بدورهما على التحكم فى السلوك. وأصبح من الواضح أن التحكم فى السلوك يتحقق عن طريق التعزيز والعقاب، وعوامل الضغط الخارجى الأخرى. وهو ما يزيد من احتمالات صدور السلوك المدفوع ذاتيًّا على نطاق واسع. وحتى فى ظل استدماج آليات التحكم هذه، فإن هذا السلوك يميل للاستدماج أكثر من أن يصبح متكاملاً، لذلك يحدث الإخفاق فى تحقيق الاستقلالية والتحكم الذاتى وأداء الأفعال المتصلة بتنظيم الذات كما تنتج مترتبات سلبية على الأداء وحسن الحال.

لقد أتى كل منا إلى دراسة الدافعية الإنسانية وهو منتمٍ لخلفيتين شديدتى الاختلاف والاختلاف – فترجع خلفية ريان Ryan إلى اهتماماته بالنظرية الفلسفية والتحليل النفسى، وينتمى دى سى De ci إلى المنحى السلوكى المعرفى، ونظرية الاهتمامات الشخصية وعلم النفس الإنسانى– وهو ما أثر بشكل إيجابى ومفيد عند دراستنا للدافعية الإنسانية، وعند صياغتنا لمحددات نظرية الذات، حيث استطعنا التأليف بين التوجهات والمناحى النظرية المختلفة. فمن ناحية ملْنا إلى النظريات التقليدية فى علم نفس الشخصية وعلم النفس الارتقائى، مفترضين أن الأشخاص

يميلون بطبيعتهم إلى تحقيق إمكاناتهم ويكافحون لتحقيق ذواتهم. ومن ناحية أخرى أدركنا أن الأشخاص أكثر عُرضة لأن يصبحوا سلبيين أو متحكّماً فيهم فـي ظـل الظروف الضاغطة، وذلك ليظهروا أجزاء متناثرة من الذات. وفى محاولة لتفسير كل هذه النتائج قمنا بصياغة نظرية محددات الذات فى ضوء التفاعل بين (١) الميل الطبيعى للكائن الحى نحو النمو والتفصيل (أو التمايز).(٢) ودور البيئة الاجتماعية، فى تيسير أو إعاقة هذا الميل من خلال دعم أو إحباط طـرق إشـباع الحاجـات الأساسية. وتأكيد ارتباط نتائج هذا التفاعل بالفروق فى مستوى الـصحة النفـسية ونوعية الاندماج فى أنشطة الحياة.

إن وجهات النظر التى نوقشت فى هذا الجزء من الفصل، لا تختلف فقـط عـن وجهات نظر أنصار اللذة، ولكنها تكون غالبًا فى صراع مباشر معهـا. ووفقًـا لهـذا التوجه، قد يكون هناك احتياج لاستخدام مفهومى "الحاجات" و"الدوافع"، ولكـن لا يـتم تناولها بوصفها المكونات الجوهرية فى الدافعية الإنسانية. بعض النشاطات تكون نقطة بدايتها منطلقة من الحاجة إلى إشباع حاجات بيولوجية، أو الرغبة فى الحـصول علـى بواعث خارجية، ولكن بمصطلحات أولبورت Alport (1961) فإنها تتسم بالاسـتقلال الذاتى الوظيفى[١]. ما يكون خارجيًا أو وسيليًا يصبح داخليًا وموضع إجبار. والنـشاط الذى كان يوظف كدافع، أو يفيد فى بعض الحاجات البسيطة، يوظّف الآن لخدمة نفسه، أو بمعنى أوسع أصبح يخدم صورة الذات لدى الشخص (الـذات المثاليـة) (p.229). وكما لوحظ فيما يتصل بنظرية محددات الذات لـ "دى سـى" و"ريـان" يفتـرض أن الحاجات النفسية المهمة تخلق استقلالاً للدوافع المبنية على أساس بيولوجى. باختـصار، لا تصبح المكافآت الخارجية والبواعث غير ضرورية فقط للدافعيـة، ولكنهـا أيـضًا تتداخل بالفعل معها، فالأفراد لا تدفعهم العصا بعيدًا، ولا تجذبهم الجزرة إليهـا، بـل لا يجعلهم هذا أيضًا حميرًا.

---

(١) Functional Autonomy

هل هناك حاجات أو دوافع إنسانية عامة؟

اهتم علماء نفس الدافعية دائمًا بالإجابة عن السؤال المهم: هل هناك حاجات أو دوافع عامة؟ وإذا كان ذلك كذلك، فما الأسس التى نستدل بها على ذلك؟ خلال المرحلة التى قلّ فيها الاهتمام بمفهوم الدافع، بدت الإجابة عن هذا السؤال كامنة فى وجود نقص فسيولوجى يرتبط بظهور الحاجات. ومع عودة الاهتمام بمفهوم الدافع، تجدد طرح السؤال: ما الذى يدعم افتراض وجود حاجات عامة إن وجدت؟ ما الأسس التى نستدل منها على وجود هذه الحاجات إذا لم يكن الأمر يتصل بوجود نقص فسيولوجى يرتبط بهذه الحاجات؟ هل هناك حاجات أخرى غير تلك المتصلة بالمأكل والمسكن والملبس؟ كيف لنا أن نتحقق من وجود مثل هذه الحاجات؟ وعلى أى أساس نرفض بعض الحاجات المرشحة لأن تعامَل بوصفها حاجات عامة؟

وضع "باميستير" و"ليرى" (Baumeister and Leary, 1995) فى مقاله النظرى المثير للتحدى تسعة محكات فاصلة فيما يتصل بالدافع الذى يمكن النظر إليه دافعًا أساسيًّا، فأشار إلى أن الدافع الإنسانى الأساسى، يجب:

١- أن يمارس تأثيره فى مدى متسع ومتنوع من المواقف.

٢- أن يصاحبه انفعال ومترتبات تتصل بإشباع اللذة.

٣- أن يكون مرشدًا وموجهًا لأداءاتنا المعرفية.

٤- أن ينتج عن الفشل فى إشباعه مترتبات مرضية؛ بمعنى أن الصحة، والتكيف، وحسن الحال تتطلب إشباع الدافع.

٥- أن يرتبط بسلوك موجه نحو الهدف الذى ظهر لإشباعه، مع إمكان استبدال الأهداف الفرعية بغيرها من الأهداف النوعية، مع الحفاظ على روابطه بالهدف العام. (كالحفاظ على هدف "اكتساب الأصدقاء" مع أن الصداقات النوعية قد تتنوع من موقف إلى موقف، ومن وقت إلى آخر).

٦- أن يكشف هذا الدافع عن نفسه فى مختلف المجتمعات والثقافات.

٧- أن لا يشتق من دافع آخر.

٨- أن يكون له تأثيره فى مدى واسع ومتنوع من السلوك.

٩- أن يؤثر فى الأحداث التاريخية والاقتصادية، والسياسية. بمعنى آخر، إن الدافع الإنسانى الأساسى يجب أن ينطوى على متضمنات تذهب فيما وراء ما هو فردى لتشمل أحداثًا وأنماطًا اجتماعية واسعة.

وقد يفكر المرء فى إضافة محكات أخرى للمحكات السابقة، أو استبدال بعض هذه المحكات بغيرها. على سبيل المثال، يمكن افتراض ضرورة أن يكون الدافع الإنسانى الأساسى جزءًا من تاريخنا التطورى، وأن يوجد من الدلائل ما يبين القواعد المتطلبة لتنظيمه فى مختلف المجتمعات. مثل هذا قد يظهر فى حالة دوافع كالجنس والعدوان التى أشار إليها فرويد مثلاً. فيعد الجنس والعدوان جزءين من تاريخنا التطورى، وكل المجتمعات لديها قواعد تحدد طرق التعبير عنهما. وعلى أية حال، فإن المحكات التى افترضها باميستير وليرى تبدو مدخلاً مقبولاً للبدء فى طرح سؤال عمومية الدوافع، وإن كان سؤالاً لايزال يلقى صعوبة فى الإجابة عنه إلى الآن. وفيما يبدو فإن المرء قد يجد دائمًا استثناءات تتصل بأى دافع أساسى مفترض. فالحاجة إلى البقاء والحياة يثار حولها أسئلة من قبيل: مَنْ من الأفراد يُقدم على الانتحار، وأى الثقافات تبجّل الشهداء؟ أيضًا الحاجة إلى الجنس تستثير السؤال: أى الأفراد يستطيع الزهد فى إشباع هذه الحاجة؟.

ويفترض باميستير ولارى "الحاجة إلى الانتماء[١]" (أى الحاجة إلى تكوين علاقات أو على الأقل الانخراط فى حد أدنى من العلاقات مع الأشخاص الآخرين) كدافع إنسانى أساسى. وقد قدم الباحثان عديدًا من التفاصيل عن كيفية انطباق المحكات التسعة المفترضة على هذه الحاجة. على سبيل المثال، أشار الباحثان إلى أن هذه الحاجة موجودة فى كل الثقافات، بمعنى أن لها أسسًا تطورية تدعمها منافع

---

(١) Belong

عديدة تتصل بالحياة والتكاثر، كما أن المرء يتحقق له المتعة من الانخـــراط فـــى العلاقات الاجتماعية، فى حين يشعر بالكرب عندما يحرم من الاتصال الاجتماعى. وتستثير الحاجة إلى الانتماء أفكارًا موجهة نحو الهدف، وتستثير أفعالاً لإشباعها. ولكن ماذا عن الحياء أو من يحيون حياة النساك؟ التصور هنا أن الخـــوف مـــن الرفض الاجتماعى هو الذى يقود إلى الحياء، والانسحاب من الاتصال الاجتماعى، وأن الانفعالات المصاحبة للرفض تعبر عن الكرب المرتبط بالإحباط المتصل بهذا الدافع الأساسى.

الدافع الآخر المرشح لأن يعامل كدافع إنسانى أساسى هو "**قلق المـــوت**[١]". ووفقًا لنظرية إدارة الرعب (Pyszczyński, Greeberg & Solomon, 1997) فإن الدافع الإنسانى الأساسى يتجلى فى كيف نتعامل مع إدراكاتنا لأنفـــسنا بأننـــا سنفنى. فى عديد من التجارب المتنوعة كشف الباحثون عن الحيل الدفاعية التـــى يستخدما الأفراد عندما تزداد درجة وعيهم بفنائيتهم. معظمنا، وربما كلنا، يمكن أن ينتابه قلق الموت، حتى الأطفال يعايشون فكرة الخوف الشديد من المـــوت. ومـــع ذلك فإننا نعرف أيضًا أن بعض الناس قد يقدمون علـــى الانتحـــار، وأن أفـــرادًا عديدين فى بعض الثقافات ينظرون إلى الموت – فى ظل بعض الظروف– كغاية وكمصدر للمتعة، فيعتقدون بأنه سبيلهم لبلوغ حياة أفضل يأملون بلوغها. والسؤال إذن كم من المحكات التى افترضها باميستير ولارى تنطبق على الدافع المفترض للهروب من قلق الموت؟

ويمكن العودة مرة أخرى إلى افتراض " دى سى" و"ريان" بـــأن الكفـــاءة، والاستقلال الذاتى، والعلاقية تعد دوافع أساسية وغريزية لـــدى الأفـــراد وتتـــسم بالعمومية. هل ينطبق على هذه الحاجات المحكات الثلاثة المفترضة؟ هل هنـــاك دليل على أهميتها عبر مختلف الثقافات؟ فى إحدى الدراسات المرتبطة بذلك، طُلب

---

(١) Death Anxiety

من عدد من المبحوثين (من طلاب علم النفس) من الولايات المتحدة، وكوريا أن يضعوا قائمة بأكثر الأحداث المُرضية التى خبروها خلال الأسبوع المنصرم؟ فطلب منهم أن يجيبوا عن قائمة من ٣٠ بندًا بوضع تقديراتهم لكل حدث. وعكست العبارات الثلاثون الحاجات العشر التى افترضت فى التراث النفسى. بمعنى آخر، قام المبحوثون بتقدير الحاجات المرشحة فيما يتصل بكل حدث مُرض (جدول ٤-٢) بالإضافة إلى ذلك، طلب من المبحوثين أن يقدروا حجم مختلف الانفعالات الإيجابية والسلبية التى يشعرون بها عند مواجهتهم لكل حدث. وقدرت الدرجة الموزونة لكل حدث من خلال طرح درجة الانفعالات السلبية التى يخبرها الفرد من درجة الانفعالات الإيجابية (Sheldon, Elliot, Kim, & Kasser, 2001).

وقد كانت الأسئلة محل اهتمام الباحثين، فيما يتصل بما طرحه "دى سى" و"ريان" كالآتى:

١. مقارنة بالحاجات الأخرى المرشحة، هل يقدّر الطلاب الكفاءة، والاستقلال الذاتى، والعلاقية كحاجات أساسية بالنسبة لكل حدث مُرضٍ؟
٢. مقارنة بالحاجات الأخرى المرشحة، هل يقدّر الطلاب هذه الحاجات الثلاث على أنها الأكثر أهمية بالنسبة لدرجة التأثير الإيجابى الموزون؟
٣. هل النتائج المستخلصة من الدراسة تعد قائمة لدى كل ثقافة من الثقافتين، سواء الثقافة الأولى (الولايات المتحدة) التى تعد ثقافة فردية، أو الثقافة الثانية (كوريا) التى تؤكد أهمية الجماعة والتقاليد (أى أنها ثقافة جماعية).

يوضح الجدول (٤-٢) بيانات هذه الدراسة. وتشير البيانات إلى أن الكفاءة، والاستقلال الذاتى، والعلاقية من بين الحاجات التى تحتل قمة الحاجات فى الثقافتين كلتيهما. وقد جاء "تقدير الذات" كحاجة أولية لدى الطلاب الأمريكيين، على نحو ما وجد فى دراسات أخرى، فى حين احتل المرتبة الثانية بين أهم الحاجات لدى الطلاب الكوريين. ومع أن هناك فروقًا بين الجماعات فى متوسط تقديرات الحاجات (فجاء تقدير الذات أعلى لدى الطلاب الأمريكيين والعلاقية أعلى

لدى الطلاب الكوريين). واحتلت الحاجات الثلاث التى تؤكد نظرية تحديد الذات بين الخمسة الكبار لدى المجموعتين كلتيهما. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الحاجات تعد مهمة من أجل التوازن الوجدانى، مع أنه فى عينة الكوريين كانت هناك حاجات أخرى (مثل تقدير الذات، والأمن، والمتعة، والازدهار البدنى) متساوية وذات ارتباطات أكبر. وقد استخلص الباحثان أن الدليل يدعم عمومية الحاجات الثلاث التى أكدتها نظرية "تحديد الذات" مع أن أهمية كل منها تتنوع من ثقافة إلى أخرى. ما الحاجة إلى تقدير الذات؟ لا يوجد تفسير لهذا داخل نظرية تحديد الذات، مع أنها أشارت إلى أنه ربما يكون تقدير الذات محصلة للرضا أو إحباط حاجات أخرى، مثل تلك التى تم التأكيد عليها من خلال النظرية. ومن ناحية أخرى، افترض أيضًا أن تقدير الذات قد يكون هو الحاجة السيكولوجية الرابعة.

جدول (٤-٢)

يوضح العلاقة بين الحاجات والأحداث المُرْضِية والوجدان

العينة / الحاجة وتوضيح البند	الوسط الحسابى		الارتباط مع الوزن المؤثر	
	الولايات المتحدة	كوريا	الولايات المتحدة	كوريا
١- **تقدير الذات**: قوة الشعور باحترام الذات.	٣,٦٥	**٣,٢٣	**٠,٢٩	**٠,٥١
٢- **العلاقية**: الاقتراب من، والاتصال مع الآخرين ذوى الأهمية بالنسبة لك.	٣,٢١	**٣,٦٥	**٠,٢٩	**٠,٣٧
٣- **الاستقلال الذاتى**: تعبير اختياراتى عن الذات الصحيحة.	٣,١٢	٣,٠١	**٠,٤٣	**٠,٤٦
٤- **الكفاءة**: أستطيع التعامل والتحكم فى التحديات الصعبة	٢,٩٨	٢,٩١	**٠,٣٢	**٠,٣١

٥-المتعة- والتنبيه الاستمتاع والسعادة البدنية المكثفة.	٢,٦٠	**٢,٩٥	*٠,١٦	**٠,٣٦
٦-الازدهار البدنى يحصل جسمى على ما يحتاجه.	٢,٤٩	٢,٤٢	٠,٠٨	**٠,٣٥
٧- توكيد الذات لقد أصبح ما أريده لنفسى حقيقة.	٢,٥٤	٢,٦٩	٠,١٣	**٠,٢٥
٨- الأمان حياتى منظمة ويمكن التنبؤ بها.	٢,٤٦	*٢,٧٠	**٠,٢٨	**٠,٤٨
٩- الشعبية - التأثير لدى تأثير على ما يفعله الآخرون.	٢,٥٠	٢,٧١	٠,١٤	**٠,٣٠
١٠- المال والرفاهية لقد حصلت على مال وفير.	٢,١٤	٢,٣٥	-٠,٠٧	*٠,١٧

المصدر:

"What is satisfying about events? Testing 10 Candidate Psychological Needs, "by K.M.Sheldon, A.J. Elliot, Y.Kim, and T.Kasser, 2001, journa lof personality and social psychology, 80, pp. 331–332. Copyright 2001 by the American Psychological Association.Reprinted by permission.

وكتب "دى سى" و"ريان" (٢٠٠٠) أن ما أُجرى من بحوث حضارية بالمقارنة إضافةً تدعم أهمية الحاجات الثلاث التى سبق أن أكدتها نظرية حسن الحال؛ فهى تشير إلى أن الأهمية النسبية قد تتنوع من ثقافة الى أخرى كلما توافرت وسائل لإشباعها. ويتساءل عدد من علماء النفس عن عمومية الحاجات الثلاث وعن النظرية الأكثر عمومية. على سبيل المثال، قدم البعض بيانات تفترض أن الحاجة الى الاستقلال الذاتى أقل مركزية فى الثقافات الجماعية (كالثقافة الآسيوية) عنها فى الثقافات الفردية (كالثقافة الأمريكية) (Iyengar & Lepper, 1999, Oishi, Diener, Lucas & Suh,1999). إن واضعى نظرية إدارة الإرهاب يتساءلون أين الجانب المظلم من الطبيعة الإنسانية فى نظرية تحديد الذات؟ "إن هذه الرؤية الإنسانية لجنسنا البشرى تعد رؤية نبيلة، وربما تكون

الثروة العظيمة فى الكفاح فى اتجاه تحقيقها, ومع ذلك، فإنه أمر بعيد فى مثاليته إلى درجة أنه يصعب تحمل واقع الحياة فى ظله. (Pyszczynski, Greenberg & Solomon, 2000, p.301)

باختصار، عند هذه النقطة، لدينا ترشيحات لبعض الحاجات العامة ومحكات مفترضة لتقويم هذه الترشيحات، ولكن لا اتفاق لدينا على أى منها يعد هو الأكثر كفاءة؛ فبعض علماء النفس لايزالون مستمرين فى تأكيداتهم أن الأسس وراء تناول أية حاجة بوصفها تتسم بالعمومية، تكمن فى ارتباطها بالوظائف البيولوجية والتاريخ التطورى للكائن الحى. فى المقابل يفترض علماء نفس آخرون أن الانفعال يكمن فى قلب الدافعية، وتؤكد وجهة نظر المتعة دور التأثير الإيجابى، مقابل السلبى، للاقتراب من أو الابتعاد عن الدافعية، وأن هذا الانفعال يمكن أن يصبح مرتبطاً بأى شخص تقريبًا أو أى موضوع فيزيقى. بمعنى آخر، مع أن هناك أسسًا عالمية للدافعية (مثل اللذة)، فهناك تنوع ثقافى وفردى ضخم فيما أصبح مركز السعى الدافعى. وقد ظل إلى الآن هذا السؤال الجوهرى بدون إجابة.

تعليقات على الوحدات الدافعية

تركز الاهتمام الحالى على مفهوم الدافعية، والتوجهات النظرية المختلفة التى تناولته بالتفسير، مثل: نظريات الدافع، ونظريات خفض التوتر، ونظريات الباعث/الهدف، والنظريات المعرفية، ونظريات تحقيق الذات. وحاولت هذه النظريات أن تجيب عن السؤال: لماذا يسلك الأفراد على هذا النحو؟ وأن تجيب بشكل خاص عن الأسئلة المتصلة بماذا يستثير الشخص، وما الذى يوجه نشاطه ويحافظ عليه؟ ما الذى يتسبب فى الاستجابات المتمايزة على نفس التنبيه؟ وما الذى يحافظ على النشاط؟ واندرجت الإجابة عن هذه الأسئلة داخل فئتين من الإجابات النظرية الواسعة التى عُنى الباحثون بأن تكون منطبقة على كل الأفراد، وأن تبنى على أساس افتراض الفروق الفردية. حيث كان هناك تأكيد – داخل كل نموذج– على وجود فروق بين الأفراد فى تنظيم الدوافع والتعبير عنها.

وبالرغم من عرضنا لهذه الوجهات من النظر منفصلة، فمن الواضح أن هناك تداخلاً واضحًا بينها؛ فمفهوم الحاجة مثلاً نجده يرتبط أحيانًا بخفض التوتر، ثم نجده فى أحيان أخرى يرتبط بالباعث أو الهدف، وبالمثل قد نجد مفهوم الهدف يرتبط بالباعث وبالتوجه المؤكد على المتعة أحيانًا، ونجده فى أحيان أخرى أكثر ارتباطًا بالتوجه المعرفى. وبينما نجد – من ناحية ثانية– نموذج وينر للعزو يؤكد بوضوحٍ أهمية العوامل المعرفية مع تضمنه لمكون وجدانى، نجد نموذج دويك يؤكد أهمية العوامل المعرفية والأهداف، ولكن بدون ذكر مكون وجدانى واضح. وبينما أكد بعض الباحثين – مثل موراى وماكليلاند– ضرورة استخدام المقاييس المجازية لقياس الدوافع ورأوا أن مقاييس التقرير الذاتى محدودة الفعالية، فإن باحثين آخرين قد افترضوا أن الأدوات المعتمدة على التقرير الذاتى مُرْضِية تمامًا لفحص معظم الدوافع.

وتمثل النظريات التى عرضنا لها فى الفصل الحالى مجموعة متنوعة ومتشعبة من التوجهات، مع وجود بعض التداخل بين بعض فئاتها. ولا تمثل – فى الواقع– أية نظرية منها تحليلاً شاملاً للموضوع. بالإضافة إلى ذلك، نجد تباينًا ملحوظًا بين نظريات الدافعية فى نظرتها إلى العلاقة بين الدافعية والوحدات المفترضة الأخرى للشخصية، كالسمات والمعارف. فنجد أن أولبورت مثلاً الذى قَدَّم نفسه كصاحب نظرية فى السمات، يؤكد كذلك على أهمية الدوافع. فى المقابل أكد منظّرو المعرفة الاجتماعية – مثل باندورا وميشيل– على الوحدات المعرفية (مثل الأهداف)، وكنتيجة لاهتمامهم بطبيعة وخصائص المجال رفضوا فكرة السمات. وهكذا هناك عديد من الملاحظات الأخرى التى يمكن مناقشتها عن هذه العلاقات المركبة، ولكن ربما حان الوقت الآن للتوجه مباشرة نحو الإجابة عن السؤال المهم عن العلاقة القائمة بين وحدات الشخصية الثلاث: السمات، والمعارف، والدوافع.

العلاقات بين وحدات الشخصية: السمات والمعارف والدوافع

ما العلاقة بين الوحدات المفترضة للشخصية – السمات، والمعارف، والدوافع؟ هل هى تعنى بالفعل شيئًا واحدًا، وتعد مجرد طرق مختلفة لقطع نفس الفطيرة؟ هل هى وحدات منفصلة مفهوميًا وإن كان يفهم منها ضمنًا أنها ذات علاقات متبادلة ببعضها البعض؟ فى الفقرات التالية سأحاول أن أعرض لبعض وجهات النظر المختلفة المطروحة فى المجال، وفى الوقت نفسه سأشير إلى وجهة نظرى الخاصة.

دعونا نبدأ بأحد هذه الآراء، والتى تشير إلى أن كل شخصية تتكون من مجموعة من السمات. فتؤكد نظريات السمة أن الشخصية تتكون من انتظامات فى الوظائف، والسمات هى المفاهيم التى تعبر عن هذه الانتظامات. وتفترض بعض نظريات السمات أن هناك أنواعًا مختلفة من السمات، مثل السمات المزاجية، والسمات العقلية المتصلة بالقدرات، والسمات الدافعية (Gilford, 1975)، فى المقابل تفترض نظريات أخرى أن أغلب السمات – أو ربما كلها– ذات مكونات معرفية، ووجدانية، ودافعية، وسلوكية. ومع أنه من المفيد أن ندرك هذه المكونات كجوانب مميزة للشخصية، فإن مثل هذه النظريات المؤكدة على السمات تفترض أن هذه المكونات مازالت مكونات للسمات، وأنه ليست هناك حاجة ضرورية لاقتراح وحدات بنائية أخرى (McCrae, 1994; Zuckerman, Joireman, Kraft & Kuhlman, 1999).

لقد أتى موراى Murray باستخلاصات مختلفة تمامًا. فميز بوضوح بين مفهوم السمة وما يعنيه بالدافع، وافترض أن مفهوم الدافع (أو الحاجة) مع أنه قد يكشف عن نفسه فى مرات محدودة (أو مواقف محددة) فقط أثناء حياة الفرد، فإن السمة تشير إلى نمط الفعل المتواتر (المتكرر والدورى). بالإضافة إلى ذلك، أشار موراى إلى أن الدافع حتى إذا كان من النادر أن يكشف عن نفسه فى السلوك، وأن

يعبر عن نفسه خاصة بشكل مباشر، فإنه يظل جزءًا مهمًّا من التنظيم الدينامى لشخصية الفرد.

ومنظّرو علم النفس المعرفى الاجتماعى، مع أنهم لا يتفقون مع كل النقاط التى ذكرها موراى، فهم يتفقون بالفعل معه فى نقده المتصل بتأكيد مفهوم السمة على اتساق السلوك الإنسانى. ففى تصور المنظّرين المعرفيين الاجتماعيين، هناك تنوع فى السلوك، وفى القدرات التمييزية، وفى وظائف المجال النوعى الذى يعايشه الأفراد، والتى يعتبرونها نقطة البداية الحقيقية فى فهم الشخصية. ومن وجهة نظر مثل هؤلاء المنظّرين فإن مفهوم السمة، فى ضوء تعريفه على النحو التقليدى لدى منظّرى السمة، وكما دُرِس داخل سياق التحليل العاملى، قد أوقع ظلمًا وجَوْرًا على المظاهر الأساسية للشخصية، ولا يمكن اعتباره الوحدة الأساسية للشخصية.

هل يمكن مع ذلك أن يتجاهل المرء الدلائل التى تدعم وجود السمات، تلك الدلائل التى تم جمعها من خلال تحليل مفردات اللغة، والتقديرات، والاستخبارات، والتى دعمت كذلك من خلال نتائج الدراسات فى مجال المورِّثات السلوكية؟ لا أعتقد ذلك، وهذا النفى هو ما قادنى إلى استخلاص أن السمات الأساسية التى تم تأكيدها من خلال منظّرى السمات (كالعوامل الخمسة) تعبر فى جزء كبير منها عن مظاهر مزاجية للشخصية، تتضمن مكوِّنًا وراثيًّا قويًّا، بمعنى آخر، إننى أعتقد أن السمات موجودة؛ فنحن نولد مزودين باستعدادات مزاجية تقوم بدور مهم فى توضيح شخصياتنا، وأن كثيرًا من جوانب وظائفنا النفسية قد تكون مرتبطة بمزاجنا، وتكشف عن خصال شبيهة بالسمة. وفى الوقت نفسه، فإننى أعتقد مثل موراى وكثير من علماء نفس الشخصية الحاليين، أن السمات والدوافع مفاهيم متمايزة عن بعضها البعض بشكل أساسى، وأن الدوافع – بشكل خاص– ضرورية لفهم المظاهر الدينامية للشخصية، وأنها تجيب عن كثير من الأسئلة التى تتصل بالسؤال لماذا؟ (Roberts, Robins, 2000; Winter, John, Stewart, Klohnen, & Duncan, 1998). واتفاقًا مع المنظّرين المعرفيين، أعتقد أن

التقوقع داخل وجهة نظر السمات أمر فيه جور بالفعل على ما نلاحظه من تنوع في السلوك. وكما قال لى أحد مرضاى حديثًا: "أنا قادر بالفعل على أن أكون عدوانيًا، وأن أسأل أسئلة مباشرة في مواقف العمل، وذلك حين أشعر بأنى مسلوب القوة، ولكننى أصبح مخدرًا وعاجزًا عن التصرف الذى يسير بى فى طريق العلاقات الشخصية الحميمة، عندما أشعر أنى عرضة للانتقاد الشديد". لفهم وشرح مثل هذه الظواهر المعرفية والدافعية، يجب علينا أن نوظف كلاً من المفاهيم المعرفية والدافعية. بالإضافة إلى ذلك، من المحتمل أيضًا أن كلاً من المفاهيم العامة مثل السمات، والوحدات الأكثر اعتمادًا على المجال مثل الأهداف لها دور يمكن أن تؤديه فى وصف وتحليل السلوك (Fleeson, 2001).

لذلك، فإننى انقدت نحو رفض وجهة النظر التى تدعو إلى سيطرة أحد المفاهيم على المفاهيم الأخرى، كالحديث عن سيادة مفاهيم السمات على غيرها من المفاهيم. وعلى نحو مشابه ملْتُ إلى رفض وجهة النظر التى تشير إلى الاستقلال الكامل لوحدات بعينها عن غيرها من الوحدات. فتقوم المعرفة بدور مهم فى الدافعية فى صورة تمثُّلات للأهداف والخطط أو الاستراتيجيات لتحقيق الأهداف. وتقوم الدافعية بدور مهم فى المعرفة فيما يتصل بتوجيه أفكارنا إلى مجالات معينة، وفى التأثير على الطرق التى ننظم بها المعلومات ونفيد منها (Kunda, 1987). إذا استطعنا أن نقبل السمات كأساس للمزاج، فسنجد أن السمات تؤثر فى ارتقاء وظائفنا المعرفية والدافعية. بالتأكيد الرضيع النشط مزاجيًّا يبدأ بمسار معرفى ودافعى مختلف عن الرضيع المُثبط، حتى إذا كانت هذه الفروق المزاجية ليست كلها محددة للارتقاءات الآتية بعد ذلك.

إننى انقدت عندئذ إلى استنتاج انفصال كل من منظور السمات، والمعارف، والدوافع، ولكنها تمثل وحدات متداخلة فى الشخصية. ومع ذلك، ففى بعض الأوقات تكون هناك حدود غامضة بين الوحدات الثلاث، وإن أى جزء معقد من سلوك الفرد من المحتمل أن يتضمن مكونات تتصل بالسمة، والمعرفة، والدافعية.

لذلك يتشكل لدينا من هذه الزاوية وحدات مفهومية متقاربة يمكن استخدامها، ومع ذلك علينا أن نعى أن واحدة أو أكثر من هذه الوحدات قد يسقط، بينما يمكن أن تضاف وحدات أخرى أثناء استمرارنا فى البحث عن الوحدات الأساسية للشخصية.

وأخيرًا علينا أن نفهم أنه مهما كانت الوحدات التى نستخدمها فسوف نجد أن مهمة فهم تنظيم الشخصية. وطبيعة الوحدات تمثل جزءًا فقط من المشكلة، فتنظيم الوحدات وتوظيف الشخص كنسق يمثل جزءًا آخر من المشكلة؛ فالأشخاص ليسوا أقل من الآلات والأنواع الأخرى، ليسوا مجرد وحدات فقط بل يمثلون تنظيمات من المكونات، وكما بيَّنا فى المقدمة فإننا يجب أن نعتنى بتنظيم الوحدات كما نهتم بوصف الوحدات ذاتها.

إن الاهتمام بكل من السمة، والمعرفة، والدافعية بوصفها وحدات للشخصية، يستثير السؤال عن العلاقة بين هذه الوحدات؛ بمعنى: هل هذه المفاهيم متنافسة؟ أم هى مفاهيم متمايزة ولكن تربطها ببعضها البعض علاقات معقدة؟ إن وجهة النظر المقترحة فى الكتاب الحالى تشير إلى ارتباط المفاهيم الثلاثة بمختلف جوانب الشخصية المترابطة معًا، وأن معظم نشاطات الإنسان المهمة تتضمن تفاعلاً بين هذه المفاهيم الثلاثة.

المفاهيم الأساسية

دافع Motive: هو المفهوم الذى يستخدم لتفسير التنشيط، والتوجيه، والتهيؤ للاستجابة السلوكية، أو هو المفهوم الذى يفسر لماذا يصدر السلوك.

حافز Drive: هو تنبيه داخلى يرتبط بحالة التوتر التى تؤدى إلى بذل الجهد لخفض هذه الحالة.

آليات دفاعية Mechanisms of defence: هى إحدى مفاهيم التحليل النفسى التى تشير إلى الحيل التى يستخدمها الشخص لخفض القلق الناجم عن إقصاء بعض الأفكار والمشاعر والرغبات بعيدًا عن نطاق الوعى.

حوافز أولية وثانوية Primary and Secondary Drives: وفقًا لنظرية التنبيه–الاستجابة تعد الحوافز الأولية تنبيهات داخلية ذات منشأ بيولوجى، تنشط السلوك وتوجهه (مثل حافز الجوع)، بينما تشير الحوافز الثانوية إلى تنبيهات داخلية متعلمة نتيجة ارتباطها بإشباع الحوافز الأولية (مثل القلق).

تعلم أدائى Instrumental Learning: وفقًا لنظرية التنبيه–الاستجابة، هو تعلم الاستجابات على نحو إجرائى عندما يصاحبها مشاعر سارة تظهر فى صورة خفض للتوتر.

عادة Habit: وفقًا لنظرية التنبيه – الاستجابة، هى ارتباط التنبيهات والاستجابات التى تتشكل نتيجة للتدعيم (أى خفض التوتر).

حاجة Need: هو مفهوم يتشابه ومفهوم الدافع، بمعنى أنه يستخدم لتفسير لماذا يصدر السلوك.

ضغط Press: هو مفهوم "موراى" المتصل بوصف الخصائص البيئية التى كانت مرتبطة بإشباع الحاجة.

تنافر معرفى Cogitive Dissonance: مفهوم "فستينجر" عن حالة التوتر التى

تنشأ عند وجود عدم اتساق بين اثنين أو أكثر من المعارف التى يتبناها الفرد.

غرضى Purposive: يشير إلى السلوك الموجه نحو تحقيق غاية نهائية أو هدف محدد.

علم الغايات Teleology: وجهة النظر التى ترى أن الفعل موجه نحو تحقيق غايات نهائية فى المستقبل، وفى الوقت نفسه، يُنظر – من خلال هذا المفهوم- إلى أن الأحداث التى ستقع فى المستقبل هى نتاج للأحداث الحالية.

هدف Goal: هو الحدث المرغوب وقوعه فى المستقبل، والذى يدفع الفرد لبلوغه.

مركز التحكم فى السببية، والثبات، والقابلية للتحكم Locus of Causality, Stability, and Controllability: أبعاد العزو الثلاثة لوينر؛ التى لها أهميتها فى الانفعال والدافعية. حيث يركز بُعد "مركز التحكم فى السببية" على إدراكات الفرد للأسباب من حيث كونها ذات منشأ داخلى (داخل الفرد) أو ذات منشأ خارجى (خارج الفرد)؛ بينما يرتبط بُعد الاستقرار (الاستقرار- عدم الاستقرار) بكيفية إدراك طبيعة الأحداث المستقرة؛ أما بُعد القابلية للتحكم (القابلية للتحكم مقابل عدم القابلية للتحكم)، فيشير إلى مدى إمكانية التأثير فى الأحداث عندما يتم بذل الجهد الكافى.

معتقدات الهوية والتزايدية Entity and Incremental: هى مفاهيم "دويك" التى تشير إلى مختلف المعتقدات التى تتصل بإحدى جوانب الذات (كالذكاء مثلاً)، ويعبر المفهوم الأول (الهوية) عن تصور أن شيئًا ما يتسم بالثابت، ويعنى المفهوم الثانى أنه يتسم بالمطاوعة وإمكان التزايد.

تحقيق الذات Self-Actualization: مفهوم أكد أهميته روجرز وآخرون، وهو يشير إلى وجود ميل أساسى لدى الكائن الحى إلى تحقيق ذاته وتقويتها.

دافعية الكفاءة Competence Motivition: هو مفهوم "وايت" الذى يعبر عن مستوى الدافعية الذى يؤدى إلى التعامل مع البيئة بكفاءة وفعالية.

نظرية تحديد الذات Self-DeterminationTheory: هى نظرية "دى سى" و"ريان" التى تؤكد أهمية ثلاث حاجات أساسية (هـــى: الكفــاءة، والاســتقلالية، والعلاقية)، يُفترض أنها فطرية، وعامة، وترتبط بالدافعية الداخلية، وحسن الحال.

دافعية داخلية المنشأ Intrinsic Motivation: تشير إلى وجهة النظر التـــى مؤداها أن الأشخاص قد يُدفعون لأداء مهمة معينة نتيجة لاهتمامهم بالمهمة ذاتها، وذلك بشكل مستقل عن المكافآت التى قد ترتبط بإتمام هذه المهمة على نحو ناجح.

خبرة مُثلى، التــدفق Optimal Experence: مفهوم "كــسزكزنتميهالى" عــن الخبرات السارة المرتبطة بتركيز الانتباه الشديد، وخفض الــوعى بالــذات أثنــاء الاندماج فى الأنشطة التى تحظى باهتمام كبير لدى الفرد (مثل الموسيقا والرسم).

استقلال ذاتى وظيفى Functional Autonomy: مفهوم "أولبورت" الذى يشير إلى أن الدافع قد يصبح مستقلاً عن جذوره؛ فدوافع الراشدين بــشكل خــاص قــد تصبح مستقلة عن جذورها المبكرة المرتبطة بخفض التوتر.

ملخص الفصل

١- استخدم مفهوم الدافعية لإثارة أسئلة حول ما يتصل بعمليات التنشيط، والاختيار، والتوجه، والاستعداد للاستجابة تجاه جوانب معينة من السلوك، بمعنى، الإجابة عن السؤال لماذا نسلك على النحو الذى نسلك به؟ وهناك أربع فئات كبرى من نظريات الدافعية: نظريات الحافز وخفض التوتر؛ ونظريات الهدف – الباعث؛ والنظريات المعرفية؛ ونظريات توكيد الذات.

٢- تقوم نظريات الدافع على نموذج مستوى التوتر الذى يحدد الحالات البيولوجية للكائن، والتى تقوده إلى البحث عما يمكن أن يخفض توتره. وترتبط مثل هذه الحالة من خفض التوتر بالتعزيز الإيجابى، أو ما هو سَارٌّ. ولذلك تتسم مثل هذه النظريات بأنها ذات توجه نحو المتعة والسرور.

٣- تعد نظرية فرويد، عن دافعى الجنس والعدوان، نموذجًا معبرًا عن نظرية الدافع. فتؤكد النظرية على التفاعل الدينامى بين الدوافع وبعضها البعض، والآليات الدفاعية التى تستخدم لخفض القلق الذى قد يرتبط بهذه الدوافع.

٤- تتمثل نظرية الدافع أيضًا فى نظريات التعلم المتصلة بالتنبيه – الاستجابة، ونظرية موراى عن الحاجة – الضغط، ونظرية التنافر المعرفى لفستينجر. إن الاهتمام بالدافع، ونظريات خفض التوتر ضعف التأكيد على نظريات الحافز بدأ منذ الستينيات مع زيادة الأدلة على وجود دوافع لا تتطابق مع نموذج الدافعية المطروح، وحدوث التطور الواضح للثورة المعرفية.

٥- تؤكد نظريات الباعث – الهدف أهمية الجذب الدافعى تجاه الغايات النهائية المتوقعة التى ينشدها الكائن. ومع أنها تختلف عن نظريات الدافع فى تأكيدها أهمية الأهداف بدلاً من التنبيهات الداخلية ذات الأساس البيولوجى. فإن نظريات الباعث فى الدافعية تتشابه معها فى أنها تخضع لمبدأ المتعة. وحديثًا، هناك اهتمام حديث ملحوظ بعدد من المفاهيم المرتبطة بالهدف.

٦- تؤكد النظريات المعرفية فى الدافعية أهمية المعرفة سـواء اتخـذت صـورة الحاجات المعرفية مثل الحاجة إلى الاتساق، أو الحاجة لأن تصبح قادرًا على توقع الاحداث، أو ما يتصل بالمتضمنات المعرفية التى تكمن وراء الانفعـال والدافعية. وتمثل نظرية كيللى النمط الأول من الأهمية بينما يمثل تأكيد وينـر على العزو، وتأكيد دويك على الهوية والاعتقادات الطِّيِّعة النمط الثانى. وعلى النقيض من النظريات الضمنية مثل نظريات الدافع والباعث، تؤكد مثل هـذه النظريات أهمية المعارف وتطبيقاتها على الدافعية بدلاً مـن تأكيـدها أهميـة المترتبات السارة والتعزيز.

٧- تشمل الفئة الرابعة من نظريات الدافعية، تلك النظريات التـى تؤكـد أهميـة الدافعية المرتبطة بالحاجة للنمو وتوكيد الذات. ومن أمثلة هـذه النظريـات، نظريتا الدافعية اللتان طرحهما رائدان من رواد حركة الإمكانات الإنـسانية، روجرز وماسلو. والنظرية التى تؤكد أهمية الدافعيـة الداخليـة (دى سـى، وريان) وخبرة التدفق المرتبطة بالانـدماج الـشديد فـى بعـض الأنـشطة (Csikszentemihalyi).

٨- إن الاهتمام بكل من السمة، والمعرفة، والدافعية بوصفها وحدات للشخـصية، يستثير السؤال عن العلاقة بين هذه الوحدات، بمعنـى، هـل هـذه المفـاهيم متنافسة؟ أم هى مفاهيم متمايزة ولكن ترتبط ببعضها البعض بعلاقات معقـدة؟ إن وجهة النظر المفترضة فى الكتاب الحالى تشير إلى ارتباط المفاهيم الثلاثة بمختلف جوانب الشخصية المترابطة معًا، وأن معظم نشاطات الإنسان المهمة تتضمن تفاعلاً بين هذه المفاهيم الثلاثة.

الجزء الثانى:

ارتقاء الشخصية

سنتناول فى هذا الجزء قضيتين أساسيتين تتصلان بارتقاء الشخصية: محددات الشخصية، ودرجة اتباع ارتقاء الشخصية لمسار واضح ومحدد من الطفولة إلى الرشد، إلى ما بعد الرشد. والقضية الأولى تصاغ غالبًا بطريقة مبسطة على أنها تمثل الخلاف بين الطبع والتطبع، أى هل الشخصية تتحدد أساسًا من خلال المورّثات (الطبع)، أم من خلال البيئة (التطبع)؟ وتمت صياغة القضية الثانية بطريقة مبسطة أيضًا على أنها تتناول الخلاف بين الاستقرار- والتغيير، أى هل يمكن تعريف الشخصية ببعض المعالم من خلال النقاط فى الزمان؟ وكلتا القضيتين خلافيتان فى الميدان؛ كما أن الخلاف حول الطبع والتطبع أصبح قضية أوسع اجتماعية وكذلك سياسية.

وفى الفصلين التاليين سنسعى إلى تعريف القضيتين، ونستعرض أكثر نتائج البحوث التى تتصل بهما حداثة، ونحاول التوصل إلى خلاصات تضفى معنى على النتائج المعاصرة. وللقيام بهذا ينبغى أن نستعد للقيام بشيئين:

الأول: يجب أن نفكر فى المشكلات بطريقة أكثر تعقيدًا، فمثلا ينبغى أن ننظر إلى المورّثات والبيئة، أى الطبع والتطبع على أنهما يعملان بالتلازم مع بعضهما، ولا يتعارض كل منهما مع الآخر، أى أنه لا يوجد أبدا طبع فى مقابل تطبع، وإنما يوجد دائمًا طبع وتطبع. وينبغى أن نستعد للنظر فى احتمال أن يتفاوت تغير الشخصية بالنسبة لمختلف الخصال، كما تتفاوت إمكانية اختلاف الظروف البيئية. أى أن الأفضل أن نحاول فهم العمليات التى تحكم استقرار الشخصية وتغيرها، بدلاً من أن يقتصر اهتمامنا على معرفة إن كانت الشخصية بوجه عام مستقرة أو متغيرة.

أما الشىء الثانى: فيما يتصل بهاتين القضيتين، فينبغى أن نستعد للتخلص من الطرق القديمة حولهما، ونتبنى المعتقدات الحالية. فمثلاً معظمنا يتناول القضية بالتحيزات العامة التى تتصل بمقدار أهمية المورّثات لارتقاء الشخصية، وما هو مقدار التغير الممكن. أنا أعرف أننى عندما كنت طالباً بالجامعة كان لدى استعداد

عام للاعتقاد بأن البيئة أكثر أهمية من الوراثة بالنسبة لارتقاء الشخصية. ومع إمكان تغير الشخصية فى الرشد، فإن البناء الأساسى للشخصية تم تحديده من خلال البيئة المبكرة للشخص. ولم يكن لدى فقط تحيز، بل إننى كنت أميل إلى أن أرى القضايا بمصطلحات مطلقة وغير متمايزة. ويرجح أن معظم طلاب الجامعة لديهم كذلك معتقدات متحيزة فى اتجاه أو آخر. والحق أقول، فإننى أشك أننى مازال لدى بعض التحيزات العامة فى معتقداتى حول هاتين القضيتين. وآمل أن يتم التسلح بالصيغة المنظمة لإثارة الأسئلة وتقويم الدليل، عندما ننظر فى هاتين القضيتين الخلافيتين المهمتين.

الفصل الخامس*

طبع الشخصية وتطبّعها

---

* ترجمة د. عبد الحليم محمود السيد

نظرة عامة على الفصل:

عرضنا فى هذا الفصل لمحـــددات[١] الوراثـــة[٢] (أو الطبـــع) والتطبّـــع (أو البيئة)[٣].

وهذا الموضوع – من الناحية التاريخية– ملىء بأوجه الخلاف، رغم المكاسب الكبيرة التى تحققت فى فهم إسهامات الوراثة فى الشخصية، وتـــوحى البحـــوث أن البيئة لها أهميتها فى تشكيل الشخصية، إلا أن أحد الأطراف المهمة فى البيئة ممثلاً فى الأسرة لا يؤثر فى كل أطفال الأسرة بنفس الطريقة.

والطابع العام لهذا الفصل يتمثل فى أن المورِّثات[٤] والبيئات تتفاعل دائمًا أى لا يوجد مورِّث بدون بيئة، ولا توجد بيئة بدون مورِّث.

أسئلة يجيب عنها هذا الفصل:

١- ما العلاقة بين الوراثة والبيئة أو الطبع والتطبع؟

٢- ماذا يمكن أن تسهم به نظرية التطور فى فهمنا للشخصية الإنسانية؟

٣- ما المناهج المتاحة لتحديد إسهامات المورِّثات فى الشخصية، وبماذا توحى البحوث فيما يتصل بهذه الإسهامات؟

٤- إلى أى حد يشترك الأفراد الذين ينشَأون فى نفس الأسرة وفى نفس البيئـــة، مما يترتب عليه تشابه شخصياتهم؟

٥- هل الأشخاص ذوو مختلف الخصال الوراثية يخبـــرون بيئـــات مختلفـــة؟ ولماذا؟

---

(١) Determinants

(٢) Genetics

(٣) Environment

(٤) Genes

مقدمة

يشترك الناس فى جميع أنحاء العالم – غالبًا– فى كثير من الملامح، ومن المؤكد أن هذا صحيح بالنسبة لبعض الخصال البنائية، مثل أعضاء الجسم، وقد يوحى الكثيرون بأن هذا يصدق أيضًا على كثير من جوانب الأداء النفسى التى ترتبط بتراثنا التطورى. (Buss, 1999, Tooby, Cosmides 1990)

وفى الوقت نفسه توجد فروق كبيرة بين الناس فى كل من البنية (مثل الطول والوزن) وفى خصال الشخصية (مثل الاجتماعية، والميل لمعاناة القلق)، ومن مهام كل من علماء الحياة[1]، وعلماء النفس أن يضعوا فى حسابهم هذه الأنواع من التشابه والاختلاف، ويميل علماء الحياة إلى التركيز على أسباب التشابه، بينما يركز علماء النفس على الفروق بين الأشخاص. ويوجد هذه الأيام – وخاصة فى بحوث الوراثة السلوكية– نوع من الربط بين كلا النوعين من النشاط.

وينبغى أن يكون واضحًا للدارس عند تناول محددات الوراثة والبيئة، أن هذه القضية كانت موضع خلاف كبير، عبر التاريخ، وقد لوحظ أن "جالتون" – وهو قريب لداروين– صاغ القضية على أنها قضية طبيعة أو طبع – فى مقابل – تطبّع أو بيئة، على أساس دراساته حول شجرة النسب، واستنتج أن الطبع يتغلب بشكل كبير على التطبّع، وقد أدى حماسه للطبع فى مقابل التطبّع، أو الوراثة فى مقابل البيئة إلى تأسيس اتجاه للخلاف استمر طوال القرن العشرين، ولم يتضمن هذا الخلاف فقط قضايا علمية، وإنما تضمن كذلك قضايا سياسية واجتماعية، واستمرت القضية موضع خلاف حتى يومنا هذا. (Baumrid Vaunrid, 1993; Herrnstein & Murray, 1994; Jackson 1993; Pervin, 2002; Scarr, 1992, 1993).

وكما لاحظ أنصار دور الوراثة، فإن "فى هذا التاريخ سوء استخدام للوراثة،

---

(١) Biologists

تم فيه تشويه مبادئ الوراثة لخدمة أهداف سياسية وهذا كان تاريخًا حزينًا وقاسيًا، وكل العلماء والمواطنين، مسئولون عن معارضة عدم الدقة والتبسيط المخلّ فـــى إرجاع السلوك إلى الوراثة ومعارضة سوء استخدامها فـــى مجـــال الـــصراعات السياسية. (Rawe, 1999, p. 71)

وقد اكتشفنا عند تتبع تاريخ الخلاف بين الطبع والتطبع، أن السؤال الذى بدأ به هذا الصراع: هل يرجع السلوك إلى الطبع أم إلى التطبع؟ أى إلى الوراثة أم إلى البيئة؟ ثم أصبح السؤال بعد ذلك: هل يرجع أكثر إلى الطبع أم إلى التّطبع؟

وبينما أعلن "جالتـــون": أنه لا مناص من استنتاج أن الطبع يغلب التطبـــع، (Golton, 1983, p. 244) كان واطسون يعتقد اعتقادًا كاملاً فى قدرة البيئة على تشكيل الشخصية، وفى هذا يقول:

"أعطنى دستة من الأطفال الأصحاء، حسنى التربية، مع إطلاق حريتى فى تنشئتهم، فإننى أضمن أن أصنع من أى واحـــد مـــنهم – اختيـــر بطريقـــة عشوائية– بعد تدريبه لكى يكون أى نموذج من التخصص أختاره له، فقـــد أختار له أن يصبح طبيبًا أو محاميًّا أو فنانًا، أو مشرفًا على محل تجـــارى، بل شحّاذًا أو لصًّا، بغض النظر عن ميولـــه، واهتماماتـــه، أو مواهبـــه أو قدراته، أو مهن أسرته أو الأصول العرقية" (Watson, 1930, p. 104).

ثم تمت صياغة السؤال بطريقة تجعله أكثر دلالة، كما يلى: كيف تتفاعل كل من الوراثة والبيئة لتكوين الخصال النفسية؟

وفى هذا تقول أنستازى: "ربما كنا نسأل ببـــساطة الأســـئلة الخاطئـــة, فالأسئلة التقليدية للعلاقة بين الوراثة والبيئة، كانت تحمل فى طياتهـــا عـــدم القابلية للإجابة عنها، ثم بدأ علماء النفس يسألون: أىُّ نموذجٍ من العوامل – للوراثة والبيئة، مسئول عن الفروق الفردية فى سمة معينة؟ وأخيرًا حاولوا الإجابة عن السؤال: ما مقدار التباين الذى ينسب إلـــى كـــل مـــن الوراثـــة والبيئة؟ ومن أهداف البحث الحالى: محاولة العثـــور علـــى منحـــى أكثـــر

خصوبة للإجابة عن السؤال كيف؟ (Anstasi, 1958, p.197).

ومع أننا ندعو منذ أكثر من ٤٠ سنة مضت إلى منحى أكثر تعقلاً وتمايزًا فى تناول هذه القضية، ورغم إيحاء كثير من علماء الحياة وعلماء النفس أن الوراثة لا يكون لها تأثير فى غياب البيئة، كما أن البيئة لا يكون لها تأثير فى غياب الوراثة، فإن الناس فى أيامنا هذه يميلون إلى تصويرهما على أنهما فى حالة مواجهة وصراع كل منها ضد الآخر، الطبع ضد التطبّع. أو الوراثة ضد البيئة. وقد شاهدنا – عبر التاريخ– أوقاتًا، كانت السيادة لأحدهما ضد الآخر، فمثلاً ساد فى العشرينيات من القرن العشرين اهتمام كبير، وتأكيد على أهمية العوامل الوراثية وأصبحت هذه الآراء –خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى– غير شعبية، وذلك جزئيًا، لارتباطها بأحداث ألمانيا النازية (Degler, 1991). وحديثًا حدثت عودة إلى الاهتمام بالإسهامات التطورية والوراثية فى الأداء النفسى الإنسانى، وللحق فإن التأكيد على عوامل الوراثة أصبح عظيمًا جدًا، إلى حد أن أحد كبار علماء الوراثة السلوكية[1]، وهو روبرت بلومين (Robert Plomin) يرى أن بندول الساعة قد مال ميلاً شديدًا إلى تأكيد الطبع أو الوراثة. وبالرغم من معارضة[2] العلوم السلوكية، فى الاعتراف بآثار الوراثة خلال السبعينيات، فقد بدأ نفوذ الوراثة يزداد قبوله فى الثمانينيات، ومن صالح مجال الشخصية أن يتحرك بعيدًا عن العقلية البيئية مفرطة البساطة، ومع ذلك فإن الخطر الآن يتمثل فى أن الاندفاع من البيئة قد يرتد بعيدًا جدًا، إلى حد رؤية الشخصية على أن الوراثة هى التى تحددها بشكل كامل. (Plomin, Chipner, and Loellin, 1990, p. 225)

وباستخدام مثال البندول، فإن وجهة نظر بلومين (Plomin)، أنه مع القبول العام فى علم النفس لأهمية الوراثة، فإن من الحاسم أن يظل البندول فى موضع وسط بين الطبع والتطبع (Plomin & Grable, 2000).

---

(١) Behavioral Genetics
(٢) Reluctance

ومع وجود الاتجاهات التى تميل إلى صياغة المسألة فى مصطلحات "إمــا.. أو" – أى أن يتجه البندول إلى إحدى الجهتين– وإلى أن يحدث استقطاب لوجهات النظر، فإنه لمن الضرورى أن نحاول، أو أن نخطط لمسار متوازن ومتمايز، ومن المهم للتخطيط لهذا المسار أن نفهم بدقة ماذا تعنى أو لا تعنــى المفــاهيم؟ ومــا المترتبات أو النتائج التى يمكن استخلاصها من البيانات؟ ومن المفيد فى التخطــيط لهذا المسار أن نفكر من خلال صورة مستوحاة من عــالِم الحيــاة "وادينجتــون" (Waddington, 1987)، الذى عَمَد إلى تأكيد التفاعل المستمر بين المورّثــات[1] والبيئة، عبر مسار الارتقاء. ويضرب "وادينجتون" مثالاً بسقوط كرة علي قطعــة أرض فسيحة، وتمثل هذه الأرض ما هو محدد وراثيًّا، فهى قد تتكون من تلال أو وديان تتفاوت قلة أو كثرة، ويختلف كل منها عن الآخر فــى الطــول أو العمــق والارتفاع، وتمثل دحرجة الكرة على الأرض تأثير قوى البيئة، فالكرة يمكــن أن تتحرك فقط فى محيط الأرض، ومن الصعب أن تتحرك فوق تل، أو خــارج وادٍ ذى حوائط مرتفعة. وعلى هذا فإن مسار الحركة والارتقاء يمكن أن يحدث فقط فى نطاق تأثير محدد للبيئة، ويوجد تقدم طبيعى أو مسار فيه أقل قدر مــن المقاومــة للكرة، إلا أنها قد تنحرف فى جهات متعددة، ويعتمد عدد المسارات الممكنة علــى عدد الإعاقات أو الأودية المتاحة للكرة فى نقطة معينة من الارتقاء، مما يُنْتِج عددًا أكبر من الاختيارات والمسارات. وبوجه عام، فإن كل مسار يتم اختياره يمثل نوعًا من القوة المانعة أو من تضييق احتمالات المسارات الأخرى فى الارتقاء.

ويتزايد توقعنا للموقع النهائى للكرة، أثناء تحركها على الأرض تمامًا، كمــا يمكن أن نتوقع أنه مع مرور العمر، يزداد تحديد خصال الشخصية، ويقل احتمال التغيُّر. ومع ذلك فإن النقطة المهمة هى أن حركة فى أية نقطة من الزمن أو عبر الزمن، يمكن فهمها فقط، إذا وضعنا فى حسابنا كلاً من محيط الأرض، والقــوى

(١) Development

المؤثرة فى الكرة، أى عن طريق نقطة الالتقاء بين تأثير الوراثة (طبيعة الأرض) والبيئة (القوى المؤثرة فى الكرة).

صفوة القول: إننا إذا وضعنا فى حسابنا كلاً من طبع وتطبّع الشخصية يجب أن نضع فى ذهننا أن ارتقاء الشخصية يمثل دائمًا دالة للتفاعل بين الموروثات والبيئة أى أنه لا يوجد طبع دون تطبّع، كما لا يوجد تطبّع دون طبع.

والنقطة الحاسمة التى ينبغى تذكرها من كل ما سبق، هى أنه فى مسار الحياة، فإن كلاً من الوراثة والبيئة أطراف فى أنماط من التفاعل شديدة التنوع وغير قابلة للحصر(Hymon, 1999, p.271) ، ويمكن أن نفصل بينهما فقط – كما سيحدث فى هذا الفصل– لأهداف المناقشة والتحليل، إلا أنهما لا يعملان أبدًا فى معزل كل منهما عن الآخر.

طبع الشخصية: التطور(١) وعلم الوراثة(٢)

يميز كل من علماء الحياة وعلماء النفس، بين نوعين من التفسير للسلوك، يتمثلان فى كل من: **الأسباب البعيدة**(٣) **والأسباب القريبة**(٤).

وتشير **الأسباب البعيدة** إلى التفسيرات المرتبطة بالتطور، أى لماذا نشأ السلوك موضع الاهتمام، والوظيفة التكيفية له. وتُستخدم نظرية داروين للتطور كأساس لهذا **التفسير بالأسباب البعيدة للسلوك**. أما التفسير **بالأسباب القريبة** فيشير إلى العمليات البيولوجية التى تؤثر فى الكائن الحى وقت مشاهدة السلوك، وبعبارة أخرى، فإن أحد التفسيرين يتبنى نظرة تاريخية لارتقاء الأنواع(٥)، وهذا هو التفسير التطورى، على حين أن التفسير الآخر يركز على العمليات التى تحدث فى الوقت الحاضر. ومع ذلك فإن القاسم المشترك بين وجهتى النظر، هو التأكيد على أهمية

Evolution (١)
Genetics (٢)
Ultimate Causes (٣)
Proximate Causes(٤)
Species (٥)

الموروثات، فى سياق محاولات الكائن الحى حل مشكلة توافقية.

ومن الناحية التطورية، تمرّ موروثات الكائنات الحية – التى تـؤدى مهامًّـا تكيفية– بأجيال متتابعة، أى أن الموروثات تحتوى على تصميمات للحيـاة تـسمح للكائن الحى أن يتوالد بنجاح.

أما من ناحية **الأسباب القريبة**، فإن الموروثات هى التى تزود الكائن الحـى بالأسس البيولوجية لمحاولاته للحل التوافقى للمهام فى الوقت الحاضر.

ثلاثة مؤسسون: داروين (١٨٠٩– ١٨٨٢) Daruin، ومنـدل (١٨٢٢-١٨٨٤) Mendal، وجالتون (١٨٢٢ – ١٩١١) Galton:

كان منتصفُ القرن التاسع عشر زاخرًا بالاكتشاف البيولوجى، فخلال عقـد واحد أمكن لثلاثة إسهامات عظيمة أن تشكل كلاً من مجال علم الحياة وعلم النفس، حتى أيامنا هذه بما يتمثل فى كل من **داروين** بكتابه: **أصـل الأنـواع**[1] (١٨٥٩)، **ومندل**، بكتابه "**تجارب على تهجين نبات**"[2] (١٨٦٥)، **وجالتون** بكتابه "**العبقـرى بالوراثة**"[3] (١٨٦٩).

وقد لُقِّبَ "داروين" بـــ "مؤسس علم الحياة التطورى"[4]، كما لُقِّـبَ "منـدل" بمؤسس علم الوراثة، لُقِّبَ "جالتون" بمؤسس الوراثة السلوكية، أى دراسة إسهامات الوراثة فى إحداث السلوك. ومما يلفت الانتباه أن المؤسسين الثلاثة استخدموا ثلاثة مناهج للبحث، شديدة الاختلاف، لإنجاز أعمالهم الفائقة، **فداروين** استخدم المـنهج الطبيعى، وقام بجمع عينات من النبات والحيوان أدت إلى نظريته فـى الانتخـاب الطبيعى، ويعد **مندل** أحد العلماء المجربين العظام على مر العصور، وكان مهتمًّـا بتحول ما أطلق عليه اسم السمات، واستمر سبع سنوات يولِّد سلالات نباتية، ويدمج سلالات نباتية أخرى، وقد فحص فى هذا الوقت أكثر من ١٠,٠٠٠ نبات وأحصى

---

(١) The Origin of Species
(٢) Experiments on Plant Hybrid
(٣) Hereditary Genius
(٤) Evolutionary Biology

أكثر من ٣٠,٠٠٠ نوع من البازلاء (Hening, 2000)، وتوفر فى المنهج الذى اتبعه، كل ملامح المنهج الذى يتبعه علماء النفس التجريبيون من حيث صرامة ضبط المتغيرات موضع الاهتمام وكبر حجم العينة، والمعالجة الرياضية للنتائج وعرض نتائجه فى صورة تمكن الآخرين من استعادتها.

وبالرغم من أنه لم يكن فى ذهنه المورِّثات، فقد كان علــى وعــى بوجــود محددات خفية للسمات التى تتم مشاهدتها، أو ما نطلق عليه الآن متغيرات علِيّة(١) ومتغيرات وصفية(٢)، كما ميَّز بين الخصال السائدة(٣)، والخصال المتنحية(٤). ورغم عدم درايته بعمل داروين – عندما بدأ بحثه– اعترف فورًا بعلاقة عمله بالوراثة فى نظرية التطور(Sterm and Sherwood, 1966) .

وإذا كان داروين استخدم المشاهدة الطبيعية(٥) القريبة من منهج دراسة الحالة، كما أن بحث مندل يمثل المنهج التجريبى، فإن عمل "جالتون" – كما تم عرضه فى الفصل الأول من هذا الكتاب– يمثل بدايات المنهج الارتباطى. وكان جالتون يعى أن بحثه حول الأسس الوراثية للتنوع العقلى قد يخلط بين دور الوراثة ودور البيئة، ومع ذلك فقد أجرى بحثًا حول: هل الأطفال الذين يتم تبنّيهم ممن يعيشون فى بيئات متميزة ومتشابهة يصبحون نابغين. ووجد أن الإجابة "لا".

وأخيرًا قام بدراسة للتوائم التى تبدو متشابهة والتوائم التى تبدو غير متشابهة، فقد ذكر أن الفئة الأولى تتشابه شخصياتهم فى السنوات التالية من العمر أكثر من المجموعة الثانية. أى أن التربية فى حد ذاتها لا تؤدى إلى تشابه، لهذا كان جالتون فى دراساته للتبنى(٦) وللتوائم، مؤسسًا لعلم الوراثة السلوكية كما كان بحق مؤسسًا لمنهج البحث الارتباطى (Rovie, 1999).

---

(١) Genotype
(٢) Phenotypes
(٣) Dominant
(٤) Recessive
(٥) Naturalistic Observation
(٦) Adoption

التفسيرات بالأسباب البعيدة التطورية[1]:

يسعى علماء النفس التطوريون إلى فهم جوانب الأداء الإنساني، فى علاقتها بالحلول التى تنشأ للمشكلات التكيفية، التى تواجه الأنواع، عبر ملايين السنوات (D..M., Buss, 1991, 1995, 199).

ووفقًا لهذه الوجهة من النظر، يوجد أساس للطبيعة البشرية، وتحتوى هذه الطبيعة البشرية على آليات نفسية متطورة، تبيَّن أنها توافقية بالنسبة للبقاء وللنجاح التوالدى؛ وكل نوع من الأنواع له نوع من التخطيط يتميز به بشكل كلى. (Cosmides, and Tooby, 2000, p. 94)

لاحظ أن التأكيد هنا, على الآليات النفسية الكلية التى تتطور أو تنشأ، والتى تتسم بأنها تكيفية.

ويتعارض هذا المنحى مع المناحى الأخرى، التى تؤكد الخصال التى تمثل جزءًا من الثقافة، ويتم تعلمها، لكنها لا تلعب دورًا فى المهام الأساسية مثل النجاح فى مهمة البقاء أو التوالد. والحقيقة فيما يتصل بالثقافة، أنه يوحى بأن الثقافة ذاتها، صيغت بطريقة تجعلها تستجيب لمخططاتنا المتطورة.

وأخيرًا، فإن الآليات النفسية تكون متوافقة بالنسبة لكل مهمة من المهام النوعية، أى أنها تقوم بأداء مهمة نوعية، ولا تمثل آليات لكل الأغراض، والنموذج هو مطواة الجيش السويسرى، التى تشتمل على عدة أدوات لحل مهام تكيفية عديدة وليس مجرد أداة واحدة تستخدم لكل الأغراض، فرؤوسنا (أو أمخاخنا) , وانفعالاتنا، وكل الجوانب الأساسية لوجودنا تتصف بنوعية الأداء، وعلى هذا يمكن أن نبدأ الأسئلة المفتاحية على النحو التالى:

- ما الآلية النفسية التى تطورت عبر الانتقاء؟ وما المشكلات التكيفية التى طوّرتها لحلها؟

---

(1) Evolutionary Ultimate Explanations

ومن الآليات النفسية المتطورة الخوف من العناكب[١]، وتفضيل نوع معين من الأرض الفضاء والاستعداد[٢] لتعلم لغة، ونشأة مصطلحات لوصف جوانب مهمة من السلوك الإنساني أي فرض وجود "معجم للمفردات"[٣] أو المعاني الأساسية، ووجود استعداد مسبق للتعلق بآخرين[٤]، ووجود فروق بين الذكور والإناث في تفضيلات التزاوج، وفي أسباب الغيرة، وفيما يتصل بالمشكلات التوافقية التي تحتاج إلى حل. ومن المهم أن ندرك أن ما يؤخذ في الحسبان هو مشكلات تاريخنا التطوري، أكثر من المشكلات الحالية.

لهذا لاحظ بوص Buss أن:

" الآلية التي تؤدي إلى حل للمشكلة في الماضي، قد لا تؤدي إلى حل ناجح الآن، فمثلاً: من الواضح شدة تفضيلاتنا للدهون في الطعام، في الماضي، وتذوقنا لها، أي كونها تكيفية في ماضينا التطوري، لأن الدهن كان مصدرًا له قيمته للسعرات الحرارية[٥]، وكانت نادرة، أو من الصعب الحصول عليها، أما الآن فليس من الصعب مع شيوع الهامبورجر والبيتزا على نواصي الشوارع، ولم يعد الدهن مصدرًا نادرًا للطاقة، كما أن تناولنا للدهون بما يزيد عن الحاجة بكثرة يترتب عليه انسداد الشرايين[٦] وأزمات قلبية[٧]، مما يعوق بقاءنا (1999, P. 38)".

والخلاصة: أن علماء النفس التطوريين يفترضون أننا نتطلع إلى الآليات النفسية الأساسية، وإلى وظائفها التي تقوم بها، ولتوضيح هذه الجهود سنذكر فيما يلي التفسير التطوري الذي قدمه "بوص" (Buss, 1991, 1995, 1999), لنوعين من العلاقة بين الذكور والإناث في كل من: تفضيل التزاوج وأسباب الغيرة.

---

(١) Fear of Spider
(٢) Preparedness
(٣) Lexical Hypothesis
(٤) Attachment
(٥) Calories
(٦) Clogged Arteries
(٧) Heart Attack

تفضيلات التزاوج لدى كل من الذكور والإناث:

وفقًا لنظرية التطوّر التى ترجع إلى داروين، فإن التزاوج بين كل من الذكور والإناث، تطور إلى نوعين مختلفين من التفضيلات التى نتجت عن ضغوط سابقة للانتقاء[١] وتتمحور النظرية حول وجود فروق أساسية بين الرجال والنساء.

أولاً: توجد نظرية الاستثمار الوالدى[٢] التى تذهب إلى أن الإناث لديهن دافع للاستثمار الوالدى – ممثل فى إنجاب ذرية أقوى من الذكور – لأن الإنـاث يـنقلن مورثاتهن إلى عدد قليل من الأبناء[٣]، وذلك بسبب محدودية الوقت الذى تكون فيه المرأة خصبة وقابلة للإنجاب، كما أن عمرهن الذى يستطعن فيه إنجاب ذرية، أكثر محدودية مقارنة بالذكور، ويوحى هذا بأن الإناث لديهن تفضيلات أكبـر لـشريك الحياة، مما لدى الذكور (Trivers, 1972).

كما أن ثمة إيحاء بأن لدى كل من الذكور والإناث محكات مختلفة لاختبـار شريك التزاوج، فالذكور يركزون على الوظيفة الإنجابية للشريك أى على الإنجاب، أى أن تكون شريكة الحياة فى سن الشباب، أما الإناث فيركزن على تحقيق الزواج لنوع من الموارد والحماية.

ثانيًا: يختلف الذكور والإناث فيما يتصل بموضوع احتمال الوالدية[٤]، فنظرًا لأن المرأة تحمل بويضتها المخصبة، فإنها تكون متأكدة دائمًا أنها هى أم المولود، وفى المقابل فإن الذكور لا يمكن أن يكونوا متأكدين من أن المولود ابنهم، ولـيس ابنًا لذكر آخر (Buss, 1989, p. 3).

ويترتب على هذا الإيحاء، بأن الذكور لديهم عناية أكبر بالمنـافس الجنـسى ويعطون قيمة أكبر للعفة[٥] فى الزواج المحتمل أكثر مما تؤكد النساء.

---

(١) Selection
(٢) Parental Investment
(٣) Offspring
(٤) Parenthood Probability
(٥) Chastity

وفيما يلى بعض الفروض النوعية المستمدة من كل من نظريتى الاستثمار الوالدى واحتمال الوالدية (D.M. Bass, 1989; D.M. Bass, Larson, Westen and Semelroth, 1992)

١ – تتحدد القيمة الزواجية للمرأة بالنسبة للرجل، باستعداداها للإنجاب، كما يتمثل فى كل من: شبابها, وجاذبيتها الجسمية. وكذلك تزداد قيمة العفة لدى الرجل، كلما ازداد تقديره لاحتمال الوالدية.

٢ – تتحدد القيمة الزواجية للرجل فى نظر المرأة بدرجة أقل بالقيمة الإنجابية، لكنها تتحدد بدرجة أكبر بالموارد التى يمكن أن يزودها بها، كما تتمثل فى الاستعداد والطموح، والاجتهاد(١).

٣ – يختلف الذكور عن الإناث، فى الأحداث التى تثير الغيرة لدى كل منهم، فالذكور يصبحون أكثر غيرة، فيما يتصل بالخيانة الجنسية وتهديد احتمال الوالدية، أما الإناث فأكثر عناية بالتعلق الانفعالى، والتهديد بفقدان الموارد.

---

(١) Industriousness

إلقاء الضوء على
بعض الباحثين فى علم النفس التطورى

جون توبى	ليدا كوزميدس





نما لدى كل منا –مستقلاً عن الآخر– اهتمام بإعادة بناء علم النفس والعلوم الاجتماعية بما يتفق مع خط التطور، عندما كنا طلبة ندرس بكالوريوس علم النفس بجامعة هارفارد عندما تقابلنا واكتشفنا هذا الاهتمام الغريب المشترك وتزايد ارتباطنا وتألفنا، ثم تزوجنا سنة ١٩٧٩، وزاد تعاوننا بمرور الوقت.

إذا أردت أن تفهم أى ظاهرة طبيعية – بما فى ذلك العقل الإنسانى– فإنك تحتاج إلى أن تصبح مكتشفًا، وأن تقرأ فى كل فروع العلم، مما قد يساعد على إلقاء ضوء على المشكلة التى نحتاج إلى حلها، وقد تكتشف حلاً مقيدًا أو واسعًا، وقد تَحفَّظْنا من أن انتقاءات جديدة، من سلسلة من مختلف المجالات تتحد منطقيًّا فيما بينها فى إطار بحثى واحد متكامل يمكن استخدامه فى تخطيط الطبيعة البشرية، أى معالجة المعلومات لمخطط الأنواع النموذجية للمخ البشرى. ونحن نطلق على هذا الإطار اسم علم النفس التطورى، وهو ابتكار أو صياغة جديدة شاعت بعد ذلك.

وثمة أربعة ابتكارات تمثل مفتاح هذا الجهد:

١ – الثورة المعرفية التى ترتب عليها ظهور لغة دقيقة لوصف الآليات العقلية.

٢ – التقدم فى علم أصول الإنسان القديم وتطوره[١] ودراسات الصيد، وجمع الثمار، وعلم الحيوانات الرئيسة[٢] (الذى يشمل الإنسان والقردة العليا) مما يزودنا ببيانات حول المشكلات التكيفية التى قام أسلافنا بحلها لكى يبقوا ويتناسلوا، والبيئات التى قاموا فيها بهذه الحلول.

٣ – ما أوضحته البحوث فى مجال سلوك الحيوان وعلم اللغة، من أن آليات التعلم متخصصة، وأن العقل ليس صفحة بيضاء.

٤ – **الثورة** التى وضعت علم الحياة التطورى[٣] على أسس، وصوّرته أكثر دقة والتى أوضحت كيف يعمل الانتخاب الطبيعى وعلامَ يعتمد كوظيفة تكيفية.

واهتم الباحثون منذ داروين بتطبيق استبصارات تطورية على السلوك، إلا أن الجهود السابقة فشلت، لعدم توفر المقومات الأربعة السابقة. فمثلاً دراسات علم الأعراق البشرية[٤]، **توفر منها كل** من المقومين الثانى والثالث، وافتقدت دراسات الاجتماع البيولوجى[٥] المقوم الأول. أما ما كانت هذه الدراسات فى حاجة إليه، فهو استخدام التعبير اللغوى الدقيق لوصف الخصائص المميزة لعمليات المخ، وبدون هذا الاستخدام للغة، فإن النظريات النفسية (سواء أكانت تطورية. أم لا) ستصبح جامدة وراكدة، ويصبح المجال مزدحمًا (يغط) بالحديث الغامض حول الاستعداد للسلوك، وبالنظريات الشعبية التى تشرح السلوك من خلال المعتقدات والرغبات والمقاصد

وكان أكبر إسهاماتنا وأهمها نظريًّا ما تمثل فى التحقق من أن الثورة المعرفية تزودنا بالحلقة المفتقدة، وأن المخ يمثل حاسبًا آليًّا متطورًا يتم تحديث برامجه عبر الزمن التطورى من خلال بيئات الأسلاف، ومن خلال ضغوط الانتخاب التى

---

(١) Paleoanthropology
(٢) Primatology
(٣) Evolutionary Biology
(٤) Ethnology
(٥) Sociobiology

تعرض لها الصيادون وجامعو الثمار من أسلافنا (المقوم رقم "٢"، ورقم "٤").

وينشأ سلوك الفرد من خلال هذا الحاسب الآلي، كاستجابة للمعلومات التي يخبرها (المقوم "١") رغم أن أنماط السلوك التي تؤكدها هذه البرامج، قد تكون تكيفية في المتوسط (منتِجة أو تؤدي إلى التناسل)، في بيئات الأسلاف، فلا يوجد ضمان لأن تكون هذه السلوكيات هكذا الآن. وربما كان الأهم من هذا، هو أننا تحققنا من أن العقل لا يمكن أن يكون صفحة بيضاء (المقوِّم ٣)، لأن المخ لا بد أن يتكون من عدد كبير من البرامج كل منها متخصص في حل إحدى المشكلات التي واجهها أسلافنا، فمثلاً: البرنامج الذي صمم جيدًا لاختيار الزوج يتضمن أنواعًا من الاختبار والاستنتاج، تختلف على ذلك الذي صمم جيدًا لاختيار الطعام. وأخيرًا إذا أردت أن تفهم الثقافة الإنسانية، فإنك تحتاج إلى فهم البرامج النوعية لمجال معين، والعقل ليس مثل كاميرا الفيديو، يسجل بشكل سلبي العالم الخارجي، ولا ينقل مضمونًا ينتمي إلى هذا العالم، فالبرامج نوعية المجال، المتضمنة، تقوم بتنظيم خبراتنا، وتخلق استنتاجاتنا، وتتسبب في أننا نفكر في بعض الأفكار شديدة النوعية، وهذا هو الذي يجعل بعض الأفكار تبدو معقولة، ولافتة للاهتمام وقابلة للتذكر، وبناء على هذا، فإنها تلعب دورًا مفتاحيًّا، في تحديد أي الأفكار والعادات ستصبح جزءًا من الثقافة، وأيها لن يصبح.

وامتدت دراستنا الواقعية[1] إلى كثير من المجالات النفسية مثل التعاون[2]، والتحالف [3] (نحن – في مقابل– هم أو الآخرين وعلم النفس)، والاستدلال الإحصائي، وتجنب المحارم، والصداقة... إلخ، لأن من أهدافنا أن نوضح مدى فائدة المنحى التطوري. وفي كل الأحوال، نبدأ بمشكلة تكيفية واجهت أسلافنا الصيادين وجامعي الثمار، ثم نحاول توضيح الصورة التي سيبدو عليها تصميم

Empirical (1)
Cooperation (2)
Coalition (3)

برنامج لحل تلك المشكلة، ومن خلال تحليل هذه المهمة، نشتق تنبؤات قابلة للاختبار حول تصميم أى برنامج قد يحل المشكلة، ثم اختبار هذه التنبؤات تجريبيًا. وقد سمح لنا هذا المنهج باكتشاف آليات ذهنية لم يفكر أحد فى البحث عنها من قبل، فمثلاً أدى هذا بنا الى البحث عن، (أو اكتشاف) برامج متطورة لاكتشاف الغشاشين.

ويوضح هذا –على العكس تمامًا من فرض الصفحة البيضاء للذهن– أن الاستدلال عملية ليست أحادية البعد تطبّق نفس القواعد بغض النظر عن المضمون، فاكتشاف الغشاشين يتم من خلال غريزة كلية، توجد لدى كل الأنواع لتحقيق هذا الفرق، من خلال أساس عصبى مستقل فى المخ.

وحصل بوص (D.M. Buss, 1989) على استجابات ٣٧ عينة, على استخبار، واشتملت هذه العينة على أكثر من عشرة آلاف شخص ينتمون إلى ٣٣ دولة تقع فى ست قارات وخمس جزر فى جميع أنحاء العالم. واتصفت هذه العينة بدرجة كبيرة من التنوع فى الموقع الجغرافى، والثقافى والعنصرى والبيئى، فماذا تم اكتشافه؟

أولاً: قوَّم الذكور فى كل العينات الـ ٣٧ الجاذبية الجسمية والشباب النسبى، فيما يتصل بالزوج المحتمل، أكثر من تقويم الإناث مما يتفق مع الفرض الذى يذهب إلى أن الذكور يضعون قيمة أكبر لشريك الحياة الذى لديه قدرة مرتفعة على الإنجاب، أما الفرض بأن الذكور يقيِّمون بدرجة أعلى من الإناث توفر صفة العفة فى شريك الحياة، فقد تأكدت فى ٢٣ عينة من العينات الـ ٣٧ مما يمثل تأييدًا متوسطًا للفرض.

ثانيًا: أولت النساء قيمة أعلى للقدرة الاقتصادية لشريك الحياة المحتمل (مقارنة بالذكور). وظهر هذا فى ٣٦ عينة من العينات الـ ٣٧، كما فضلن كلاً من توفر خصال الطموح والجدية فى شريك الحياة المحتمل، أكثر مما لدى الذكور

(ظهر هذا فى ٢٩ عينة من الـــ "٣٧" عينة)، مما يتسق مع الفرض الذى يـــذهب إلى أن الإناث يولين قيمة أكبر لشريك الحياة الذى لديه قدرة أكبـــر علـــى تـــوفير الموارد.

الفروق بين الذكور والإناث فى أسباب الغيرة[1]:

وتم فى بحث تالٍ ثلاث دراسات[*] لاختبار فرض الفروق بين الجنسين فـــى الغيرة (D.M. Buss, 1992):

فى **الدراسة الأولى**: سئل طلبة وطالبات جامعيون، هل كان لـــديهم خبـــرة بالكرب[2] كاستجابة للخيانة الجنسية أو الخيانة العاطفية؟ وأوضـــحت النتـــائج أن ٦٠% من عينة الذكور عانت من كرب نتيجة خيانة الشريك فى الجنس، على حين ذكر ٨٠% من عينة الإناث معاناتهن من كرب عظيم نتيجة تعلق شـــريك الحيـــاة وجدانيًّا بأنثى منافسة.

أما **الدراسة الثانية** فقد تم فيها الحصول على قياسات فسيولوجية للكرب لدى طلبة وطالبات جامعيين ممن تخيلوا نوعين من السيناريو: الأول تخيُّل أن الشريك متورط جنسيًّا مع شخص آخر، والثانى تخيُّل أن الشريك متـــورط انفعاليًّـــا مـــع شخص آخر. وأوضحت النتائج تعارضًا فى استجابة كل من الذكور والإناث، حيث أظهر الذكور درجة مرتفعة من الكرب الفسيولوجى استجابة لتخيل تورط الشريك فى علاقة جنسية مع آخر، أما الإناث فقد أظهرن درجـــة مرتفعـــة مـــن الكـــرب الفسيولوجى استجابة لتخيل تورط الشريك فى ارتباط عاطفى مع طرف آخر.

أما **الدراسة الثالثة**: فقد حاولت التحقق من فرض مفاده أن كلاً من الـــذكور والإناث الذين مرّوا بخبرة ممارسة علاقات جنسية ستظهر لديهم نفس الاستجابات السابقة، مما يميزهم إلى حد كبير عن الذين لم يتعرضوا لهـــذه العلاقـــة. بعبـــارة

---

(1) Causes of Jealousy

(*) هذه الدراسات تمثل عينات من الثقافة الأمريكية، ولا يلزم أن تمثل الثقافات الأخرى.

(2) Distress

أخرى، الخبرة الفعلية فى ارتكاب العلاقة الجنسية هى التى تحدث الفرق. وقد صدق هذا بالنسبة للذكور الذين وجد أن الغيرة الجنسية، تزداد لديهم مع التعرض لخبرة ارتكاب علاقة جنسية ومع ذلك لم يوجد فرق فى الاستجابة للخيانة الانفعالية لدى الإناث اللاتى تعرضن واللائى لم يتعرضن لخبرة ارتكاب علاقة جنسية.

والخلاصة: فسر المؤلفون النتائج على أنها تؤيد فرض الفروق بين الجنسين فى مثيرات الغيرة، رغم الاعتراف بمختلف بدائل التفسيرات للنتائج. ويفترض المؤلفون أن الإطار النفسى التطورى وحده هو الذى يؤدى إلى تنبؤات نوعية.

إلقاء الضوء على

باحث فى علم النفس التطورى

دافيد بوص



بدأ اهتمامى بعلم النفس التطورى منذ أيام دراستى الجامعية مع إعجابى بالأسئلة الكبيرة, ومع أنها لم تكن بعد مصاغة فى هذا الوقت، فقد أدهشنى تبنى منظور تطورى يمكن من إلقاء الضوء على الأسئلة الكبرى، مثل السؤال التالى: ما طبيعة الطبيعة البشرية؟ وما أوجه الفرق بين الرجال والنساء؟ ولماذا يختلفان؟ وما أوجه الفروق التى يختلف فيها الأفراد داخل كل جنس؟ بالإضافة إلى اهتمامى النوعى بالتزاوج الإنسانى، الناجم جزئيًّا من مشاهداتى التى توضح أن الزواج والتواعد مع الجنس الآخر والجنس يمثل موضوعًا رئيسيًّا يشغل بال الناس، ويسيطر على المناقشات مع الأصدقاء ونستلهم منه الخيالات ويُشعل الحب، ويسبب الألم

النفسى عندما تسير الأمور بعيدًا عما نود. ومع هذا فقد تجاهل علم النفس أهم الأشياء التى تشغل الرجال والنساء فى الحياة اليومية، ويبدو أنه ليس من الصدفة أن يقع الزواج فى مركز اهتمام المناحى التطورية.

وأعتقد أن أهمية عملى، تتمثل فى إثبات أن بعض الافتراضات السائدة فى ميداننا إنما هى افتراضات خاطئة فى أساسها، خاصة أن التيار العام يفترض أن الثقافات تتنوع بشكل لا نهائى وتحكمى، وأنها كلها تحدد رغباتنا، وقد أوضح بحثى الواقعى حول الرغبات فى التزواج لأفراد من ٣٧ ثقافة، لأول مرة، وجود نوع من العمومية لرغبات كل من الرجال والنساء، وبعبارة أخرى، على العكس من الرأى الذى يذهب إلى أن البشر ليست لهم طبيعة إلا القابلية للتعلم[1] والقابلية للتأثر بالثقافة، تحول الأمر إلى أن البشر لديهم بشكل واضح وعام رغبات محدودة تمثل جزءًا من طبيعتنا الإنسانية. وقد كان هذا العمل أيضًا حاسمًا فى إثبات أن الفروق بين الجنسين عامة (أو كلية).

وهى نتيجة تختلف مع اهتمام كل من لديهم اهتمام أو توجه نظرى يتطلب – إلى حد ما– من الرجال والنساء أن يكونوا من الناحية النفسية متطابقين. ومن مستوى تصورى أعمق، كان لعملى أهميته فى توضيح أهمية علم النفس التطورى وقيمته، وأنه يمثل إطارًا نظريًّا قابلاً للاختبار بالنسبة لعلم النفس كعلم.

والسؤال الآن: إلى أين تتجه مواضيع بحثى، والإجابة: إن بحوثى تتجه وجهتين: الأولى: دراسة المكانة[2] والوضع الاجتماعى[3]، والسمعة[4] إلخ، وهى فئة حاسمة من المواضيع إلا أنها مهملة فى علم النفس، وقد قمت حتى الآن بجمع بيانات عن المكانة الاجتماعية فى كل من ألمانيا وبولندا والصين وجام، وفى الطريق إلى

---

(١) Capacity to Learn
(٢) Prestige
(٣) Status
(٤) Reputation

جمع بيانات كل من أثيوبيا وكينيا وألبانيا وتركيا. ويحتاج علم النفس – فى رأيى – إلى أن يكون عبر ثقافيًا[1] أما الوجهة الثانية لبحوثى، فتتمثل فى العودة إلى الجذور مما يتمثل فى المزيد من الاهتمام بعلم النفس التطورى للفروق الفردية، وهى مواضيع لم تجد بعد الاهتمام الكافى من أساتذة علم النفس التطورى، فالأمر الأكثر إثارة للتحدى يتمثل فى محاولة ابتكار نظرية ملائمة للشخصية من خلال إحداث التكامل بين كل من الطبيعة الإنسانية والفروق بين الجنسين من **ناحية، والفروق الفردية من ناحية أخرى.**

وقام باحثون آخرون بدراسة الفروق بين الذكور والإناث فى أسباب الغيرة، وفى إحدى هذه الدراسات تمت المقارنة داخل كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكل من هولندا وألمانيا – وتسود هاتين الدولتين اتجاهاتُ متسامحة نحو العلاقات الجنسية خارج الزواج ونحو المساواة بين الجنسين– وأوضحت نتائج المقارنات بين الذكور والإناث فى أسباب الغيرة – بالرغم من أن الفروق كانت أكبر فى الولايات المتحدة وأقل فى هولندا– أنه رغم وجود فروق ثقافية فإن النتائج تؤيد الفرض النفسى التطورى (Bunk, Angleitner, Obaid, Buss 1990).

ومن ناحية أخرى حصلت بحوث أخرى على بيانات تؤيد التفسير الثقافى للفروق أكثر مما تؤيد التفسير التطورى البيولوجى الذى اقترحه "بوص"، ففى بحث قامت به هاريس (Harris, 2000) طلبت من المبحوثين الذكور والإناث تخيل سيناريوهات لخيانة جنسية وعاطفية، كما فعل بوص ورغم اتفاق نتائجها مع نتائج "بوص" من حيث كون استجابات الذكور أشد من الإناث فيما يتصل بالخيانة الجنسية مقارنة بالخيانة العاطفية فإنها على العكس من بوص لم تجد فرقًا بين الخيانة لدى الإناث.

وفى دراسة أخرى طلبت هاريس من نصف المبحوثين الذكور تخيل أن

---

(1) Cross-Cultural

شريكهم تورط فى خيانة جنسية أو عاطفية، وطلبت من النصف الآخر تخيل تفاعلهم مع شريكهم فى تفاعل جنسى أو عاطفى، ولم توجد فروق فسيولوجية فى الحالتين، مما يوحى بأن الخيال يثير الذكور بغض النظر عن الغيرة، ولم يمكن للأسف الحصول على بيانات قابلة للمقارنة بالنسبة للإناث.

وسألت هاريس الإناث: هل يزعجهن أكثر الخيانة الجنسية أم الخيانة العاطفية؟ واتفقت نتائجها مع نتائج بوص، أى أوضح معظم الإناث أن الخيانة أكثر شدة، ومع ذلك لم توجد علاقة بين التقرير الذاتى ومقاييس الاستجابات الفسيولوجية، ومن ثم تشككت هاريس فى وجهه النظر التى تذهب إلى وجود أساس فطرى لاستجابات الغيرة. وأكثر من هذا, فإن هاريس ترى أن بيانات بوص تعكس وجود فروق أكثر لدى الذكور منها لدى الإناث فى الاستجابة للتخيل الجنسى القائم على أساس الأدوار المحددة ثقافيًا التى تحدد الأنشطة المقبولة، يضاف إلى هذا أن هاريس ترى أن الفروق فى الاستجابة الفسيولوجية عكست فروقًا فى عالمين يوجد بهما تهديد لتقدير الذات. وبناء على هذا فإنها ترى أنه فى الثقافة الغربية داخل سياق العلاقات العاطفية يشعر الذكور بدرجة أكبر من التهديد من الخيانة الجنسية على حين أن الإناث يشعرن بتهديد أكبر من الخيانة العاطفية.

وفى بحث تالٍ قامت هاريس (Harris, 2002) بمزيد من التحديات لوجهة النظر التطورية للفرق بين الجنسين فى تفسير الغيرة، حيث قامت **أولاً**: بسؤال أشخاص من الجنسين ذوى توجُّه جنسى غيرى[1] ومثلى[2]، أن يقدّروا أىَّ الموقفين المتخيلين يُحدث لهم نوعًا من "القلق": كون شريكهم متورطًا فى خيانة جنسية، أم كونه متورطًا فى خيانة عاطفية؟ وبالرغم من أن الذكور قرروا شعورهم بدرجة من القلق أكثر من الإناث إزاء الخيانة الجنسية، فإن كلاً من الذكور والإناث قرروا شعورهم بدرجة أكبر من القلق نحو الخيانة العاطفية أكثر من الخيانة الجنسية. وهذا

---

(١) Heterosexual

(٢) Homosexual

النمط ظهر لدى كل من ذوى التوجه الجنسى الغيرى والمثلى، وسألت هاريس الذين مروا بخبرة فعلية لخيانة الشريك أن يقدروا درجة تركيزهم على الجوانب الانفعالية من خيانة الشريك ودرجة تركيزهم على الجوانب الجنسية مـن خيانـة الـشريك. ذكرت المجموعات الأربع (الذكور والإناث من ذوى التوجـه الجنـسى الغيـرى والمثلى) درجة أكبر من التركيز على الخيانة الانفعالية أكثر من الخيانة الجنـسية، بالإضافة إلى أن استجابات الأشخاص عن السؤال المتصل بتخيل خيانة لم يـرتبط باستجابتهم عن الخيانة الفعلية، مما يلقى الشك على نتائج مقاييس الخيانة المتخيلـة فى البحوث السابقة، **أى أن هذا البحث أثار شكًّا حول وجهة النظر التطورية عـن الفروق بين الجنسين فى الغيرة، كما أثار أسئلة تتـصل بالاسـتجابات للخيانـة المتخيلة فى مقابل الخيانة الفعلية.**

التفسيرات التطورية[١]:

كما سبق أن لاحظنا، مرّ وقت كانت فيه التفسيرات التطوريـة الداروينيـة لا تلقى تأييدًا، أما فى هذه الأيام، فقد عادت تمثل أساسًا مقترحًا لفهم الجوانب الأساسية للأداء النفسى. وهى بالنسبة لباحثين مثل بوص (Buss) تقـدم افتراضـيًّا الأمـل الوحيد فى إضفاء نوع من النظام على مجال علم النفس، وبالنسبة إليه فإن السلوك الإنسانى يعتمد على آليات نفسية[٢]، والمصدر الوحيد لهذه الآليات هو التطور مـن خلال الانتقاء الطبيعى أو الجنسى. وبالنسبة للبعض فإن الباحث المهـتم بالـسلوك الاجتماعى للإنسان لا بد أن يضع فى حسابه التاريخ التطورى للسلوك، ووفقًا لهذه الوجهة من النظر، فإن الجذور البيولوجية للطبيعة البشرية كما تعبر عنها المورّثات تمثل الصلة بين التطور والسلوك (Goldsmith, 1991; Kenrick, 1994).

وفى الوقت نفسه يوجد باحثون آخرون يتساءلون عن دور النظرية التطورية فى الأداء الإنسانى، ويحذرون من النتائج التى يمكن استخلاصها من هذه النظرية.

---

(١) Evolutionary Explanations

(٢) Psychological Mechanisms

وهم وإن كانوا لا ينكرون أن لدينا تاريخًا تطوريًّا، يُوحُون بأن البشر حققوا تقــدمًا إلى حد أنهم أصبحوا أكثر تحررًا من الخصال المحددة وراثيًّا. ويحذرنا هذا الفريق من علماء النفس من تفسير الأنماط الاجتماعية على أساس بيولــوجى وتطــورى، عندما يمكن أن نقوم بتفسيره على أسس أخرى، كما قال "إيجلـــى" وورد (Eagley and Wood, 1999) إن الفروق بين الذكور والإناث تتمثل فى اختلاف وضعهم الاجتماعى. وبالنسبة لهما، فإنه برغم أن الفروق البيولوجية تــسهم فـــى تعريــف الفروق بين الذكور والإناث فى الأدوار الاجتماعية، فإن هذه الأدوار الاجتماعيـــة هى التى تحدد كثيرًا من الفروق التى تتم مشاهدتها (مثل كون الذكور أكثر تنافسية والإناث أكثر تطبيعًا)، وعندما تستبعد هذه الفروق فى البناء الاجتماعى ويتم تبنّـــى التساوى بين النوعين، تختفى الفروق بين النوعين. كما أن بعض الباحثين النفسيين يرون أن علماء النفس التطوريين – مع تركيزهم على مشكلات البقـــاء والتوالـــد– تجاهلوا الكثير من التنوع فى أنماط التفاعل الاجتماعى، والجهود لحل المــشكلات المعاصرة (Camlor, 1990b).

أى أن كثيرًا من علماء النفس اهتموا بتفسير "بوص" لبياناته، ورأوا أن هـــذا التفسير يتجاهل عوامل اجتماعية، مما يوحى بأن الفروق بين الذكور والإنـــاث لا يمكن تجنبها. وعندئذ يتكون لدينا نظرية بيولوجية قوية تمتد لتــشمل كثيــرًا مـــن الظواهر – موضع اهتمام علماء النفس– التى يظل مستقبلها غامضًا.

التفسيرات القريبة الوراثية:

إن ما نرثه يمثل ما هو مشترك بيننا كبشر، كما أن ما نرثه يجعلنا متفـــردين من خلال فعل المورِّثات، فنحن نرث ٢٣ زوجًا من الكروموزومات (الــصبغيات) تحتوى على آلاف المورِّثات. والمورِّثات مكونة من جزىء يسمى DNA ويوجـــه "امتزاج" البرونين فى الجزيئات، ويمكن أن يعد مصدرًا للمعلومات ويوجه امتزاج البروتين إلى مسارات معينة، والمعلومات التى تشملها المورثات توجه ارتقاء الكائن

الحى. وهذه المعلومات هى التى توجه الارتقاء البيولوجى للخلية المخصبة نحو الجنين[1]، ثم الوليد[2] الكامل، ثم المراهق بخصاله الثانوية والجسمية، ثم المسن مع الخصال المصاحبة لكبر السن.

ويكون مقدار المعلومات الموعى بالمورثات متميزًا، ولتقدير العلاقة بين المورِّثات والسلوك، من المهم أن نفهم أن المورِّثات لا تتحكم فى السلوك مباشرة، أى أنه لا يوجد مورِّث للانبساطية والانطوائية، كما لا يوجد مورِّث للعصابية إلى حد تأثير المورِّثات فى السمات الخمس الكبرى (التى وصفت فى الفصل الثانى)، وإنما تفعل هذا من خلال الأداء البيولوجى للجسم. وداخل هذا السياق فإن كمية المعلومات المتصلة بالسلوك شديدة الضخامة. فمثلاً تحدد المورِّثات الفروق التشريحية بين مختلف الأنواع وتضع خلفية كثير من السلوك النوعى للأنواع، ومن أروع أنماط السلوك الحيوانى المعقد والرائع رقص نحل العسل، عندما تكتشف النحلة طعامًا ترجع إلى سلوك وإشارات توجه إلى النحل الآخر من خلال ما أطلق عليه اسم "رقص"، موضحة موضع مصدر الطعام الجديد المكتشف بالنسبة للخلية، ويتم إرسال إشارة من خلال نوع الرقص الذى يتم أداؤه وزاوية الإرسال فى علاقتها بالشمس، وهو فعل تخاطُب واضح. ورغم أن هذه السلوكيات تعتمد على الخبرة، فإن أساس هذه السلوكيات المرتبط بالنوع يوجد فى عمليات بيولوجية توجهها الجينات (Goldsmith, 1991).

ويلاحظ أن سلوك الكائن الحى الذى توجهه العمليات البيولوجية تتحكم فيه معلومات موجودة فى المورثات قد تكون شديدة التعقيد. فى الماضى كان يتم للمقابلة بين السلوك الغريزى[3] والسلوك المتعلم وكان السلوك الغريزى يرتبط بأداء المورثات، ويرتبط السلوك المتعلم بالأداء غير المتصل بالمورثات. أما اليوم فهذا

---

(1) Fetus
(2) Neonate
(3) Instinctive Behavior

النوع من التمييز يعد شديد الاصطناع ومضللاً، وما كان ينظر إليه من قبل على أنه سلوك وراثى، ينظر إليه اليوم على أنه يتضمن درجة من الخبرة، وخاصة فى المرحلة الحرجة من ارتقاء الحيوان. فمثلاً ارتقاء التغريد فى الطيور يوجهه كل من المعلومات الموجودة فى المورثات والخبرات أثناء المراحل الحرجة لارتقاء التغريد لدى الطائر. فبعض الطيور مزود بما يجعله يرتقى لكى يغرد تغريدًا معينًا، إلا أن هذا الارتقاء يتطلب خبرات حسية معينة أثناء مراحل محددة من الارتقاء. فإذا لم تحدث هذه الخبرة لن يتم ارتقاء ما زود به الطائر، أى أن المورّثات قد تحدد العمليات البيولوجية الخاصة بالنوع التى تتطلب خبرات بيئية لكى ترتقى إلى سلوك خاص بالنوع (Goldsmith, 1991).

ومن ناحية أخرى، فإن السلوك الذى يظهر تنوعًا عظيمًا بين أعضاء أحد الأنواع والذى يشار إليه على أنه متعلم، قد يتأسس على عمليات بيولوجية محكومة وراثيًّا. فمثلاً لا يفيدنا ضخامة وتنوع اللغات المنطوقة فى العالم وضخامة مدى الأصوات داخل هذه اللغات, فنحن كراشدين إذا استمعنا إلى أفراد يتكلمون لغة أجنبية، لن نستطيع أن نميز ما نسمعه من الفروق التى تميز الناطقين بهذه اللغات، بالإضافة إلى أنه يصعب غالبًا -بل وأحيانًا يستحيل- أن تؤدى الأصوات المطلوبة لهذه اللغة.

ومع ذلك، فإن كل البشر يولدون مزودين بما يمكنهم من تعلم اللغة، وأداء كل الأصوات فى أية لغة (Werker, 1989). والأساس البيولوجى لتعلم اللغة وأداء الأصوات الموجودة فى جميع أنحاء العالم متوفرة من خلال المورثات، إلا أن اللغة النوعية التى يتم تعلمها والقدرة على أداء أصوات معينة يعتمد على الخبرة -فى حالة تعلم اللغة- التى تحدث خلال السنوات الخمس الأولى من العمر.

صفوة القول: أن لدينا سلوكًا مركبًا يشترط لارتقائه توفر كل من العمليات البيولوجية التى تحكمها المورثات والخبرة.

ومن المهم قبل إكمال هذه الفقرة عن العلاقة بين المورثات والسلوك، ملاحظة

أن معظم السلوكيات التى يهتم بها باحثو الشخصية تتأثر بمورثات كثيرة، وليس بأداء مورث معين. ومن حين لآخر نسمع عن اكتشاف مورث يحدد خصلة معينة، وخاصة مورثًا يحدد مرضًا معينًا فى الإنسان. وهذه الاكتشافات قد تؤدى إلى افتراضات خاطئة تذهب إلى أن أهم الخصال الإنسانية بما فى ذلك تلك التى تختلف فيها عن بعض كأفراد، تحددها مورثات واحدة. والواقع أن معظم هذه الخصال[1] تتحدد من خلال تفاعل عدة مورثات. وفكرة أن كثيرًا من خصال الشخصية التى تهمنا قد تتأثر بمركب من المورثات أكثر ما تتأثر بمورِّث واحد، وهذا مهم لفهمنا لماذا بعض الخصال التى تتأثر بالمورثات قد لا يتتابع ظهورها فى الأُسر، أن أعضاء الأسرة – بما فى ذلك مختلف الأجيال– قد يكون لديهم امتزاجات مختلفة من المورثات، لكن عضوًا عارضًا يتصف بامتزاج معين هو الذى سيظهر الخاصية المعينة (Lykken, N Gue, Telleyens & Boucharrd, 1992).

ومن ثم قد تظهر الخاصية نادرًا فى إحدى الأسر، مع أنها محددة وراثيًّا. أى أنه بالنسبة للخصال المهمة قد لا توجد صلة مباشرة بين التحديد الوراثى وبين الظهور فى الأسرة.

وقد ركزت هذه الفقرة عن المورثات وعلاقتها بالسلوك، على المورِّثات كمصدر للمعلومات التى تحكم اتجاه الارتقاء وأداء البناءات والعمليات البيولوجية. إن أداء هذه البناءات والعمليات البيولوجية فى اقترانها بأحداث البيئة هو الذى يتحكم فى السلوك المشاهد، إن دور المورِّثات فى اقترانها بالخبرة هو الذى يجعلنا نشبه بعضنا البعض كأعضاء فى نوع معين، ومختلفين كل منا عن الآخر كأفراد منفردين، وهذا يصدق على كل الأنواع البسيطة والمركبة من السلوك فيما يصدق على كل منا وما يبدو فريدًا لكل فرد، وأخيرًا فإن ما سبق يوحى بأن معظم

---

(1) Characteristic

السلوكيات التى تهم علماء النفس تنجم عن مركب من المورِّثـــات ولـــيس مورثًـــا واحدًا.

الوراثة السلوكية[1]:

يقوم علماء الوراثة السلوكية بإجراء بحوث لتحديد العلاقة الوراثية بالـــسلوك، وكما سنرى، بُذلت جهود لاستخدام مناهج الوراثة السلوكية لدراسة آثار البيئة، ومع ذلك فمعظم الجهود متركزة حول إثبات العلاقة بين الوراثة – والسلوك.

وقد استخدمت ثلاثة مناهج من علماء وراثة السلوك لإثبات العلاقـــات بـــين الوراثة والسلوك هى: التناسل الانتقائى[2] ودراسة التوائم[3] ودراسات التبنى[4].

أ) **دراسات التناسل الانتقائى:** أُجريت على حيوانات. ويتم فى هذه الدراسات انتقاء حيوانات ذات سمة معينة ويتم تزاوجها ويتم تكرار عملية الانتقـــاء مـــرات متتابعة، لإنتاج أجيال من النسل، حتى يتم التوصل إلى سلالة من الحيوان متسقة مع نفسها بالنسبة للخصلة المرغوبة. وهذه العلمية هى التى تستخدم فى تهجين نوع من الخيول مرتفعة الثمن لأنها تكسب السباق، وتُستخدم لإنجاب سلالة متميزة، ونفـــس الطريقة استُخدمت لتهجين كلاب، لكل منها جاذبية لمقتنى الكلاب.

وفى مجال علم النفس، يوجد مثال على التهجين الانتقائى قام بـــــه "تريون" (Tryon, 1940) عندما طوَّر سلالات من الفئران الذكية والغبيـــة. واســـتطاع أن يطوِّر سلالتيـــن، كان أكثر الفئران غباء من بين مجموعة الفئران الذكية أذكى من كل أعضاء المجموعة الغبية. ورغم أن البحوث التالية توحى بأن عوامـــل أخـــرى غير الذكاء والغباء كانت تُختار، فقد أثبت البحث أنه يمكن استخدام إجراءات تهجين لإنتاج مجموعات تختلف فى خصلة معينة. وأمكن أخيرًا تهجـــين ســـلالات مـــن الفئران تستجيب استجابات تختلف نوعيًّا للكحول مما يمدنا بمكاسب لفهم الفـــروق

Behavioral Genetics (1)
Selective Breading (2)
Twins Studies (3)
Adoption Studies (4)

الفردية للميول إلى الكحول لدى البشر (Ponomarev & Crabbe, 1999).



توصلنا إلى أشكال وأحجام كثيرة، واستُخدمت إجراءات تهجين منتقاة لتطوير حيوان يتصف بصفات نوعية مرغوبة

ومع تقدم فهم وقياس آثار الوراثة، أصبحت هذه الإجراءات أكثر إتقانًا، لهذا توجد الآن جهود لتكوين خريطة لمجموعة مورثات الفأر، لتحديد المورث المحدد ومجموعة المورثات المسئولة عن كل خصلة من خصال الفأر. وتستخدم الفئران فى البحوث الطبيعة، ويوجد أمل فى أن التوصل لخريطة مجموعة الموروثات لدى الفئران تزودنا بفهم أفضل لدور مختلف المورثات فى أمراض البشر.

ويمكن فى بحوث التهجين الانتقائى أن تعرّض سلالات مختلفة من الحيوانات إلى خبرات ارتقائية مختلفة، ومن ثم عزل أثر الفروق الوراثية والفروق البيئية عن السلوك المشاهد فيما بعد ... مثل دراسة العوامل الوراثية والبيئية فى نوع سلوك النباح عند التعرض لخوف، وذلك بتعريض سلالات مختلفة وراثيًّا لظروف تربية

بيئية مختلفة (Scott, & Fuller, 1965). أى أن منهج التهجين الانتقائى والتحكم فى ارتقاء البيئات يمكن استخدامه لتحديد الأساس الوراثى للفروق الفردية، وكذلك مدى إمكان تعديل السلوك من خلال البيئة والعملية التى يمكن من خلالها أن يتم التعديل.

وقد أُلقى الضوء على تعقد فهم تفاعل المورّثات والخبرة فى تحديد السلوك موضع الاهتمام فى مقال بمجلة "نيويورك تايمز" (٨ مايو ٢٠٠١) (P.F.1)، وتشير المقالة إلى أنه أنفقت مبالغ ضخمة لتهجين خيل تفوز بالسباق. ومع ذلك فإن النتائج اتفاقية تصيب أحيانًا وتخطئ أخرى. هل تؤدى عملية التهجين إلى الحصول على أفضل خيل تربح فى السباق؟ هل يؤدى فهم خصال الخيل الرابحة إلى إنشاء نسل متميز من الخيل؟ إن مشروع مجموعة مورثات الخيل الرابحة يحاول التحقق من إمكان التوصل إلى سلالة خيل رابحة، ومع ذلك فقد أوضح المقال أنه مع وجود خصال جسمية للخيل الرابحة (مثل طول الساق والقوة على الاحتمال..)، فإنه يضاف إلى هذا ما يمكن تسميته القلب أو "الرغبة فى الفوز"، فما هو المورّث لهذا. يضاف إلى هذا دور التدريب والتغذية (أى خبرة البيئة) التى تلعب دورًا مهمًّا فى نشأة الخيل الرابح. ووفقًا للمقال فإن البحوث الحالية توضح وجود دور مهم للمورّثات فى نشأة الخيل الرابحة، إلا أن ثمة دورًا كبيرًا للعوامل غير الوراثية.

وإذا كانت هذه المناهج ممكنة مع الحيوانات، فإن المبادئ الأخلاقية للبحث العلمى تمنع استخدامها مع البشر، وفى البشر تدرس تجارب طبيعية يوجد فيها تنوع فى درجة التشابه الوراثى والتشابه البيئى، فإذا كان كائنان حيان متماثلين وراثيًّا، فإن أى فروق تشاهد بينهما ستعزى إلى البيئات، وعلى العكس فإن أى كائنين حيين مختلفين وراثيًّا يتعرضان لنفس البيئة، فإن أى فروق يمكن أن تنسب إلى عوامل وراثية.

وبالرغم من أننا فى البشر لا يتحقق لنا مزج مثالى لتنوعات معروفة من

الوراثة والبيئة من حيث التشابه، فإن دراسات التوائم المتماثلة[1]، الناشئة عن بويضة واحدة، والتوائم الأخوية[2]، تقدم نموذجًا يقترب من هذا النموذج، فالتوائم المتماثلة تنشأ عن بويضة واحدة مخصبة، وهى متماثلة وراثيًّا، أما التوائم الأخوية فتنشأ عن بويضتين منفصلتين مخصبتين، وهى تتشابه بنفس درجة تشابه أى أخوين يشتركان فى حوالى ٥٠% من المورثات.

ويمكن إيجاز مبررات استخدام دراسة التوائم فى إثبات أهمية العوامل الوراثية فى الشخصية، فيما يلى:

١ – نظرًا لأن التوائم المتماثلة لديها مورثات واحدة، فأى فرق بينهما ينبغى أن يُعزى إلى الفروق البيئية.

٢ – نظرًا لأن التوائم الأخوية تختلف وراثيًّا، فإنه يوجد بينها كثير من الظروف البيئية المشتركة، مما يشير إلى نوع من الضبط البيئى.

٣ – عندما تتم دراسة كل من التوائم المتماثلة والتوائم الأخوية، يمكن تقويم تأثير اختلاف البيئات على نفس النمط الوراثى، وتأثير اختلاف الجوانب الوراثية مع نفس الظروف البيئية. وبصورة أبسط فإن الفروق بين التوائم المتماثلة تتحدد بيئيًّا، والفروق بين التوائم الأخوية تتحدد وراثيًّا، ومن ثم فإن مقارنة مدى وطبيعة هذه الآثار بالنسبة لنفس الخصلة الشخصية تمكننا من تقدير مدى كون الخصلة محددة وراثيًّا ومدى إمكان تعديلها من خلال مختلف البيئات.

والظروف الضرورية لاستخلاص هذه الأدلة نادرة – أن وجدت، ودراسات التوائم ليست دائمًا حاسمة كما قد نود، وبوجه خاص لمعاملة التوائم المتماثلة بطريقة مختلفة. والتوائم الأخوية رغم تساوى العمر، لا يمكن ادعاء أنهما يَخبران نفس البيئة. وكما سنرى فإن تشابه البيئات يعد أمرًا شديد التعقيد، بسبب أن كلاً من الأفراد ذوى الأساس الوراثى المختلف يَخبرون نفس البيئة بطريقة مختلفة، ولأنهم

---

(1) Identical Monozygotic Twins

(2) Fraternal Dizygotic Twins

يتصرفون بطرق تخلق بيئات مختلفة، ومع ذلك فإن دراسة التوائم يمكنها أن تكون على الأقل موحية.

وقد امتدت دراسة التوائم عن طريق النظر فى التشابه والاختلاف بين التوائم المتماثلة الذين نشَئوا معًا، والذين نشَئوا فى بيئات مختلفة، ويوحى التشابه الذى يتم قياسه – رغم التشابه فى بيئات مختلفة– بأثر عوامل الوراثة، بينما توحى الفروق رغم اتفاق الوراثة بفعل عوامل البيئة.

وتحدث تربية التوائم المتماثلة فى بيئات مختلفة نظرًا للتبنى، وبوجه عام فإن دراسات التبنى تقدم منهجًا آخر لدراسة تأثير الوراثة والبيئة. عندما يتم الاحتفاظ بسجلات ملائمة يمكن النظر فى تشابه الأطفال الذين يتم تبنيهم، مع والديهم الطبيعيين البيولوجيين، اللذين لم يؤثرا فيهم بيئيًّا، وتشابههم مع والديهم بالتبنى اللذين لا يشتركان معهم وراثيًّا. ودرجة التشابه مع الوالدين البيولوجين تعدّ دليلاً للعوامل الوراثية، بينما يعد مدى التشابه مع والدىّ التبنى دليلاً على العوامل البيئية.

وأخيرًا يمكن أن تمتد هذه المقارنات إلى الأُسر التى تتضمن كلاً من الأطفال البيولوجيين والأطفال بالتبنى، فمثلاً إذا وجدت أسرة ذات أربعة أطفال اثنين بيولوجيين واثنين بالتبنى، فالأخوَان البيولوجيان يشتركان فى التشابه الوراثى مع الوالدين البيولوجيين؛ وهذا غير صحيح بالنسبة للأطفال بالتبنى. فإذا افترضنا أن الطفلين بالتبنى وليسا أقاربًا، فهما لا يشتركان فى مورث، وإنما يشتركان مع والديهما البيولوجيين، ومع إخوتهما ممن قد يوجدون فى بيوت أخرى. ومن ثم يمكن مقارنة أبناء والدين مختلفين وإخوة بيولوجيين وإخوة بالتبنى، من حيث التشابه فى سمات الشخصية، فمثلاً يمكن أن نسأل هل الإخوة البيولوجيون أكثر تشابهًا ببعضهم، منهم إلى الإخوة بالتبنى؟ وهل هم أكثر شبهًا بالوالدين منهم بالإخوة بالتبنى، وهل الإخوة بالتبنى أكثر تشبهًا بوالديهم البيولوجيين منهم إلى والديهم بالتبنى، والإجابة بـ "نعم" عن هذه الأسئلة، توحى بأهمية العوامل البيولوجية فى ارتقاء خصلة شخصية معينة.

ينبغى أن يكون الآن واضحًا أننا فى دراسات التوائم والتبنى، لدينا أفراد ذوو درجات مختلفة من التشابه الوراثى، يتعرضون لـدرجات مختلفـة مـن البيئـات المتشابهة، فإذا قمنا بقياس السمات موضع الاهتمام لدى هؤلاء الأفراد، يمكننـا أن نحدد إلى أى حد يرجع إلى تشابههما الوراثى تشابهما فى كل خصلة، فمثلاً يمكننـا أن نقارن نسبة الذكاء لدى توائم متماثلة وتوائم أخوين نشَأوا معًـا أو منفـصلين، وكذلك الإخوة البيولوجيون (غير التوائم) الذين نشَأوا معًا أو منفـصلين، والإخـوة بالتبنى، والإخوة البيولوجيون، نقارنهم بالوالدين البيولوجيين وبـالتبنى، وقـد تـم عرض بعض معاملات الارتباط الممثلة لهذا، فى الجـدول رقـم (٥-١) التـالى، وتوحى البيانات بوجود علاقة أكبر بين التشابه الوراثى والتشابه فى نسبة الذكاء.

وهنا نأتى إلى إحصاء غاية فى الأهمية، هو (و^{٢}) (h^2)، أو القابلية للوراثة[١] التى سبق مناقشتها فى الفصل (٢). إذ إن علمـاء الوراثـة الـسلوكية يأخـذون الارتباطات مثل تلك التى تم توضيحها بنسب الذكاء، ويستخدمونها للتوصـل إلـى تقدير، مدى رجوع التنوع فيها إلى عوامل وراثية. وهذا التقدير معـروف باسـم **تقدير القابلية للوراثة** ويرمز إليه بالرمز h^2 (و^{٢}) **والتعريـف الـدقيق للقابليـة للوراثة** هو **نسبة التنوع المَشَاهد فى الدرجات التى يمكن أن تُعْزَى إلـى عوامـل الوراثة**، ونظرًا لأن الاهتمام هو بالأهمية النسبية للوراثة والبيئة فى تفسير التنـوع فى خصلة ما، فإن تقدير القابلية للوراثة هو طريقة لذكر هذه العلاقة فيما يتـصل بمعدَّل التنوع فى الفروق الفردية التى تنسب إلى المورثات (الوراثة).

---

(١) Heritability "H^2"

الجدول رقم (٥-١)

متوسط معاملات الارتباط لنسبة الذكاء فى الأسرة

كلما ازداد التشابه الوراثى ازداد معامل الارتباط بنسبة الذكاء، ممـــا يـــوحى بإسهام كبير للوراثة فى نسبة الذكاء:

العلاقة	متوسط معامل الارتباط"ر"	عدد الأزواج المبحوثة
التربية معًا (قرابة بيولوجية)		
- توائم متماثلة	٠,٨٦	٤,٦٧٢
- توائم أخوية	٠,٦٠	٥,٥٣٣
- إخوة	٠,٤٧	٢٦,٤٧٣
- والدان	٠,٤٢	٨,٤٣٣
- ابن لأحد الوالدين	٠,٣٥	٠,٢٠٠
- ابن عم	٠,١٥	١,١٧٦
التربية منعزلة لأقارب بيولوجيين		
- توائم متماثلة	٠,٧٢	٦٥
- إخوة	٠,٢٤	٢٠٣
- والد - ابن	٠,٢٤	٧٢٠
التربية معًا لأقارب غير بيولوجيين		
- إخوة	٠,٣٢	٧١٤
- والد - ابن	٠,٢٤	٧٢٠

Source: Adapted from" Familial Studies of Intelligence A Review," by T.J. Bouchard and M. Mc Gue 1981, *Science*, 250, p. 1056. C. American Association for the Advancement of Science. Reprinted from McGue et al., 1983, p. 60

وقبل الانتقال إلى بعض الدليل على وراثة الشخصية، يجب أن نحتفظ بهذا التعريف فى أذهاننا، وأن نفهم أصل المفهوم، إن مفهوم القابلية للوراثة تمتد أصوله فى علم الحياة؛ حيث يمكن مثلاً وضع بذور مختلفة لنفس النبات فى نفس الأرض، تنمو فى نفس الظروف البيئية، وعندئذ تعزى الفروق فى نمو النبات وخصائصه إلى الفروق الوراثية فى البذور، ويستخدم علماء الوراثة السلوكية هذا المنطق نفسه لهذا الإجراء لتطبيقه على بحوث القابلية لوراثة الخصال لدى البشر.

وينبغى أن نضع فى أذهاننا فيما يتصل بالقابلية لتقدير الوراثة، أنها تشير إلى أنواع محددة من الجمهور، أى أنها تربط بين التباين الذى ينسب إليها، من خلال عوامل وراثية فى جمهور معين. وإذا لوحظ نمط مختلف من العلاقات فى دراستين مختلفتين، فالنتيجة تكون ناجمة عن نوعين من تقدير القابلية للوراثة! وقد يكون الفرق بين التقديرين المختلفين كبيرًا أو صغيرًا، مما يعتمد على مختلف جوانب الجمهور من المبحوثين، وعلى المقاييس المستخدمة، بالإضافة إلى وجود طرق بديلة لحساب تقديرات القابلية للوراثة، يمكن أن تؤدى إلى تقديرات مختلفة إلى حد ما، فمثلاً يصف بلومين (Plomin, 1990) ستة أسس لحساب القابلية للوراثة لنسبة الذكاء، وتقديرات القابلية للوراثة الناتجة بين ٣٠% و٧٢% من التباين ينسب إلى تباين الوراثة. ورغم أنه سيكون لدينا ما نقوله حول تقدير القابلية للوراثة فيما بعد، فمن المهم أن نميز ما له صلة وما ليس له صلة, إنه تقدير للتباين فى خصلة فى جمهور معين، يمكن أن تعزى إلى عوامل وراثية. وهو ليس اكتشافاً لمقدار رجوع إحدى الخصال إلى الوراثة. والنقطة المهمة هى أنه تقدير يرتبط بجمهور معين وليس مقياسًا قطعيًّا لفعل الوراثة، (أى المورِّثات).

نرجع الآن إلى استنتاجات علماء الوراثة السلوكية فيما يتصل بوراثة الشخصية. ويمثل الاستشهادان التاليان الموقف العام الحالى لعلماء الوراثة السلوكية:

"**من الصعب أن نجد سمات نفسية تُظهر بنوع من الثبات عدم وجود تأثير وراثى**" (Plomin & Neiderhiser, 1992)

"وبالنسبة لكل سمة سلوكية تقريبًا تم بحثها حتى الآن -من زمن رد الفعل إلى التدين- يوجد جزء مهم من التباين بين الأشخاص يمكن ربطه بالتنوع الوراثى، وهذه الحقيقة لم تعد تحتاج إلى جدال" (Bouchard, Lykken, McGe, Segal & Tellegen, 1990)

وتم الآن عدد من دراسات التوائم والتبنى على مدى واسع من متغيرات الشخصية. وامتدت فى بعض الحالات عبر مدة من الزمن بالنسبة لعينة المبحوثين موضوع الدراسة. بداية المشاهدات حيث كانت التوائم المتماثلة متباعدة فى تنشئتهم. ثم التقوا فى الرشد ولم يوجد فقط أنهم متشابهون فى الشكل والصوت، وإنما كان لديهم نفس الاتجاهات ويشتركون فى نفس الهوايات وتفضيل الحيوانات الأليفة (Lukken et al. 1993) وتتجاوز هذه المشاهدات ما تبين من نمط النتائج ذى الإيحاء القوى – كما تبين من الاستشهادين السابقين-، حيث تبين وجود دور للمورثات فى كل جوانب الشخصية تقريبًا، وكان لدينا فرصة فى الفصل الثانى للنظر فى بعض الإيحاء بإسهامات الوراثة فى السمات الخمس الكبرى للشخصية، كما قُدِّر الإسهام العام للقابلية لوراثة الشخصية بـ ٤٠%. ويوضح الجدول رقم (٥-٢) التالى لتقديرات القابلية لوراثة مدى متنوع من الخصال. واشتمل – لأغراض المقارنة- على تقديرات القابلية لوراثة الطول والوزن وخصال أخرى يمكن أن تكون موضع اهتمام. ومع أنه وضع تقديرات مفردة للقابلية للوراثة، فإنه بالنسبة لكل خصلة يمكن الحصول على مدى من تقديرات القابلية للوراثة يشير إلى تنوع التقديرات المستمدة من باحثين مختلفين يدرسون أنواعًا مختلفة من الجمهور أو يستخدمون طرقًا مختلفة للتقدير. فمثلاً تقديرات قابلية وراثة نسبة الذكاء تراوحت بين ٠,٣٠ و٠,٨٠ (أى ٣٠% و٨٠% من التباين).

وبالنسبة للانبساط تراوحت هذه النسبة بين ٠,٣٢ و٠,٦٥ (أى بين ٣٢% و٦٥% من التباين) والتنوع فى قابلية وراثة الاتجاهات، تبين أنها تعتمد على نوع الاتجاه موضع الدراسة، فالاتجاهات المتصلة بعقاب المجرمين والإجهاض

والعلاقات الجنسية قبل الزواج، وجد أن درجة قابليتها للوراثة أعلى بكثير من الاتجاهات نحو السياسات الاقتصادية، وبعض القضايا التربوية مثل التربية المشتركة (Eaves, Eysenck & Martin 89; Olson, Vernon, Jung & Harries 2001; Tesser 1993).

الجدول رقم (٥-٢)

لتقديرات القابلية للوراثة

توضح البيانات إسهام الوراثة القوى فى الشخصية (التقدير العام ٤٠% من التباين) وهذا الإسهام ليس من الكبر مثل الطول والوزن أو الذكاء، ولكنه أكبر من إسهامها فى الاتجاهات وأنماط السلوك، مثل مشاهدة التليفزيون.

السمة	تقديرات القابلية للوراثة
الطول	٠,٨٠
الوزن	٠,٦٠
الذكاء	٠,٥٠
قدرات معرفية نوعية	٠,٤٠
التحصيل الدراسى	٠,٤٠
<u>السمات الخمس الكبرى</u>	
الانبساط	٠,٣٦
العصابية	٠,٣١
يقظة الضمير (١)	٠,٢٨
السماحة(٢)	٠,٢٨
التفتح على الخبرة(٣)	٠,٤٦

(١) Conscientiousness
(٢) Agreeableness
(٣) Openness of Esperience

مقاييس المزاج الأربعة(*)	
الانفعالية	٠,٤٠
النشاط	٠,٢٥
الاجتماعية	٠,٢٥
الاندفاعية	٠,٤٥
تقدير عام للشخصية	٠,٤٠
الاتجاهات	
المحافظة	٠,٣٠
التدين	٠,١٦
التكامل العنصرى	٠,٠٠
مشاهدة التليفزيون	٠,٢٠

Sources: Bouchard et al., 1990; Dunn & Plomin, 1990 ; Loehlin, 1992; McGue et al., 1993; et al., Pedersen et al., 1988; Pedetrsen et al., Plomin, 1990; Plomin et al., 1990; Plomin & Rende 1991; tellegen et al. 1988.Tesse, 1993; Zuckerman, 1991.

مرة أخرى، فإن البيانات مع ذلك توحى بنتيجة عامة، هى أن الوراثة تلعب دورًا مهمًّا فى كل جانب من جوانب الأداء للشخصية، بما فى ذلك معظم الاتجاهات.

ومعظم علماء النفس الذين لهم ألفة ببيانات الوراثة السلوكية سيتفقون غالبًا مع هذه الخلاصة، ومع الاستشهادين اللذين سبق ذكرهما؛ أى أن الوراثة والعوامل الموروثة مهمة للشخصية، وتأتى العقبة عندما تعطى تقديرات الأهمية – وخاصة تقديرات أهمية الوراثة– بالنسبة لأهمية البيئة، ومن ثم فبعض علماء وراثة السلوك ميزوا الدليل على أنه يدل على قابلية قوية للوراثة لمعظم السمات النفسية

(*) EASI = Four Dimensions of Temperament Identified By Buss & Plomin (1984).
E = Emotionality: A – Activity S = Sociability, I = Impulsivity.

(Bouchard, et al., 1990, p. 223). كما استنتجوا أن بيئة الأسرة تفعل القليل لتشكيل الشخصية. وسوف نعرض التأثيرات البيئية، فيما بعد فى هذا الفصل. إلا أننا الآن ينبغى أن نلاحظ التعارض بين دور "مهم" للمورثات، وبين القابلية القوية للوراثة، وهذا الفرق ضئيل لكنه مهم بين الاثنين، والأخير يوحى بدرجة كبيرة من الوزن أو التأكيد.

فإذا تجاوزنا هذه الفروق فى التفسير، من المهم أن نكون على وعى بخلاصتين ملائمتين يمكن استخلاصهما من بيانات الوراثة السلوكية، وهى نتائج لا يضعها فى حسابه عالم الوراثة السلوكية، **الخلاصة الأولى**، من الممكن استخلاص نتيجة غير ملائمة بأن تقدير القابلية للوراثة يدل على مدى تحدد خصلة معينة من خلال الوراثة، أن مناقشتنا السابقة قصد بها أن نحترس ضد هذا، وإن كان المزيد من المناقشة مطلوبًا، وحتى عندما نقبل التقدير العام للقابلية للوراثة، بـ ٤٠% للشخصية، فإن هذا لا يعنى أن ٤٠% من شخصية الفرد موروث، أو أن ٤٠% من الفروق بين فردين أو جماعتين من الأشخاص موروث. وبالمثل، فإن قابلية الوراثة بـ ٨٠% للذكاء، لا يعنى أن ٨٠% من الذكاء موروث أو أن ٨٠% من الفروق فى الذكاء ترجع إلى الوراثة. تذكر أن تقدير القابلية للوراثة هو إحصاء للجمهور يتنوع مع تنوع الخصال التى يتم قياسها وأسلوب القياس، وعمر الجمهور وخصاله الأخرى التى تبحث، وإن كان قد استخدمت بيانات عن توائم أو عن تبنى. كما أن دليل القابلية للوراثة هو تقدير لنسبة القياس فى خصلة معينة، ثم قياسها بطريقة معينة فى جمهور معين، خصلة يمكن أن تعزى إلى تباين الوراثة. وهو مفهوم أكثر شيوعًا بين علماء النفس أكثر منه بين علماء الحياة، لهذا يحذِّر عالم الحياة جولدسميث (Goldsmith, 1991) قائلاً:

" القابلية للوراثة لا تعنى درجة تحدّد سمة وراثيًا. وبالتالى فإن مقياس القابلية للوراثة لا يعنى بالدقة شيئًا حول لماذا امتلك أحد الأفراد، أو لم يمتلك، السمة. إنه لا يتحدث عن دور المورثات فى ضبط التعبير عن

السمة. والفشل فى فهم هذه التمييزات هو طريق إلى استمرار شَرَك الطبع والتطبع" (p.32).

ومع تقدير هذه التمييزات، ومع فهم حدود فقدان القابلية للوراثة، فمازال علماء الوراثة السلوكية يرون أنها **أول خطوة** فى فهم الإسهام الوراثى فى السلوك، وشرح ٥٠% من التباين يعد إنجازًا مذهلاً فى بحوث للشخصية".

ونتنبأ أن المشاهدين فى القرن الحادى والعشرين، عندما ينظرون إلى بحوث الشخصية فى القرن العشرين سيرون أن الوارثة السلوكية من أكثر مصادر الاكتشاف حدة وأهمية (Plomin & Caspi, 1999, p. 262).

والخطوة التالية أن تحديد مورث نوعى يرتبط بخصلة سلوكية نوعية (Plomin & Crabbe, 2000)، وتم تحصيل بعض المكاسب فى هذا الاتجاه فعلاً، فمثلاً اكتشف العلماء مورثًا يرتبط بسمة تشبه الدرجة المنخفضة من الحساسية الانفعالية فى المقاييس الخمسة الكبرى (Benjamin et al, 1996; Ebstein, et al, 1996). وفى الوقت نفسه، فإن هذه الجينات تبدو مسئولة عن جزء من التنوع الفردى فى السمة، بعبارة أخرى أنها ترتبط بالسمة وإن لم تكن محدِّدة لها. مرة أخرى تبدو السمات الشخصية المعقدة على أنها تعكس عملية مورِّثات متعددة كما تعكس تأثير الآثار البيئية.

والخلاصة الثانية (غير الملائمة): تتصل بتقديرات القابلية للوراثة، وتتمثل فى الإيحاء بأنه لأن الخصلة لها مكون موروث، فإنها لا يمكن أن تتغير. ويوجد افتراض شديد الشيوع بأنه إذا كان هناك شيء بيولوجى وموروث، فإنه سيكون ثابتًا. والأشخاص المثقفون سيدركون الخلل فى هذه الوجهة من النظر، وسيَحْذَرون الانزلاق إلى عمل هذه الرابطة. لأنه حتى إذا كان شيء ما محددًا وراثيًا، فهذا لا يعنى أنه لا يتغير بالبيئة. ويمكن الحصول على نسل للكلاب له خصال نوعية، لكن هذا لا يعنى أن بيئة معينة لا تغير هذه الخصال، وبالمثل فالأفراد قد يولدون مزودين بمزاج معين، لكن هذا لا يعنى أن مزاجهم يظل هكذا طوال العمر.

(Kagan, 1994; Kagan & Snidman 1991 "a", "b")

فالطول يحدد بطريقة جوهرية من خلال المورِّثات، إلا أنه يتـأثر بالتغذيـة المتاحة فى البيئة. ومن المفيد هنا أن نضع فى ذهننا مماثلة "وادينجتـون"[1] للكـرة التى تنحدر فى أرض فراغ، فالوراثة تزود الكائن بإطار يمكن أن يتشكل خلاله فى مسارات عديدة.

طبيعة التطبّع[2]: تأثيرات الوراثة فى البيئة:

نحن حتى الآن ننظر إلى طبيعة الشخصية على أنها شيء منعزل عن البيئة. والإيحاء الضمنى هنا هو أن آثار البيئة منعزلة عن آثار الوراثة. ومع ذلـك فـإن بحوث الوراثة السلوكية غيرت الطريقة التى نفكر بها فى البيئة، مؤكدة الطرق التى تؤثر بها المورثات فى البيئة (Plomin & Caspi, 1999). بعبارة أخرى، فـإن البيئات نفسها بدلاً من أن تكون مستقلة عن تأثير الوراثة، فهى تعبر عن هذا التأثر بالوراثة. **وقد تم وصف ثلاثة إسهامات وراثية تؤثر فى البيئة.**

أولاً: وجود حالة من الاشتراك فى الخبرة البيئية تكون لها آثار مختلفة على الأفراد ذوى التكوين الوراثى المختلف، فمثلاً نفس السلوك من أحد الوالدين الـذى يتسم بالقلق يكون له آثار مختلفة على طفل قلق غير مستجيب، عنها لـدى طفـل هادئ ومستجيب. وهذا يختلف، فبدلاً من الاستنتاج المباشر بأن تأثير القلق الوالدى واحد بالنسبة لكلا النوعين من الأطفال، لأنه يوجد تفاعل بـين الـسلوك الوالـدى وخصال الطفل، وفى هذه الحالة فإن الفرد يكون مستقبلاً سلبيًّا لأحداث البيئـة. أن العوامل الوراثية تتفاعل مع العوامل البيئية ولكن بطريقة سلبية، بالمعنى الاستجابى.

أما فى **النوع الثانى** من التفاعل بين الطبع والتطبـع، فيُظهـر الأفـراد ذوو التكوين الوراثى المختلف استجابات مختلفة لنفس البيئة، فمثلاً الطفل القلق المنسحب يظهر استجابة مختلفة لنفس الوالد، عن تلك التى تصدر عن طفل هادئ ومستجيب.

---

(1) Wadington's Analogy

(2) Natare of Nurture

ومن اللافت للنظر أن نرى مجموعة أقارب ينظرون إلى أطفال ولدوا حديثًا في مستشفى أو حضّانة، وبغض النظر عن اهتمامهم بالأطفال المواليد أقاربهم، فإنهم يميلون إلى إظهار اهتمام متفاوت بالأطفال الآخرين، وهم يستطيعون فورًا تمييز البعض على أنه ذكى والآخر على أنه له وجهه، والأم "فقط هي التي تحب". ويميزون البعض على أنه نشيط والآخر على أنه هادئ، والبعض على أنه ذكى والآخر على أنه غير ذكى، وهذه الفروق المبدئية يمكن أن يكون لها تضمينات فى ارتقاء الرابطة بين الوالد أو الوالدة والطفل، فمثلاً تصور تفاعل أحد الوالدين مع طفل حديث الولادة، شديد الاستثارة والقلق، وهو يتعامل معه، لأول مرة، وعلى العكس من هذا أحد الوالدين يتفاعل مع طفل وليد هادئ. فالطفل شديد الاستثارة يثير قلق والده أو والدته، بينما فى الحالة الثانية يقل قلق الوالد. فى الحالة الأولى قد يشعر أنه ولد مزعج، بينما فى الحالة الثانية يتأكد للوالد أو الوالدة أنه ولد طيب حتى إذا لم يكن لسلوك الطفل أى علاقة بسلوك الوالد أو الوالدة! ومع ذلك فإن السلوك المستثار من الطفل يمكن تصويره على أنه يمثّل نمطين من التفاعل بين الوالد والطفل.

وتستمر الآثار البيئية المستثارة عبر مراحل الارتقاء. وربما كان أول هذه الفروق يتم بالنسبة للنوع، "أنه ولد أو العكس أنها بنت"، وفوق هذا يبدأ الطفل مبكرًا فى الربط بين خصال الشخصية وبناء الجسم، وبناء على هذا يعامل أقرانه بطريقة مختلفة بناء على هذه العلاقة، فالأطفال حسنو البنية يُتوقع أن يكونوا أكثر توكيدًا ورياضيين أكثر من الأطفال النِحال أو الذين يعانون من بدانة، والأطفال ذوو الجاذبية أو الرياضيون يستثيرون استجابات مختلف الأقران أكثر مما يفعل الأطفال الأقل جاذبية أو رياضية (Brehm, 1992).

وفى كل حالة تستثير خصلة وراثية استجابات مختلفة من البيئة، وفى هذه الحالات تستخدم الملامح الجسمية لأهداف توضيحية، ومع ذلك فإن الخصال الشخصية مع المكونات الوراثية تؤثر عبر خطوط متشابهة. فالطفل الذى يتسم

بالخجل والكفّ – بجبلته أو تكوينه– يستثير استجابات من الأقــران تختلــف عــن الطفل الانبساطى.

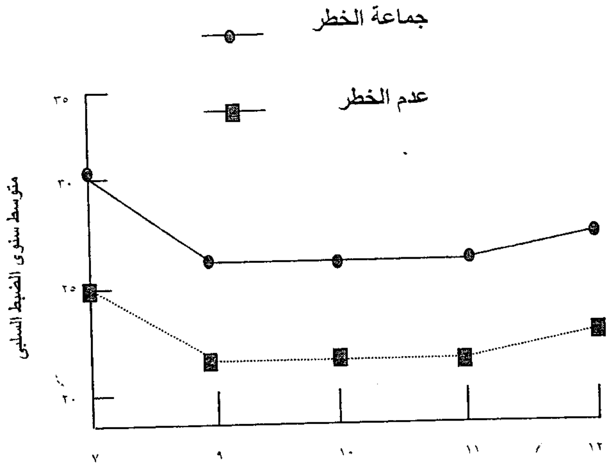
وفى دراسة رائعة للآثار التى تستثيرها الوراثة فى البيئة، تتنــاول المعاملــة الوالدية للأطفال بالتبنى ذوى الخصال المختلفة، فى هذه الدراسة الطولية للأطفــال بالتبنى، تم تصنيف هؤلاء الأطفال إلى أطفال معرضين وراثيًّــا لخطــر الــسلوك المعادى للمجتمع، وآخرين غير معرضين وراثيًّا لهذا السلوك، بناء على تقرير الأم البيولوجية حول السلوك المعادى للمجتمع، وبعــد ذلــك فــى الطفولــة المتــأخرة والمراهقة المبكرة –فى عمر من ٧ – ١٢ سنة– أعطى الوالدان بالتبنى تقريرًا عن درجة استخدامهما لكل أسلوب من الأساليب الثلاثة التالية فى تربية أطفالهم:

١ – **الضبط السلبى** (أى تلقين الشعور بالذنب، والعدائية والانسحاب).

٢ – **الدفء** (أى التقبّل والمشاركة فى اتخاذ القرار).

٣ – **عدم الاتساق** (عدم الاتساق فى التأديب والتجنب).

هل وجد ارتباط بين كون الطفل مصنفًا على أنه معــرض للخطــر ونــوع المعاملة الوالدية التى يتلقاها؟ الإجابة نعم. فالأطفال الــذين صــنّفوا علــى أنهــم معرضون للخطر قبل التبنى، كانوا باتساق يتلقون معاملة سلبية من والديهم بالتبنى، مقارنة بالأطفال الذين لم يصنفوا على أنهم معرضون للخطر، (انظر الشكل رقــم ٥–١). ولا يرجع هذا التصاحب بين التعرض للخطر والمعاملة السلبية إلى انتقائية فى التوزيع، أى الفروق فى الأماكن التى وزع عليها الأطفال المصنفون على أنهم معرضون للخطر، ومن لم يصنّفوا على أنهم معرضون للخطر. وعلى هــذا فــإن النتائج تتسق مع الفرض بأن سلوك الأطفال المعرضين للخطــر يــستثير ســلوكًا إكراهيًّا مــن الوالــدين (O'Connor, Deater – Dekard, Fulker Rutter & Plomin, 1998).



العمر بالسنوات

الشكل (٥-١): الحالة الوراثية للأطفال المتبنين والضبط السلبى مـن الوالـدين بالتبنى.

فى التفاعل بين الطبع والتطبع يستثير الأطفال ذوو الجينات الوراثية المختلفة أنماطًا مختلفة من السلوك، وكان المتوسط والانحراف المعيارى، للمعرضين للخطر وغيـر المعرضـين للخطـر بالترتيب، كالتالى (المعرض للخطر ثم غير المعرضين للخطر) فى عمر (٧) سـنوات ٣٠,٥ ± ٦,٤٠ و٢٥,٩ ± ٦,٧، وفى عمر ٩ سـنوات ٢٦,٧ ± ٨,٥ و٢,٢٦ ± ٧,١، وفـى عمـر ١٠ سنوات ٢٦,٦ ± ٦,٧و ٢٢,٨ ± ٧,٧ وفى عمر ١١ سنة ٢٦,٥ ± ٨,٢ و٢٢,٤ ± ٦,٩، وفـى عمر ١٢ سنة ٢٨,٣ ± ٧,٨ و٢٣,٣ ± ٧,٩ وكانت الفروق بين المعرضين للخطر – فى مقابـل غير المعرضين للخطر دالة عند ٠,٠٥ عند سن ٧، ٩، ١١ أما عند سن ١٢ فكان الفارق هامشيًا =٠,٠٦.

Source: From "*Genotype– Environment Correlations in Late Childhood and Early Adolescence*: Antisocial Behavioral Problems and Coercive Parenting". By T. G. O'Connor, K.Deater–Deckard, D. Fulker, M. Rutter, and R. Plomin, 1998, *Developmental Psychology*, 34, p. 974. Copyright 1998 the American Psychological Association. Reprinted by permission.

الصورة الثالثة من التفاعل بين المورث والبيئة، أن الأفراد ذوى الجبلة أو البنية المختلفة، يبحثون ويعدّلون ويخلقون بيئات مختلفة, وبمجرد كون الفرد مستعدًّا للتفاعل بنشاط مع البيئة، مما يحدث فى عمر مبكر نسبيًّا، تؤثر العوامل الوراثية فى اختيار وخلق البيئات. فالشخص الانبساطى يبحث عن بيئات مختلفة عن الشخص الانطوائى، والشخص الرياضى يبحث عن بيئات تختلف عن غير الرياضى، والشخص الموهوب موسيقيًّا يبحث عن بيئات تختلف عن البيئات التى يبحث عنها الموهوب فى فنون المخيلة البصرية. وهذه الآثار تزيد على مدى الزمن عندما تزداد قدرة الأفراد على الاختيار لبيئاتهم، وفى نقطة معينة من الزمن يستحيل تحديد مدى إن كان الفرد متلقيًا لآثار البيئة، أم هو على العكس خالق لتأثير البيئة.

صفوة القول، قد يكون الأفراد متلقين سلبيين للبيئات، أو يلعبون دورًا فى إحداث البيئة من خلال استثارة الاستجابات، كما أنهم قد يلعبون دورًا نشطًا فى اختيار وخلق البيئات. وفى كل حالة يوجد تفاعل بين الطبع والتطبع، وبين المورث والبيئة، ولهذا التفاعل يؤكد علماء الوراثة السلوكية الآثار الوراثية على المقاييس البيئية أو الوراثة البيئية[1] (Plomin & Bergman, 1991; Plomin & Nerdehiser, 1992; Plomin & Rende, 1991).

وبعبارة أخرى، فإننا بدراسة آثار الطبع على التطبع لم نعد نستطيع ادعاء أن مقاييس البيئة خالية من آثار الوراثة، وهذا صحيح بالنسبة لكل من إدراك البيئات، وكذلك بالنسبة للتقدير الموضوعى للبيئات، فبالنسبة للخبرة الذاتية للبيئات سيعطى الأفراد من ذوى الموهبة الوراثية المختلفة أوصافًا مختلفة لما هو موضوعيًّا نفس البيئات. وفيما يتصل بالتقدير الموضوعى للبيئات، فإن مشاهدة الوالدين يتفاعلان مع أطفالهما، يوضح مقدار تأثير الأطفال فى إظهار البيئة الوالدية (Kagan, 1994) ويبدأ مبكرًا التفاعل بين الطبع والتطبع، وهى عملية تستمر خلال حياة الفرد.

---

(1) Environmental Genetics

تطبُّع الشخصية(١):

سنعرض فى هذه الفقرة دليلاً لآثار البيئة فى الشخصية، وقد سبق أن عرضنا دليلاً يؤيد أهمية البيئة فى الفقرة السابقة، إلى حد أن بيانات الوراثة السلوكية تـدل على أن حوالى ٤٠% من تباين سمات الشخصية، والشخصية بوجه عام، تتحدد من خلال عوامل وراثية، أى أن باقى التباين يرجع إلى مزيج من آثار البيئـة وخطـأ القياس. والحق أن أحد الجوانب المهمة للارتقاء الحديث فى الوراثة السلوكية تمثل فى جهد استخدام بيانات دراسة التوائم والتبنى فى تحديد آثار البيئة فى متغيـرات الشخصية، ومن ثم فإنه رغم أن بلومين (Plomin, 1990) يـوحى بـأن تـأثير الوراثة موجود فى كل مكان وسريع الانتشار، فإن تغيرًا فى التأكيد مبـررًا: فـلا نسأل ما هو وراثة دائمًا، بل نسأل بدلاً من ذلك ما هو الذى ليس وراثيًا (p.112). ويوحى فى نفس الوقت أن الرسالة الأخرى هى أن نفس بيانات الوراثة الـسلوكية تؤدى الى أقوى دليل متاح على أهمية البيئة (p.115).

البيئات المشتركة وغير المشتركة:

يوضح بلومين (Plomin, 1990a) فى كتاب "الطبع والتطبّـع" أن للوراثـة السلوكية رسالتين الطبع والتطبع، أى تؤدى بحوث الوراثة السلوكية إلى دليل يتصل بأهمية الوراثة والبيئة، ومن هاتين الرسالتين استُمد عنوان هذا الفصل.

ويمكن إلقاء السؤال كالتالى: ماذا فى البيئة يُحدث فرقًا؟ فمثلاً فيمـا يتـصل بالشخصية هل التنشئة فى نفس بيئة الأسرة تُحدث فرقًا فى ارتقاء الشخـصية، أى فرقًا يتجاوز المورثات المشتركة؟ هل الإخوة متشابهون نتيجة تربيتهم فـى نفـس الأسرة؟ ما يفعله علماء الوراثة السلوكية ليس فقط تقدير معدل تباين الجمهور الذى يرجع إلى الوراثة، وإنما تقدير المعدل الذى يرجع إلى الفرق فى نوع البيئات، ويتم التمييز بين البيئة المشتركة والبيئة غير المشتركة. وتتكون **البيئة المـشتركة** مـن

---
(١) The Nurture of Personality

البيئات المشتركة بين الإخوة نتيجة للتنشئة فى نفس الأسرة، فمثلاً قد تتم تربية الإخوة بطريقة مختلفة من الوالدين بسبب الفروق الجنسية أو ترتيب المولد, وأحداث الحياة الفريدة المتصلة بأحد الأطفال (مثل مرض الطفل أو الصعوبات الاقتصادية أثناء شباب أحد الأبناء). كما تتضمن البيئات غير المشتركة كل الخبرات غير الأسرية للأبناء، مثل اختلاف الخبرات بالأقران التى قد تكون جزءًا من البيئة غير المشتركة للإخوة (Harris, 1998).

فى بحوث الوراثة السلوكية، تمر دراسة موضوع آثار البيئة المشتركة وغير المشتركة، عن طريق مقارنة الإخوة البيولوجيين الذين نشَأوا فى نفس البيئة الأسرية، بإخوة بيولوجيين نشَئوا فى بيئات أسرية مختلفة، ومقارنة إخوة بالتبنى نشَأوا فى بيئات أسرية مختلفة، ومقارنة إخوة بالتبنى نشَأوا فى نفس بيئة الأسرة مع إخوة بيولوجيين نشَأوا فى بيئات مختلفة. بعبارة أخرى، تمت دراسة درجات مختلفة من التشابه فى الشخصية، تمت دراستها كدالة لكل من التشابه الوراثى ودرجة المشاركة فى بيئة الأسرة، فإذا كان الاشتراك فى بيئاتٍ مُهمًّا، فإن الإخوة البيولوجيين الذين ينشَأون معًا سيكونون أقرب تشابهًا من الإخوة البيولوجيين الذين ينشَأون منفصلين، كما أنهم سيكونون أكثر شبهًا بآبائهم البيولوجيين أكثر من إخوتهم الذين ينشَأون منفصلين بما يتجاوز الدرجة التى يمكن حسابها للاشتراك فى المورِّثات فقط. يضاف إلى هذا أنه إن كان الاشتراك فى البيئات مُهمًّا، فإن الأخوين بالتبنى اللذين ينشآن معًا سيكونان أكثر شبهًا من إخوة بالتبنى نشَأوا منفصلين. وإذا كان عدم الاشتراك فى البيئات مهمًّا، فإن هذه العلاقات لن تحدث. وفى الجوهر، إذا كان عدم الاشتراك فى البيئات مهمًّا، فإن الإخوة الذين نشَأوا معًا لن يكونوا أكثر تشابهًا من الإخوة الذين نشَأوا منفصلين.

ويمكننا التفكير على أساس حدسى وذاتى بحث حول الأسئلة التالية: ما درجة التشابه بين إخوة وأخوات فى نفس الأسرة بما يتجاوز ما هو متوقع من الاشتراك فى الوراثة؟ إلى أى درجة نستطيع أن نتحدث عن بيئة أسرية، بمعنى تأثير مشترك

على كل أعضاء الأسرة؟ رغم أننا جميعًا نعترف بوجود فروق بين الإخوة، فــإن الحدس يخبرنا بعد قول كل شيء وعمل كل شيء، أن الأطفال فى نفــس الأســرة يشتركون فى أشياء نتيجة المشاركة فى بيئة الأسرة, ورغم أننا نعتــرف بوجــود فروق بين الإخوة، وأحيانًا نسأل كيف يختلف أخوان نــشأ فــى نفــس الأســرة؟ وانطباعنا العام، أننا نستطيع بوجه عام أن نقول: إنك تعلم أنهما جاءا مــن نفــس البيت، ومع ذلك فإن من النتائج المهمة للوراثة السلوكية وجود دليل كبير علــى أن الآثار البيئية المشتركة والخبرات المشتركة بين أعضاء الأسرة، ليست تقريبًا بنفس أهمية آثار **البيئة غير المشتركة**, وبعبارة أخرى **الخبرات الفريدة للإخــوة داخــل وخارج الأسرة** تبدو أهم بكثير لارتقاء الشخصية من الخبرات المشتركة الناتجة عن الوجود فى نفس الأسرة، ورغم أننا سنتناول هذه المسألة بمزيد من التفاصيل، فــإن هذه هى الإجابة عن السؤال التالى: لماذا يكون الأطفال من نفس الأسرة مختلفــين اختلافًا كبيرًا؟ (Plomin & Danial 1987) **والإجابة:** البيئات غير المــشتركة. وبالرغم من أن وحدة الأسر مهمة للبحث، فإن الخبرات الفريدة لكــل طفــل فــى الأسرة هى المهمة:

> الخبرات فى الأسرة لا تجعل الإخوة متشابهين، والعوامل الوحيــدة المهمــة لارتقاء الأطفال هى تلك التى تختلف خبرة الأطفال بها فى نفــس الأســرة. بعبارة أخرى، الآثار البيئية التى تؤثر فى الارتقاء تؤثر على الفــرد علــى أساس فردى، وليس على أساس التأثير داخل الأسرة، والذى يــسرى فــى الأسرة هو الحامض النووى (دنا) DNA وليس الخبرات المــشتركة فــى الأسرة (Dunn & Plomin 1990, 42–43).

أضواء على الباحث

روبرت بلومين

طبيعة تطبُّع الشخصية



التحقت بالدراسة الجامعية ببرنامج ارتقاء الشخصية بقسم علم النفس بجامعة تكساس بأوستين، في أوائل السبعينيات، وكان على طلبة الدراسات العليا أن يلتحقوا بسلسلة من الدراسات الأساسية، وكان من هذه الدراسات الأساسية الوراثة السلوكية. ومنذ ذلك الوقت وأنا أهتم بأسئلة تتصل بالطبع (الوراثة) والتطبع (البيئة). وقد أردت تطبيق استراتيجيات بحوث الوراثة السلوكية على دراسة الارتقاء، وبوجه خاص ارتقاء الشخصية (Plomin, 1986).

وكمقدمة للوراثة السلوكية: مناهجها ونتائجها، انظر: (Polmin, 1990)، وبدأت بدراسة سلوك الفأر بدلاً من الإنسان لإمكان إجراء تطبيقات قوية للوراثة. ومع ذلك، وكما يحدث لكثير من باحثى الفئران، نشأ لدى حساسية حادة نحو الفأر، مما أنهى هذا المشروع سريعًا، ثم بدأتُ فى دراسة التوائم لدراسة خصال الشخصية الموروثة فى الطفولة والمراهقة المبكرة، وكتبت مع أرنولد بوص Buss كتابين حول نظرية ارتقاء المزاج، أو ارتقاء الشخصية، يركزان على ترتيب الوالدين للانفعالية والنشاط والاجتماعية – فى مقابل الخجل، على أنها أكثر سمات الشخصية قابلية للوراثة فى بواكير الحياة (A.H.buss & Plomin 1975, 1984).

ومع ذلك فنظرًا لما نعرفه الآن من أن تقرير الوالدين للمزاج له مشكلاته. فمثلاً أوضحت دراسة للتبنى اعتمدت على تقديرات الوالدين عدم وجود تأثير وراثى (Plomin, Coon, Carey, De Fries & Fukker, 1992; Blomin et al 1993) . مما يبرز الحاجة إلى مقاييس تعتمد على المشاهدة.

وأركز فى بحوثى الحالية على التفاعل بين الطبــع والتطبــع، أى اســتخدام استراتيجيات الوراثة السلوكية فى فهم المزيد نحو البيئة، ومن المواضيع التى تــم بحثها البيئة غير المشتركة (Plomin & Daniel, 1987).

وإذا كان تأثير الوراثة على الشخصية مهمًا، فإن البيئة مهمة أيضًا. ومع ذلك فإن الطريقة التى تؤثر بها البيئة فى تنشئة الأطفال فى نفس الأسرة – تختلــف ولا تتشابه إحداهما مع الأخرى. لماذا يختلف الأطفال الذين نشَأوا فى نفــس الأســرة اختلافًا كبيرًا فى شخصياتهم؟ وقد أثار البحث حول الآثار البيئية غيــر المــشتركة بحوثًا كثيرة حديثة (eg: Dunn & Blomin, 1990, Hetherington & Reiss & Plomin 1994).

موضوع آخر فى التفاعل بين الطبع والتطبع، سمى "طبيعة التطبُّع" (Plomin & Bergeman, 1991). وقد أوضحت دراسات التوائم أن مختلف المقاييس –التى تستخدم بكثرة فى البحوث النفسية كمقاييس للبيئة– توضح تأثير الوراثة (Blomin, 1994) فمثلاً مقاييس الوالدية قد تعكس خصالاً شخصية للأطفال متأثرة بالوراثة.

والأسرة مجال يزيد اهتمامى به، لتطبيق الاســتراتيجيات البحثيــة للوراثــة الجزئية للبدء بتحديد بعض المورثات الكثيرة، المسئولة عن انتشار التأثير الوراثى فى علم النفس (Plomin, 1990).

ورغم تقدم العثور على مورثات للاضطرابات ذات المورث الواحد، فإنــه ليس من السهل العثور على مورث لأنساق معقدة مثل الشخصية. ومع ذلك، فــإن بعض البحوث فى هذا المجال قد بدأت (Plomin & Sandino 1994) ويتوقــع المزيد من البحوث الوراثية الجزيئية فى المستقبل القريب فى مــشروع اكتــشاف الخريطة الوراثية الذى بدأ خطواته الأولى (Plomin, 1993).

والدليل الذى يؤيد الخلاصة بضآلة أهمية المشاركة فى الخبرات البيئية، مستمد من بيانات ارتباطية تقارن بين الإخوة البيولوجيين والإخوة بالتبنى الذين نشأوا فى

نفس الأسرة، انظر الجدول (٥–٣). وهذه البيانات تدل على أن الإخوة ليسوا متشابهين إطلاقًا فى الطول، أو حتى فى الوزن. ونظرًا لتأثير المورِّثات المشتركة، فإن الارتباط بالنسبة لكل منهما = ٠,٥٠ ومن ناحية أخرى، فإن الارتباط بين الإخوة بالتبنى الذين نشَأوا فى نفس الأسرة = صفر! وهذه النتيجة كانت مفاجأة بالنسبة للوزن. إذ قد يفترض أنه نظرًا للاشتراك فى نمط الأكل والاتجاهات نحو الوزن وشكل الجسم لدى الأبناء الذين ينشَأون فى نفس الأسرة، مما قد يؤدى إلى تشابه فى الوزن. وكان متوسط معامل الارتباط للشخصية= ٠,١٥، بينما كان بالنسبة للأبناء بالتبنى=٠,٠٥ (Dunn and Phomin 1990, pp. 15k 48).

الجدول رقم (٥–٣)

ارتباطات بين الإخوة الذين نشَأوا فى نفس الأسرة

مقارنة بين تشابه الإخوة البيولوجيين والإخوة بالتبنى، مما يوحى بأهمية الإسهام الوراثى فى الشخصية، والأثر شديد الضآلة لخبرة البيئة المشتركة (انظر: الشكل رقم ٥–٢)

الخصلة	الارتباط
الطول	٠,٥٠
الوزن	٠,٥٠
اتساع الفم	٠,٣٠
الذكاء	٠,٤٧
التحصيل الدراسى	٠,٥٠
زيادة التوتر	٠,٠٧
أزمة (ربوية)	٠,٠٧
مرض السكر	٠,٠٦
الانبساط	٠,٢٥

العصابية	٠,٠٧
إجمالى الشخصية	٠,١٥
إجمالى الشخصية للتوائم المتماثلة	٠,٥٠
إجمالى الشخصية للتوائم الأخوية	٠,٣٠
إجمالى الشخصية للإخوة بالتبنى	٠,٠٥
طول الإخوة بالتبنى	٠,٠٢
وزن الإخوة بالتبنى	٠,٠٥

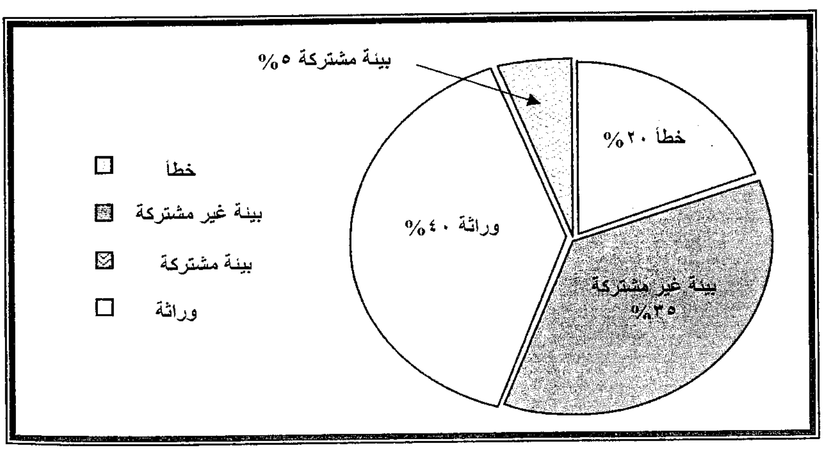
Source: Adopted from separate lives: why siblings are so different, by J. Dunn and R. Plomin, 1990, New York; Basic Books.

وهذه البيانات أدت بكل من دَنّ وبلومين (١٩٩٠) إلى خلاصة مفادها أن حوالى ٤٠% من التباين فى الشخصية يرجع إلى عوامل وراثية , و٣٥% إلى خبرات بيئية غير مشتركة و٥% إلى خبرات بيئية مشتركة، والباقى ٢٠% يرجع الى خطأ القياس. انظر: الشكل (٥-٢) التالى.

الشكل (٥-٢)

مكونات التباين فى الشخصية

يرجع تباين الشخصية أساسًا إلى الوراثة (٤٠%) أما باقى الآثار فترجع كلها تقريبا إلى البيئة غيرالمشتركة



إذ كانت خبرات الأسرة شديدة الاختلاف، وتوجد تحديات تواجه هذه الخلاصة، عندئذ يصبح من المهم فهم الخبرات البيئية التى تجعل الأطفال الذين ينتمون إلى الأسرة نفسها مختلفين جدًّا. ومن مناحى دراسة هذه الظاهرة المجهود الذى بذل فى دراسة مختلف خبرات الأطفال فى نفس الأسرة، ومن هذه المجهود استخبار التقرير الذاتى المعروف بـ (SIDE)(١) بطارية الإخوة للخبرات الفارقة1989 Daniel & Plomin)) حيث كان يطلب من الأفراد مقارنة خبراتهم بخبرات إخوتهم فى مجالات مثل المعاملة الوالدية والعلاقات بالأقران (انظر: الجدول ٥-٤) الذى يتضمن بعض بنود الاستخبار، ولم يكن مفاجأة وجود دليل واضح للفرق بين إدراكات الإخوة فى علاقة والديهم بهم (Dunn & Plomin .1990, p. 64)

وتجاوزت أهمية الفروق المدركة أى فروق فى المعاملة الوالدية الفعلية. ومن مكونات المعاملة الوالدية خبرات الطفل بالمعاملة الوالدية فى عمر معين، إلا أنه يُلاحظ المعاملة الوالدية لأخيه، عندما يكون الأخ إما أكبر أو أصغر، وهذا الفرق بين ملاحظة النفس فى عمر معين وملاحظة معاملة أخ فى عمر آخر، هى التى تمثل مفتاحًا للخبرات الفارقية للأخ. وقد تتضمن الدراسة التى قد تمثل أهمية بهذا الخصوص مقارنة اتفاق معاملة الوالدين للإخوة الذين يختلفون فى الفروق العمرية. وبعبارة أخرى، السؤال هو: أكان الإخوة الأقرب عمرًا يظهرون اتفاقًا أكبر، فيما يتصل بالمعاملة الوالدية، أكثر من الإخوة الذين يوجد بينهم فارق أكبر فى العمر.

وقد أوضحت دراسة حديثة، وجود فروق كبيرة فى كل من المعاملة الفعلية والمعاملة كما يدركها الإخوة، وكانت النتيجة غير مفاجئة لدارسى الإخوة. .(Reiss, Neiderhisen, Hetherington, plomin, 2000)

---

(١) Sibling Inventory of Differential Experience

جدول رقم (٥-٤)

نماذج من بنود بطارية الإخوة للخبرة الفارقة

البند	أكثر نحو الإخوة	نفس المعاملة			نحو الأكثر
الأم					
١- كانت متشددة معنا	١	٢	٣	٤	٥
٢- كانت تستمتع بعمل أشياء معنا	١	٢	٣	٤	٥
٣ - كانت حساسة لما نفكر فيه وما نعمله	١	٢	٣	٤	٥
٤- كانت تؤدبنا	١	٢	٣	٤	٥
الأب					
١- كان متشددًا معنا	١	٢	٣	٤	٥
٢- كان يستمتع بعمل أشياء معنا	١	٢	٣	٤	٥
٣ - كان حساسًا لما نفكر فيه وما نعمله	١	٢	٣	٤	٥
٤- كان يؤدبنا	١	٢	٣	٤	٥

الدرجة تقيس الوجدان بكل من البندين ٢، ٣، وتقيس التحكم والضبط بكل من البندين ١، ٤

Source: Separate Lives: Why Siblings are so different, by J. Dunn and R. Plomin, 1990, New York: Basic Books.

وفى هذا البحث تمت دراسة ٧٢٠ أسرة بها أبناء إخوة توائم، وإخوة، وإخوة من أب وأم فقط، وإخوة لا توجد علاقة وراثية بينهم. وتم الحصول على بيانات عن بقية الأسرة من خلال استخبار، ومقابلة تم تطبيقها على كل من الوالدين والأبناء بالإضافة إلى تصوير التفاعل بين الوالدين والأبناء بالفيديو، وكانت البيانات متسقة فى الدلالة على كل من الفروق المدركة والفعلية لمعاملة الوالدين للأبناء. وبعبارة أخرى، وجد دليل على تفرُّد العلاقات بين الوالدين والطفل داخل نفس الأسرة، وهذه

الخبرات غير المشتركة كانت مرتبطة بالفروق فى ارتقاء الشخصية. ومع ذلك فإذا وضعنا مناقشتنا السابقة لآثار الفروق الوراثية بين الإخوة فى المعاملة الوالدية، وطبيعة التطبّع، فإن هذا يقودنا إلى السؤال: هل هذه الفروق داخل الأسرة ترجع إلى فروق وراثية بين الإخوة؟ والواقع أن البحث أوحى بوجود تأثير **وراثى قوى على المعاملة الوالدية، رغم وجود آثار للبيئات غير المشتركة مستقلةً عن هذه الإسهامات الوراثية.**

ما الخبرات الأخرى غير المشتركة ذات الأهمية الارتقائية لدى الإخوة من نفس الأسرة؟ هنا بالطبع توجد إمكانات عديدة تعتمد على فارق العمر، فكل أخوين قد ينشآن فى ثقافتين زمنيتين – ثقافة محافظة فى الخمسينيات ومتحررة فى الستينيات، وثقافة الأنا فى الثمانينيات فى مقابل ثقافة الاندماج الاجتماعى فى التسعينيات، وكذلك فإن خبرات المدرسة والخبرات مع الأقران لها أهميتها الشخصية. وهنا توجد فرصة كبيرة للخبرات الفارقة بين الإخوة. وبعض هذه الفروق فى الخبرة قد تنتج عن فروق وراثية بين طفل جذاب أو رياضى جدًّا، مقارنة بخبرة أخيه الأقل بدرجة كبيرة فى الجاذبية أو الاستعداد الرياضى. وبعض الخبرات الفارقة الأخرى قد تنتج عن خبرات أسرية تلعب دورًا فى سلوك الأخوين بطريقة تجعلهما يسلكان بشكل مختلف مع الأقران. وأخيرًا فإن بعض هذه الخبرات تنتج من فرص فريدة تحدث لأحد الأخوين دون الآخر، مثل توفر مدرس متميز لأحد الأخوين وعدم توفره للآخر، أو وفاة صديق لأحد الأخوين دون الآخر، أو ذهاب أحد الأخوين إلى رحلة مؤثرة دون الآخر، وهكذا تحدث فروق –لأحسن أو لأسوأ– مما قد تلعبه الصدفة فى ارتقاء الشخصية أكثر مما نتوقع (Barndura, 1982, Levies, 1995).

والخلاصة: أدت بيانات الوراثة البيئية بالبعض إلى استنتاج أنه: مهما كان من الصعب تحديد العوامل البيئية غير المشتركة، ينبغى التأكيد على أن البيئة غير المشتركة هى الطريقة التى تؤثر بها البيئة فى الشخصية (Plomin & Caspi, 1999).

هل للوالدية تأثير؟ حالة تأثير الأسرة:

ما الذى يمكن أن نقوله مما تعلمناه من الوراثة السلوكية والبحوث الأخرى؟

أولاً: من الواضح أن كل جانب من أداء الشخصية تقريبًا، يعبر عن مكـون موروث.

ثانيًا: التأثير الوراثى مباشر فى الكائن الحى نفسه، وغير مباشر من خـلال تأثيرات على البيئة، أى طبيعة التطبع.

ثالثًا: الدليل على الآثار غير المشتركة أكبر من آثار البيئة المشتركة. رابعًا: يبقى الكثير فيما يمكن فهمه فيما يتصل بالتفاعلات المعقدة بين المورِّثات والبيئة فى الشخصية التى يتوقع أن تتكشف (Turkleimer, 2000).

وهذه النتائج لا تدل على أن الأسرة غير مهمة كمصدر للتأثير فـى ارتقـاء الشخصية، وإن كانت هذه النتيجة توصَّـل إليهـا بعـض البـاحثين، فمـثلاً "رو" (Rowe, 1994) يذكر فى كتاب له بعنوان "حدود تأثير الأسرة" أن الوالديـة فـى معظم الأسر – من العاملة حتى المهنية – لهما أثر ضئيل فيما يتصل بالسمات التى ترتقى لدى الراشدين (p.7)، ورغم أن "رو" يعترف سنة ١٩٩٩ أن تأثير الأسـرة موجود، فإنه يرى أن هذه الآثار شديدة الضآلة ولا تلعب إلا دورًا ضئيلاً فى تشكيل سمات الشخصية والذكاء، ويتساءل لماذا من الصعب الاعتقاد فى هذا؟ ويوحى "رو" أن هذا ناتج عن أننا نلاحظ أنواع التشابه فى الأسرة وننسبها إلى بيئـة الأسـرة، وليس للآثار الوراثية. وكذلك بسبب أرَجاعنا الانفعالية القوية للأحداث داخل أُسرنا، لهذا فمن الصعب عدم الاعتقاد بأن لها تأثيرًا. ويواجه مثل هذا الاستنتاج المتطرف استجابة ناقدة من جانب علماء النفس الارتقائيين وآخرين (Collins, Maccoby, Steinbery, Hetherington & Bornstein 2000, Hoffman, 1991, .Macoby, 2000)

إنهم لا ينكرون أهمية المورِّثات والوراثة , إنما هم يستمرون فى تأكيد التأثيـــر المهم للوالدية أى يكوِّنون حالة من طبيعة الطبع. ما نوع الحالة التى يمكن تكوينها لدور

بيئة الأسرة فى تشكيل الشخصية؟ أولاً يوجد دليل على آثار البيئة المشتركة، وخاصة فيما يتصل بارتقاء العلاقات الوالدية (Waller & Shaver, 1994). والإيثار (Kryeger, Hicks & McGue, 2001). وبالنسبة لارتقاء الأنماط الجانحة، رغم أن هذا السلوك الأخير قد يتضمن تأثير الإخوة فى بعضهم البعض (Plomin & Caspi, 1999). ومن النتائج المهمة فى بحوث الوراثة البيئية لارتقاء الشخصية، آثار الجانب المشترك الكبير الذى ظهر على أساس تقدير السمة لصور من الفيديو أكثر مما ظهر فى التقرير الذاتى أو فى تقرير الأقران (Borkenau, Rieman, Angleimer & Spinath, 2001).

وهذا البحث مهم لأمرين:

أولاً: أنه يثبت آثار البيئة المشتركة بالنسبة للشخصية، ولأنه يوضح مسألة بيانات مصادر النتائج.

ثانيًا: يوجد دليل على الآثار الوالدية فى ارتقاء الشخصية، فمثلاً فى دراسة الآثار الفارقة فى والدية الأبناء الذين يصنّفون وراثيًا على أنهم معرضون للخطر، أو ليسوا معرضين للخطر (أى الآثار المثيرة للموروثات فى البيئة). وقد وجدنا تأثيرًا مباشرًا للتنشئة الوالدية فى ارتقاء الشخصية، فمثلاً فى دراسة الآثار الفارقة فى والدية الأبناء يصنفون وراثيًا على أنهم معرضون للخطر أو ليسوا معرضين للخطر (أى آثار متميزة للمورثات فى البيئة)؛ وجد تأثير مباشر للتنشئة الوالدية فى ارتقاء العدوان والسلوك الجانح (O'Connor, Deater – Dekard Rutter & Plomin, 1996). وهذا التأثير مستقل عن الفروق الوراثية على أسلوب الوالدية. لذلك يفترض علماء النفس الارتقائيون أن تعقيد آثار بيئة الأسرة فى التفاعل مع الآثار الأخرى، قد يخفى الآثار المشتركة للأساليب العامة للأسرة. النقطة هنا هى أنه لأن الإخوة يستجيبون بطريقة مختلفة لنفس التأثير من الأسرة، لا ينبغى إنكار وجود تأثير مشترك للأسرة، وبعبارة أخرى، يفترض أن يكون لنفس البيئة تأثير مختلف على أخوين بسبب الفروق الموجودة فيهما، الفروق الناتجة عن متغيرات

وراثية وبيئية. يوجد تأثير مشترك للبيئة، رغم أنه لا يؤدى إلى نفس الناتج، إنه تأثير شائع[١] رغم أنه غير مشترك[٢] للأسرة كما يعرف من علماء الوراثة السلوكية، فمثلاً عدم وجود الوفاق الزواجي والطلاق قد يكون له أساس، لكن له تأثيرًا مختلفًا على الأطفال فى الأسرة. فى هذه الحالة يكون هناك تأثير شائع وليس مشتركًا للأسرة، ويمكن التفكير فى كثير من هذه الأمثلة. مثل طبيعة تعقيد وحدات الأسرة التى يتفاعل فيها الأفراد عبر مدة ممتدة من الزمن، وكل عضو فى الوحدة بوراثته وخبراته داخل وخارج الأسرة. **باختصار**، إذا وضعنا فى حسابنا تعقد ارتقاء الشخصية، لماذا يُتطلب من الإخوة أن يشبه بعضهم بعضًا لكى نعترف بأهمية التأثيرات الوالدية.

وإلى هنا نستطيع أن نضيف تحذيرًا، من أن مقاييس الشخصية قد ينتج عنها أن تبدو الفروق بين الإخوة أكثر مما هى بالفعل موجودة. فروق سطحية (أو فروق وصفية[٣]) قد يختفى تحتها التشابه، وهى نقطة قام بها مندل فى بحثه عن البازلاء. فمثلاً قد يشترك أخوان فى صراع بين السيطرة – الخضوع، أو مسألة حول التحكم، **أحدهما** يواجه الصراع عن طريق الشكوى الصريحة **والثانى** يواجهه عن طريق الاستبداد، وفى حالة أخرى قد يكافح أخوان فى موضوعات تتصل بالتعبير عن الغضب، أحدهما يواجه الصراع عن طريق التعبير الانفجارى عن الغضب، بينما الآخر يواجه الصراع عن طريق الكفّ الشديد للغضب، وفى الحالتين قد تَحجب مقاييس الشخصية – من خلال السمات التى تشاهَد– تشابهًا ناتجًا عن الديناميات الأسرية الشائعة.

المصدر الثالث للدليل يأتى من مجال مهم هو البحوث المعروفة **بالتربية المتبادلة**[٤]. فى بحوث التربية المتبادلة تتم تربية أبناء إحدى الأمهات من خلال أم

---

(١) Common

(٢) Non Shared

(٣) Phenotepic

(٤) Cross – Fostering

أخرى. وهى تشبه دراسات التبنّى، إلا أنه نظرًا لأن هذا تم على حيوانات، فإن ثمة فرصة لضبط خصال الأم البيولوجية والأم بالتبنى. فمثلاً القوارض التى وُلدت لأم منخفضة التغذية، يمكن أن يتم لها تربية متبادلة من أُم مرتفعة التغذيـة، ويقـارن ارتقاؤها بارتقاء إخوتها التى ربيت لدى الأم البيولوجية. وتـوحى هـذه البحـوث بانخفاض أرجاع المشقة[1] لدى القوارض التى ربيت تربية متبادلـة (Anisman, Zaharia, Meanes & Merali, 1998).

مثال آخر، تم إعداد تربية متبادلة لقردة صغيرة من نوع (رازيس) مع أمهات تختلف فى المزاج إما هادئة أو سهلة الفزع. وكانت أرجاع صغار القردة التى لديها استعداد وراثى للاستثارة، عندما ربيت بواسطة أمهات هادئـات، أنهـا أظهـرت علاقات سوية بالأقران، وكفاءة فى التعامل مع المشقة. ومن ناحية أخرى، إذا تمت تربية هذا الوليد القرد من خلال أم قابلة للاستثارة وسهلة الفزع، فإنه تظهر عليـه علاقات مشكِلة بالأقران. وتكون شديدة التعرض للمشقة. وبتعبير الباحـث: "**هـذه النتائج وغيرها من الدراسات التى أجريت على القردة، توضـح وجـود خبـرات اجتماعية فارقة، يمكن أن يكون لها أثر طويل المدى على سلوك الفرد والنزعات الفسيولوجية، بما يتجاوز أى استعداد وراثى**" (Suami, 1999, p. 193).

وباختصار، فإن هذه الحالة تشير إلى أهمية تأثيرات الوالدية، مع الاعتـراف بأن هذه الآثار تتفاعل دائمًا مع التأثيرات الأخرى غير تأثيرت البينية الوالدية.

طبيعة الشخصية وتطبّعها: تحديث وخلاصة:

يتناول هذا الفصل طبع الشخصية وتطبّعها، بدأنا بالنظر فى أهمية المورِّثات للشخصية من ناحية الطرق التى تجعلنا بها عملية المورِّثـات متـشابهين كبـشر، والطرق التى تجعلنا متفردين كأفراد. ويوحى تاريخنا التطورى بوجود شيء شائع بيننا جميعًا كأعضاء فى النوع البشرى، بينما تراثنا الوراثى يخبرنا أن كـلاً منـا

---

(1) Stress

متفرد بكثير من الطرق. بدأنا نضع فى حسباننا أهمية البيئة، مفترضين وجود دليل كبير على آثار البيئة فى الشخصية. ورغم صعوبة تحديد العلاقة بآثار بيئية نوعية على خصلة نوعية للشخصية. ويتمثل جزء وراء هذا السبب، فى تعدد محددات الشخصية – أى تعدد القوى البيئية الفاعلة فى أى وقت معين، وتعدد الطرق التى تتفاعل بها الوراثة مع البيئة.

وبالتفكير فى المسائل الصعبة، من السهل الوقوع فى صور للتفكير مثل تلك التى نراها فى التعارض بين الطبع – فى مقابل – التطبع، هل مازال الخلاف بين الطبع والتطبع موجودًا؟ يبدو للأسف أن هذا موجود فعلاً، ويمكن أن نجده فى وسائل الإعلام وما تحمله من عناوين، مثل: توقفوا عن لوم المورثات. أثبتت دراسة حديثة أن الأسباب البيئية أكثر تسببًا فى إمكان الإصابة بالسرطان (Nevsweek, July 24, 2000 p. 63)، هل الجنسية المثلية وراثية؟ (Nature, 1991) من هو الشخص البدين؟ إنها مسألة تعتمد على الثقافة (New York Times, Nov. 7 2000,p.f1) بل ويمكن أن نرى هذا فى بعض النشرات المهنية، مثل: هل جذور العنف تنبع من الطبع أم من التطبع؟ (*Amer., Psych. Assoc Monitor*, October, 1994, p.31).

ويمكن أن نرى هذا فى بعض الكتب: إننا نحتاج لكى نفهم أنفسنا وعالمنا لا أن ننظر إلى فرويد، وإنما أن ننظر إلى تشارلز داروين (Burnhan& Phelan, 2000, p. 4).

وفى عبارات تَرِد فى مقالات بمجلات متخصصة، مثل "نظرية العوامل الخمسة تؤكد أن سمات الشخصية استعدادات موروثة، ولا تتأثر إطلاقًا بالبيئة" (Mc Crae et al, 2000, p. 175).

وبالرغم من وجود دليل على أن التوائم المتماثلة لا تولد متماثلة (Wright, 1997) مما يعكس تفاعل المورثات مع البيئة بدءًا بالحمل، ورغم كل الدلائل التى تثبت أن: "رقصة الحياة" لكل من المورِّثات والبيئة يمثلان شريكين لا ينفصمان

(Hyman, 1999, p. 27)، يبدو أن الخلاف حول الطبع والتطبع مازال قائمًا فى بعض الجماعات، وكان التأكيد فى هذا الفصل على التفاعل المستمر بين المورِّثات والخبرة، بين الوراثة والبيئة، بين الطبع والتطبع فى تكوين السلوك. ومن ثم يقترح عالِم الأحياء: تيموثى جولدسميث (Timothy GoldSmith, 1991) – فى كتابه الجذور البيولوجية للطبيعة الإنسانية– أن محاولة إرجاع السلوك إلى الوراثة أو البيئة مثل محاولة إثبات إن كان الكعك يُصنع من السكر أم من الدقيق، ويزيد قائلاً: إن فهمنا لا يزيد بمحاولة تحديد نسبة السلوك الإنسانى التى يمكن أن تنسب إلى المورِّثات، وإنما من خلال التوازن الذى ينسب إلى الثقافة (نفس المرجع ص ٢٧). ووفقًا له ومعه بيولوجيون آخرون، قد لا نستطيع تحديد أى فعل إنسانى على أساس الوراثة أو البيئة، والواقع أن الكثيرين يوحون بأن هذا السؤال ليس له معنى بالدرجة الأولى، سواء استمررنا أو لم نستمر فى استخدام تقديرات القابلية للوراثة، ينبغى أن نضع فى أذهاننا أنها ليست إلاّ إسهامات الوراثة فى تباين جمهور معين، وليست وقائع تتصل بمقدار تحدد الشخصية وراثيًّا. والأمل أنه مع الوقت تصبح تعقيدات التفاعل بين الطبع والتطبع شديدة الوضوح، بحيث يُفهم أن الإجابات البسيطة على هذه المسألة أمر مستحيل.

المفاهيم الأساسية

الأسباب البعيدة Ultimate Causes: تفسير السلوك المرتبط بالتطور.

الأسباب القريبة: Proximate Causes: تفسير السلوك المرتبط بالعمليات البيولوجية الحالية فى الكائن الحى.

الآليات النفسية المنبثقة Evolved psychological Mechanisms: الإيحاء بأننا طوّرنا آليات نفسية لحل المهام التكيفية كجزء من تاريخنا التطورى.

نظرية الاستثمار الوالدى Parental Investment Theory: نظرية تطورية تذهب إلى أن الذكور والإناث يختلفون فى درجة الاستثمار فى الإنجاب.

احتمال الوالدية Parenthood Probability: نظرية ارتقائية تذهب إلى أن الفروق فى سلوك الذكور والإناث ترتبط بالتأكد من الوالدية.

المورِّثات: Genes: عناصر فى الصبغيات تنتقل من خلالها الخصال الوراثية.

الوراثية السلوكية Behavioral Genetics: دراسة إسهام الوراثة فى السلوك موضع اهتمام علماء النفس، غالبًا من خلال مقارنة درجة التشابه بين الأفراد الذين بينهم درجات من التشابه البيولوجى – الوراثى.

سلالة انتقائية Selective Breeding: منحى لإقامة علاقة بين الوراثة والسلوك، من خلال إنتاج سلالة أجيال متتابعة تتسم بخصلة معينة.

دراسات التوائم Twin Studies: منحى لإقامة علاقة بين الوراثة والسلوك من خلال مقارنة درجات التشابه بين التوائم المتماثلة والتوائم الأخوية والتوائم غير الأخوية.

دراسات التبنى Adoption Studies: منحى لإقامة علاقات بين الوراثة والسلوك، من خلال المقارنة بين الإخوة البيولوجيين الذين نشَأوا منعزلين بفعل التبنى، ويكون غالبًا ممتزجًا بدراسات التوائم.

القابلية للوراثة (و٢) Heritability(h2): نسبة التباين المشاهد فى درجات جمهور معين، التى يمكن أن تنسب الى العوامل الوراثية.

الوراثة البيئية: Environmental Genetics: دراسة تأثيرات الوراثة على مقاييس البيئة.

البيئات المشتركة وغير المشتركة: Shared and no Shared Environments: المقارنة – فى بحوث الوراثة السلوكية– بين تأثيرات تنشئة الإخوة فى نفس البيئات أو فى بيئات مختلفة، مع إعطاء اهتمام خاص بما إذا كان الإخوة الذين نشَأوا فى نفس الأسرة يشتركون فى نفس بيئة الأسرة.

بطارية الإخوة فى الخبرات الفارقة: (SIDE) Sbling Inventory of Differential Experiences: استخبار يستخدم فى دراسة إدراكات الإخوة لبيئة أسرتهم.

بحوث التربية المتبادلة: Cross Fostering Research: دراسة تأثيرات وجود أبناء من أم ذات خصال نوعية، ينشَئون من خلال أم ذات خصال مختلفة.

ملخص الفصل

١ – يهتم هذا الفصل بالمحددات الوراثية والبيئية للشخصية، وهذا المجال ملىء تاريخيًّا بخلافات تضم مسائل علمية وسياسية واجتماعية. ورغم أننا يمكن أن نضع فى حسباننا كلاً من المورّثات والبيئة على حدة، فإن خصال الشخصية تنمو دائمًا كدالة لعملية التقائهما.

٢ – تهتم نظرية التطور بالأسباب البعيدة للسلوك، أى لماذا ينشأ السلوك موضع الاهتمام، وما هى وظيفته التكيفية، ويؤكد علماء النفس التطوريون نشأة آليات نفسية عامة تعد تكيفية فى مهام نوعية، وقد أكد البحث فى مجال تفضيلات تزاوج الذكور والإناث الفروق الفردية فى الاستثمار الوالدى واحتمالات الوالدية، وفى مجال الفروق بين الذكور والإناث فى أسباب الغيرة، تم توضيح بحوث مرتبطة بتفسيرات تطورية للخصال السلوكية الإنسانية.

٣ – تتأثر الخصال الوراثية بعملية المورّثات التى توجه الأداء البيولوجى للجسم، ومعظم خصال الشخصية تتأثر بالتفاعل بين مورّثات متعددة.

٤ – تستخدم ثلاث طرق فى إثبات العلاقة بين الوراثة والسلوك، هى: **السلالة الانتقائية، ودراسة التوائم، ودراسات التبنى**. وقد أدت دراسة التوائم والتبنى الى تقديرات ذات دلالة للقابلية لوراثة الذكاء ومعظم خصال الشخصية، وتم تقدير القابلية العامة لوراثة الشخصية بحوالى ٠,٤أى أن حوالى ٤٠% من التباين فى خصال الشخصية يرجع إلى عوامل تعتمد على: الجمهور موضع الدراسة والخصال الشخصية المدروسة, والمقاييس المستخدمة.

٥ – مع الاعتراف بأهمية إسهام المورّثات فى الشخصية، فمن المهم أيضًا أن نضع فى أذهاننا أن تقديرات القابلية للوراثة تشير إلى تقديرات الجمهور وليس تقديرات إسهامات المورّثات فى الخصال الفردية أو تقديرات إسهامات الوراثة فى الفروق الفردية والجماعية. بالإضافة إلى أهمية أن نضع فى أذهاننا أن

التأثير الوراثى لا يساوى ما هو ثابت أو غير مطاوع.

٦ – كذلك توحى بحوث دراسة الوراثة السلوكية بتأثير بيئى مهم فى الشخصية، وأدت هذه البحوث بعلماء الوراثة السلوكية الى استنتاج أن اختلاف الإخوة البيولوجيين لا ينتج فقط عن فروق وراثية، وإنما أيضًا بسبب أهمية البيئات غير المشتركة بالنسبة للبيئات المشتركة، وجزء من هذا ما تشير إليه بحوث بطارية الإخوة فى الخبرات الفارقة من أن الأطفال، من نفس الأسرة، يذكرون أساليب مختلفة من المعاملة الوالدية ومن العلاقات بالأقران.

٧ – فيما يتصل بالتفاعل بين المورِّث والبيئة، فإن نفس البيئة قد يكون لها أثر مختلف بالنسبة للأفراد ذوى التكوينات الوراثية المختلفة، بالإضافة إلى هذا فإن الأفراد ذوى التكوينات الوراثية المختلفة يُصدرون استجابات مختلفة للبيئة، ويختارون بيئات مختلفة للاستجابة لها.

٨ – لا تؤدى بحوث الوراثة السلوكية إلى استخلاص أن خبرات الأسرة والخبرة المبكرة غير مهمة لارتقاء الشخصية، والواقع يوجد دليل لأثر البيئة المشتركة وآثار المعاملة الوالدية فى ارتقاء الشخصية، فال إخوة قد يكون بينهم خبرات أسرية شائعة لها دلالة فى ارتقاء الشخصية حتى إذا لم يشاركوا فيها، بمعنى أن تؤدى إلى نفس الناتج فى الشخصية. كما أثبتت بحوث **التربية المتبادلة** إمكان وجود دلالة لخبرة البيئة المبكرة.

٩ – فى بحوث التفاعل بين الطبع والتطبع، الإجابات البسيطة عن أسئلة معقدة أمر مستحيل، فلا يوجد مورِّث دون بيئة ولا بيئة دون مورِّث، أى ينبغى أن نكون دائمًا على وعى بطبع الشخصية وتطبُّعها.

الفصل السادس*

تخطيط حياة الأشخاص عبر الزمن

* ترجمة د. عبد الحليم محمود السيد

نظرة عامة على الفصل:

سنعرض فى هذا الفصل للطرق التى يبدو بها الأشخاص مستقرين عبر الزمن، والطرق التى يتغيرون بها، والعوامل التى تسهم فى الاستقرار والتغير. والأسئلة هنا معقدة، تتضمن تعريف وقياس الاستقرار والتغير. بالإضافة إلى أن البحث يوحى بوجود فروق فردية دالة فى درجة الاستقرار والتغير. ولدراسات الأشخاص عبر الزمن فائدتها فى وضع هذه الأسئلة فى الحسبان كما ستعرض بعض الدراسات. والمسألة التى تواجهنا هى فهم العمليات التى يتضمنها استقرار الشخصية وتغيرها عبر الزمن.

أسئلة يتناولها هذا الفصل:

١- هل يمكن وصف ارتقاء الشخصية من خلال مراحل؟ وإن كان هذا ممكنًا فما هى هذه المراحل؟

٢- إلى أى حد تكون الشخصية مستقرة عبر الزمن؟ وهل نستطيع أن نتنبأ من نقطة معينة من الزمن بما سيكون عليه الشخص فى نقطة تالية من الوقت؟

٣- كيف نستطيع أن نميز أسس الاستقرار، رغم ما يبدو فى الظاهر من تغيرات؟

٤- كيف نستطيع أن نتأكد أن مقاييسنا لنفس الخصلة، فى مراحل مختلفة، قابلة للمقارنة؟

٥- لماذا تعد الدراسات الطولية شديدة الصعوبة، وما هو الشىء المميز الذى يمكن تعلمه منها؟

مقدمة

من المهم أن نفكر فى حياة الأشخاص على مدى الـزمن، وأن نـضع فـى حسباننا إن كنا تنبأنا بما ظهر منهم. فإذا بدأنا بنقطة معينة، قد تكـون المـيلاد أو الطفولة أو المراهقة، هل نستطيع أن نتنبأ بما ستكون عليه حياة أحد الأفراد؟ كـم عدد رؤساء الولايات المتحدة الذين تم التعرف عليهم فى شبابهم كقـادة محتملـين لبلدهم؟ وإذا نظرنا إلى ثلاثة من أكبر علماء القرن العشرين: داروين وأينـشتاين وفرويد، فى أى نقطة من عمرهم أمكن التعرف على حجم إسهامهم فى المـستقبل وتأثيرهم؟ يعلق "أرنست جونز" كاتب سيرة فرويد والمعجب به: أنه مـع الوقـت أصبح فرويد فى سن "٣٠ سنة" عالم أعصاب من الدرجة الأولى مجتهدًا، ومفكـرًا تفكيرًا عميقًا، إلا أنه– فيما عدا كتابه عن الحُبسة[١]– لم يكن هناك سوى القليل الذى ينبئ عن وجود عبقرى. (E. Jones, 1953, p. 220)

إننا نسمع من الناس مَنْ يعبر عن وجهتى نظر متعارضتين، نسمع "أنا كنـت أعرف دائمًا أنه سوف يصبح ...."، أو نسمع من يقول: "لم يكن يخطـر علـى بالى أنها ستصبح .... ". البعض يعتقد أنه يمكنك أن تتوقع مسار حياة بعـض الأشخاص على الأقل. والبعض الآخر يرى أنك لا تستطيع.

وكما يروَى أن المخرج السينمائى العظيم "صامويل جولدوين" قال: "الأحمـق هو الذى يقوم بالتنبؤ وخاصة فيما يتصل بالمستقبل". ففى حين تنتهى حياة الـبعض بكارثة رغم المزايا الممكنة، فإن الآخرين يقاومون معوقـات الحيـاة ويمـضون ليصبحوا ناجحين فى الأسرة والعمل. (Masten, 2001)

انظر ما تكشف عنه حياة بعض أكثر المشاهير فى الستينيات، اثنان من قـادة المظاهرات فى الاجتماع الوطنى الديمقراطى فى سنة "١٩٦٨" وهما "آبى هوفمان" Abbie Hoffman، "وجيرى روبين" Jerry Rubin، كانا من أنصار الإصـلاح

---

(١) Aphasia

السياسى الجذرى. وفى السنوات التالية لم يصبح أى منهما شخصية مؤثرة، ولكن المهم أن "هوفمان" استمر فى اعتناق وجهة نظره الإصلاحية بينما "روبين" أصبح مستثمرًا فى الوول ستريت. اثنان آخران، "تيموثى ليرى " Timothy Leary ، "وريتشارد ألبرت" Richard Albert كانا من قادة تعاطى المخدرات وتوسيع العقل وحركة استخدام المواد المؤثرة فى الحالة النفسية(*)، وهما قد جاءا من خلفيتين مختلفتين، وعملا معًا فى جامعة هارفارد نالا سمعة سيئة لأنهما أدخلا طلاب الدراسات العليا فى جامعة هارفارد معهما فى هذه الحركة لتوسيع العقل! وفى السنوات التالية أصبح ألبرت مهتمًّا بالديانة الشرقية، وأصبح معروفًا باسم "رام داس". أما "ليرى" فأصبح يعمل بالترفيه. ملحوظة أخرى لها أهميتها هى أن كثيرًا من علماء النفس يدهشون من تحول ألبرت جذريًّا من باحث نفسى تقليدى وابن لأسرة ثرية وذات نفوذ إلى زعيم دينى. ومع ذلك فإن عالِم بحوث الشخصية المعروف "دافيد ماكليلاند" الذى كان يرأس البرنامج فى جامعة هارفارد، حيث كان يعمل كل من ليرى وألبرت، يعلق: بأن هذا التغيير لم يكن شديدًا كما قد يظن بعض الناس، لأنه تحت هذا السلوك الصريح أو الفروق الوصفية(1) توجد مكونات عِليّة(2) فتحت هذه التغيرات الظاهرة والشخصية توجد دوافع لأن يكون الشخص مؤثرًا ومعترفًا به ومقدرًا. ورغم الاختلاف فى الظاهر فإن الدوافع التى وراء السلوك تظل كما هى.

وهذه الأمثلة تستثير مجموعتين من الأسئلة فى الذهن، **الأولى**: ما درجة استقرار الشخصية عبر مدد ممتدة من الوقت؟ هل هى أكثر استقرارًا فى بعض الأوقات منها فى أوقات أخرى؟ هل بعض جوانب الشخصية أكثر استقرارًا من بعض جوانب أخرى؟ هل بعض الأشخاص أكثر استقرارًا من الآخرين؟ ولماذا؟

(*) هذه الحركة شاعت خطأ فى الستينيات وتبين فسادها وبطلان أسسها.

(1) Phenotypic

(2) Genotypic

أما المجموعة **الثانية** من الأسئلة، فهى: كيف نميز ما هو شائع مشترك من أنماط الاستمرار فى الشخصية رغم ما يبدو فى الظاهر على أنه عدم اتصال؟ ومع نمو الشخص وارتقائه، كيف نستطيع قياس خصال الشخصية بطريقة ملائمة للعمر بحيث يمكن القيام بالمقارنة؟ فمثلاً إذا كنا نهتم بسمة الاجتماعية أو العدوانية كيف نستطيع قياس هذه الخصال فى الرشد بالمقارنة بقياسها فى الطفولة أو فى مرحلة الرضاعة؟ (Loeber & Stouthcimer–Loeber 1998; Suomi, 2000).

هل يمكن مقارنة مقاييس الذكاء فى مرحلة الرضاعة بمقاييس الذكاء فى الرشد؟ هل نستطيع أن ننظر إلى تغير الشخصية كأى تغير فى السلوك بين نقطتين من الزمن، أو هل نستطيع أن نميز بين التغيرات الكمية والتغيرات الكيفية؟ حتى داخل التغيرات الكيفية هل نستطيع أن نميز بين تغير مستمر، مع نمط مبكر، كما فى حالة الشخص المؤكد لذاته الذى يعبر عن خصلته بطريقة مختلفة، وبين التغير الكيفى غير المتصل مع نمط مبكر، مثل الشخص الخجول الذى أصبح اجتماعيًّا جدًّا؟ وربما كان من أصعب الأسئلة: هل نستطيع التمييز بين التغير فى خصلة معينة أو جانب من أداء الشخص والتغير فى التنظيم الكلى لشخصية الشخص؟

وسوف نتناول فيما يلى فى البداية نظريات المراحل التى توحى بتقدم طبيعى فى ارتقاء الشخصية. ثم نتناول الدراسات الطولية للشخصية، ودليل الاستقرار والتغير، والاستمرار وعدم الاستمرار فى ارتقاء الشخصية. وأخيرًا نتناول العوامل التى تؤثر فى إحداث التغير والارتقاء فى مقابل العوامل التى تحتفظ بالكائن الحى كما هو.

نظريات مراحل الشخصية

ينظر بعض علماء النفس إلى الارتقاء[١] على أنه مراحل. ونظريات المراحل للارتقاء لها ثلاث خصائص تعرف بها، **أولاً:** أنها تنظر إلى الارتقاء من خلال مراحل أو فترات من الوقت يمكن خلالها وصف الكائن الحى من خلال بعض الخصال. وترتبط المراحل المختلفة بخصال كيفية مختلفة، بعبارة أخرى تمثل تغيرات كيفية فى طبيعة الكائن الحى. **ثانيًا:** يفترض أن تحدث كل مرحلة فى مدة معينة من الوقت يتوقع أن تحدث أو تتحقق المرحلة. فبعض الأولاد والبنات تنشأ لديهم الخصال الجنسية الثانوية أكثر تبكيرًا من البعض الآخر، والبعض الآخر تتأخر لديهم هذه الخصال أثناءها مقارنة بزملائهم، إلا أنه توجد مدة محددة من الوقت يتوقع ظهور هذه الخصال أثناءها لدى كل من الأولاد والبنات. **ثالثًا:** يوجد تتابع ثابت فى ظهور المراحل. فكل مرحلة بما تتصف به من مجموعة من الخصال يفترض أن تتلو مرحلة سابقة وأن تتلوها مرحلة تالية.

ومعظم النظريات النفسية لارتقاء المراحل تقوم على أساس المشاهدة[٢].

وأكثر المنظّرين شهرة بين علماء النفس الارتقائيين، هو "جان بياجيه" (١٨٩٦-١٩٨٠) Jean Piaget. وقد اقترح جان بياجيه أنه يمكن وصف الارتقاء المعرفى للوليد والطفل من خلال سلسلة من المراحل، لكل منها خصالها التى تحددها المرحلة الزمنية التى يتوقع فيها حدوثها. وقامت نظرية جان بياجيه فى الارتقاء المعرفى على المشاهدات العيادية[٣]، متبوعة ببحث منظم لاستكشاف ارتقاء القدرات المعرفية لدى الأطفال.

---

(١) Development

(٢) Observation

(٣) Clinical Observation

نظرية ارتقاء المراحل النفسية الجنسية لفرويد

تعد نظرية فرويد، لمراحل الارتقاء النفسى الجنسى من أشهر نظريات ارتقاء الشخصية. ووفقًا لفرويد فإن مصدر الغرائز[١] والحوافز[٢] يتمثل فى حالة من التوتر الجسمى، والمنطقة من الجسم التى تستخدم كمصدر لتوتر الجسم، وبالتالى طاقة غريزية (حافزة) تسمى منطقة لذة جنسية[٣]، وارتقائيًا يتم تحديد تغيرات بيولوجية فى المناطق الرئيسة للذة الجنسية البدنية، ومن ثم فإنه فى أى وقت يمكن تحديد المصدر الرئيسى للاستثارة والطاقة فى منطقة محددة للذة، وتحديد موقع هذه المنطقة يتغير خلال السنوات المبكرة للارتقاء. وأول منطقة للذة الجنسية هى الفم، والثانية هى الشرج، والثالثة هى الأعضاء الجنسية. ويعتمد النمو الذهنى[٤] والاجتماعى للطفل على التفاعلات الاجتماعية وأنواع القلق والجاذبية التى تحدث فيما يتصل بهذه المناطق.

وأثناء مرحلة الارتقاء الفمى، عندما يكون مصدر الاستثارة البدنية متمركزًا فى الفم، يوجد انجذاب نحو تناول الطعام ومص الإبهام، وحركات الفم الأخرى المميزة للرضع. وفى حياة الرشد تتمثل آثار النزعة الفمية فى مضغ اللِّبان، والأكل والتدخين والتقبيل، بعبارة أخرى تتغير صور التعبير لكن توجد رابطة بين المرحلة الأولى ومصدر الجذب. ووفقًا لهذه النظرية لارتقاء الشخصية، التى توحى بأن ارتقاء الشخصية يتأثر تأثرًا كبيرًا بخبرات الجذب والإحباط أثناء السنوات الخمس الأولى من الحياة، فالإحباط الشديد أثناء هذه المرحلة يؤدى إلى ارتقاء شخصية فمية. وخصال الشخصية المرتبطة بهذا النمط تتضمن الاعتمادية، وعدم الصبر والحسد، واشتهاء ما لدى الآخرين، والغيرة، وعدم الثقة والتشاؤم، والاكتئاب (شعور الشخص أنه فارغ). ولا يعنى هذا أن الشخص الذى يتصف بأن لديه

Instincts(١)
Drives (٢)
Erogenous Zone (٣)
Mental (٤)

شخصية فمية لديه كل هذه الخصال للشخصية، لكن يتجمع لديه كثير منها لتصنع نمطًا.

وربما كان أكثر أوصاف نموذج الشخصية المرتبطة بالمرحلة الفمية، هي الشخصية النرجسية[1] (Edmoms, 1987; Morf & Rhode Walt, 2001; Rashkin & Hall, 1981). ومن أهم خصال الشخصية النرجسية التركيز على الذات والاهتمام بالآخرين بمقدار تغذيتهم لتقدير الذات لدى الشخص، وحصوله على أشياء من الآخرين، وطلب الإعجاب والحب من الآخرين، وأن يكون "خاصًا" أو متفردًا. إنهم يميلون إلى الإشارة كثيرًا إلى أنفسهم في حديثهم (Rashkin & Show, 1987). وأن يجذبوا انتباه الآخرين. بعبارة أخرى، بتعبير هذه النظرية يوجد تغير فى مظاهر الخصلة لدى الراشد، فى مظهرها، إلا أن أساس النظرية الكامن (العلّى) يظل كما هو.

لنرجع إلى المراحل الأخرى لارتقاء الشخصية فى النظرية النفسية الجنسية. المرحلة الثانية هى المرحلة الشرجية (وتبدأ فى عمر سنتين وثلاث سنوات) وفيها يكون موضع الاستثارة هو الشرج. وفى هذه المرحلة تستمد اللذة من عملية الإخراج التى تنبه هذه المنطقة، ومع ذلك فإن اللذة المستمدة من هذه الحركة فى صراع مع مطالب الآخرين لتأجيلها. وارتقاء الشخصية الشرجية يكون مصحوبًا بأنواع من الجاذبية والإحباطات فى هذه المرحلة. وسمات الشخصية الشرجية ترتبط بعمليات بدنية واجتماعية تحدث أثناء مرحلة الارتقاء الشرجى، تتمثل فى تراكم البراز والتخلص منه، وكفاح الإرادات نحو التدريب على الإخراج. ومن ثم فإن السمات المرتبطة بالشخصية الشرجية هى الكفاح من أجل القوة والتحكم ولذة الامتلاك وقلق الفقدان للتحكم والاهتمام إما بالخضوع أو العصيان.

---

(1) Narcissistic Personality

وأخيرًا المرحلة القضيبية وتمتد بين أربع سنوات وخمس سنوات من الارتقاء. والاستثارة والتوتر تأتى من التركيز على الأعضاء الجنسية. ويبدأ الطفل فى إحداث انتصابات، والاستثارات الجديدة لهذه المنطقة تؤدى إلى زيادة الاهتمام بالأعضاء الجنسية والتحقق من أن الإناث تفتقد للقضيب، وهذا كله بالإضافة إلى أن التنافس مع الأب فى حب الأم (عقدة أوديب) تؤدى إلى قلق الخصاء، أى خوف الطفل من أن يفقد قضيبه. أما بالنسبة للبنت فى هذه المدة، فإنها تجرب استثارة الأعضاء الجنسية، وبالنسبة لها فإن هذا يرتبط لديها بالتنافس مع الأم فى حب الأب (عقدة إلكترا). والتمايز بين الجنسين أثناء هذه المرحلة يرتبط بأنواع مختلفة من الارتقاء النفسى. ومن ثم فبالنسبة للذكر فإن السمات التى تظهر مؤخرًا وترتبط بهذه المرحلة تتضمن التنافسية وتأكيد الشخص أنه قوى وقادر، بينما بالنسبة للإناث فإن السمات التى تظهر مؤخرًا وترتبط بهذه المرحلة تتضمن الاستعراضية ومزيجًا بين الإغراء والسذاجة.

جدول رقم (٦-١) خصال الشخصية المرتبطة بنماذج الشخصية

نموذج الشخصية	خصال الشخصية
الفمى:	معتمد، وغير صبور، وحسود، ويشتهى ما لدى الآخرين، وغيور، وغير واثق من نفسه، ومتشائم، ومكتئب (يشعر أنه فارغ).
الشرجى:	متصلب، ومكافح من أجل القوة والتحكم، ويهتم بما ينبغى، ولديه لذة التملك، وقلق الخسارة والفقدان، والاهتمام إما بالخضوع أو بالعصيان.
القضيبى:	الذكر: استعراضى، وتنافسى، ومكافح للنجاح، ومؤكد للذكورة، ويخاف الخصاء. الإناث: سذاجة، وإغراء، واستعراض القابلية للغزل.

وقد وُجِّه النقد لنظرية فرويد فى الارتقاء الجنسى، بوجه عام لتأكيدها المبالغ فيه على الارتقاء البيولوجى، وخاصة بين مناصرى المرأة بسبب الصورة التى تصور بها المرأة، كما وُجِّه إليها النقد على أسس بحثية ومنهجية، رغم إمكان العثور على بعض الدليل الذى يؤيد هذه النظرية (Pervin, 1993b).

واهتمامنا هنا ليس بتقويم قيمة هذه النظرية كنظرية، وإنما على أنها تمثل نظرية لمراحل ارتقاء الشخصية. ومن هذه الوجهة للنظر يمكننا أن نرى كيف أن فرويد أوحى أن الارتقاء المبكر البيولوجى والنفسى يتضمن تتابعًا ثابتًا من المراحل، كل منها يحدث فى وقت تقريبى، ولكل منها خصالها الخاصة. بالإضافة إلى أن كلاً منها يرتبط بنمط من خصال الشخصية لدى الراشد، وطريقة تعبير هذه الخصال لدى الراشد تمثل تغيرًا عن تعبيرها فى الطفولة. ومع ذلك، فوفقًا لهذه النظرية، فإن الأساس التحتى لبناء الشخصية يظل رغم تغير الملامح الخارجية (المظاهر) لأنها تعبر عن الملامح التحتية لبناء الشخصية (العلِّى).

مراحل الارتقاء النفسى الاجتماعى لإريكسون(١):

على العكس من تأكيد "فرويد" على الجانب البيولوجى، وارتقاء الغرائز، ركز "إريكسون" على الارتقاء الاجتماعى الذى يحدث فى مختلف المراحل. بالإضافة إلى أنه مد قائمة مراحل الارتقاء وتضميناتها للشخصية عبر الطفولة والسنوات المتأخرة من العمر (الجدول ٦-٢). بالنسبة للمرحلة الأولى، فإن هذه المرحلة بالنسبة لإريكسون مهمة ليس بسبب موضع اللذة فى الفم، وإنما بسبب موقف التغذية الذى ترتقى فيه علاقة الثقة أو عدم الثقة بين الوليد والقائم برعايته. وبالمثل فإن المرحلة الشرجية مهمة ليس فقط لتغير طبيعة منطقة اللذة الجنسية، وإنما كذلك لأن التدريب على الإخراج يمثل موقفًا له دلالة اجتماعية، فيه قد ينمى الطفل شعورًا بالاستقلال

(١) Erikson Psychosocial Stages of Development

أو يستسلم للخزى والشك فى النفس. وفى المرحلة القضيبية يجب أن يكافح الطفل لاستمداد لذة – عكس الشعور بالذنب– ويكون مؤكدًا لذاته ومتنافسًا وناجحًا.

وعلى حين يرى "فرويد" أن السنوات الخمس الأولى للحياة هى التى تحدد الخصلة الأساسية فى بناء الفرد، فإن "إريكسون" أقل حتمية بهذا الخصوص. وكما سيلاحظ فإن المراحل المتأخرة للارتقاء لها موضوعاتها التى ترتبط بها وتقدم فرصًا لارتقاءات جديدة ونتائج إيجابية. فمثلاً المهمة الحاسمة للمراهقة هى تأسيس شعور بهوية الأنا[١] مما ينتج عنه ثقة فى أن الطريقة التى يرى بها نفسه لها استمرارها، وتضاهى بإدراك الآخرين. وعلى العكس من الأشخاص الذين ينشأ لديهم شعور بالهوية، فإن الأفراد الذين يعانون من تداخل الدور[٢] يشعرون أنهم لا يعرفون بدقة من هم، ولا يعرفون إن كان ما يفكرون فيه يمكن أن يضاهَى بما يفكر فيه الآخرون بالنسبة لهم، كما أنهم لا يعرفون كيف تم ارتقاؤهم بهذه الطريقة ولا ما هى وجهتهم فى المستقبل. وأثناء المراهقة المتأخرة وسن الجامعة، فإن هذا الكفاح للشعور بالهوية قد يؤدى إلى الالتقاء بمجموعات متنوعة وإلى قلق كبير نحو اختيار المسار المهنى. وإذا لم يتم حل هذه المسائل فى هذا الوقت سيمتلئ الفرد فى آخر حياته بالشعور باليأس، فالحياة شديدة القصر، وقد فات الأوان للبدء من جديد.

و"إريكسون" معروف بتأكيده على مرحلة الهوية – فى مقابل– تداخل الدور، وهذه المرحلة هى التى جذبت اهتمامًا كبيرًا للبحث. ونظرية "إريكسون" للمراحل قامت على أساس مشاهدة عيادية. ففى دراسة من خلال المقابلة لطلبة الجامعة مدّت "مارسيه" (Marcia, 1960; 1980) عمل "إريكسون" على هذه المرحلة عن طريق تعريف أربع نتائج ممكنة هى إنجاز الهوية[٣]، واشتداد الأزمة[٤]، وتداخل الهوية، والإعاقة[٥]. ومثاليًّا يترك الشخص هذه المرحلة بإنجاز هوية. ويتضمن هذا بعض

---

(١) Ego Identy
(٢) Role Diffusion
(٣) Identity Diffusion
(٤) Moratorium
(٥) Foreclosure

الاستكشاف لقيم بديلة وأهداف فى المسار المهنى. ويشمل هذا بعضًا مما يتعارض مع قيم الوالدين والاستعداد للقيام بالتزام. وفى حالة استمرار الأزمة يستمر الاستكشاف والفحص مصحوبًا غالبًا بانشغال قهرى كبير وقلق، ودون حركة نحو الالتزام. وفى هذه الحالة من تداخل الهوية يوجد فقدان للشعور بالتوجه لكن دون استمرار للكفاح المميز لناتج الأزمة. وأخيرًا ففى حالة الإعاقة يوجد التزام بالقيم والأهداف لكن دون النظر فى بدائل. والالتزام هنا يكون مبتسرًا وقد يكون قائمًا على أساس حاجة شديدة للتوحد مع القيم والأهداف الوالدية، أو على خوف من التعامل مع حالة عدم التيقن المصحوبة باستكشاف.

ومثل معظم نظريات المراحل، لا يرى "إريكسون" المراحل على أنها مستقلة كل منها عن الأخرى. فالفرد يرتقى بشكل كلى. ومن ثم فكل مرحلة تتأثر بما يحدث فى المراحل التى تسبقها، وتؤثر ارتقائيًّا فى المراحل التى تليها. على سبيل المثال قد يعانى الفرد من اكتئاب شديد عقب عدم قدرته على العمل الضرورى لإنهاء اختياره المهنى. وليست المسألة أنه يفتقد القدرة، ولكن بدلاً من ذلك أنه كان مغمورًا بالقلق حول اختياره وماذا يعنى بالنسبة له، وأنه لا يستطيع أن يكمل المهام الضرورية. بعد هذا يشعر بذنب كبير لأن أسرته تتوقع دائمًا منه أن يتابع هذا المسار المهنى. يضاف إلى هذا أنه يشعر بفشل كامل، وأن الحياة لم يعد لها معنى بالنسبة له، فبدون مسار مهنى يكون لا شيئًا. ومن المهم أن نلاحظ أنه فى المراهقة لا يتقدم نحو الاستكشاف وتصبح الأزمات مرتبطة دائمًا بتحقيق نوع مُرضٍ من هوية الذات، بل إنه يجبر نفسه على تبنّى قيم الوالدين ومتابعة المسار الذى يتم اختياره له. وعندئذ يستمتع بهذا الالتزام ولكنه يميز أيضًا أن تخففه فى عدم التعامل مع كفاح الاستكشاف، وهذه الإعاقة المبكرة للهوية موضوع قد يرتبط بخبرات الطفولة المبكرة التى يقارن فيها دائمًا نفسه بطريقة غير عادلة بوالده. وإنما يشعر بالذنب نحو الإقدام على مسار مستقل.

جدول رقم (٦-٢)

مراحل الارتقاء النفسية الاجتماعية الثمان لإريكسون وتضميناتها للشخصية.

المرحلة النفسية الاجتماعية	العمر	نتائج إيجابية	نتائج سلبية
الثقة الأساسية-فى مقابل - عدم الثقة(١)	١	الشعور الداخلى بالجودة والثقة بالنفس وبالآخرين والتفاؤل	الإحساس بأنه سيئ وعدم الثقة بالنفس وبالآخرين والتشاؤم
الاستقلال-فى مقابل-الخزى والشك(٢)	٢-٣	تدريبات الإرادة وضبط النفس وعمل اختيار	تصلب، وحساسية شديدة، وشك ومراقبة الذات والخزى
المبادأة-فى مقابل-الذنب(٣)	٤-٥	لذة الإنجاز والنشاط والتوجه والهدف	الشعور بالذنب نحو الأهداف المتحققة
الاجتهاد-فى مقابل-الدونية(٤)	مرحلة الكمون	قادر على الاستغراق فى عمل منتج وفخور بإكمال المنتج	الشعور بعدم الملائمة والعجز عن إكمال العمل
الهوية-فى مقابل-تداخل الدور(٥)	المراهقة	الثقة فى الذات الداخلية والاستمرار ويبشر بمسار مهنى جيد	عدم وضوح الأدوار والمعايير للشعور بالاصطناع
الود-فى مقابل-العزلة(٦)	الرشد المبكر	تبادل الأفكار ومشاركتها والعمل والمشاعر	تجنب الود، وعلاقات مفتعلة
التوليدية - فى مقابل - العقم(٧)	الرشد	القدرة على أن يفقد نفسه فى العمل والعلاقات	عدم العناية بالعمل وفقر العلاقات
التكامل-فى مقابل-اليأس(٨)	السنوات المتأخرة	الإحساس بالنظام والمعنى والرضا عن النفس والإنجاز	الخوف من الموت، والشعور بالمرارة نحو الحياة وما تم تحصيله أو ما لم يحدث.

Basic Trust vs. Mistrust (١)
Autonomy vs. Shame & Doubt (٢)
Initiative vs. Guilt (٣)
Industry vs. Inferiority (٤)
Identity vs. Role Diffusion (٥)
Intimacy vs. Isolation (٦)
Generativity vs. Stagnation (٧)
Integrity vs. Despair (٨)

صفوة القول: يمكن إيجاز إسهامات "إريكسون" فى ثلاث نقاط:

١- أنه أكد على الأساس النفسى الاجتماعى، مثل تأكيده على الأساس البيولوجى لارتقاء الشخصية.

٢- أنه مدّ مراحل التحليل النفسى للارتقاء لتشمل مدى الحياة كله، وحدد المسائل التى تواجه فى المراحل الأخيرة.

٣- اعترف بأن الأشخاص ينظرون إلى المستقبل مثلما ينظرون إلى الماضى.

وفى الوقت نفسه اشترك مع نظريات المراحل الأخرى فى تأكيد سياق المراحل، الذى يحدث فى وقت سبق تحديده مع مسائل محددة ونتائج ممكنة إيجابية وسلبية. وأثناء تحديده فرص الارتقاء المرتبطة بكل مرحلة لاحظ اعتماد الارتقاء أثناء كل مرحلة على ارتقاء المراحل السابقة وتأثيرها على الارتقاء فى المراحل التالية، ومثله مثل كل نظريات مراحل الشخصية، كان اهتمامه مركزًا على الآثار الواسعة للارتقاء أثناء كل مرحلة. بعبارة أخرى كيف أمكن حل المسألة المرتبطة بكل مرحلة أمكن رؤيتها، على أن لها تضمينات لارتقاء الشخصية أكثر مما تتأثر فقط بارتقاء مكون معزول.

نقد نظريات ارتقاء المراحل:

تؤكد نظريات المراحل للارتقاء على وجود سياق ثابت للمراحل، لكل منها طابعها الخاص. تبدأ وتنتهى فى نقطة عمرية معينة. يضاف إلى هذا أن كثيرًا من هذه النظريات توحى بأن المراحل تمثل أوقاتًا حرجة فى الارتقاء، أى إذا لم يحدث الارتقاء الموصوف فى هذا الوقت، فإنه لن يرتقى بالشكل الملائم فى المراحل المتأخرة للارتقاء. وتتنوع النظريات المعروضة ونظريات المراحل الأخرى فى مدى تأكيدها على كل من هذه الملامح. فمثلاً نظرية التحليل النفسى للارتقاء النفسى الجنسى، تعبر عن كل هذه الخصائص، بينما تعطى نظريات ارتقائية أخرى تأكيدًا أكبر على التتابع التدريجى للارتقاء، تولى اهتمامًا أقل للمراحل الحرجة.

ورغم فائدة نظريات المراحل فى تجسيم صورة المرحلة، والتخطيط لأهمية بعض العمليات التى تحدث فى نقاط مختلفة من الزمن، فإنها تعرضت لكثير من أوجه النقد، **أولاً**: أثيرت أسئلة حول إن كان الارتقاء يحدث غالبًا فى سياق ثابت، وحول العلاقة بين الارتقاء فى نقاط مختلفة من الزمن، فمثلاً هل يمكن تخطى مرحلة من المراحل أو المرور بها سريعًا مع مرور الوقت؟ وهل الارتقاءات فى مرحلة تتحول عندما يتحرك الشخص إلى المرحلة التالية؟ أو هل الارتقاءات فى كل مرحلة تتراكم بعضها فوق الآخر؟ مثلاً هل للشخص دائمًا مستويات مختلفة من إدراك الذات، والوعى بالذات أم أن ارتقاء الوعى بالذات يحل محل مستويات سابقة من الارتقاء؟

وجه آخر للنقد، موجه بوجه خاص من منظّرى المعرفة الاجتماعية، هل عمومية الارتقاء متضمنة فى نظريات المراحل؛ بينما تتضمن نظريات المراحل مستوى موحدًا من الارتقاء فى كل مرحلة، لأن نظريات المعرفة الاجتماعية تؤكد أن الارتقاء فى مختلف المناطق والمجالات يمكن أن يبدأ بمعدلات مختلفة. ويحاول "باندورا" إثبات أن الارتقاء يحدث فى مناطق متخصصة أكثر مما يحدث فى البناءات العامة. فالشخص ينمى كفاءات نوعية أكثر منها عامة، وبالنسبة للارتقاء المعرفى يوحى "باندورا" (Bandura, 1980) بأنه:

> "تفترض المراحل المعرفية أنها تضم نماذج مختلفة كيفيًّا من التفكير متسقة فى كل مرحلة. والمراحل العليا يتم إنجازها من خلال تحويل المراحل الدنيا، وافتراض ترتيب أنماط من التفكير تختلف -مع ذلك- مع النتائج الواقعية. ومستوى الأداء المعرفى يتنوع عبر مختلف مجالات المضمون (ص: ٤٨٤)."

وأخيرًا نأتى إلى مسألة الأوقات الحرجة[١] التى تتضمن مرحلة شديدة التحديد من الحساسية، يسبقها ويتبعها نقص فى الحساسية (Bateson & Hinde, 1987)

---

(١) Critical Periods

. والمصطلح استخدمه عالم سلوك الحيوان[1] "كونراد لورينز" K. Lorenz لوصف أهمية خبرات معينة فى مراحل نوعية من الارتقاء، مثل الظاهرة التى تعرف باسم عملية التطبيع[2]، حيث يتعلم فرخ البط بسرعةٍ سلوكَ متابعة الأم عندما يلاحظ حركتها، ويبدأ سلوك التطبيع فورًا بعد التفريخ وينتهى بعد أيام. ومما يلفت الانتباه الوقت المحدد الذى يحدث فيه هذا التطبيع، وكيف يمكن للفرخ أن يطبِّع نفسه (يتعلم أن يتابع) حركات أخرى لأشياء إن لم يتعرض للأم. ولا تحدث هذه الظاهرة قبل أو بعد هذه المدة. مثال آخر هو أن الطيور تتعلم الخاصية النوعية للتغريد فقط إذا سمعته فى فترة محددة مبكرة من الارتقاء.

وأدت ملاحظة هذا إلى فكرة الأوقات الحرجة كوقت محدد للفترات التى تؤثر فيها البيئة، مع التهديد بعدم تتابع الارتقاء إذا لم تحدث هذه المدخلات البيئية فى الوقت المحدد. وتتفق النظرة التحليلية النفسية لمراحل ارتقاء الشخصية مع هذه النظرة. ومع ذلك، ففى هذه الأيام فإن هذه الوجهة للنظر محل تساؤل، وقد استبدل مفهوم "الأوقات الحرجة" بمفهوم "الأوقات الحساسة"[3] (Bornstein, 1987; 1989; Wachs, 1992).

وهنا يبدو أنه لا يوجد تأييد لوجهة نظر المراحل الثابتة للارتقاء، مع الآثار السلبية لعدم وجود التنبيهات البيئية الملائمة خلال هذا الوقت. وبدلاً من هذا يعترف بدرجة أكبر -وإن لم تكن بالضرورة غير محددة- من المرونة والمطاوعة. إن مفهوم الأوقات الحساسة(*) يتضمن مرحلة من القابلية، تسبقها وتتبعها فترات حساسية أقل مع انتقال تدريجى. (Batenson & Hinde , 1987, P. 20)

---

(١) Ethologist

(٢) Imprinting

(٣) Sensitive Periods

(*) لم نستخدم مصطلح فترة لأنه يشير فى اللغة العربية إلى الضعف والفتور، كما أن مصطلح "Period" فى اللغة الإنجليزية لا يميز بين الأوقات المحددة والأوقات الممتدة (المدة)، والمراحل المتباعدة من العمر (الطفولة، والمراهقة، والشباب)، (المترجم).

وينبغى أن يكون واضحًا أن مفهوم الأوقات الحساسة لا يستبعد تمامًا المراحل الارتقائية، كما أنه لا يوحى بتفتح ومرونة غير محدودين فى ارتقاء الكائن الحـــى. إنه فقط يقلل من الأثر النسبى للآثار المحددة المفترضـــة مـــن مفهـــوم المراحـــل الحرجة، أى أن مفهوم الأوقات الحساسة يوحى بأن الكائن الحى له حساسية خاصة لآثار بيئية معينة أثناء مدد محددة من الوقت. ومع ذلك فإنه يوحى أيـــضًا بأنـــه لا يحتاج أن يكون دائمًا، أو غير قابل للارتداد فى ظل أى ظـــرف تـــالٍ. ويعتـــرف مفهوم "الأوقات الحساسة" إلى كل صور التنبيهات ليست متساوية فى أهميتها فـــى كل مراحل الارتقاء، كما يعترف أيضًا بأن هذه التنبيهات فى وقت معين لا تعنـــى أن تأثير حضورها أو غيابها غير قابل للرجوع. ومع ذلك فقد يتطلب التغيرُ فـــى نقاط متأخرة ظروفًا شديدة الخصوصية. فمثلاً يفترض أن مراحل التوتر المرتفـــع والتأثير الكبير للبيئة مهمة لتغيير السلوك الذى استقر فى الطفولـــة، عنـــدما يبلـــغ الشخص الرشد. (Batenson & Hinde, 1987)

باختصار يمكن استخدام مفهوم "مراحل الارتقاء" كوصف لأهمية بعض المُدد من الوقت وتتابع تغيرات كيفية وكمية: وبعض مُدد الوقت أهم من الأخرى بالنسبة لارتقاء بعض الخصال، وبعض أنواع المدخلات البيئية أهم من الأخرى أثناء هذه المُدد. ويبدو أنه يوجد تتابع طبيعى لظهور كثير من الخصال. وفى الوقت نفسه لا تبدو عملية الارتقاء شاملة ومحددة ومتصلبة كترجمة حرفية لنظريات المراحـــل. وبالرغم من أنها غير محددة، فيبدو أنه توجد مرونة كبيرة ومطاوعـــة للارتقـــاء. وسوف نتناول هذه المواضيع فى الفقرة التالية عندما نستعرض نتائج من البحـــوث الطولية.

الدراسات الطولية للارتقاء:

يشمل البحث الطولى[1] دراسات لبعض الأفراد عبر أوقات ممتدة من الوقت، مع تكرار القياس فى مسافات زمنية مختلفة. وهذا النوع من الدراسات مع دراسات قصيرة المدى هى "البحث المستعرض"[2] وفيه تتم الدراسة المتزامنة لمجموعات عمرية مختلفة. فمثلاً فى الدراسة المستعرضة للعدوان، يمكن الحصول على قياسات للعدوان فى نفس الوقت لكل من الأطفال والمراهقين والراشدين لدراسة التغيرات فى مستوى التعبير عن العدوان من الطفولة حتى الرشد. وعلى العكس من هذا فى الدراسات الطولية للعدوان، فإنه يتم تقدير العدوان لدى نفس الأفراد فى هذه المراحل الزمنية.

والدراسة المستعرضة تسمح بتقدير الاتجاهات العمرية لخصال الشخصية، وهى أسهل فى إجرائها من الدراسة الطولية، وفى هذه البحوث يأمل الباحث أن يتمكن من استنتاج علاقات سببية بين المتغيرات موضع الاهتمام، مثل أنماط تربية الطفل وارتقاء أنماط العدوان. ومع ذلك تواجه الدراسات المستعرضة نوعين أساسيين من القصور، **الأول:** أننا نستدل على العلاقات السببية بدلاً من أن نتابع فعلاً هذه العلاقات كما تحدث. **والثانى:** أن الفروق بين المجموعات العمرية قد تكون دالة لتغيرات اجتماعية أكثر منها لاتجاهات العمر. فمثلاً، إذا اهتم أحد الباحثين بدراسة الميل إلى موسيقا "الروك" فى المراهقة والشباب الباكر والرشد المتوسط، قد يستنتج أنه يوجد تغيير نحو انخفاض الاهتمام عبر الزمن. ومع ذلك فإن هذا قد يصدق على الاهتمام بالموسيقا فى أزمنة اجتماعية مختلفة. وبالمثل فإن أعضاء جيل معين قد يتأثرون بأحداث مهمة، مثل الكساد الاقتصادى والحرب، وقد تميز الدرجات ما يعكس تأثير هذه الأحداث النوعية أكثر مما تقوم هذه التغيرات على أساس العمر. (Edler, 1974; 1979; Edler & Caspi, 1988)

---

(١) Longitudinal Research

(٢) Cross- Sectional Research

وفى مقابل هذه الأوجه للقصور فى الدراسات المستعرضة، تسمح الدراسات الطولية بدراسة عملية الارتقاء أثناء سريانها، ومثل هذه البحوث لا تسمح فقط بدراسة تتابع وتقدم متغيرات مفردة، وإنما تسمح بدراسة أنماط من العلاقات عبر الزمن. ورغم أن نتائج أية دراسة طولية تحتاج إلى أن يتم تكرارها بواسطة آخرين، وأن هذه الدراسات الأخرى تتم فى نقاط مختلفة من الوقت وفى ثقافات مختلفة، فمن الواضح المزايا العديدة للدراسات الطولية. وفى نفس الوقت فإن هذه الدراسات لا تتم بالتكرار المتوقع بسبب الصعوبات المرتبطة بها. وفى مثل هذه البحوث الطولية توجد مشكلة العثور على مقاييس مكافئة لخصال الشخصية موضع الاهتمام لمختلف الجماعات العمرية. مثل كيف يمكن قياس الذكاء والاجتماعية وقوة الأنا.... إلخ، فى الطفولة والمراهقة والرشد المبكر والرشد المتوسط وفى حالة المسنين؟ أكثر من هذا يحتاج البحث الطولى إلى مدى من الوقت كبير وميزانية كبيرة. ولن يعرف الباحثون نتائجهم لمدة طويلة من الزمن؛ وهذا أمر صعب فى مجال يتطلب دليلاً دائمًا على الإنتاجية. أكثر من هذا ينبغى أن يتأكد الباحث من توفر الميزانية باستمرار لكى يقوم بالمتابعة بعد "١٠، و٢٠، و٣٠" سنة. وأخيرًا، فإن الباحث يتمنى أن يظل المبحوثون على قيد الحياة، وأن يمكن تحديد أماكنهم، ويظلوا راغبين فى المشاركة كمبحوثين فى المرات التالية. لكل هذه الأسباب تعد دراسة الأشخاص دراسةً "طوليةً الدراسةَ الصعبةَ. (J. Block, 1993; Funder, Parke, Tomlinson–Keasy & Widaman, 1993)

الاستقرار والتغير فى ارتقاء الشخصية:

سنعتنى بوجه خاص عند استعراض نتائج البحث الطولى بأنماط الاستقرار والتغير فى الشخصية. وموضوع الاستقرار والتغير ليس موضوعًا بسيطًا. وكثير من علماء النفس لديهم تحيزات نحو رؤية الشخصية على أنها نسبيًّا مستقرة أو نسبيًّا متغيرة مرنة. وعلى هذا فإنه بينما يعتقد البعض أنه إذا كان الحمار الوحشى يستطيع بسهولة أن يغير جلده المخطط، فإن الراشد يستطيع أن يغير شخصيته

(Watson, 1928, P. 138)، والبعض الآخر أكثر تفاؤل بهذا الخصوص. وأحيانا يكون أثر هذه التحيزات ضئيلاً. وكان عنوان علم الشخصية فى برنامج "نهاية الأسبوع" فى مؤتمر "جمعية علم النفس الأمريكية" سنة ١٩٩٢: "هل يمكن تغيير الشخصية؟" وأحيانًا – كما سنشير فيما بعد– تؤثر هذه التحيزات فى ما هى متغيرات الشخصية التى تتم دراستها، وكيف تتم دراستها؟ وكيف يتم تفسير النتائج؟ ومع ذلك، فقبل أن نبدأ فى عرض بعض جوانب الدراسات الطولية، من المفيد النظر فيما هو المقصود بالاستقرار والتغير فى الشخصية.

نبدأ هذه المناقشة بفحص بعض الأمثلة، فإذا نظرنا إلى التغير فى الطول والوزن عبر الزمن فمن الواضح أن الأطفال يصبحون أطول وأثقل وزنًا مع تزايد العمر، أى أنه يوجد تغير فى الطول والوزن. ومع ذلك نفرض أن مجموعة من الأفراد ظلوا سطى الطول والوزن، فهل نقول إن طولهم ووزنهم تغير بالنسبة للتغيرات المطلقة، أم نقول إن طولهم ووزنهم ظل مستقرًا بالنسبة لوضعهم النسبى؟ نأخذ مثالاً آخر، يكتسب الأشخاص خلال الطفولة بل خلال حياتهم معرفةً، فهل ذكاؤهم تغير؟ نعرض مثالاً آخر، إذا قمنا بصب ماء فى غلاية وأوقدنا البوتاجاز تحتها، ولاحظنا البخار يخرج من الغلاية عند غليان الماء، هل نقول حدث تغير (أى تغير الماء إلى بخار)؟ أو أننا بدلاً من أن نضع الماء فى الغلاية وضعناه فى مكان شديد البرودة، هل نقول عندما نلاحظ تحول الماء إلى ثلج أن تغيرًا قد حدث؟ فمع أن البخار والثلج يبدوان مختلفين، فإننا نعلم أنهما يتكونان من ذرتىّ أيدروجين وذرة أوكسجين. وفى كل الأحوال قد لا نستطيع أن نقول إن تغيرًا قد حدث. مثال آخر اليرقة التى تصبح دودة ثم تصبح فراشة إنها نفس الكائن الحى. هل الموقف يختلف فى الإنسان عندما نلاحظ تحوله من الرضيع إلى الراشد؟ هل نقول إنه يمثل نفس الشخص مؤكدين الثبات أم نؤكد درجة التغير؟ لاحظ السؤال التالى: ماذا عن تغيرك إلى درجة لا تستطيع فيها معرفة نفسك؟ بعبارة أخرى: ما مقدار التغير ونوعه الضرورى لكى نقول إن تغيرًا حقيقيًّا قد حدث؟ وكما توضح هذه الأمثلة،

فإن الإجابة عن المقصود بالاستقرار والتغير ليس أمرًا سهلاً إذ توجد أنـــواع مـــن الاستقرار والتغير ومعانىَ مختلفة لقياسها (Caspi, 1998; Caspi & Robert, 1999; 2001).

وفيما يتصل بارتقاء الشخصية، يمكننا أن نقابل بين أربعة أنواع من التغيـــر، **الأول:** يوجد تغير مطلق وتغير بالنسبة للآخرين، أو أن يكون الشخص لديه درجة من عدم الكف عبر الزمن، إلا أنه مازال فى حـــدود المتوســـط بالنـــسبة لعمـــره لمجموعة رفاقه. وفى كل حالة يوجد تغير مطلق بالنسبة للفرد، ولكن لا يوجد تغير بالنسبة للآخرين بالنسبة لعمره وجماعة رفاقه.

تمييز آخر ينبغى أن يوضع فى الحسبان، هو التمييز بين التغير الكمى والتغير الكيفى. وبالرجوع إلى مثال سابق، فالأشخاص قد يحصّلون المزيد مـــن المعرفـــة بمرور الوقت إلا أن تفكيرهم حول الأشياء لا يختلف. ومن ناحية أخرى قد يحدث تغير كيفى فى طريقة تفكيرهم من حيث القدرة على التفكير بطريقة أكثـــر تعقيـــدًا بمجرد التغير فى الدرجة على بعض المتغيرات. فالتغيرات الجـــسمية المـــصاحبة للمراهقة، مثل ارتقاء الخصال الجنسية الثانوية، تمثل تغيرات كيفية لها أهمية نفسية كبيرة، وهذه التغيرات تتجاوز التغيرات الكمية مثل زيادة الطول والوزن.

وربما كان التمييز الأهم بالنسبة لنظرية الشخصية هو التمييز بـــين التغيـــر الوصفى والتغير العلِّى، التغير الوصفى تغير فى مستوى المشاهَدة، بينمـــا التغيـــر العلِّى يعد تغيرًا فى البناء التحتى. فالتغير من الماء إلى البخار أو الثلج، يمثل تغيرًا وصفيًّا لأن البناء التحتى للأيدروجين والأكسوجين يظل كما هو، فلا نتحدث عـــن تغير علّى. وبالنسبة للشخصية، إذا أصبح الشخص عدوانيًّا بطريقة مختلفة، فإن هذا يعنى تغيرًا وصفيًّا، والتغير الوصفى لا يعنى وجود تغير فى البنـــاء الأساســـى أى التغير العلِّى، وتصف الباحثة "بيم" (Bem, 1998) تغيرهـــا مـــن طفلـــة ســـريعة الانفعال إلى شخصية تسيطر سيطرة تامة على انفعالاتها، وهذا تغير شـــديد فـــى السلوك المشاهد، ولكن ما دلالة التغير فى البناء الأساسى للشخصية؟ وبالمثل التغير

فى مجالات يتنافس فيها الشخص تمثل تغيرات وصفية وليست تغيرات عليَّة. وهذا التمييز مهم لارتقاء الشخصية، لوجود كثير من التغيرات الوصفية تحدث ولا تمثل تغيرات بنائية عِلّية. ومن ناحية أخرى قد نشاهد غالبًا تغيرًا دون أن يكون واضحًا إن كان وصفيًّا أو عليًّا، هل يمكن أن نتأكد من أن أنواع السلوك المختلفة تمثل مظاهر مختلفة لنفس خصال الشخصية، كما نكون متأكدين من أن الماء والبخار والثلج من الناحية البنائية يمثلون نفس الشىء؟



البحث الطولى. توحى دراسة الأشخاص عبر الزمن بدليل على كل من الاستقرار والتغير، وهذا يعتمد على أية خصلة تتم دراستها، وكيف أمكن دراستها، وكيف أمكن قياس كل من الاستقرار والتغير وتاريخ حياة الأشخاص موضع الدراسة؟

وأخيرًا، نستطيع أن نميز بين التغير المستمر والتغير المتقطع. التغير المستمر يكون تدريجيًّا ويتبع قانونًا معينًا ويتبع نمطًا متسقًا يمكن تحديده. فرغم أن الشخص يتغير فى خصاله الجسمية وملامحه عبر تاريخ حياته؛ فإننا نستطيع أن نصف هذا

التغير على أنه مستمر ومتسق. وفى بعض الحالات يمكن أن نرى الولد فى ملامح الرجل، والبنت فى ملامح المرأة. وفى حالات أخرى يصعب – بمقارنة الصور التى تنتمى إلى فترات زمنية متباعدة– أن تُنسب إلى الشخص نفسه. ومع ذلك يمكن أن تسمح لنا عملية المتابعة عن قرب، أن نرى تدرجًا واتساقًا وعملية مستمرة من الارتقاء من الطفل إلى الراشد. وعلى العكس التغير غير المتصل يكون فجائيًّا وأساسيًّا. فالشخص الذى يتعرض لحادث خطير قد يعانى من تغير شديد فى مظهره يجعله غير متصل بما كان قبل ذلك، فمثلاً إذا وضع الأشخاص فى بيئة مختلفة اختلافًا أساسيًّا عن بيئاتهم السابقة، كأن يذهبوا إلى معركة، قد يحدث لهم تغير جذرى فى الشخصية يجعلهم غير متصلين بماضى شخصيتهم. ويصف الأشخاص هذه الخبرة المهمة وما يترتب عليها من آثار بأنها غيّرتهم للأبد، وهذه الخبرة تحوّل الشخص إلى شخص جديد، كما حدث لتونى جونزليس أبرع رؤساء مدينة كانساس، إذ تم تغيره فى المراهقة من ولد كبير يخاف من الفِتوّات إلى منافس رياضى لا يضاهيه أحد (Sports, Illustrated December 27, 1999, P. 49). وتكون المراهقة غالبًا مرحلة تغير جذرى إما وصفى أو علّى.

ومتابعة الشخص عبر مسافات، يسمح لنا أن نميز بين التغير المستمر والتغير المتقطع. التغير الذى يبقى فيه اتساق الشخصية، والتغير الذى يحدث فيه تغير أساسى فى نسق البناء. أما رؤية الشخص فى نقطتين منعزلتين من الزمن، فقد تسمح لنا بقياس درجة التغير، لكن يظل نوع التغير الذى حدث والعمليات الوسيطة الداخلة، غير واضحة. وما قد يبدو من خلال نقاط معزولة من الزمن على أنه تغير متقطع، قد يبدو بعد الفحص القريب أو يكشف عن نفسه كتغير مستمر.

وإذا وضعنا هذه التمييزات فى حسابنا، فمن السهل أن نرى لماذا يصبح من التبسيط المفرط التحدث فقط عن الثبات والتغير. وينبغى مع محاولة إيجاد مقاييس متكافئة للشخصية فى مختلف الأعمار، أن نكون واضحين بالنسبة للمحك المستخدم للحديث عن الثبات والتغير. وعند دراسة الشخصية ارتقائيًّا نريد أن نقدر كلاً من

الثبات والتغير. وأكثر من هذا نريد أن نستطيع أن نميز بين أنواع مختلفة من التغير الممكن، لأن هذا سيكون له تضمينات لفهمنا لارتقاء الشخصية. ونريد – لكى ندرس الشخصية ارتقائيًا– أن نقدر التغير من الطفولة إلى الرشد. كما نريد أن نقدر التغير من اليرقة إلى الفراشة، مع تمييز التحولات التدريجية التى حدثت. باختصار، نريد أن نستطيع أن نضع فى حسابنا الاستمرار والاتساق والتناسق الذى قد يكون موجودًا وسط التغير الظاهرى، ونترك فى الوقت نفسه مكانًا لتمييز التغير الجذرى غير المتصل.

نماذج توضيحية لدراسات طولية

سنقوم فى هذه الفقرة بالنظر فى عدد قليل من الدراسات التى تمثل البحث الارتقائى ومبادئ ارتقاء الشخصية، ثم نضع فى الحسبان نتائج الدراسات التى توحى بالاستقرار والثبات فى الشخصية.

دراسة الباحث السويدى ماجنوسون Magnusson لارتقاء الفرد وتوافقه (I. D. A)[1]:

أول دراسة طولية يتم عرضها، هى دراسة دافيد ماجنوسون

(David Magnusson, 1992; 1999a; 1999b; Magnusson, Andersson, & Torestad, 1993; Magnusson & Bergman, 2000; Magnusson& Torestad, 1993).

ونعرض هذه الدراسة لأنها توضح كيف يتم إجراء الدراسة الطولية، وهى تضع فى حسبانها كلاً من العوامل البيولوجية والاجتماعية فى ارتقاء الشخصية، وتهتم بالأفراد وارتقاء الكائن الحى ككل.

بدأ ماجنوسون دراسة ارتقاء الفرد وتوافقه سنة ١٩٦٥. وكان الهدف من البحث معرفة كيف تتفاعل عوامل الفرد والبيئة لتحكم الارتقاء من الطفولة إلى الرشد. مع اهتمام خاص بالعمليات الارتقائية التى تقف وراء عدم التوافق

---

(١) Individual Development And Adjustment

الاجتماعى، كما تعبر عن نفسها فى مشكلات مثل إدمان الكحول والجريمة والصعوبات النفسية، والبحث الآن مستمر منذ أكثر من "٤٠" سنة، وبدأ البحث بدراسة كل الأولاد والبنات الملتحقين بالصف الثالث والسادس والثامن فى مدارس المجتمع المحلى وسط السويد. وكان معظم الأطفال فى سن "١٠"، و"١٣" و"١٥" سنة عند بداية البحث سنة ١٩٦٥. واشتملت هذه المجموعة على "١٤٠٠" فرد.

ومعظم البيانات تم الحصول عليها من المبحوثين أنفسهم، بالإضافة إلى المعلومات من الوالدين والمعلمين والأقران والسجلات العامة، مثل المعلومات عن الجريمة وتعاطى الكحول والقبول فى مستشفيات نفسية وتشخيصات نفسية. وتم الحصول على معظم البيانات من اختبارات واستخبارات وتقديرات من خلال تطبيقات جماعية، إلا أن بعض البيانات تم الحصول عليها من خلال مقابلات ومشاهدات وتطبيق اختبارات فردية. وتم الحصول على بيانات عن عوامل بيولوجية مثل الاستجابة الهرمونية للمشقة، والنشاط الكهربائى الفسيولوجى للمخ (EEG)، بالإضافة إلى العوامل البيئية مثل خصائص المنزل والمدرسة.

وكما يمكن أن نتخيل، فقد أثَار هذا البحث عددًا من المشكلات العملية والأخلاقية: كيف يمكن الحصول على تعاون المبحوثين والإبقاء على تعاونهم لأكثر من "٤٠" سنة؟ كيف أمكن الحصول على إمكانات لإعداد الملفات؟ وكيف أمكن حماية سرية المعلومات فى مشروع يضم أكثر من ألف شخص، وعدد كبير من الباحثين بعضهم تغير مع استمرار المشروع؟ إن ما فعله ماجنوسون هو بدء المشروع بتكوين لجنة تضم رئيس جمعية الوالدين والمعلمين، والمشرف الطبى للمدرسة والإخصائى النفسى للمدرسة، وثلاثة معلمين ممثلين لزملائهم، ومدير المدرسة، وممثلاً للهيئة القومية للتربية. وتمت موافقة هذه اللجنة على كل أدوات الدراسة قبل طبعها وتوزيعها، وتمت إحاطة الوالدين بتفاصيل المشروع فى اجتماع عام. وعندما كان يطلب منهم ملء الاستخبار، أحيط التلاميذ علمًا بالدراسة وتم تحفيزهم على المشاركة فيها، إلا أنه ترك لهم حرية عدم الإجابة عن أى أسئلة

يفضلون عدم الإجابة عنها. وأحيط رؤساء تحرير المجلات والجرائد المحلية بمعلومات وافية عن المشروع، وأخذوا نسخة من الاختبارات والاستخبارات التى وزعت على التلاميذ والوالدين والمدارس. وكان التلاميذ يحاطون علمًا بتقدم المشروع، فى جلسات المتابعة. باختصار بُذل جهد عظيم لضمان مشاركة وتعاون كل أطراف الدراسة الطولية. ورغم أنه قد يبدو أن هذه الجهود غير متصلة بالهدف الأساسى للدراسة، فإن البحث الطولى قد ينجح أو يفشل على أساس هذه الجهود. بالنسبة للأخلاقيات البحثية بذل أقصى جهد لحماية سرية المعلومات الخاصة بالمبحوثين. فكل المعلومات عن الأفراد كان يتم ترميزها فور الحصول عليها. مما جعل من المستحيل على أى شخص – دون مفتاح الترميز– أن يتعرف على مبحوث معين، وتم حفظ البيانات فى خزائن فى حجرات بها إنذار، وكانت النتائج تصاغ بطريقة لا تسمح بتحديد أفراد معينين.

ما أمثلة بعض نتائج هذا البحث، وكيف قام ماجنوسون بصياغتها؟ سنقدم هنا مجموعتين من النتائج، إحداهما تتصل بالنضج البيولوجى والارتقاء الاجتماعى للبنات. والثانية تتصل بارتقاء المشكلات الاجتماعية لدى الأولاد.

بالنسبة للمجموعة الأولى، اهتم "ماجنوسون" وزملاؤه بالدور الذى تلعبه عملية النضج البيولوجى فى الارتقاء الاجتماعى. وبوجه خاص تمت دراسة تأثير النضج المبكر – فى مقابل– المتأخر، لدى المراهقات البنات. هل يوجد أى تصاحب بين هذه الفروق فى الارتقاء البيولوجى وبين مشكلات سلوكية فى المنزل (مثل ترك المنزل) أو المدرسة (مثل الغياب) أو الاستمتاع بوقت الفراغ (مثل تعاطى المخدرات والكحول)؟ فى عمر "١٥" سنة وجدت فروق فى هذه المشكلات السلوكية، فى اتجاه زيادة المشكلات مع التبكير فى النضج وانخفاضها مع عدم التبكير فى النضج للبنات. فمثلاً فى سن "١٥" سنة، تبين أن "٣٥%" من البنات المبكرات فى النضج فى مقابل "٦ %" من المتأخرات فى النضج، تكرر سكرهن فى مناسبات عديدة، كما أوضحت البنات المبكرات فى النضج صراعًا أكثر مع

الراشدين، وكن أقل اهتمامًا بالمدرسة والمسار المهنى فى المستقبل. وكانت البنات المبكرات فى النضج البيولوجى يركزن على العلاقات الاجتماعية مع الذكور والإناث الأكبر عمرًا بوجه عام.

ورغم أن هذه الفروق كانت جذرية فى عمر "١٥" سنة، فمع نهاية المراهقة وبداية الرشد انخفضت الفروق كثيرًا. ومع ذلك وجدت فى الرشد فروق بسيطة بين المجموعتين من حيث المشكلات السلوكية والعلاقات الاجتماعية. بعبارة أخرى بعض النتائج بعيدة المدى للنضج المبكر أمكن استيعابها، فمثلاً هذه الفتيات تزوجن مبكرًا وأنجبن أطفالاً مبكرًا مقارنة بالفتيات المتأخرات نضجًا. هؤلاء الفروق لا ترجع إلى الفروق فى الذكاء أو الفروق فى الخلفية الاجتماعية.

ولدراسة ارتقاء السلوك المُشكِل لدى الأولاد، قسم "ماجنوسون" وزملاؤه عينة الأولاد (أكثر من ٥٠٠ ولد) إلى جماعات، وفقًا لنمط درجاتهم ومقاييس الشخصية مثل العدوانية، والاضطراب الحركى، وضعف التركيز، وضعف العلاقة بالزملاء. هل الفروق فى نمط الدرجات على هذه المقاييس التى أخذت فى عمر "١٣" سنة ترتبط بالسلوك الاجتماعى المُشكل المتأخر مثل إدمان الكحول والجريمة؟ وقد وُجدت مجموعتان من الأولاد لديهما علاقة ضآلة بالأقران. **الأولى**: ارتبطت بهذه المشكلة فقط، أما المجموعة **الثانية**: فلديها – بالإضافة إلى ضآلة العلاقة مع الأقران– عدوانية ونشاط مفرطان. وبينما لم يُبدِ أولاد المجموعة الأولى سلوكًا مُشكِلاً فى عمر تالٍ، أظهر أولاد المجموعة الثانية بعد ذلك زيادة فى السلوك المُشكِل. فمثلاً بينما أولاد المجموعة الأولى لم يختلف سلوكهم عن الصدفة فيما يتصل بارتقاء سلوكهم نحو الكحول والمشكلات الإجرامية، فإن مستوى الأولاد فى المجموعة الثانية كان أكبر كثيرًا من مستوى الصدفة، وهم الذين تميزوا من قبل بفرط الحركة والعدوانية. أما الأولاد الذين لم تكن لديهم مشكلات فى عمر "١٣"، سنة فكان معدل ارتقاء المشكلات التى تتصل بالكحول والجريمة لديهم أقل كثيرًا مما يتوقع بالصدفة.

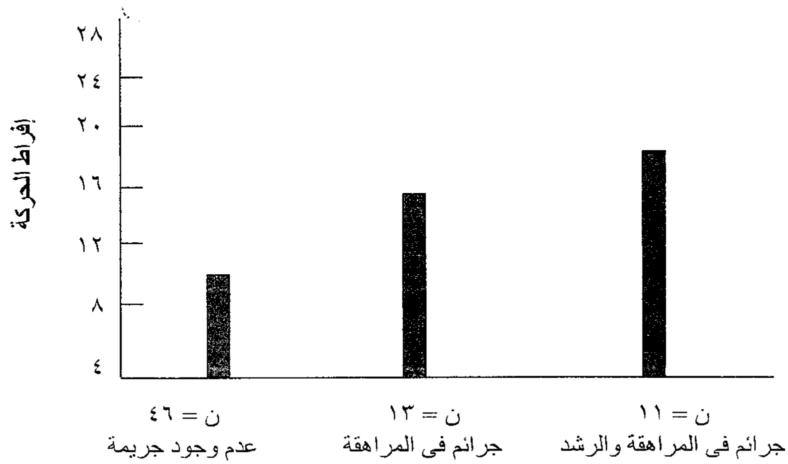
وهنا أيضًا دخل مكوّن بيولوجى فى فهم الارتقاء المتأخر، إذ وجد أن الأولاد الذين تميزوا بنمط مبكر من فرط الحركة، والعدوانية، ووجد لديهم انخفاض فى مستوى إفراز الأدرينالين فى البول. وقد كان هذا مهمًّا لأن إفراز الأدرينالين يرتبط بإدراك الموقف على أنه مثير للمشقة أو التهديد. ويرى علماءُ النفس الأفرادَ الذين ينتجون أدرينالين، أقل استجابية فسيولوجيًّا، ومن ثم أقل إدراكًا للمواقف على أنها مثيرة للمشقة والتهديد. وفى دراسة "ماجنوسون" الطولية وجد أن الأولاد الأقل فى مستوى الأدرينالين فى البول فى عمر "١٣" سنة، كانوا أكثر عرضة لإظهار سلوك إجرامى متكرر أكثر من الأفراد الذين كان لديهم مستوى مرتفع من إفراز الأدرينالين فى البول. ففى المجموعة الأخيرة يفترض أن إدراك الموقف على أنه يحتوى على مشقة وتهديد كان يؤثر كمعوق للاندماج فى نشاط إجرامى، وهى إعاقة لم تكن موجودة لدى من لديهم إفراز منخفض للأدرينالين.

يضاف إلى هذه النتائج أنه تم تكوين ثلاث مجموعات على أساس النمط المتأخر للجريمة. أ- عدم وجود جرائم فى عمر تالٍ. ب- إجرام فى المراهقة فقط (قبل ١٨سنة). ج- إجرام مستمر (من سجلوا جرائم أثناء المراهقة وفى سن الرشد). والسؤال هو: هل أظهرت المجموعات الثلاث فروقًا فى فرط الحركة وإفراز الأدرينالين أثناء المراهقة؟ وقد وجدت فروق واضحة بين المجموعات الثلاث. فعلى أساس فرط الحركة (أى الاضطراب الحركى وصعوبات التركيز) حصلت مجموعة غير المجرمين على أقل الدرجات، بينما حصل المستمرون فى الإجرام على أعلى الدرجات، وكانت درجة المجرمين المراهقين فى موقع متوسط بين الاثنين، وكان المجرمون المستمرون لديهم مستوى منخفض من إفراز الأدرينالين. وبعبارة أخرى كانت العلاقة بين الاستجابة الفسيولوجية المنخفضة وبين السلوك المعادى للمجتمع قائمة فقط بالنسبة للمجرمين المستمرين، وكان الذكور ذوو السلوك الإجرامى المستمر متميزين بأنماط من المراهقة ذات إفراط فى الحركة وانخفاض فى الاستجابة الفسيولوجية (انخفاض إفراز الأدرينالين)، وتميز

الذكور المسجّلون كجانحين أحداثٍ بنمط من المراهقة بدرجة مرتفعة نسبيًّا من الإفراط فى النشاط فقط، أما المراهقون والراشدون من الذين ليس لهم سجل إجرامى فتميزوا بانخفاض إفراط النشاط وارتفاع مستوى الاستجابة (أى ارتفاع إفراز الأدرينالين). (انظر: الشكلين رقمى ٦-١، ٦-٢).

فراط النشاط واضطراب الحركة وضعف التركيز

الدرجات الخام فى عمر "١٠" و"١٣"



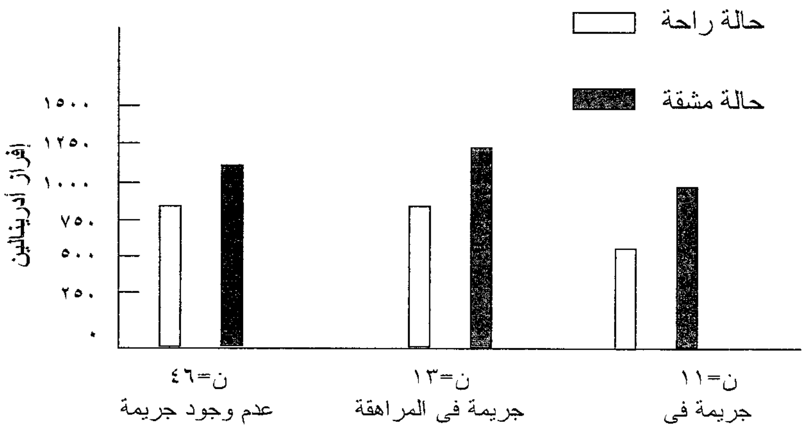
الشكل رقم (٦-١)

إفراط النشاط فى ثلاث عينات من الذكور: عدم وجود جريمة، وجرائم فى المراهقة، وجرائم فى المراهقة والرشد.

وتشير البيانات إلى تَصاحُب بين النشاط الإجرامى، وخاصة استمرار النشاط الإجرامى وإفراط الحركة.

(Source: From " Individual Development: A Longitudinal Perspective, " by D. Magnusson, 1992, *European Journal of personality*, 6, P. 131. Reprinted by permission of John Wily& Sons, Inc.)

إفراز أدرينالين فى مقابل ارتكاب جريمة فى المراهقة والمراهقة + الرشد



الشكل رقم (٦-٢)

إفراز الأدرينالين فى ثلاث مجموعات: عدم ارتكـــاب جريمـــة، ومجموعـــة المـــراهقين، ومجموعة المراهقين مرتكبى الجرائم + الراشدون مرتكبو جرائم مجموعة. وتشير البيانات إلـــى وجود ارتباط بين الاستجابة الفسيولوجية المنخفضة (إفـــراز الأدرينـــالين) واســـتمرار الـــسلوك الإجرامى (فى المراهقة + الرشد).

(Source: From "Individual Development: A Longitudinal Perspective," by D. Magnusson, 1992, *European Journal of personality*, 6, P. 131. Reprinted by permission of John Wily& Sons, Inc).

واستمر هذا المشروع (IDA) من خلال تحليل ما سبق جمعه من بيانـــات، وجمع بيانات جديدة (Bergman, 2000) . وقد تضمن هذا المكون جمع بيانـــات عن نساء من العينة الأصلية، اللائى أصبح عمرهن "٤٥" سنة. وبذل جهد لمزيـــد من فهم المتغيرات التى تحدد ارتقاء كل من عمل المرأة وصحتها وتعليمها.

ومرة أخرى، كان تنويع البيانات التى تم الحصول عليها مثيرًا. فالاستخبار (استخبار الشخصية والرضا عن الحياة)، والمشاهدة (والمقابلة العيادية) والفحوص البيولوجية (الفحص الجسمى وهرمونات المشقة وكثافة العظام). مرة أخرى كان الإطار المرشد فى دراسة ماجنوسون (1999a) فى نموذجه الشامل والتفاعلى للشخصية، حيث تم توجيه مثل الأسئلة التالية: ما التاريخ الطبيعى للاضطراب العقلى الشائع من منظور تاريخ الحياة؟ ما المتغيرات الحاسمة فى ارتقاء الأداء الصحى والتكيفى؟ لاحظ أن هذه المتغيرات قد تكون هى نفسها أو مختلفة عن تلك التى يتضمنها الارتقاء غير الصحى وغير التكيفى. وأخيرًا، ما طبيعة الاستمرار والتغير فى التوافق وفى نوعية الحياة من منظور مدى الحياة؟

إن هذا البحث يثرى إثراء شديدًا فهمنا لمسائل ارتقاء الشخصية موضع الاهتمام. فإذا تصورنا النتائج السابقة وامتدادها، نذكر ثلاث ملاحظات أساسية لخصائص بحث ماجنوسون الطولى، أولاً: رأينا وصفًا تفصيليًّا لما تم فى البحث الطولى. ثانيًا: رأينا تأكيدًا على كل من المتغيرات البيولوجية والمتغيرات النفسية. ثالثًا: رأينا تأكيدًا لأنماط العلاقات أكثر من العلاقات بين متغيرات مفردة والناتج النهائى. والنقطتان الثانية والثالثة ترتبطان بتأكيد "ماجنوسون" (1999a) على المنظور التفاعلى الشامل لارتقاء الفرد. ووفقًا لهذا المنظور توجد المتغيرات البيولوجية والنفسية فى تعارض وتفاعل مثل الفرد والبيئة. وينبغى أن يُفهم الارتقاء من خلال التفاعل مع أنماط المتغيرات داخل الفرد بدلاً من أن يُفهم متغير وحيد بمفرده. وأن نفهم وظائف الفرد على أنها كلٌّ أورجانيزمى وليس مجموعة أجزاء متفرقة.

وقبل أن نتوجه إلى نتائج بحث طولى آخر، ننظر فى التزام ماجنوسون بالبحث الطولى وتعارض هذا النوع من البحوث مع البحث المستعرض. ويوحى ماجنوسون أن البحث الطولى هو وحده الذى يؤدى إلى فهم لأنواع العلاقات بين المتغيرات التى رأيناها فى النتائج التى سبق ذكرها بالنسبة لارتقاء الذكور والإناث.

وهذه ليست كل قصة ما يحدد هذه الأنماط من الارتقاء. لأنه وُجِد دليل على أهمية عوامل بيئة المنزل. ومع ذلك فهو يوحى بأن التغيرات فى العلاقات بين المتغيرات فى مختلف نقاط الزمن ووصف الجماعات الفرعية، يمكن ملاحظتها فقط من خلال الدراسة الطولية:

> إن أى مؤرخ يدعى فهم تاريخ الارتقاء فى أوروبا فى وقت معين، بمجـرد القيام بدراسة مستعرضة بمساعدة معلومات من الصحف اليومية مـن بـلاد مختلفة فى يوم محدد، لا يؤخذ جهده مأخذ الجد، وإنما يكون مبررًا لموضوع قرار. وكذلك عالم الأرصاد الذى يحاول فهم العمليات الطقسية مـن خـلال قياسات مستعرضة للحرارة واتجاه الرياح ونسبة الرطوبة ومختلف جوانـب الطقس فى مواقع مختلفة فى بلد معين فى يوم معين سيلقى نفس الاسـتجابة. ومن المعروف أهمية الدراسات المستعرضة لدراسة بعض الجوانب الضيقة لعملية ارتقاء الفرد. ومع ذلك فكل من تحليل الظـواهر موضـع الاهتمـام والبحوث الواقعية تثبت ضرورة أن يـضاف إلـى الدراسـة المـستعرضة دراسات منظمة وطويلة المدى بدلاً من الاقتصار عليهـا (Magnusson, 1999, p. 135).

البحث الطولى لــ "جاك" و"جين بلوك" Jack and Jeanne Block

سنركز فى هذه الفقرة على الدراسة الطولية التى بدأها جاك وجـين بلـوك. ولنبدأ –مع ذلك–فى النظر فى البحث الطولى الذى قام به جاك بلوك. يروى جـاك بلوك فى كتاب مهم له صدر سنة ١٩٧١ بعنوان "أنماط الحياة خـلال الـزمن"(١)، نتائج بحث أُجرى على مبحوثين فى المدارس الإعدادية والمدارس الثانويـة وفـى عمر الثلاثين، ويعبر بلوك فى هذا الكتاب عن التزامه بالبحث الطولى، كما يلى:

> "يتزايد هذه الأيام الاتجاه نحو استخدام الدراسات الطولية، لتعذر تجنبه وعدم وجود طريقة أخرى يمكن من خلالها الإجابة عن بعض الأسـئلة المتـصلة

---

(١) Lives Through Time

بالارتقاء، وعلاقة السبب والنتيجة. ومع أن الدراسات المستعرضة والارتباطية بل والتجريبية لها إسهام عظيم وموحٍ فى فهم أسس السلوك فإن هذه المناحى كلها لا تستطيع أن تضع فى حسابها الزمن ومسار حياة الفرد ".(P. 3)

رجع بلوك إلى بحث بدأه مبكرًا أعضاء بجامعة كاليفورنيا (بركلى) معهد الارتقاء الإنسانى، ورغم وجود بيانات كثيرة عن المبحوثين وجدت أيضًا مشكلات كثيرة، أهمها: ١) أن كثيرًا من البيانات لم تكن فى صورة يمكن تكميلها. ٢) توجد بيانات مفتقدة لكثير من الأشخاص. ٣) تغير عبر الزمن إجراءات ومناهج الاختبار وطريقة تقديم المشكلات فى صورة تقويم مستمر. ٤) وجد ضعف فى الاتفاق على مركز الاهتمام وفى اللغة المفهومية.

كيف يمكن لهذه البيانات وإن كانت لنفس الأفراد أن تنتظم لأهداف المقارنة من خلال بحث طولى؟ إن ما فعله بلوك هو أنه حدد حكامًا لتقويم كل مبحوث فى كل نقطة زمنية من خلال أسلوب "كيو" فى التصنيف[١]، فمثلاً تمت مقابلة المبحوثين الراشدين مقابلة متعمقة. وعلى أساس هذه المقابلات قام المحكمون بوصف كل شخص عن طريق تصنيف مائة عبارة من مقياس كاليفورنيا لتصنيف سلوك الراشدين[٢] إلى التوزيعات التالية، التى تتراوح بين أكثر العبارات تمييزًا للشخص فى أحد الأطراف، إلى العبارات الأقل تمييزًا للشخص فى الطرف الآخر: ٥، و٨، و١٢، و١٦، و١٨، و١٦، و١٢، و٨، و٥، وهذا التوزيع يمثل التوزيع الاعتدالى للعبارات، وتتضمن العبارات الصفات التالية: يميل إلى النقد، شكاك، ليس سهلاً، انتهازى، كثير الكلام، يبحث عن الاطمئنان من الآخرين.

واستخدام هذا الأسلوب فى التصنيف يعنى أن البيانات عن الأشخاص تختلف وفقًا للمرحلة الزمنية التى يتم فيها البحث (الإعدادى والثانوى والرشد) ويمكن

---

(١) Q Sort Technique

(٢) California Adult Q- Set (C A Q)

استخدام مجموعة مشتركة من الأوصاف. يضاف إلى هذا أنه نظرًا لأن البنود يتم توزيعها بواسطة المقدِّرين على أساس توزيع اعتدالى، فإنه يمكن حساب معاملات الارتباط لتحديد درجة الاتفاق بين التقديرات لمراحل زمنية مختلفة، أى أن تقديرات مرحلة زمنية معينة لا تؤدى إلى تحيز تقديرات مرحلة أخرى. ومن خلال هذه الإجراءات حاول بلوك أن يتغلب على المشكلات المشار إليها آنفًا، وأن يحيط بارتقاء الشخصية عبر الزمن.

ماذا وجد "بلوك"؟ سنعرض هنا عددًا قليلاً من النتائج الرئيسية، **أولاً**: وجد بلوك دليلاً على درجة كبيرة من الاستمرار من خلال الارتباطات الدالة بين تقديرات الشخصية التى تمت فى المراحل الزمنية الثلاث. وكانت الارتباطات مرتفعة بين تقديرات كل من تلاميذ الإعدادى والثانوى أكثر منها بين الثانوى والرشد. ورغم وجود دلالةٍ، كان الارتباط بوجه عام منخفضًا وخاصة عبر مراحل زمنية ممتدة. فمثلاً كان متوسط الارتباط عبر الزمن على مقاييس التوافق النفسى كالتالى: "٠,٥٦" بالنسبة للارتباط بين درجات تلاميذ الإعدادى والثانوى، و"٠,٢٨" بالنسبة للارتباط بين الثانوى والرشد، و"٠,٢٢" بالنسبة للارتباط بين الإعدادى والرشد.

ثانيًا: وجِدت فروق مهمة بين الذكور والإناث فى التغير الكلى وفى المتغيرات التى تدل على الاستمرار. فمثلاً تغيرت درجة الذكور بالمقارنة بالإناث نحو ضيق الاهتمام وقلة الاستجابة للفكاهة بين مرحلتى الثانوى والرشد. ومن ناحية أخرى فإن، خلال هذه المرحلة أصبحت الإناث بالنسبة للذكور أوسع اهتمامًا وأكثر طموحًا وأكثر تعاطفًا. ومن ناحية المستوى العام للخلل النفسى بدت الإناث على أنهن لديهن وقت صعب فى الثانوى، إلا أن مستواهن العام فى الرشد فى التوافق كان مساويًا للذكور.

ثالثًا: وجد تنوع شديد بين المبحوثين فى مقدار الاتساق عبر الزمن. فمثلاً بينما كان التقدير العام للارتباط بين كل مقاييس الشخصية عبر الزمن للذكور فى الإعدادى

والثانوى "٠,٧٧" تراوح مدى الارتباطات للأفراد بين "٠,١"، و"١,٠". وكذلك بينما كان التقدير العام للارتباط عبر الزمن للإناث فى الإعدادى والثانوى ٠,٧٥ تـراوح مـدى الارتباط لديهن كأفراد بين"٠,٢"، و"١,٠". وهكذا فإن ما ينطبق من خصال على العينـة ككل لا ينطبق إلا قليلاً على أى فرد معين.

وباختصار فإن استخدام بلوك لأسلوب كيو (Q) فى التصنيف، للأحكام مـن خلال حكام مستقلين فى ثلاث نقاط زمنية؛ مكّنه من أن يجد دليلاً علـى الاتـساق الشديد، يزيد فى الأزمنة القصيرة أكثر من الأزمنة الطويلة. وكذلك دلـيلاً علـى اختلاف الاتساق لمختلف خصال الشخصية، وبين الذكور والإناث، وبين الأفراد.

يمكننا أن نرجع إلى الدراسة الطولية التى قام بها جاك بلوك وجين بلوك سنة ١٩٦٨ (J. Block, 1993; Block& Block, 1980). ولهذه الدراسـة أهميـة خاصة لتنوع البيانات التى أمكن الحصول عليها، وللاعتراف بأهمية الفروق الفردية فى أنماط الارتقاء، وفى بحث بناءات مهمة للشخـصية. وفيمـا يتـصل بالنقطـة الأخيرة، وجود مدى واسع من متغيرات الشخصية، فإنهما اهتمـا بوجـه خـاص بدراسة ارتقاء بناءين للشخصية اعتقدا أن لهما أهمية مركزية، وهما: التحكم فـى الأنا(١)، ومرونة الأنا(٢).

يشير **التحكم فى الأنا** (EC) إلى خصلة الفرد فى التغيير أو كبح الانـدفاعات والمشاعر والرغبات. وهى ترتبط بقدرة الشخص على تأجيـل الفعـل وكفّـه وأن يتحصن من مشتتات البيئة. ويقع الأفراد على متصل يبدأ من شدة التحكم فى أحـد الأطراف، إلى انخفاض التحكم فى الطرف الآخر. والأشخاص ذوو التحكم الزائـد يُفرِطون فى كبح وكف تعبيراتهم، ويرجئون إرضاء رغباتهم، ويُبدون قدرًا أقل من التعبير عن انفعالاتهم. وعلى العكس من ذلك الأفراد الأقل تحكمًا يعبـرون بـشكل تلقائى ولا يستطيعون تأجيل الإرضاء، ولديهم أنواع كثيرة وقصيرة المدى من أوجه

---

(١) Ego Control
(٢) Ego Resiliency

الحماس والاهتمامات. وكلا الطرفين ينظر إليهما على أنهما أقل تكيفاً ممن يقعـون فى منتصف المتصل.

وتشير **مرونة الأنا** (ER) إلى المدى الذى يستطيع فيه الفرد تغيير مستوى تحكمه فى الأنا لمواجهة متطلبات الموقف. بعبارة أخرى الشخص الذى يتسم بمرونة الأنا يثبت مرونة وتكيفية لمواجهة ظروف الحياة المتغيرة، كما أنه يستطيع أن يخطط وأن ينظم نفسه فى أوقات معينة، وأن يكون تلقائيًّا ومندفعًا فى أوقات أخرى. ويتراوح الأفراد على متصل من عدم المرونة إلى المرونة، بالتعبير عن درجات متزايدة من الأداء التكيفى.

ويرتبط مفهوم مرونة الأنا بمفاهيم أخرى مثل قوة الأنا، والاستقرار الانفعالى والدرجة المرتفعة من كفاءة الذات[١] (Klohnen, 1996) . وقد بدأ الباحثان بحثهما لهاتين الخصلتين بالإضافة إلى خصال أخرى للشخصية، وذلك بدراسة ١٢٨ طفلاً من مدرستين للحضانة فى منطقة بركلى بكاليفورنيا. وتم اختيار العينة بحيث تكون متنوعة من حيث دخل الوالدين وتعليمهما والأصل العنصرى (٦٥% بيض، و٢٧% سود، و٦ % آسيويون، و٢% من أبوين مكسيكيين). وتم إجراء تقديرات شاملة للأطفال فى أعمار "٣ و٤ و٥ و٧ و١١ و١٤ و١٨ و٢٣ سنة". وفى عمر "٢٣ سنة" وجد أن "١٠٤" من العينة الأصلية "١٢٨" هم الذين تم تقديرهم. وهذه تعد نسبة تناقص ضئيلة خلال مدة البحث. وخلال مرات التقدير الثَّمان، تم الحصول على مدى متنوع من البيانات عن كل مبحوث: بيانات عن تاريخ الحياة، وتقديرات من المعلمين، والوالدين وبعض مَنْ يلاحظهم من المعارف. بالإضافة إلى بيانات من اختبارات مقننة وبيانات من خلال التقدير الذاتى، وبذل جهد لتقدير خصال الشخصية من خلال عدة مقاييس ضماناً لاستقلالية البيانات وإمكان تعميمها. وعندما كان هناك حاجة لتقويم شامل كان يتم إجراء تقدير "كيو" (Q)، فمثلاً فى

(١) Self Efficacy

عمر "٣" سنوات تم وصف كل طفل باستخدام مقياس كاليفورنيا لتقدير سلوك الأطفال[١] بمعرفة ثلاثة من معلمى الحضانة المدربين، وفى عمر "١٤" سنة قام أربعة باحثين نفسيين بوصف كل مبحوث بمقياس كاليفورنيا لتقدير سلوك الراشدين، وفى كل عمر كانت الأوصاف التى يتم الحصول عليها بأسلوب "كيو" (Q) للتقدير لكل مبحوث تدمج لتكوين درجة مركبة فى محاولة لاستبعاد الطابع الذاتى فى المشاهدة والحكم. وكما فى دراسة بلوك الأولى كان المقدرون فى كل عمر مختلفين تمامًا للاحتفاظ باستقلال كل مجموعة بيانات. باختصار تم جمع بيانات مختلفة بواسطة مقاييس متعددة تقيس مفاهيم كثيرة.

ورغم استمرار جمع البيانات وتحليلها، فما الذى تم إعداد تقرير له؟ لنبدأ بمفهوم التحكم فى الأنا، ما هو مسار الارتقاء عبر الزمن؟ من الواضح وجود تغير عبر الزمن، توجد زيادة فى ارتقاء التحكم فى الأنا ومرونة الأنا. وهذه التغيرات فى الدرجات المطلقة أمر متوقع، فما هو نوع التغير النسبى فى الدرجات؟ هل يحتفظ الأفراد عبر الزمن بوضعهم النسبى على التحكم فى الأنا ومرونة الأنا؟ بالنسبة للتحكم فى الأنا، يوجد دليل يوحى أنه من عمر مبكر، فإن الفروق الفردية فى مستوى التحكم فى الأنا يمكن تحديدها، ويستمر تميز الأشخاص على الأقل حتى عشرين سنة تالية. وتوضح دراسات أخرى أن إمكان التمييز يستمر بعد هذه السن (J. Block, 1993, P. 43). وهذا صحيح بالنسبة لكل من الذكور والإناث. وكان متوسط الارتباط بين مرحلتين زمنيتين "٠,٤٨" مع ارتباطات بين أزواج للمراحل الزمنية تتراوح بين" ٠,٢٢"، و"٠,٣٠" (بين عمر "٣" و"١٨" سنة إناث)، ودرجة مرتفعة تصل إلى "٠,٨٢" درجة (بين عمر "٣" و"٤" ذكور). وبعيدًا عن الاتساق عبر الزمن، ارتبطت درجة التحكم فى الأنا فى سن"٣" مع سلوك الأقران فى عمر"٧" سنوات. فالأطفال المنخفضون فى التحكم فى الأنا فى العمر المبكر وجد

---

(١) California Child Q- Set

أنهم أكثر عدوانية وتوكيدية وأقل إذعانًا، وأقل كفًا فى عمر"٧" سنوات مقارنة بالأطفال ذوى الدرجة المرتفعة فى التحكم فى الأنا فى عمر"٧" سنوات، ومن كانوا منخفضين فى التحكم فى الأنا فى عمر"٣" سنوات مالوا إلى أن يكونوا عدوانيين ويضايقون زملاءهم ويتلاعبون بهم فى سن"٧" (J.H . Block & Block, 1980; D. M. Buss, Block & Block, 1980).

وفى دراسة للمراهقة أُثبتَ أن لدى أبناء "١٤" سنة ممن قُدروا بأنهم مرتفعون فى التحكم فى الأنا، قدرة مرتفعة على تأجيل الإغراء فى موقف تجريبى، ووصفوا بأنهم يتحملون المسئولية ومنتجين ومتسقين أخلاقيًّا (Funder & Block, 1989).

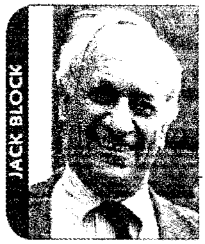
وقد أدى عمل بلوك وزوجته حول التحكم فى الأنا الذى تضمن منحنًى بُعديًّا للفروق الفردية (أى امتداد الدرجات على متصل) إلى تنميط الأفراد إلى منخفض التحكم ومرتفع التحكم ومرن (Robins, John, Caspi, Moffits & Stauthamer--Loebor, 1996). وتم الحصول على نوع نسبى من التنميط قائم على أساس بيانات خاصة بالمزاج، تم الحصول عليها من أطفال فى عمر "٣" سنوات، مما ترتب عليه تصنيف الأطفال إلى خمسة أنماط: جيد التوافق (أى أطفال يستطيعون التحكم فى الأنا) وأقل تحكمًا (أى أطفال مندفعون) ويتسمون بالقلق، والعناد، والقابلية للتشتت. وأطفال لديهم كف (أى منسحبون اجتماعيًّا، وخائفون، ويسهل انزعاجهم بشدة من الغرباء)، وأطفال واثقون فى أنفسهم (أى أطفال متحمسون، ويميلون إلى الاستكشاف مع بعض الاندفاع، لكنهم لا يتسمون بعدم المثابرة ولا بالعناد). وأطفال محافظون[1] (أى أطفال خجولون، ولكنهم ليسوا بدرجة نمط الكف) (Caspi & Silva, 1995) .

---

(١) Reserved

أضواء على باحث: جاك بلوك

دراسة الشخصية على مدى طويل



اهتمامى بارتقاء الشخصية، كان نتيجة طبيعية لاهتمامى السابق بكل من ضبط الأنا ومرونة الأنا. وهما مفهومان أسستهما مع زوجتى الراحلة "جين" كطريقة لإحداث تكامل لتصور اتساق الشخصية. إذ كان هذان المفهومان حاسمين نظريًّا، فقد أصبح من المهم دراسة جذورهما ومسارهما الارتقائى. وفى هذا النوع من البحوث لا يصلح إلا البحث الطولى، أى دراسة نفس الأفراد عبر الزمن، من سنوات عمرهم المبكرة فصاعدًا والمنهج الطولى متفرد فى ملاءمته لدراسة ارتقاء الشخصية.

وقد كان كتابى "حيوات عبر الزمن" Lives through time قائمًا على المعلومات الطولية التى يجمعها آخرون، وكان أول جهد لتمييز استمرار الشخصية وبعض العوامل السابقة التى تؤثر فيها، إلا أن دراساتنا التالية بدأت سنة ١٩٦٩ وهى مستمرة وتمت لـ ١٢٨ طفلاً من عمر "٣" سنوات والآن تجاوزوا سن الثلاثين، وكان جهدنا مركزًا على فهم لماذا يتغير الأفراد؟ وقد أثبت بحثُنا بطرقٍ متعددةٍ الاتساقَ الأساسى لملامح الشخصية وتضمينات البناء المبكر للشخصية على البناء المتأخر لها. وقد أنكر كثير من علماء النفس هذا الاتساق، وكمثال لاتساق ارتقاء الشخصية وجدنا فروقًا ثابتة ومهمة بين الجنسين فيما يتصل بارتقاء مفهوم الأنا، وبعض جوانب أخرى للشخصية.

فتعاطى المخدرات فى نهاية المراهقة يمكن التنبؤ به من خلال سمات

الشخصية التى يمكن مشاهدتها فى عمر "٣" سنوات، كما أن الميول الاكتئابية فـى بداية الرشد يمكن التنبؤ بها باستعدادات قابلة للتحديد فى مدرسة الحـضانة. وقـد أمكن الحصول على نتائج أخرى كحصاد لجهد بدأته منذ سنوات عديدة. وقد أمكن لهذه الدراسة الطولية أن تتعمق وتصل إلى نتائج مهمة عـن الخـصال المبكـرة للشخصية التى ترتبط بالجوانب السلوكية المَرَضية فى عمر تالٍ.

ويذكر كاسبى (Caspi, 2000) وجود علاقة دالة بين الارتقاء المبكر لنموذج المزاج والارتقاء المتأخر للشخصية، إلى درجة أدت إلى أنه استنتج أن: الطفل هو أب للرجل. والفروق التى تظهر فى المزاج لها أثر مستمر عبر الارتقاء على مدى الحياة وتُقدم مفاتيح لبناء الشخصية والعلاقات مع الآخـرين والأمـراض النفـسية والجريمة فى الرشد (P.158) . ومن أمثلة العلاقات، أن منخفِضى التحكم فى الأنا كانوا يظهرون بعد ذلك مشكلات فى التعاون، وكانوا منخفـضين فـى الـضغوط ومرتفعين فى المشاعر السلبية، وكانوا أكثـر تورطًـا – مقارنـة بـالمجموعتين الآخريين– فى علاقات صراع فى المنزل والمدرسة والعمل. كما وجد أن الأطفال الذين يتسمون بالكف يتسمون فيما بعد بالاكتئاب، وأقل اندماجًا فى العلاقات التـى تتطلب استمرارًا والتزامًا مقارنة بالمجموعة حسنة التوافق. وتوحى هذه البيانات أن الخصال التى ترتبط بتطرف التحكم فى الأنا –إما بمعنى زيـادة الـضبط أو قلـة الضبط–كانت ترتبط بجوانب سلبية مستمرة لارتقاء الشخصية. أما بالنسبة لمرونـة الأنا، فقد كانت النتائج مختلفة لدى الذكور عنها لدى الإناث. فلدى الذكور وجد دليل على استمرار الفروق الفردية فى مرونة الأنا على مدى عشرين سنة. وكان متوسط ارتباط العمر بمرونة الأنا للذكور "٠,٤٣" بدرجات تتراوح بين درجـة منخفـضة "٠,٢٢" (بين عمر "٣"، و"٢٣ ") إلى درجة مرتفعة تصل إلى "٠,٦٥" (بين عمـر "٣" و"٤"، وعمر "١١" و"١٤"). ومع ذلك فبالنسبة للبنات فلا توجـد علاقـة بـين درجات مرونة الأنا أثناء الطفولة ودرجة مرونة الأنا فى المراهقة والرشد. فبالنسبة للإناث كان متوسط معامل الارتباط بين الأعمار هـو "٠,٢١" بمـدى يمتـد مـن

الارتباط السلبى" –٠,٢٨" بين عمر "٤" و"١٤" إلى درجة مرتفعة = ٠,٦٨ بين عمر"٣" و"٤". وبالنسبة للبنات، فإن درجات مرونة الأنا أثناء السنوات المبكرة وبين الأعمار" ١٤" و"٢٣" كان الارتباط معقولاً. ومع ذلك فقد حدث انقطاع لهذه العلاقة بين عمر "١١" وعمر "١٤" أى أثناء مرحلة البلوغ.

ورغم أن مقياس "بلوك" لمرونة الأنا كان يعتمد على مقياس كاليفورنيا لتقدير "كيو Q" فبعد ذلك تم تكوين مقياس يعتمد على التقرير الذاتى (Klohmen,1996). ومن خلال التحليل العاملى للاستجابات على استخبار الشخصية لكاليفورنيا تبين أن البنود التى يعتقد أنها ترتبط بمرونة الأنا كانت ترتبط بأربعة مكونات من هذه الخصال للشخصية. وأمكن تحديدها كالتالى: المرونة، والإنتاجية، والنشاط المستقل (أى المبادأة والمثابرة) والدفء، والاستبصار فى العلاقات الشخصية، والمهارات الاجتماعية. وقد تم عرض أمثلة من بنود كل من استخبار التقدير بطريقة "كيو Q" واستخبار كاليفورنيا للشخصية (CPI) فى الجدول رقم (٦–٣). وارتبطت درجات هذه المكونات الأربعة مع الأداء الفعّال والنشط والاندماج الهادف مع العالم. وأوضح المزيد من البحث حول تكوين الهوية لدى الإناث أن مرونة الأنا كما تقاس فى عمر "٢١"، تتنبأ بهذه الجوانب للهوية الإيجابية مندمجة فى عمر "٢٧" كما يختارها شريك يستجيب بطريقة إيجابية للأنا ومؤكدة للهوية، وتنظر إلى الزواج داخل سياق تكوين الهوية الكلى. وعلى العكس من ذلك كانت النساء المنخفضات على مرونة الأنا فى سن "٢١" يخترن ما يؤكد نظرة سلبيةً عن الأنا وينظرن إلى الزواج كجزء من الهوية المختلطة (Dal, 1999; 2001) .

ما المتغيرات الأخرى التى درسها بلوك؟ ذكر بلوك الملاحظات التالية (Block, :1993)

١– وجد أن الذكور والإناث يختلفون فى مسار درجات مرونة الأنا أثناء مسار المراهقة. فالذكور كان يزيد لديهم تقدير الأنا، بينما كان تقدير الأنا يقل لدى

الإناث أثناء هذا الوقت، وهذا يشبه النتائج التى ذكرها ماجنوسون فى دراسته السويدية.

٢-تميز الأولاد الذين عانوا من طلاق والديهم - مقارنة بمن ظل والداهم متزوجين- بأنهم كانوا أقل ضبطًا لاندفاعاتهم وبأنهم مزعجون. ولم تكن هذه المشكلات السلوكية نتيجة للطلاق، لأنه تبين أنها موجودة قبل الطلاق. والواقع أن الشقاق الأسرى الذى يميز غالبًا المرحلة التى تسبق الانفصال يكون له نتائج خطيرة على الأطفال (Block, 1993, P. 29).

٣- البواكير السابقة للاكتئاب، تميز بين الذكور والإناث. فالأولاد الذين يكتئبون فى عمر "١٨" سنة يميلون لأن يكونوا غير قابلين للتنشئة السليمة وعدوانيين، وأقل تحكمًا كأطفال. ومن ناحية أخرى فإن البنات اللائى أصبن باكتئاب فى عمر "١٨" سنة يملن إلى عقاب أنفسهن، وأن يكن أكثر قابلية للتشكل الاجتماعى، ولديهن تحكم ذاتى شديد كأطفال (Block, Gjerde & Block, 1991).

الجدول رقم (٦-٣)

بنود توضيحية لأربعة مجالات من مرونة الأنا

المجال	البنود التوضيحية
التفاؤل	لديه توازن وحضور اجتماعى (CAQ). حياتى اليومية مليئة بأشياء تجعلنى أواصل الاهتمام. يبدو أنه لا أمل فى المستقبل (خطأ) (CPI).
منتج وله نشاط مستقل	منتج: يقوم بعمل الأشياء (CAQ). أحيانًا لا أستطيع أن أجعل الأشياء تسير (خطأ). أميل إلى أن أتخلى عن العمل بسهولة عندما أواجه مشكلات صعبة (خطأ) (CPI).
الدفء فى العلاقات الاجتماعية	يتسم بالدفء، والحنان؛ لديه استبصار بدوافعه وسلوكه(CAQ). أعترف أن مزاجى يتعكر فور غضبى؛ الشخص القوى لا يظهر انفعالاته ومشاعره (خطأ) (CPI).

المهارات الاجتماعية	ماهر فى الأساليب الاجتماعية (CAQ). من الصعب جدًا علىّ أن أخبر أى شخص بشىء عن نفسى (خطأ)؛ عندما أوجد بين مجموعة أشخاص تضطرب أفكارى حول الشىء الملائم الذى أتحدث عنه (خطأ) (CPI).

(CAQ= California Adult Q-Set; CPI= California Psychological Inventory. Source. Klohnen, E.C. (1996). Conceptual analysis and measurement of the construct of ego–resiliency. *Journal of personality and social psychology*, (70, 1067-1079).

وكما لاحظنا، فإن عملية جمع البيانات وتحليلها فى هذه الدراسة مستمرة. ومع ذلك فبالنسبة لما تم وصفه نستطيع أن نرى تنوعًا فى النتائج قائمًا على بيانات شديدة التعدد، مع أهمية وضع الفروق بيم الجنسين فى الحسبان فى ارتقاء مسار مختلف العلاقات والقيمة الممكنة لمفهوم التحكم فى الأنا ومرونة الأنا، بالإضافة إلى أن منهج التقدير المستخدم يبدو أنه يقدم إضافات كبيرة لربط الملاحظات القائمة على أنواع مختلفة من البيانات مستمدة من مراحل مختلفة للارتقاء (Ozer, 1993)

مشروع مينوسوتا للعلاقة بين الوالدين والطفل

فى هذا الوصف الثالث والأخير لمشروعٍ ارتقائى، نضع فى حسابنا مسألة الاستمرار فى الارتقاء من الوليد حتى المراهق (Sroufe, Carlson & Shulman, 1993) . ويتم عرض هذا المشروع لأنه يبدأ من نقطة مبكرة من الوقت من مرحلة الرضاعة، وهو يركز على ارتقاء مفهوم تزداد أهميته والاهتمام به وهو مفهوم **نظرية التعلق** وهو تأسس على الجهد النظرى لعالم النفس التحليلى البريطانى جون بولبى (Jhon Bolbey, 1991; Bretherton, 1992; Slade & Aber, 1992) .

وقد تدرب بولبى كمحلل نفسى، وكان مهتمًا بآثار الانفصال المبكر عن الوالدين فى ارتقاء الشخصية. وكان هذا الانفصال يمثل مشكلة كبيرة فى بريطانيا

خلال الحرب العالمية الثانية، عندما أُرسل كثير من الأطفال إلى الريف بعيدًا عن الوالدين؛ ليكونوا فى مأمن من قنابل العدو على المدن. وبدأ بولبى بعد الحرب فى بحثين حول تأثير الانفصال عن الوالدين بين عمر سنة و"٤" سنوات لأسباب صحية. أما المشروع الآخر فقد تضمن دراسة الأطفال الذين تعرضوا للانفصال عن الوالدين، ودخلوا مؤسسات لأسباب صحية. وقد تأثر بولبى فى عمله النظرى بمجالين من مجالات البيولوجى: الإثولوجى[١] أو علم سلوك الحيوان الذى يركز على دراسة الحيوانات فى بيئتها الطبيعية، ونظرية الأنساق العامة[٢] التى تركز على المبادئ العامة للعمليات فى كل الأنساق البيولوجية. فمن ناحية علم سلوك الحيوان كان بولبى معجبًا بوصف لورنز لظاهرة التطبيع التى سبق الإشارة إليها عند الحديث عن الفترات الحرجة. وقد ارتبطت كثير مشاهدات بولبى بوصف لورنز لما يحدثه الانفصال من مشقة وسعى إلى اقتراب الطيور التى تطبعت على الأم، والرابطة القوية التى لم تكن قائمة على جاذبية صوتية.

وقد أدت كل من المشاهدات العيادية والقراءات الإثولوجية ببولبى إلى صياغة نظرية عن ارتقاء *أنساق سلوك التعلق*. ووفقًا لهذه النظرية يمر الطفل الوليد عبر سلسلة من هذه المراحل لارتقاء التعلق بشخص كبير يرعاه وهو غالبًا الأم, واستخدام هذا التعلق كقاعدة للأمان للاستكشاف والانفصال، ونُظر إلى أنساق سلوك التعلق على أنها شيء مبرمج داخل الطفل، جزء من تراثنا التطورى له قيمة تكيفية ونُظر إليه عبر الأنواع وعبر الثقافات الإنسانية (Simpson, 1999; Suomi, 1999; Van Zendoom and Sagi, 1999).

وهكذا، فإن سلوكيات التعلق مثل الصراخ والهديل[٣] والثُغاء[٤] والابتسام والمص، كلها تخدم وظيفة الإبقاء على صلة وثيقة بالأم، وفى نفس الوقت عندما

Ethology (١)
General Systems Theory (٢)
Cooing (٣)
Babbling (٤)

يبدأ الطفل فى الدهشة واستكشاف البيئة، وخاصة حوالى نهاية السنة الأولى. وتزود علاقة التعلق الطفل أساس للاستكشاف، وهنا يشعر الطفل أنه يستكشف، لكنه يشعر أيضًا أنه آمن ويمكنه أن يعود إلى الاقتراب من الأم إن كان فى حاجة إلى الراحة.

وعند ارتقاء جانب آخر من النسق السلوكى للتعلق، يطوِّر الطفل نماذج داخلية عاملة(١)، أو تصورًا ذهنيًّا، (أو صورًا) ترتبط بالوجدان، نحو نفسه ونحو من يرعونه رعاية أولية. وهذه **النماذج العاملة الداخلية** التى تقوم على الخبرة التفاعلية، تزود الطفل بأساس لارتقاء توقعات العلاقات فى المستقبل. ومن هذه الناحية، أى من حيث تأكيد أهمية العلاقات الانفعالية الأولى لعلاقات المستقبل، تشبه نظرية التعلق نظريةَ العلاقات بالموضوع فى التحليل النفسى. وهو ارتقاء مستمد من نظرية التحليل النفسى يؤكد كيف تؤثر الخبرات الأولى فى الطرق التى يدرك بها الأفراد أنفسهم، ويرتبطون على أساسها بالآخرين.

وقد حدثت نقطة تحول فى البحث الواقعى لهذا الموضوع، عندما نشأ **إجراء الموقف الغريب**(٢) بواسطة "أينسورث Ainsworth. وفى هذا الإجراء كان يوضع طفل عمره حوالى سنة فى موقف غير مألوف مع شخص غريب، فى حضور وفى غياب القائم برعايته (الأم عادة)، وكان يسمح للطفل بأن يلعب بألعاب موجودة حوله، وفى وقت محدد كانت الأم تترك الغرفة ثم تعود بعد ذلك لتلحق بالطفل. وفى أوقات مختلفة كان الشخص الغريب يتم تقديمه والطفل وحده أحيانًا قبل رجوع الأم إلى الحجرة، وكان يلاحظ سلوك الطفل فيما يتصل بالأم فى ظل موقف الظروف غير المألوفة، فى حضور وفى غياب الشخص الغريب، وفى ظل الانفصال ورجوع الأم.

وقد تم تصنيف الأطفال إلى ثلاث فئات وفقًا لنظام وضع درجات على مشاهدات سلوك الأطفال أثناء موقف الغريب: ١) أطفال قلقون ومتجنبون، ٢)

Internal Working Models (١)
The Strange Situation Procedure (٢)

أطفال متعلقون تعلقًا آمنًا، ٣) أطفال قلقون ومقاومون. وباختصار، كان الأطفال القلقون المتجنبون (حوالى ٢٠% من الأطفال) على استعداد لاستكشاف البيئة، وسجلوا احتجاجًا ضئيلاً للانفصال عن الأم، وكانوا متقبلين نسبيًّا للغريب حتى فى غياب الأم. وعندما عادت الأم أبدى هؤلاء الأطفال سلوك التجنب من خلال الالتفات والنظر والتحرك بعيدًا. وعلى العكس، فإن الأطفال الذين أبدوا سلوك التعلق الآمن (٧٠% من العينة) أظهروا استعدادًا للاستكشاف، ولتقبل الغريب فى حضور الأم. ولكنهم كانوا أكثر حساسية لمغادرة الأم (أى كانوا يبكون أو يبحثون عنها)، وعندما كانت الأم تعود كانوا يظهرون سلوك الفرح (أى الابتسام ويبادرون بالتفاعل). وقد استراح هؤلاء الأطفال بعودة الأم، وعادوا إلى الاستكشاف واللعب بمجرد عودتها. وأخيرًا مجموعة الأطفال القلقين المقاومين الذين لديهم صعوبة فى التفاعل مع الأم عند عودتها، وعند عودة الأم فإن هؤلاء الأطفال يختلط تصرفهم بين طلب الالتقاط والتلوى والإلحاح أن يُتْرك ولا يُحْمل.

ومع التسلح بالنظرية والألفة بتصنيف أنماط تعلُق الطفل، نستطيع أن نرجع إلى النظر فى مشروع مينوسوتا للعلاقة بين الوالد والطفل. ويركز هذا المشروع القائم أساسًا على عمل "بولبى" و"أينسورث" على نظام رعاية الرضع على أنه لب تكوين الشخصية (Sroufe, et al, 1993, Sroufe, Duggal, Weinfield & Carlson, 2000). ويفترض أن الفروق الفردية التى توجد فى مرحلة ارتقائية مبكرة ترتبط بالفروق الفردية التى تشاهد مؤخرًا فى ارتقاء الشخصية. وخاصة من ناحية تكوين العلاقات الاجتماعية. بدأ هذا المشروع فى العام الأكاديمى ١٩٧٥/١٩٧٤ بتجميع "٢٦٧" سيدة، خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل. وقد تمت رؤية الأطفال والقائم برعايتهم فى سياقات مختلفة سبع مرات فى السنة الأولى ومرتين خلال السنوات الثلاث التالية، ومرة فى السنوات حتى عمر "١٣" سنة، وتم الحصول على معلومات عديدة (تتصل بالمزاج والذكاء والتفاعل بين الطفل ووالده

أو والدته والعلاقات بالأقران)، وتم إجراء مشاهدات فى المنزل والمعمل والمدرسة. وبعد سن "١٣" سنة استمر حوالى ثلثى العينة الأصلية فى الدراسة.

هل الفروق الفردية فى التعلق فى الحضانة، كما تقاس بموقف الشخص الغريب، ترتبط فيما بعد بالفروق فى السلوك الاجتماعى والانفعالى؟ تشير نتائج هذا المشروع ونتائج دراسات أخرى إلى وجود هذا الارتباط أى أن الأطفال الذين يشعرون بنوع من التعلق الآمن قُدِّروا من خلال معلمى دار الحضانة ومشاهدين مستقلين على أنهم أقل اعتمادًا مقارنة بكل من الأطفال القلقين أو المقاومين. يضاف إلى هذا أن الأطفال الذين يشعرون بتعلق آمن أظهروا درجة أكبر من مرونة الأنا مقارنة بالمجموعتين الأخريين، وقد استمر وجود هذا الارتباط بين نمط تعلق الطفل وسلوك مرونة الأنا عبر الطفولة المتوسطة.

وكما هو مفترض وجِدت أيضًا علاقات بين أنماط تعلق الرضيع والعلاقات مع الأقران. ومن ناحية سلوك ما قبل المدرسة كان الأطفال ذوو التعلق الآمن يشتركون فى المشاركة النشطة فى جماعة الأقران، وكانوا أكثر إيجابية فى التفاعل مع الأقران، مقارنة بالمجموعتين الأخريين. ووجِدت هذه العلاقة سواء تم تقدير نوع العلاقة بالأقران من خلال مشاهدين مستقلين أو معلمين أو تقدير الأطفال بعضهم البعض. وقد أثبت هؤلاء الأطفال تميزهم بالتعاطف والتعامل بسهولة أكثر مع الرفض مقارنة بالمجموعتين الأخريين. وأخيرًا، وجدت فروق فى نوع سلوك أعضاء كل جماعة كما يستثار من المعلمين، وكان يستثار سلوك دافئ من المعلمين لدى الأطفال ذوى التعلق الآمن. بينما أبدى الأطفال ذوو نمط المقاومة فى التعلق سلوكَ تعاطفٍ ورعايةٍ غير مناسب. وأبدى الأطفال ذوو نمط السلوك التجنبى المبكر تحكمًا وسلوك غضب عابر. مما يوحى بأن الأطفال يخلقون بيئاتهم على أساس تاريخ خبراتهم (Sroufe, et al, 1993, P. 325).

هل هذه الأنماط من السلوك استمرت عبر الطفولة المبكرة والمتوسطة (عمر ١٠-١١)؟ تُتَوقع صعوبة استمرار العلاقة بين تعلق الرضيع والسلوك المتأخر

بسبب تغيرات فى طريقة التعبير عن الحاجات والمخاوف، وبسبب تأثيرات وسيطة مع استمرار الوقت. ووفقًا للنظرية يؤثر التعلق المبكر والنماذج العاملــة الداخليــة تأثيرًا قويًّا على الارتقاء المتأخر، لكنه لا ينظر إليه على أنه غير قابل للتغير.

الجدول رقم (٦-٤)

الارتباطات بين التعلق فى سن سنتان،

وتقديرات معسكر صيفى فى الطفولة الوسطى

وتوضح البيانات أن أنماط التعلق المتحققة فى المرحلة المبكرة مــن العمــر (سنتين) ترتبط بخصال الشخصية فيما بعد.

المتغير	ر	الدلالة
الصحة الانفعالية	٠,٣٥	٠,٠١١
الثقة فى النفس	٠,٣٤	٠,٠١٢
التنافس الاجتماعى	٠,٣٦	٠,٠٠٧
المهارات الاجتماعية	٠,٣٣	٠,٠١٣
مرونة الأنا	٠,٣٢	٠,٠١٩

ملحوظة: يتراوح عدد المبحوثين بين ٤٤ و٤٧ .

(Source: "Individual in relationships: Development from Infancy," by L.A. Sroufe. E. Carlson, and S. Shulman, 1993, in *Studying Lives Through Time* (P. 330), edited by D.C. Funder, R.D. Parke, C. Tomlinson-Keasay, and Widaman. Washington, DC: American Psychological Association.)

ومع ذلك وجِد دليل على هذه العلاقات. فمثلاً بالنسبة لأعــضاء الجمــاعتين الأخريين، فإن من صُنفوا مبكرًا على أنهم متعلقين تعلقًا آمنًا، أبدوا درجة أكبر من الثقة بالنفس وتقدير الأنا مع تحديد أهداف مرتفعة، ومثابرة أكبر فى متابعــة هــذه الأهداف، وكانوا أقل اعتمادًا ويقضون وقتًا أكثر فى أنــشطة الجماعــة ويكوّنــون علاقات صداقة أوثق (الجدول: رقم ٦-٤).

ووجدت بيانات أولية تتصل بالتكيف أثناء سنوات المراهقة (عمر ١٤-١٥)، وهنا أيضًا فإن التقديرات للصحة الانفعالية وتقدير الأنا ومرونة الأنا والتنافس مع الأقران كانت مرتفعة عند من لديهم تاريخ للتعلق الآمن. باختصار، فقد أوضحت التقديرات فى نقاط زمنية تمتد عبر مدة ١٤ سنة، وجود علاقة بين أنماط مبكرة من التعلق والارتقاء الاجتماعى والانفعالى المتأخر. وتوحى النتائج بوجود اتساق مع ارتقاء الشخصية حيث يحدث خلاله تغير، إلا أنه يمكن رؤية الاستمرار بين أنماط الرضيع والأنماط المتأخرة للسلوك. أى أن التكيف السابق والتاريخ المبكر لا يختفى مع التغير. إذ يمكن تنشيط الأنماط المبكرة، كما أن التاريخ المبكر يضاف إلى الظروف الحالية فى التنبؤ بالتكيف الحالى (Sroufe, et al, 1993, P. 317).

ويفترض حدوث هذا الاستمرار بسبب ارتقاء أنماط تفاعل الإبقاء على الأنا للشخصية أكثر منه بسبب أى إقامة دائمة لبناء الشخصية. وعلى هذا فإنه يفترض وجود الاستمرار بسبب ارتقاء أنماط التفاعل بين الفرد والبيئة أكثر منها بسبب ارتقاء بناءات ثابتة أو عمليات لبيئة ثابتة. وتركت فرصة لحدوث تغير لعلاقات الخبرات القوية التى تختلف عن الخبرات المبكرة. وبمعنى آخر، يوجد ميل لتأكيد النماذج العاملة الداخلية، إلا أن علاقات جديدة قوية قد تؤدى إلى ارتقاء نماذج عاملة داخلية جديدة، أى أن أنماط التعلق المبكر تهيئ المرحلة للشخصية فى صورتها المتأخرة ولا تثبتها تثبيتًا مطلقًا. وهذا الارتقاء المتأخر للشخصية يكون دائمًا نتيجة المزج بين عوامل المخاطرة والحماية التى تؤثر فى حياة الفرد عبر الزمن (Sroufe, et al , 2000, P. 87).

ويوحى عدد من الدراسات بوجود علاقة بين أنماط التعلق المبكر وأنماط العلاقات الودية (الرومانسية) فى الرشد (Bartholomew& Horowitz, 1991; Collins & read, 1990; Feenesy & Noler , 1990; Hazan & Shaver, 1987, 1997; Simpson, 1990). فمثلاً وجد ارتباط بين أساليب التعلق الآمن وبين خبرة علاقة السعادة والصداقة والثقة، كما ارتبطت أساليب التجنب بالمخاوف

من العلاقة الوثيقة والمشاعر التى تتراوح بين البهجة والغم والغيرة والأساليب القلقة، والتناقض الوجدانى(١) مصحوبة بانشغال وسواسى بالشخص المحبوب، مع رغبة فى الاتحاد وجاذبية جنسية مفرطة وتطرف انفعالى، وغيرة. كما ذكر وجود علاقة بين أسلوب التعلق واستراتيجيات المواجهة(٢).

وفى دراسة لاستجابات الإسرائيليين لهجمات القذف العراقى أثناء حرب الخليج الأولى سنة ١٩٩١، وجد أن الأشخاص ذوى التعلق الآمن شعروا بدرجة أقل من الكرب والسعى إلى مزيد من المساندة الاجتماعية أكثر من المجموعتين الأخريين. فيشعر الأشخاص الذين اتسموا بالتجنب بمزيد من الصعوبات الجسمية والعداء والتجنب. بينما شعر الأشخاص القلقون، الذين لديهم تناقض وجدانى بأن لديهم أعراض معممة للمشقة واستخدموا استراتيجيات متمركزة حول الانفعال للمواجهة، مثل محاولة تقدير مشاعرهم. (Mikuliner, Elorian & Weller, 1993)

وبالرغم من أن هذه النتائج تلائم نظرية التعلق والنتائج التى ذكرت فى مشروع مينوسوتا، فإنه من المهم أن نضع فى ذهننا أن أسلوب التعلق هنا يتم تعريفه بواسطة استجابات الراشدين على استخبارات وليس من خلال مقاييس موضوعية أخذت فى الحضانة. يضاف إلى هذا أن هذه النتائج ليست قائمة على بحث طولى، فقد تم الاستدلال على الاستمرار ولم يعتمد على المشاهدة.

ومع هذا التعبير عن الحذر ووضعه فى الذهن يمكننا أن ننظر فى تقرير – سبق ذكره فى الفصل الخامس– يوحى بأن أساليب الحب الرومانسية للراشد ترتبط بالخبرات الأولى فى الأسرة (Waller & Shaver, 1994). وفى هذا البحث قام بالإجابة على استخبار – مصمم للاتجاهات نحو الحب– كل من توائم متماثلة وتوائم أخوية وزوجاتهم. وقد وجد أن هذه الاتجاهات ترتبط بأسلوب التعلق.

(١) Ambivalence
(٢) Coping Strategies

وأجريت مقارنات لدرجة تشابه استجابات التوائم المتماثلة والتوائم الأخوية والزوجات؛ لتحديد إن كان التشابه الوراثي يرتبط مع تشابه الاتجاهات نحو الحب. بعبارة أخرى فقد اتبعت الدراسة الصيغة المعيارية المستخدمة بواسطة علماء الوراثة السلوكية كما تم وصفها فى الفصل الخامس، أى تم فحص درجة تشابه السمة فى علاقتها بدرجة التشابه الوراثى. وكما نذكر فإن هذه الدراسات أوضحت إسهامًا وراثيًّا مهمًّا فى كل خصلة من خصال الشخصية، ووجود دليل ضئيل على الآثار البيئية المشتركة. وقد أوضح البحث الحالى – على العكس من هذه النتائج– عدم أهمية المورثات كمحددات للاتجاهات نحو الحب الرومانسى. وأكثر من هذا، بدا أن البيئة المشتركة للأسرة تلعب الدور الرئيسى فى تشكيل الاتجاهات. وكما يلاحظ المؤلفون يمكن النظر إلى هذه النتائج على أنها مهمة:

> على العكس من أبعاد الاتجاهات الأخرى وسمات الشخصية، فإن أساليب الحب الرومانسى لا تتأثر كثيرًا بالعوامل الوراثية... أكثر من هذا على العكس تمامًا من دراسات التوائم السابقة عن الاتجاهات وسمات الشخصية، فإن آثار البيئة المشتركة تلعب دورًا جوهريًّا فى تحديد كل من تنوع السمة وتشابه الأسرة فى الاتجاهات نحو الحب الرومانسى. وتوحى النتائج أن الخبرات المشتركة وليس المورِّثات المشتركة هى المسئولة عن التشابه فى اتجاهات الحب (Waller& Shaver, 1994, P. 272).

لماذا تختلف تمامًا النتائج المتصلة بالاتجاهات نحو الحب، عن النتائج المتصلة بباقى خصال الشخصية؟ ليس لدينا حتى الآن إجابة عن هذا السؤال. إلا أن المؤلفين يعتقدون أن اتجاهات الحب وأساليب التعلق هى فى أساسها علاقية أكثر من تركزها فى الفرد وحده، إنها تتضمن علاقات بين الأشخاص. ويعتقدون أن هذه الاتجاهات العلاقية بين الأشخاص يتم تعلمها نتيجة للخبرات بالوالدين ومشاهدة العلاقات الوالدية. ومع أن هذه النتائج تنتظر المزيد من التأكيد، فإنه ويبقى أن يتم إثبات أن السلوك الفعلى مع الاتجاه المعبر عنه، ولأول مرة لدينا دليل قوى ينفى التأثير

الوراثى، وتأثير قوى للبيئة المشتركة على جانب مهم لأداء الشخصية. ورغم أن البحث فى هذه الفقرة يؤيد وجهة النظر التى تذهب إلى استمرار أسلوب التعلق، فإننا سنذكر كلمتين على سبيل التحذير، **الأولى:** رغم أن نظريات التعلق تتحدث عن أسلوب التعلق مما يوحى باتساق طريقة العلاقة بالآخرين، فإن بعض البحوث توحى بأن الأفراد لديهم علاقات تعلق متعددة مع تساويها، وأنها تتنوع من شريك فى العلاقة إلى شريك آخر فى العلاقة (LaGuardia, Ryan, Couchmam & Deci, 2000). وبعبارة أخرى قد يتنوع الأشخاص كثيرًا فى علاقاتهم مع بعض أكثر مما توحى نظرية التعلق. وقد يصدق هذا أيضًا على العلاقة الرومانسية. فرغم أن بعض الأفراد يبدون متّسقين فى تكرار أخطائهم مع شركاء العلاقة، فإن البعض يتعلمون من أخطائهم ويختارون شركاء يستطيعون معهم إقامة أنماط من العلاقات جديدة.

أما الكلمة **الثانية:** فرغم أن "سروف" Sroufe وزملاءه يؤكدون استمرار التعلق، فإن بحثًا قام به "لويس" (Lewis, 2000; Lewis, Rosenthal & Feiring, 2001) وجد درجة شديدة الانخفاض من الاستقرار عبر الزمن، فمثلاً وجد "لويس" أن التعلق فى عمر سنة لا يرتبط بالتعلق فى عمر "١٨" سنة. وجدير بالملاحظة بوجه خاص النتيجة التى توصل إليها ومفادها أن ثلثى الأطفال غير الآمنين فى تعلقهم فى سن سنة لم يكونوا غير آمنين فى تعلقهم فى سن "١٨" سنة. ووجد أن من الصدفة أن يكون الفرد آمنًا أو غير آمن فى تعلقه فى سن "١٨" سنة إذا كان آمنًا فى تعلقه فى سن سنة، والذى كان له أهمية خاصة بالنسبة للتعلق المتأخر هو إن كان قد حدث طلاق للوالدين، عندما يكون المراهقون فى سن "١٨" سنة كان يرتبط تصنيف الشخص بكل من درجة التعلق وحالة الطلاق، فالمراهقون الذى طُلِّق والداهم كانوا أقرب للتصنيف على أنهم غير آمنين، بينما الذين صنفوا على أنهم آمنون كانوا غالبًا ينتمون إلى أسر قائمة (Lewis, 2000, P.78). ووجدت علاقة ضعيفة بين التعلق المبكر وارتقاء أعراض مرضية فيما بعد. ويؤكد

"لويس" أنه لا يوجد فقط شك فى وجود دليل على الاستمرار، بل إن ما يوجد من استمرار هو دالة للبيئة المستقرة. وسوف نعود للإشارة الموجزة لتغير البيئة وما افترض أنه يشبه اختفاء استمرار السمة.

دليل طولى إضافى على الاستقرار النسبى والتغير النسبى:

ليس من السهل تلخيص نتائج كثيرة ومعقدة. ومع ذلك قد نستطيع أن نلخص نتائج الدراسات التى تم عرضها فى الفقرة السابقة، وذلك باقتراح أنها بوجه عام تثبت تغيرًا كيفيًّا ومتسقًا ومتماسكًا فى ارتقاء الشخصية عبر الزمن. وفى نفس الوقت يوجد دليل على وجود فروق بين النوعين، وعلى تنوع كبير بين الأفراد فى درجة التناسق والاتساق.

ويوجد دليل من دراسات أخرى يشير إلى درجات متفاوتة من الاستقرار والتغير عبر الزمن. ورغم أننا حذّرنا من أن التأثير البيولوجى والوراثى لا يعنى الثبات وعدم التغير، فإنه توجد حالة من الاستقرار النسبى تفترض بالنسبة للذكاء، والسمات المزاجية الأساسية التى ينظر إليها على أن بها مكونًا وراثيًّا قويًّا.

وقد اختلفت النظرة إلى الذكاء عبر الزمن من حيث الاستقرار والمطاوعة، فمنذ وقت مضى استخلص بلوم (Bloom, 1964) أثناء عرضه للتراث وجود تزايد فى استقرار درجات الذكاء مع العمر ولفترات قصيرة من الوقت، على العكس من الفترات الطويلة. وقد توصل استعراض حديث للتراث إلى نتائج مشابهة (Humphrey,1992). ومع ذلك ينبغي أن نلاحظ أنه عبر عشر سنوات من عمر "٨" إلى عمر "١٨" كان الارتباط بين مقاييس الذكاء فى هاتين النقطتين الزمنيتين = ٠,٢٨ فقط (Humphrey & Davey, 1988) . بالإضافة إلى وجود دليل على أن التغير فى "١٥" نقطة فى درجات الذكاء يمكن الحصول عليها إذا تمت متابعة الجهود البيئية فى السنوات الأولى من الارتقاء (Bloom, 1966; Flynn, 1998; Schiff, Duype, Dmaret & Tonkie WC, 1982; Turkheimers, 1991).

وبالمثل كما لوحظ فى الفصل الثانى، يوجد دليل علـــى اســـتمرار المـــزاج (Kagan, 1994; Rolhbart, Ahodi & Evans, 2000; Shiner, 2000)، وفى الوقت نفسه يوجد دليل على أن المطاوعة فى الفروق فى الرعايـــة الوالديـــة يمكن أن تدعم أو تعدل الخصال المزاجية المبكرة.

وأخيرًا، توحى بعض الدراسات باستقرار نسبى على العوامل الخمـــسة التـــى تؤكدها نظريات السمات بمجـــرد بلـــوغ الرشـــد (Costa& McCrae, 1994; McCrae & Costa, 1990) وعبر مسافات تتراوح بين "٣" سنوات و"٣٠" سنة، كان وسيط الارتباط بين الدرجات على السمات الخمس حوالى"٠,٦٥" ممـــا دفـــع "ماككراى" و"كوستا" – وهما من أعلام المنظِّرين للعوامل الخمسة– إلى استنتاج أنه رغم إمكان حدوث تغيرات فى ظروف الحياة، فإن الشخصية تتسم بقدر من الثبات حتى سن "٣٠"، وذهب هؤلاء المنظِّرون إلى افتراض أن حوالى ثلاثـــة أخمـــاس التباين فى درجات سمات الشخصية مستقر عبـــر دورة حيـــاة الراشـــد الكاملـــة، واستنتجوا أنه بين حوالى عمر"١٢" و"٣٠" سنة تأخذ الشخصية صورتها النهائيـــة والكاملة. ومعظمنا تصبح شخصيته مثل الجبس (أى تتيبس) (Costa& McCrae, 1994).

وتوحى بحوث أخرى، استخدمت مقاييس مختلفة للسمة، باستمرار شخـــصية الفرد من المراهقة حتى الرشد المبكر، رغم أنه بوجه عام يصبح الـــشخص أكثـــر نضجًا وثقة فى هذه المرحلة من العمر (Robert, Caspi & Moffitt, 2001).

وفى نفس الوقت يوحى استعراض حديث للتراث العلمى بأن مرحلة الاستقرار فى ارتقاء الشخصية لا يتم بلوغها حتى سن حوالى "٥٠" سنة، بل إنه يوجد دليـــل على أنه بعد هذه السن يحدث تغير لدى بعض الأفراد (Caspi & Robert, 2001; Robert & Delevicchis, 2000).

لاحظ أن هؤلاء الباحثين يؤكدون وجود درجة أكبر من الاستقرار والاتـــساق أكثر من الباحثين السابقين الذين يوحون بتغيرات كيفية مازالـــت تعكـــس اتـــساقًا

وتناسقًا. ومع ذلك يجب أن نكون على حذر من أن نتخذ وجهة نظر جامدة وحاسمة بهذا الخصوص. ويجرى كثير من علماء النفس بحوثًا فى هذا المجال مع التحيز فى اتجاه العثور على الاستقرار. على أساس أنه إذا لم يجدوا استقرارًا، فإن فائدة مفهوم الشخصية تصبح موضع تساؤل (Helson, 1993; Helson & Stewart, 1994). ونتيجة لهذا فإنهم يتجاهلون دليل التغير فى دراسات أخرى بل وداخل نتائجهم نفسها، ومن ثم يوجد دليل على أن التوائم المتماثلة عندما تكبر فإنها تكبر مستقلة فى شخصيتها (McCartenen, Harris & Bernieri, 1990). وأن أغلب الأطفال المصنفين على أنهم ذوو تعلق غير آمن (قلق ومنسحب ومقاوم) فى الحضانة، لا ينشأ لديهم مع الكبر صعوبات انفعالية خطيرة (Lewis, 1991; Lewis& Feiring, McGuffog & Jask, 1984) . وأن المتوسط والوسيط للارتباطات يخفى فروقًا فردية ضخمة فى أنماط الاستقرار والتغير. وبالنسبة لأحد الأفراد، فحتى إذا كانت نسبة الاستقرار تساوى ثلاث أخماس كما يؤكد "كوستا" و"ماككراى"، فإن هذا يترك مكانًا للتغير فى تنظيم الشخصية.

استقرار الشخصية واستمرارها، وجهتان من النظر متعارضتان:

لاحظ "كاسبى" (Caspi, 1998) أن ميدان الشخصية زاخر بالادعاءات المتعارضة، ومنها ما يتصل بالاستمرار والتغير (P. 361). فماذا يمكن أن نستنتج فيما يتصل باستقرار الشخصية عبر الزمن؟ هل الشخصية مستقرة مثل السمة، أم متنوعة ومرنة ودائمة التشكّل بالبيئة؟ وقد أوضحت مقالتان فى مجلة البحث النفسى[1] مختلف وجهات النظر بين علماء النفس المتخصصين فى ارتقاء الشخصية. فى المقالة الأولى يحاول كل من "كاسبى" و"روبرتس" (Caspi & Roberts, 2001) إثبات أنه منذ وقت مبكر فى الحياة يبدى الأشخاص خصائص توضح الاستمرار عبر الزمن: "عندما تقارن قوى الثبات والتغير، فإن قوى الاتساق

---
(1) Psychological Inquiry

ترجح قوى التغير، ومع الوقت والخبرة فإن المعركة بين التغيــر والاتــساق يــتم حسمها لصالح قوى الاستمرار"، (P.62) . ويعترف "كاسبى" و"روبرتس" بأنه يوجد استمرار أكبر فى الرشد أكثر مما يوجد فى الطفولة. واستمرار أكبر عبر الفتــرات الزمنية القصيرة مقارنة بالفترات الزمنية الطويلة، وأن التغيرات البيئيــة الكبيــرة يمكن أن يكون لها تضمينات ذات دلالة بالنسبة لارتقاء الشخصية. وفى نفس الوقت نظرًا لوجود عوامل وراثية والطريقة التى يتصرف بها الشخص نحو البيئة يرجح نموذج الاستمرار فى ارتقاء الشخصية.

وفى مقابل" كاسبى" و"روبرتس" فإن "لــويس" (Lewis, 2001) يحــاول أن يثبت نقطتين، فى **الأولى:** يوحى لويس بأن الاستقرار – والاستمرار الذى اكتُــشف ليس مؤثرًا، وأن إمكان التنبؤ بالشخصية فى تغيرها محدود.

أما النقطة **الثانية:** وهى أكثر أهمية، أنه يثبت أن الاستمرار الذى تتم مشاهدته يرجع إلى استقرار البيئة أكثر مما يرجع إلى ما يشبه السمة لدى الفــرد، فيقــول: "الاستمرار الارتقائى الذى نعتقد أن موضعه الطفل قد يكون موقعه الــسياق الــذى يتكيف له الطفل"، (P. 77). وبعبارة أخرى، فإن استمرار الشخــصية، أو الــصفة التى تشبه السمة قد تعكس اتساقًا فى السياق أكثر مما تعكس اتــساقًا فــى الــسمة. وعلى الأقل حاول أن يثبت أنه حتى نضع فى حسابنا جوانب الاستمرار والتغير فى البيئة لن نستطيع تقويم ما يشبه السمة فى الشخصية.

وقد نظر فى هاتين المقالتين عدد من علماء النفس الآخرين، ولاحــظ كثيــر منهم الشبه بينهما وبين الوضع فى الخلاف بين الــشخص- والموقــف (الفــصل الثانى). وحاول بعضهم إثبات اتساق ما يشبه السمة، وحاول البعض الآخر إثبــات تنوع السياق، وأعجب البعض بمعامل ارتباط "٠,٣" بينما انزعج الآخــرون مــن مقدار التنوع الفردى الذى ترك بدون تفسير. ومعظم علماء نفس الشخصية حاولوا تجاوز الاختلاف بين الشخص والبيئة للنظر فى العمليات المسئولة عن الاســتقرار والتغير فى أداء الشخصية عبر المواقف. هذا بالإضافة إلى أن معظم علماء نفــس

الشخصية المهتمين بالارتقاء أكدوا العمليات الداخلة فى الاستقرار والتغيـر عبـر مسار مدى الحياة. وفى نفس الوقت اختلف هؤلاء العلمـاء فـى النمـاذج التـى يستخدمونها لفهم أداء الشخصية، ومن ثم فيما يستخلصونه فيما يتـصل بالبيانـات كذلك.

بعض الأفكار حول الاستقرار والتغير فـى الشخـصية، ومـسألة العملية:

يمكننا أن نجد دليلاً لكل من الاستقرار والتغير فى الشخصية. وهذه هى الحالة عندما نضع فى الحسبان بيانات الفرد وليس بيانات الجماعة. ويعتمد تأكيد أحـدهما أو الآخر على مجال الشخصية موضع الاهتمام والمقاييس المـستخدمة وتحيـزات الباحثين (Pervin, 1994).

وبوجه عام، نحن نعلم أن التغير ممكن أكثر أثنـاء فتـرات الارتقـاء الـسريع (Bloom, 1964). ويحدث هذا الارتقاء فى معظم خصال الإنـسان فـى الـسنوات المبكرة للحياة. يضاف إلى هذا أن الاتفاق بين المقاييس يميل إلى الازدياد بـين المـدد القصيرة أكثر منه بين المدد الأطول. وبين المدد التى يحدث فيها تغيرات وصفية فـى الخصلة موضع الاهتمام فى مقابل المدد التى يحدث فيها تغير علِّى (فى البنية التحتيـة) كبير. وعلى أية حال، فإن لدينا معرفة أو فهمًا لحدود ظروف التغير فى أية خصلة من خصال الشخصية أو عمليات تعزيز الاستقرار والتغير.

ومسألة العملية تحتاج إلى عناية خاصة. وبعبارة أخرى، نحن نحتاج إلـى أن نعتنى بمسألة المتغيرات فى الشخص وفى البيئة التى تعزز الاستقرار أو التغير فى أداء الشخصية. وتوفير دليل للاستقرار أو التغير يعد أمرًا واحدًا، وهو يختلف عن فهم العمليات الداخلة. وعند هذه النقطة نلقى نظرة خاطفة على العمليات داخل كـل من الفرد والبيئة التى تعزز الاستقرار والاتساق فى الشخصية، فمثلاً لدينا دليل على أن الأشخاص يسعون إلى التحقق من الأنا، وأنهم يستثيرون أرجاعًا من الآخـرين

تحفظ إدراكهم لذاتهم وطرق تصرفهم، إنهم ينتقــون البيئــات التــى تتسق مــع شخصياتهم، وأن يعاملهم الآخرون بطرق تتسق مع الصور التى تكونــت عــنهم. وعندما يبلغ الأشخاص الرشد يميلون إلى تضييق نطاق الصداقات وتثبيتها. كل هذه القوى داخل الفرد وفى البيئة وفى التفاعل بين الفرد والبيئة تعمــل علــى إنتــاج استقرار واتساق نسبى.

وفى نفس الوقت، نعلم أن تغيرًا، وغالبًا تغيرًا كبيرًا، يحدث. ومع ذلك فــإن لدينا هنا صورة أقل وضوحًا عن العمليات الداخلة. إننا نعلم أن تغيرًا يحــدث فــى العلاج النفسى، وأن العلاقة العلاجية تبدو مهمة، ولكن عملية التغير أو العمليــات الداخلة فى مختلف صور العلاج غير واضحة (الفصل ١١) ونعلم أيضًا أن البيئات القوية يمكن أن تحدث تغيرًا، حتى لدى الراشدين. وأخيرًا، نعلم أن الحياة تحتــوى على عنصر كبير من عدم القابلية للتنبؤ، وأن مواجهات الصدفة والأحداث الجسيمة الاجتماعية والاقتصادية قد تــؤدى إلــى تغيــر دال Bandura, 1982, Lewis, (1991, 1995).

ومع ذلك فقد، بدأنا بصعوبة فى (رسم الملامح الأولية) لفهمنا لحدود التغيــر فى مختلف المجالات وقوى الفرد والبيئة التى تؤدى إلى تغير أساسى.

وعند هذه النقطة من الوقت، يبدو أنه من المبرَّر تقديم هذه الاستنتاجات التى تتصل بالاستقرار الطولى للشخصية:

١- يوجد دليل على كل من استقرار واستمرار الشخصية وعلى تغيرها.

٢- الاستقرار أكثر أثناء المسافات الزمنية الأقــصر، عنــه أثنــاء المــسافات الأطول.

٣- الاستقرار أكثر أثناء الرشد عنه أثناء الطفولة.

٤- قد يعتمد المستوى المشاهَد من الاستقرار على خصلة الشخصية التى تقاس (أى الذكاء والمزاج – فــى مقابــل- الأداء بــين الأشــخاص والاتجاهــات)

والمجموعة العمرية والمسافة التى تتم دراستها والمحك المستخدم فى تقدير الاستمرار.

٥- ستُخفِى بياناتُ الجماعة التنوع الفردى فى أنماط الاستقرار والتغير، كما قد تختلف النتائج لدى كل من جماهير الذكور والإناث.

٦- نظرًا لتعقد تفتُّح الشخصية، فإن التنبؤ عبر مراحل ممتدة من الزمن (من الطفولة حتى الرشد) يمثل إشكالية كبيرة.

٧- من الناحية الأساسية، ينبغى أن نعتنى بالعمليات التى تزيد الاستمرار والتغير فى الشخصية، وهو منظور دينامى يضم كلاً من عناصرِ الفرد والبيئة. والعمليات الداخلة التى تزيد الثبات والاستمرار تختلف عن العمليات التى تزيد من التغير. ومازلنا لا نعلم حدود ظروف التغير والمطاوعة فى انبثاق معظم عناصر الشخصية.

والخلاصة إذن، أنه يوجد دليل على الاتساق والتماسك فى الشخصية، ولكن يوجد أيضًا دليل على صعوبة التنبؤ بمسارات حياة الفرد. ولنعد إلى وجهتى النظر اللتين قدمنا فى بداية هذا الفصل، نستطيع التنبؤ باستمرار مسار حياة الشخص – وفى المقابل– من الصعب التنبؤ باستمرار مسار حياة الشخص. ويمكن أن نجد دليلاً يؤيد كل منهما. ويوجد دليل كافٍ على الاستمرار وأن المرء يستطيع أن يرى علاقات، ولكن يوجد من عدم التيقن ما يجعل التنبؤ أمرًا إشكاليًّا. بوجه عام العمليات الحاكمة لهذه العلاقات مازالت فى طور التحديد. ومن ثم فإن دراسة الشخصية طوليًّا، تظل ليس فقط دراسة الشخصية بالطريقة الصعبة، ولكنها تتضمن التوصل إلى فهم مع عدم التيقن المتأصل فى أنماط حياة الفرد المنبثقة.

المفاهيم الأساسية

وصفى Phenotype: المظهر الخارجى الذى يتعارض مع العلّى أو البناء التحتى.

العلّى Genotype: البناء التحتى فى مقابل الوصفى أو المظهر الخارجى.

نظريات المراحل Stage Theories: النظريات التى تؤكد تتابعًا ثابتًا أو أن مراحل للارتقاء ترتبط بأعمار معينة (مثل مراحل فرويد للارتقاء النفسى الجنسى).

الشخصية النرجسية Narcissistic Personality: فى نظرية التحليل النفسى نموذج للشخصية يرتبط بالمرحلة الفمية التى فيها ينظر إلى العالم أساسًا من زاوية الذات ويوجد إحساس مبالغ فيه بالذات.

الهوية – فى مقابل تشتت الدور Identity Versus Role Diffusion:

مرحلة من مراحل الارتقاء يكافح فيها الفرد لتكوين شعور بالهوية أو الاستمرار أو من هو، فى مقابل عدم الشعور بالاستمرار والتوجه (أو تشتت الدور).

أوقات حرجة Critical Periods: مفهوم يشير إلى مرحلة من الوقت حرجة بالنسبة لارتقاء الخصلة، والتى تتميز بعدم ارتقائها إذا لم تحدث أشياء معينة فى هذه المدة من الوقت.

أوقات حساسة Sensitive Periods: مفهوم يشير إلى أن الخصلة حساسة فى التأثير بوجه خاص خلال مدة من الوقت.

بحث طولى Longitudinal Research: منحى للبحث يؤكد على دراسة نفس المبحوثين عبر فترة ممتدة من الوقت.

بحث مستعرض Cross-Sectional Research: منحى للبحث يؤكد على دراسة نفس الخصال لدى مبحوثين فى مجموعات عمرية مختلفة.

اختبار كاليفورنيا للراشدين (لتقدير كيــو) California Adults Q-set (CAQ): أسلوب لتصنيف خصال الشخصية استخدمه بلوك وزوجته لدراسة الشخصية دراسة طولية.

تحكم فى الذات Ego–Control: مفهوم استخدمه بلوك وزوجته للإشــارة إلــى خصلة شخصية، يمثل تعبيرًا عن التحكم فى الاندفاعات والمشاعر والرغبات.

مرونة الذات Ego-Resiliency: مفهوم استخدمه بلوك وزوجته للتعبير عن قدرة الأشخاص على تعديل مستوى التحكم فى الذات لمواجهة متطلبات الموقف.

التعلق Attachment: مفهوم ابتكره "بولبى" لتأكيد التكوين المبكر للرابطة بــين الطفل والشخص القائم برعايته، وهى غالبًا الأم. وهو مفهوم له تضمينات مهمــة بالنسبة للارتقاء الاجتماعى والانفعالى.

النماذج العاملــة الداخليــة Internal Working Models: مفهــوم "بــولبى" للتصورات الذهنية المرتبطة بالمزاج والذات والآخرين، مما ينمو أثناء الــسنوات الأولى للارتقاء وتكوين الأساس للتوقعات المتصلة بعلاقات المستقبل.

إجراء موقف الغريب Strange Situation Procedure: موقف اختبار ابتكره "أينسورث" كمقياس لأسلوب التعلق لدى الرضّع.

ملخص الفصل:

١- ينظر هذا الفصل فى الثبات الطولى أو استقرار الشخصية عبر الزمن. ويتمثل التحدى هنا فى القدرة على تمييز الاستمرار التحتى (العلِّى) رغم التغير الظاهر (الوصفى). وبدرجة أعمّ أن نضع فى حسابنا كلاً من الاستقرار والتغير عبر مسار الحياة.

٢- تؤكد نظريات المراحل للارتقاء على سياق ثابت أو تقدم ثابت للمراحل، ولكل منها خصائصه المحددة وسن لحدوثه. ومن أمثلة نظريات المراحل فى الارتقاء كل من نظريتىّ فرويد لمراحل الارتقاء النفسى الجنسى، وإريكسون لمراحل الارتقاء النفسى الاجتماعى.

٣- وتثار بالنسبة لنظريات المراحل أسئلة، مثل: هل الارتقاء يتم وفقًا لتتابع ثابت؟ هل يوجد اتساق فى الارتقاء عبر مجالات أداء الشخصية أثناء مرحلة ارتقائية معينة؟ هل ينبغى استبدال مفهوم الأوقات الحرجة -المرتبط بنظريات المراحل- بمفهوم الأوقات الحساسة.

٤- هل البحث الطولى، مقارنة بالبحث المستعرض، يسمح بدراسة عملية الارتقاء أثناء انبثاقها. وهذه الدراسات مفيدة فيما يتصل بكل من ثبات ارتقاء الشخصية وتغيرها. ففيما يتصل بالتغير ينبغى أن نعتنى بالتمييز بين مختلف أنواع التغير، المطلق – والنسبى، والكمى– والكيفى، والوصفى– والعلِّى، والمستمر والمتقطع. ويمثل كل من دراسة "ماجنوسون" السويدية للارتقاء والتوافق، ودراسة "بلوك" و"بلوك" للتحكم فى الأنا ومرونة الأنا، ويمثل مشروع مينوسوتا للعلاقة بين الطفل ووالديه حول تضمينات التعلق المبكر بالنسبة للارتقاء الاجتماعى والانفعالى المتأخر بحثًا طوليًّا لارتقاء الشخصية.

٥- تزودنا الدراسات الطولية بدليل حول التغير الكيفى وحول ارتقـاء الشخصية المتسق والمتناسق عبر الزمن. وفى نفس الوقت يوجد دليل على التنوع الكبير فى درجة الاستقرار ونوع التغير.

٦- اتخذت مواقف متعارضة فيما يتصل بدرجة استقرار الشخصية وثباتها. وكذلك إزاء العلاقة بين الخلاف حول الشخص-الموقف. وتـم الإيحـاء بـأن مقـدار الاستقرار والتغير الذى يتم تأكيدهما بالنسبة لكل منهما نحو الآخر، إنما يعتمـد على مجال الشخصية موضع الاهتمام والمقاييس المستخدمة والمجموعة العمرية والمسافة الزمنية التى يهتم بها البحث. ونحتاج إلى المزيد من المعرفـة حـول حدود وظروف التغير، والمتغيرات التى تتصل بالشخص والبيئة التى تؤثر فـى الاستقرار والتغير، وبوجه عام العمليات الداخلة فى كل من الاستقرار والتغير.

References المـراجع

Abramson, L. Y., Seligman, M. E. P., & Teasdale, J. D. (1978). Learned helplessness in humans: Critique and reformulation. *Journal of Abnormal Psychology,* 87,49-74.

Adams, H. E., Wright, L. W., & Lohr, B. A. (1996). Is homophobia associated with homosexual arousal? *Journal of Abnormal Psychology,* 105,440-445.

Ader, R. (2001). Psychoneuroimmunology. *Current Directions in Psychological Science,* 10,94-98.

Ainsworth, M. D. S., & Bowlby, J. (1991). An ethological approach to personality development. *American Psychologist,* 46, 333-341.

Alexander, F. (1950). *Psychosomatic medicine.* New York: Norton.

Alexander, F., & French, T. M. (1946). *Psychoanalytic therapy.* New York: Ronald.

Allport, G. W. (1937). *Personality: A psychological interpretation.* New York: Holt, Rinehart and Winston.

Allport, G. W. (1958). What units shall we employ? In G. Lindzey (Ed.), *Assessment of human motives* (pp. 239-260). New York: Holt, Rinehart and Winston.

Allport, G. W. (1961). *Pattern and growth in personality.* New York: Holt, Rinehart and Winston.

Allport, G. W., & Odbert, H. S. (1936). Trait-names: A psycho-lexical study. *Psychological Monographs,* 47 (1, Whole No.211).

Anastasi, A. (1958). Heredity, environment, and the question "How?" *Psychological Reviews,* 65, 197-208.

Andersen, S. M., & Berk, M. S. (1998). Transference in everyday experience: Implications of experimental research for relevant clinical phenomena. *Review of General Psychology,* 2,81-120.

Anisman, H., Zaharia, M. D., Meaney, M. J., & Merali, Z. (1998). Do early-life events permanently alter behavioral and hormonal responses to stressors? *International Journal of Developmental Neuroscience*, 16, 149-164.

Aronson, E. (1992). The return of the repressed: Dissonance theory makes a comeback. *Psychological Inquiry*, 3,303-311.

Aronson, E., & Mettee, D. R. (1968). Dishonest behavior as a function of differential levels of induced self-esteem. *Journal of Personality and Social Psychology*, 9, 121-127.

Asendorpf, J. B., & van Aken, M. A. G. (1999). Resilient, overcontrolled, and undercontrolled personality prototypes in childhood: Replicability, predictive power, and the trait-type issue. *Journal of Personality and Social Psychology*, 77, 815-843.

Aspinwall, L. G., & Taylor, S. E. (1992). Modeling cognitive adaptation: A longitudinal investigation of the impact of individual differences and coping on college adjustment and performance. *Journal of Personality and Social Psychology*, 63, 989-1003.

Atkinson, J. W., & McClelland, D. C. (1948). The projective expression of needs: II. The effect of different intensities of the hunger drive on Thematic Apperceptions. *Journal of Experimental Psychology*, 38, 643-658.

Austin, J. T., & Vancouver, J. B. (1996). Goal constructs in psychology: Structure, process, and content. *Psychological Bulletin*, 120, 338-375.

Ayduk, O., Mendoza-Denton, R., Mischel, W., Downey, G., Peake, P. K., & Rodriguez, M. (2000). Regulating the interpersonal self: Strategic self-regulation for coping with rejection sensitivity. *Journal of Personality and Social Psychology*, 79, 776-792.

Balay, J., & Shevrin, H. (1988). SPA is subliminal, but is it psychodynamically activating? *American Psychologist*, 44, 1423-1426.

Baldwin, M. W. (1992). Relational schemes and the processing of social information. *Psychological Bulletin*, 112, 461-484.

Baldwin, M. W., Fehr, B., Keedian, E., Seidel, M., & Thomson, D. W. (1993). An exploration of the relational schemata underlying attachment styles: Self-report and lexical decision approaches. *Personality and Social Psychology Bulletin,* 19, 746-754.

Ball, S. A. (2001). Reconceptualizing personality disorder categories using personality trait dimensions. *Journal of Personality,* 69, 147-154.

Banaji, M. R. (2001, January/February). Ordinary prejudice. *Psychological Science Agenda,* pp. 9-11.

Banaji, M. R., & Crowder, R. G. (1989). The bankruptcy of everyday memory. *American Psychologist,* 44, 1185-1193.

Bandura, A. (1977). Self-efficacy: Toward a unified theory of behavioral change. *Psychological Review,* 84, 191-215.

Bandura, A. (1982). Self-efficacy mechanism in human agency. *American Psychologist,* 37, 122-147.

Bandura, A. (1986). *Social* foundations *of thought and action: A social cognitive theory.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Bandura, A. (1988). Self-efficacy conception of anxiety. *Anxiety Research,* 1, 77-98.

Bandura, A. (1989a). Human agency in social cognitive theory. *American Psychologist,* 44,1175-1184.

Bandura, A. (1989b). Self-regulation of motivation and action through internal standards and goal systems. In L. A. Pervin (Ed.), *Goal concepts in personality and social psychology* (pp. 19-85). Hills- dale, NJ: Erlbaum.

Bandura, A. (1990). Self-regulation of motivation through anticipatory and self-reactive mechanisms. *Nebraska Symposium on Motivation,* 38,69-164.

Bandura, A. (1997). *Self-efficacy: The exercise of control.* New York: Freeman.

Bandura, A. (1999). Social cognitive theory of personality. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 154-196). New York: Guilford.

Bandura, A. (2001). Social cognitive theory: An agentic perspective. *Annual Review of Psychology*, 52, 1-26.

Bandura, A., & Cervone, D. (1983). Self-evaluative and self-efficacy mechanisms governing the motivational effect of goal systems. *Journal of Personality and Social Psychology*, 45, 1017-1028.

Bandura, A., Cioffi, D., Taylor, C. B., & Brouillard, M. E. (1988). Perceived self-efficacy in coping with cognitive stressors and opioid activation. *Journal of Personality and Social Psychology*, 55,479-488.

Bandura, A., & Rosenthal, T. L. (1966). Vicarious classical conditioning as a function of arousal level. *Journal of Personality and Social Psychology*, 3, 54-62.

Bandura, A., Ross, D., & Ross, S. (1963). Vicarious reinforcement and imitative learning. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 67, 601-607.

Bandura, A., & Schunk, D. H. (1981). Cultivating competence, self-efficacy, and intrinsic interest. *Journal of Personality and Social Psychology*, 41, 586-598.

Bandura, A., & Walters, R. H. (1963). *Adolescent aggression*. New York: Ronald Press.

Bargh, J. A. (1989). Conditional automaticity: Varieties of automatic influence in social perception and cognition. In J. S. Uleman & J. A. Bargh (Eds.), *Unintended thought* (pp. 3-51): New York: Guilford.

Bargh, J. A. (1992). Does subliminality matter to social psychology? In R. F. Bornstein & T. S. Pittrnan (Eds.), *Perception without awareness* (pp. 236-255). New York: Guilford.

Bargh, J. A. (1997). The automaticity of everyday life. In R. S. Wyer, Jr. (Ed.), *The automaticity of everyday life: Advances in social cognition* (Vol. 10, pp. 1-61). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Bargh, J. A., & Chartrand, T. L. (1999). The unbearable automaticity of being. *American Psychologist*, 54, 462-479.

Bargh, J. A., Chen, M., & Burrows, L. (1996). Automaticity of social behavior: Direct effects of trait construct and stereotype activation on action. *Journal of Personality and Social Psychology*, 71, 230-244.

Bargh, J. A. & Ferguson, M. J. (2000). Beyond behaviorism: On the automaticity of higher mental processes. *Psychological Bulletin*, 126, 925-945.

Bargh, J. A., & Pietromonaco, P. (1982). Automatic information processing and social perception: The influence of trait information presented outside of conscious awareness on impression formation. *Journal of Personality and Social Psychology*, 43, 437-449.

Barlow, D. H. (2000). Unraveling the mysteries of anxiety and its disorders from the perspective of emotion theory. *American Psychologist*, 55, 1247-1263.

Baron, R. A. (1987). Outlines of a grand theory. *Contemporary Psychology*, 32,413-415.

Bartholomew, K.,, & Horowitz, L. M. (1991). Attachment styles among young adults: A test of a four-category model. *Journal of Personality and Social Psychology*, 61, 226-244.

Bateson, P., & Hinde, R. A. (1987). Developmental changes in sensitivity to experience. In M. H. Born stein (Ed.), *Sensitive periods in development* (pp. 19-34). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Baumeister, R. F. (1990). Suicide as escape from self. *Psychological Review*, 97, 90-113.

Baumeister, R. F. (1991). Shirking the self-burden: The psychological unity of some extreme habits. In R. F. Baumeister (Ed.), *Escaping the self:. Alcoholism, spirituality, masochism, and other flights from the burdens of selfhood* (pp. 636-654). New York: Basic Books.

Baumeister, R. F. (1998). The self. In D. T. Gilbert, S. T. Fiske, & G. Lindzey (Eds.), *The handbook of social psychology* (pp. 680--740). Boston: McGraw-Hill.

Baumeister, R. F. (1999). On the interface between personality and social psychology. In L. A. Pervin &0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 367-377). New York: Guilford.

Baumeister, R. F., Bratslavsky, E., Muraven, M., & Tice, D. M. (1998). Ego depletion: Is the active self a limited resource? *Journal of Personality and Social Psychology*, 74, 1252-1265.

Baumeister, R. F., Dale, K., & Sommer, K. L. (1998). Freudian defense mechanisms and empirical findings in modern social psychology: Reaction formation, projection, displacement, undoing, isolation, sublimation, and denial. *Journal of Personality*, 66, 1081-1124.

Baumeister, R. F., & Leary, M. R. (1995). The need to belong: Desire for interpersonal attachments as fundamental human motivation. *Psychological Bulletin*, 117, 497-529.

Baumrind, D. (1993). The average expectable environment is not good enough: A response to Scarr. *Child Development*, 64, 1299-1317.

Bechara, A., Damasio, H., Tranel, D., & Damasio, A. (1997). Deciding advantageous before knowin: the advantageous strategy. *Science*, 275, 1293-1295.

Beck, A. T. (1987). Cognitive models of depression. *Journal of Cognitive Psychotherapy*, 1, 27.

Beck, A. T. (1993). Cognitive therapy: Past, present, and future. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 61, 194-198.

Beck, A. T., & Weishaar, M. (1995). Cognitive therapy. In R. Corsini & D. Wedding (Eds.), *Current psychotherapies* (pp. 229-261). Itasca, IL: Peacock.

Bem, S. L. (1998). *An unconventional family*. New Haven, CT: Yale.

Benjamin, J., Lin, L., Patterson, C., Greenberg, B. D., Murphy, D. L., & Hamer, D. H. (1996). Population and familial association between the D4

dopamine receptor gene and measures of novelty seeking. *Nature Genetics*, 12, 81-84.

Benjamin, L. S. (1993). Dimensional, categorical, or hybrid analyses of personality. *Psychological Inquiry*, 4, 91-95.

Bergman, L. R. (2000). Individual development and adaptation: Theoretical background and overview o the data collection. *Reports from the IDA project, 70*. University of Stockholm, Sweden.

Berlin, B., & Kay, P. (1969). Basic color terms: *Their universality and their evolution*. Berkeley: University of California Press.

Bernstein, E. M., & Putnam, F. W. (1986). Development, reliability and validity of a dissociation scale. *Journal of Nervous and Mental Disease*, 174, 727-735.

Beutler, L. E. (2000). David and Goliath. *American Psychologist*, 55, 997-1007.

Bindra, D., & Scheier, I. H. (1954). The relation between psychometric and experimental research in psychology. *American Psychologist*, 9, 69-71.

Blatt, S. J., & Bers, S. A. (1993a). Commentary. In Z. V. Segal & S. J. Blatt (Eds.), *The self in emotional distress* (pp. 164-170). New York: Guilford.

Blatt, S. J., & Bers, S. A. (1993b). The sense of self in depression: A psychodynamic perspective. In Z. V. Segal & S. J. Blatt (Eds.), *The self in emotional distress* (pp. 171-210). New York: Guilford.

Blatt, S. J., & Homann, E. (1992). Parent-child interaction in the etiology of dependent and self-critical depression. *Clinical Psychology Review*, 12, 47-91.

Block, J. (1971). *Lives through time*. Berkeley, CA: Bancroft.

Block, J. (1993). Studying personality the long way. In D. C. Funder, R. D. Parke, C. Tomlinson-Keasey, & K. Widaman (Eds.), *Studying lives through time* (pp. 9-41). Washington, DC: American Psychological Association.

Block, J. (1995). A contrarian view of the five-factor approach to personality description. *Psychological Bulletin*, 117, 187-215.

Block, J., Gjerde, P. F., & Block, J. H. (1991). Personality antecedents of depressive tendencies in 18-year-olds: A prospective study. *Journal of Personality and Social Psychology*, 60,726-738.

Block, J. H., & Block, J. (1980). The role of ego control and ego resiliency in the organization of behavior. In W. A. Collins (Ed.), *Development of cognitive, affect, and social relations: The Minnesota symposium in child psychology* (pp. 39-101). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Bloom, B. S. (1964). *Stability and change in human characteristics*. New York: Wiley.

Blum, K., Cull, J. G., Braverman, E. R., & Comings, D. E. (1996). Reward deficiency syndrome. *American Scientist*, 84, 132-145.

Boldero, J., & Francis, J. (2000). The relation between self-discrepancies and emotion: The moderating roles of self-guide importance, location relevance, and social self-domain centrality. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78, 38-52.

Boneau, C. A. (1992). Observations on psychology's past and future. *American Psychologist*, 47, 1586-1596. .

Booth, R. J., & Pennebaker, J. W. (2000). Emotions and immunity. In M. Lewis & J. M. Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 558-570). New York: Guilford.

Boring, E. G. (1950). *A history of experimental psychology*. New York: Appleton-Century-Crofts.

Borkenau, P., & Ostendorf, F. (1989). Descriptive consistency and social desirability in self- and peer reports. *European Journal of Personality*, 3, 31-45.

Borkenau, , P., Riemann, R., Angleitner, A., & Spinath, F. M. (2001). Genetic and environmental influences on observed personality: Evidence from the German observational study of adult twins. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80, 655-668.

Bornstein, M. H. (Ed.). (1987). *Sensitive periods in development*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Bornstein, M. H. (1989). Sensitive periods in development: Structural characteristics and causal interpretations. *Psychological Bulletin*, 105,179-197.

Bosson, J. K., & Swann, W. B., Jr. (May, 1998). *Explicit and implicit self-esteem and narcissism*. Poster session presented at the 10th Annual Convention of the American Psychological Society, Washington, DC.

Bosson, J. K., Swann, W. B., Jr., & Pennebaker, J. W. (2000). Stalking the perfect measure of implicit self-esteem: The blind men and the elephant revisited? *Journal of Personality and Social Psychology*, 79,631-643.

Bouchard, T. J., Jr., Lykken, D. T., McGue, M., Segal, N. L., & Tellegen, A. (1990). Sources of human psychological differences: The Minnesota study of twins reared apart. *Science*, 250, 223-250.

Bouchard, T. J., Jr., & McGue, M. (1981). Familial studies of intelligence: A review. *Science*, 212, 1055-1059.

Bower, G. H. (1981). Mood and memory. *American Psychologist*, 36, 129-148.

Bowers, K. S. (1992). *The problem of consciousness*. Paper presented at the annual meeting of the American Psychological Association, Washington, DC.

Bowers, K. S., & Woody, E. Z. (1996). Hypnotic amnesia and the paradox of intentional forgetting. *Journal of Abnormal Psychology*, 105, 381-390.

Brady, J. P., & Lind, D. I. (1961). Experimental analysis of hysterical blindness. *Behavior Research and Therapy*, 4,331-339.

Braungart, J. M., Plomin, R., DeFries, J. C., & Fulker, D. W. (1992). Genetic influence on tester-rated infant temperament as assessed by Bayley's Infant Behavior Record: Nonadoptive and adoptive siblings and twins. *Developmental Psychology*, 28, 40-47.

Brehm, S. S. (1992). *Intimate relationships*. New York: McGraw-Hill.

Bretherton, I. (1992). The origins of attachment theory: John Bowlby and Mary Ainsworth. *Developmental Psychology*, 28, 759-775.

Briggs, S. R. (1989). The optimal level of measurement for personality constructs. In D. M. Buss & N. Cantor (Eds.), *Personality psychology*: Recent trends and emerging direction (pp. 246-260). New York: Springer-Verlag.

Brown, J. D., & McGill, K. L. (1989). The cost of good fortune: When positive life events produce negative health consequences. *Journal of Personality and Social Psychology*, 57, 1103-1110.

Bruner, J. S. (1956). You are your constructs. Contemporary Psychology, 1,355-356.

Bruner, J. S. (1992). Another look at New Look 1. *American Psychologist*, 47,780-783.

Bruner, J. S., & Goodman, C. C. (1947). Value and need as organizing factors in perception. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 42, 33-44.

Burnham, T., & Phelan, J. (2000). *Mean genes*. Cambridge, MA: Perseus.

Buss, A. H. (1980). *Self-consciousness and social anxiety*. San Francisco: Freeman.

Buss, A. H., & Plomin, R. (1975). *A temperament theory of personality development*. New York: Wiley Interscience.

Buss, A. H., & Plomin, R. (1984). *Temperament: Early developing personality traits*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Buss, D. M. (1989). Sex differences in human mate preferences: Evolutionary hypotheses tested in 37 cultures. *Behavioral and Brain Sciences*, 12, 1-49.

Buss, D. M. (1991). Evolutionary personality psychology. *Annual Review of Psychology*, 42,459-492.

Buss, D. M. (1995). Evolutionary psychology: A new paradigm for psychological science. *Psychological Inquiry*, 6, 1-30.

Buss, D. M. (1999). Human nature and individual differences: The evolution of human personality. In L. A. Pervin, O. P. & John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and Research* (pp. 31-56). New York: Guilford.

Buss, D. M., Block, J. H., & Block, J. (1980). Preschool activity level: Personality correlates and developmental implications. *Child Development*, 51, 401-408.

Buss, D. M., Larsen, R. J., Westen, D., & Semmelroth, J. (1992). Sex differences in jealousy: Evolution, physiology and psychology. *Psychological Science*, 3,251-255.

Butterworth, G. (1992). Origins of self-perception in infancy. *Psychological Inquiry,* 3, 103-111.

Buunk, B. P., Angleitner, A., Oubaid, V., & Buss, D. M. (1996). Sex differences in jealousy in evolutionary and cultural perspective. *Psychological Science,* 7, 359-363.

Cacioppo, J. T., Berntson, G. G., Larsen, J. T., Poehlrnann, K. M., & Ito, T. A. (2000). The psychophysiology of emotion. In M. Lewis & J. M. Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 173-191).New York: Guilford.

Cacioppo, J. T., Berntson, G. G., Sheridan, J. F., & McClintock, M. K. (2000). Multilevel integrative analyses of human behavior: Social neuroscience and the complementing nature of social and biological approaches. *Psychological Bulletin*, 126, 829-843.

Campbell, D. T. (1957). A typology of projective tests and otherwise. *Journal of Consulting Psychology*, 21, 207-210.

Campbell, D. T., & Fiske, D. W. (1959). Convergent and discriminant validation by the multitrait-multimethod matrix. *Psychological Bulletin*, 56, 81-105.

Canli, T., Zhao, Z., Desmond, J. E., Kang, E., Gross, J., & Gabrieli, J. D. E. (2001). An *f*MRI study of personality influences on brain reactivity to emotional stimuli. *Behavioral Neuroscience*, 115, 33-42.

Cantor, N. (1990a). From thought to behavior: "Having" and "doing" in the study of personality and cognition. *American Psychologist*, 45, 735-750.

Cantor, N. (1990b). Social psychology and sociobiology: What can we leave to evolution? *Motivation and Emotion*, 14,242-254.

Cantor, N. (1994). Life task problem solving: Situational affordances and personal needs. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 20, 235-243.

Cantor, N., & Kihlstrom, J. F. (1987). *Personality and social intelligence.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Cantor, N., & Kihlstrom, J. F. (1989). Social intelligence and cognitive assessments of personality. *Advances in Social Cognition*, 2, 1-59.

Cantor, N., & Langston, C. A. (1989). "Ups and downs" of life tasks in a life transition. In L. A. Pervin (Ed.), *Goal concepts in personality and social psychology* (pp. 127-167). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Cantor, N., & Zirkel, S. (1990). Personality, cognition, and purposive behavior. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 135-164). New York: Guilford.

Caprara, G. V ., & Cervone, D. (2000). *Personality: Determinants, dynamics, and potentials.* New York: Cambridge University Press.

Carnelley, K. B., Pietromonaco, P. R., & Jaffe, K. (1994). Depression, working models of others, and relationships functioning. *Journal of Personality and Social Psychology*, 66, 127-140.

Carson, R. C. (1969). *Interaction concepts of personality.* Chicago: Aldine.

Carson, R. C. (1991). The social-interactional viewpoint. In M. Hersen, A. E. Kazdin, & A. S. Bellack (Eds.), *The clinical psychology handbook* (pp. 185-199). Elmsford, NY: Pergamon.

Carver, C. S., Pozo, C., Harris, S. D., Noriega, V., Scheier, M. F., Robinson, D. S., Ketcham, A. S., Moffat, F. L., & Clark, K. C. (1993). How coping mediates the effect of optimism on distress: A study of women with early

stage breast cancer. *Journal of Personality and Social Psychology*, 65, 375-390.

Carver, C. S., Lawrence, I. W., & Scheier, M. F. (1999). Self-discrepancies and affect: Incorporating the role of feared selves. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 25, 783-792.

Carver, C. S., & Scheier, M. F. (1981). *Attention and self-regulation: A control theory approach to human behavior*. New York: Springer-Verlag.

Carver, C. S., & Scheier, M. F. (1990). Origins and functions of positive and negative affect: A control-process view. *Psychological Review*, 97, 19-35.

Carver, C. S., & Scheier, M. F. (1998). *On the self-regulation of behavior*. New York: Cambridge university Press.

Carver, C. S., & Scheier, M. F. (1999). Stress, coping, and self-regulatory processes. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Personality: Theory and research* (pp. 553-575). New York: Guilford.

Carver, C. S.. & Scheier, M. F. (2000). *Perspectives on personality*. Boston: Allyn & Bacon.

Carver, C. S., & Scheier, M. F. (in press). Optimism. In C. R. Snyder (Ed.), *Coping: The psychology of what works*. New York: Oxford University Press.

Carver, C. S., Scheier, M. F., & Weintraub, I. K. (1989). Assessing coping strategies: A theoretically based approach. *Journal of Personality and Social Psychology*, 56, 267-283.

Carver, C. S., Sutton, S. K., & Scheier, M. F. (2000). Action, emotion, and personality: Emerging conceptual integration. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 26, 741-751.

Carver, C. S. & White, T. L. (1994). Behavioral inhibition, behavioral activation, and affective responses to impending reward and punishment: The BIS/BAS scales. *Journal of Personality and Social Psychology*, 67, 319-333.

Caspi, A. (1998). Personality development across the life course. In W. Damon (Ed.), *Handbook of child psychology* (Vol. 3, pp. 311-388). New York: Wiley.

Caspi, A. (2000). The child is father of the man: Personality correlates from childhood to adulthood. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78, 158-172.

Caspi, A., & Roberts, B. (1999). Personality change and continuity across the life course. In L. A. Pervin & O. P. Iohn (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 300-326). New York: Guilford.

Caspi, A., & Roberts, B. (2001). Personality development across the life Course: The argument for change and continuity. *Psychological Inquiry*, 12, 49-66.

Caspi, A., & Silva, P. A. (1995). Temperamental qualities at age 3 predict personality traits in young adulthood: Longitudinal evidence from a birth cohort. *Child Development*, 66, 486-498.

Cattell, R. B. (1943). The description of personality: Basic traits resolved into clusters. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 38, 476-506.

Cattell, R. B. (1945). The principal trait clusters for describing personality. Psychological Bulletin, 42, 129-161.

Cattell, R. B. (1956). Validation and interpretation of the 16 P.F. questionnaire. *Journal of Clinical Psychology*, 12, 205-214.

Cattell, R. B. (1965). *The scientific analysis of personality*. Baltimore: Penguin.

Cat tell, R. B., & Eber, H. W. (1962). *Handbook for the Sixteen P.F. Test*. Champaign, IL: IPAT.

Cervone, D., Shadel, W. G., & Jencius, S. (2001). Social-cognitive theory of personality assessment. *Personality and Social Psychology Review*, 5, 33-51.

Chambless, D. L., & Gillis, M. M. (1993). Cognitive therapy of anxiety disorders. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 61, 248-260.

Chambless, D. L. & Ollendick, T. H. (2001). Empirically supported psychological interventions: Controversies and evidence. *Annual Review of Psychology*, 52, 685-716.

Champagne, B., & Pervin, L. A. (1987). The relation of perceived situation similarity to perceived behavior similarity: Implications for social learning theory .*European Journal of Personality*, 1, 79-92.

Chen, M., & Bargh, I. A. (1999). Consequences of automatic evaluation: Immediate behavioral predispositions to approach or avoid the stimulus. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 25, 215-224.

Chen, C., Lee, S., & Stevenson, H. W. (1995). Response style and cross-cultural comparisons of rating scales among East Asian and North American students. *Psychological Science* 6, 170--175.

Cheung, R. M., Leung,. K., Fan, R. M., Song, W. Z., Zhang, J. X., & Zhang, J. P. (1996). Development of the Chinese Personality Assessment Inventory .*Journal of Cross-Cultural Psychology*, 27, 181-199.

Chiu, C., Hong, Y., & Dweck, C. S. (1997). Lay dispositionism and implicit theories of personality. *Journal of Personality and Social Psychology*; 73, 19-30.

Christianson, S. A. (1992). Emotional stress and eyewitness memory: A critical review. *Psychological Bulletin*, 112, 284-309.

Church, A. T. (2000). Culture and personality: Toward an integrated cultural trait psychology. *Journal of Personality*, 68,651-703.

Church, A. T. (2001). Personality measurement in cross-cultural perspective. *Journal of Personality*, 69, 955-978.

Church, M. A., Elliot, A.J., & Gable, S. L. (2001). Perceptions of classroom environment, achievement goals, and achievement outcomes. *Journal of Educational Psychology*, 93, 43-54.

Ciarrochi, J., Forgas, J. P., & Mayer, J. D. (Eds.). (2001). *Emotional intelligence in everyday life*. Philadelphia: Taylor & Francis.

Clark, D. A., Beck, A. T., & Brown, G. (1989). Cognitive mediation in general psychiatric outpatients: A test of the content-specificity hypothesis. *Journal of Personality and Social Psychology*, 56, 958-964.

Clark, L. A. (1993). Personality disorder diagnosis: Limitations of the five-factor model. *Psychological Inquiry*, 4, 100-104. .

Clark, L. A., Vorhies, L., & McEwen, J. L. (1994). Personality disorder symptomatology from the five- factor model perspective. In P. T. Costa, Jr., & T. A. Widiger (Eds.), *Personality disorders and the five-factor model of personality* (pp. 95-116). Washington, DC: American Psychological Association.

Clark, L. A., & Watson, D. (1991). General affective dispositions in physical and psychological health. In C. R. Snyder & D. R. Forsyth (Eds.), *Handbook of social and clinical psychology* (pp. 221-245). Elmsford, NY: Pergamon.

Clark, L. A., & Watson, D. (1999). Temperament: A new paradigm for trait psychology. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 399-423). New York: Guilford.

Cloninger, C. R. (1986). A unified biosocial theory of personality and its role in the development of anxiety states. *Psychiatric Developments*, 3, 167-226.

Cloninger, C. R. (1987). A systematic method for clinical description and classification of personality. *Archives of General Psychiatry*, 44, 573-588.

Cloninger, C. R., Svrakic, D. M., & Pryzbeck,T. R. (1993). A psychobiological model of temperament and character. *Archives of General Psychiatry*, 50. 975-990.

Coan, R. W. (1966). Child personality and developmental psychology. In R. B. Cat tell (Ed.), *Handbook of multivariate experimental psychology* (pp. 732-752). Chicago: Rand McNally.

Coats, E. J., Janoff-Bulman, R., & Alpert. N. (1996). Approach versus avoidance goals: Differences in self-evaluation and well-being. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 22, 1057-1067.

Cofer, C. N. (1981). The history of the concept of motivation. Journal of the History of the Behavioral *Sciences*, 17,48-53.

Collins, N. L., & Read, S. J. (1990). Adult attachment, working models, and relationship quality in dating couples. *Journal of Personality and Social Psychology*, 58, 644-663.

Collins, W. A., Maccoby, E. E. , Steinberg, L., Hetherington, E. M., & Bornstein, M. H. (2000). Contemporary research on parenting: The case for nature and nurture. *American Psychologist*, 55, 218-232.

Colvin, C. R., & Block, J. (1994). Do positive illusions foster mental health? An examination of the Taylor and Brown formulation. *Psychological Bulletin*, 116, 3-20.

Contrada, R. J., Cather, C., & O'Leary, A. (1999). Personality and health: Dispositions and processes in disease susceptibility and adaptation to illness. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 576-604). New York: Guilford.

Cooley, C. H. (1902). *Human nature and the social order*. New York: Scribner.

Cooper, S. H. (1993). The self construct in psychoanalytic theory: A comparative view. In Z. Segal & S. J. Blatt (Eds.), *The self in emotional distress* (pp. 41-67). New York: Guilford.

Corbitt, E. M. (1994). Narcissism from the perspective of the five-factor model. In P. T. Costa, Jr. & T. A. Widiger (Eds.), *Personality disorders and the five-factor model of personality* (pp. 199-203). Washington, DC: American Psychological Association.

Corteen, R. S., & Wood, B. (1979). Autonomic responses to shock-associated words in an unattended channel. *Journal of Experimental Psychology*, 94,308-313.

Cosmides, L., & Tooby, J. (2000). Evolutionary psychology and the emotions. In M. Lewis & J.M. Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 91-115). New York: Guilford.

Costa, P. T., Jr., & McCrae, R. R. (1985). *The NEO Personality Inventory manual.* Odessa, FL: Psychological Assessment Resources.

Costa, P. T., Jr., & McCrae, R. R. (1987). Neuroticism, somatic complaints, and disease: Is the bark worse than the bite? *Journal of Personality*, 55,299-316.

Costa, P. T., Jr., & McCrae, R. R. (1988). From catalog to classification: Murray's needs and the five-factor model. *Journal of Personality and Social Psychology*, 55, 258-265.

Costa, P. T., Jr., & McCrae, R. R. (1992). NEO-PI-R, *Professional manual.* Odessa, FL: Psychological Assessment Resources.

Costa, P. T., Jr., & McCrae, R. R. (1994). "Set like plaster?" Evidence for the stability of adult personality. In T. Heatherton & J. Weinberger (Eds.), *Can personality change?* (pp. 21-40). Washington, DC: American Psychological Association.

Costa, P. T., Jr., & Widiger, T. A. (Eds.). (1994). *Personality disorders and the five-factor model of personality.* Washington, DC: American Psychological Association.

Costa, P. T., Jr., & Widiger, T. A. (Eds.). (2002). *Personality disorders and the five-factor model of personality.* Washington, DC: American Psychological Association.

Cousins, N. (1979). *Anatomy of an illness.* New York: Norton. .

Coyne, J. C., & Gottlieb, B. H. (1996). The mismeasure of coping by checklist. *Journal of Personality*, 64,959-991.

Craik, F. I. M., Moroz, T. M. N., Moscovitch, M., Stuss, D. T., Winocur, G., Tulving, E., & Kapur, S. (1999). In search of the self: A positron emission tomography study. *Psychological Science*, 10, 26-34.

Craik, K. H. (1986). Personality research methods: An historical perspective. *Journal of Personality*, 54, 18-50.

Cramer, P. (2000). Defense mechanisms in psychology today. American Psychologist, 55,637-646.

Cramer, P., & Davidson, K. (Eds.) (1998). Defense mechanisms in contemporary personality research [Special issue]. *Journal of Personality*, 66.

Crits-Christoph, P. (1992). The efficacy of brief dynamic psychotherapy: A meta-analysis. *American Journal of Psychiatry*, 149, 151-158.

Crocker, J., & Wolfe, C. T. (2001). Contingencies of self-worth. *Psychological Review*, 108,593-623.

Cronbach, L. J. (1957). The two disciplines of scientific psychology. *American Psychologist*, 12,671-684.

Cronbach, L. J., & Meehl, P. E. (1955). Construct validity in psychological tests. *Psychological Bulletin*, 52, 281-302.

Cross, S. E., & Markus, H. R. (1990). The willful self. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 16, 726-742.

Cross, S. E., & Markus, H. R. (1999). The cultural constitution of personality. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 378-398). New York: Guilford.

Csikszentmihalyi, M. (1975). *Beyond boredom and anxiety*. San Francisco, CA: Jossey-Bass.

Dabbs, J. M., Jr. (2000). Heroes, rogues, and lovers: Outcroppings of testosterone. New York: McGraw- Hill.

Dabbs, J. M., Jr., & Bernieri, F. J. (2001). Going on stage: Testosterone in greetings and meetings. *Journal of Research in Personality*, 35, 27-40.

Damarin, F. L., & Cattell, R. B. (1968). Personality factors in early childhood and their relation to intelligence. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 33, 1-95.

Damasio, A. R. (1994). *Descartes' error*. New York: Avon.

Damasio, A. R. (1999). *The feeling of what happens: Body and emotion in the making of consciousness*. New York: Harcourt Brace.

Damon, W., & Hart, D. (1988). Self-*understanding in childhood and adolescence.* Cambridge, England: Cambridge University Press.

Daniels, D., & Plomin, R. (1985). Differential experiences of siblings in the same family. *Developmental Psychology*, 21,747-760.

Danner, D. D., Snowdon, D. A., & Friesen, W. V. (2001). Positive emotions in early life and longevity: Findings from the nun study. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80,804-813.

Darwin, C. (1859). *The origin of the species*. London: Murray.

Dashiell, J. F. (1939). Some rapprochements in contempoi ary psychology. *Psychological Bulletin*, 36, 1-24.

Davidson, R. J. (1992). Emotion and affective style: Hemispheric substrates. *Psychological Science*, 3, 39-43.

Davidson, R. J. (1998). Affective style and affective disorders: Perspectives from affective neuroscience. *Cognition and Emotio*n, 12, 307-330.

Davidson, R. J. (1999). Biological bases of personality. In V. J. Derlega, B. A. Winstead, & W. H. Jones (Eds.), *Personality: Contem orary theory and research* (pp. 101-125). Chicago: Nelson-Hall.

Davidson, R. J. (2000). Affective style, psychopathology, and resilience: Brain mechanisms and plasticity. *American Psychologist*, 55,1196-1214.

Davidson, R. J., Abercrombie, H. C., Nitschke, J., & Putnam, K. (1999). *Current Opinion in Neurobiology*, 9, 228-234.

Davidson, R. J., Jackson, D. C., & Kalin, N. H. (2000). E notion, plasticity, context, and regulation: Perspectives from affective neuroscience. *Psychological Bulletin*, 126, 890-909.

Davidson, R. J., Pizzagalli, D., Nitshcke, J. B., & Putnam, K. (2002). Depression: Perspectives from affective neuroscience. *Annual Review of Psychology*, 53,545-574.

Davidson, R. J., Putnam, K. M., & Larson, C. L. (2000). Dysfunction in the neural circuitry of emotion regulation-A possible prelude to violence. *Science*, 289,591-594.

Davidson, R. J., Scherer, K. R., & Goldsmith, H. H. (Eds.). (2002). *Handbook of affective sciences*. New York: Oxford University Press.

Davis, G. D., & Millon, T. (1993). The five-factor model for .personality disorders: Apt or misguided? *Psychological Inquiry*, 4, 104-109.

Davis, P. J., & Schwartz, G. E. (1987). Repression and the inaccessibility of affective memories. *Journal of Personality and Social Psychology*, 52, 155-162.

Davison, G. C., & Neale, J. M. (1994). *Abnormal psychology: An experimental clinical approach*. New York: Wiley.

Dean, K. E., & Malamuth, N. M. (1997). Characteristics of men who aggress sexually and of men who imagine aggressing: Risk and moderating variables. *Journal of Personality and Social Psychology*, 72, 449-455.

DeAngelis, T. (1993, November). APA panel is examining memories of child abuse. *American Psychological Association Monitor*, p.44.

Deci, E. L., & Ryan, R. M. (2000). The "what" and "why" of goal pursuits: Human needs and the self-determination of behavior. *Psychological Inquiry*, 11, 227-268.

Degler, C. (1991). *In search of human nature*. New York: Oxford University Press.

DeNeve, K. M., & Cooper, H. (1998). The happy personality: A meta-analysis of 137 personality traits and subjective well-being. *Psychological Bulletin*, 124, 197-229.

Depue, R. A. (1996). A neurobiological framework for the structure of personality and emotion: Implications for personality disorders. In J. Clarkin & M. Lenzenweger (Eds.), *Major theories of personality disorders* (pp. 347-390). New York: Guilford.

Depue, R. A., & Collins, P. F. (1999). Neurobiology of the structure of personality: Dopamine, facilitation of incentive motivation, and extraversion. *Behavioral and Brain Sciences*, 22, 212-232.

Diener, C. I., & Dweck, C. S. (1978). An analysis of learned helplessness: Continuous changes in performance, strategy and achievement cognitions following failure. *Journal of Personality and Social Psychology*, 36, 451-462.

Diener, C. I., & Dweck, C. S. (1980). An analysis of learned helplessness: The processing of success. *Journal of Personality and Social Psychology*, 39, 940-952.

Diener, E. (2000). Subjective well-being. *American Psychologist*, 55, 34-43.

Diener, E., Emmons, R. A., Larsen, R. J., & Griffin, S. (1985). The Satisfaction With Life Scale. *Journal of Personality Assessment*, 49, 71-75.

Diener, E., & Lucas, R. E. (1999). Personality and subjective well-being. In D. Kahneman, E. Diener, & N. Schwarz (Eds.), Well-being: *The foundations of hedonic psychology* (pp. 213-229). New York: Russell Sage Foundation.

Dienstbier, R. (Ed.). (1990). *Nebraska symposium on motivation*. Lincoln: University of Nebraska Press.

Diven, K. (1937). Certain determinants in the conditioning of anxiety reactions. *Journal of Psychology*, 3, 291-308.

Dodge, K. A. (1993). Social-cognitive mechanisms in the development of conduct disorder and depression. *Annual Review of Psychology*, 44, 559-584.

Dodge, K.. A. (2000). Conduct disorder. In A. Sameroff, M. Lewis, & S. M. Miller (Eds.), *Handbook of developmental psychopathology* (pp. 447-463). New York: Guilford.

Dollard, J., & Miller, N. E. (1950). *Personality and psychotherapy*. New York: McGraw-Hill. Don't sell thick diapers in Tokyo. *New York Times*. October 3, 1993, p. D9.

Doucet, C., & Stelmack, R. M. (2000). An event-related potential analysis of extraversion and individual differences in cognitive processing speed and response execution. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78, 956-964.

Duncan, J., Seitz, R. I., & Kolodny, J. (2000). A neural basis for general intelligence. *Science*, 289, 457-460.

Dunn, J., & Plomin, R. (1990). *Separate lives: Why siblings are so different*. New York: Basic Books.

Dweck, C. S. (1999). *Self-theories: Their role in motivation, personality, and development*. Philadelphia: Psychology Press/Traylor & Francis.

Eagle, M. N. (1987). The psychoanalytic and the cognitive unconscious. In R. Stern (Ed.), *Theories of the unconscious and theories of the self* (pp. 155-189). Hillsdale, NI: Erlbaum.

Eagle, M. N., Wolitzky, D. L., & Klein, G. S. (1966). Imagery: Effect of a concealed figure in a stimulus. *Science*, 18,837-839.

Eagly, A. H., & Wood, W. (1999). The origins of sex differences in human behavior. *American Psychologist*, 54, 408-423.

Eaves, L. I., Eysenck, H. J., & Martin, N. G. (1989). *Genes, culture and personality: An empirical approach*. San Diego, CA: Academic.

Ebstein, R. P., Novick, O., Umansky, R., Priel, B., Osher, Y., Blaine, D., Bennett, E., Newmanov, L., Katz, M., & Belmaker, R. (1996). Dopamine D4 receptor (D4DR) exon III polymorphism associated with the human personality trait of Novelty Seeking. *Nature Genetics*, 12, 78-80.

Eccles, J. S., & Wigfield, A. (2002). Motivational beliefs, values, and goals. *Annual Review of Psychology*, 53, 109-132.

Ekman, P. (1973). Cross-cultural studies of facial expression. In P. Ekman (Ed.), *Darwin and facial expression* (pp. 169-222). New York: Academic.

Ekman, P. (1992a). An argument for basic emotions. *Cognition and Emotion*, 6, 169-200.

Ekman, P. (1993). Facial expression and emotion. *American Psychologist*, 48, 384-392.

Ekman, P. (1994). Strong evidence for universals in facial expressions: A reply to Russell's mistaken critique. *Psychological Bulletin*, 115, 268-287.

Ekman, P., Friesen, W. V., O'Sullivan, M., Chan, A., Diacoyanni-Tarlatzis, I., Heider, K., Krause, R., Le Compte, W. A., Pitcairn, T., Ricci-Bitti, P. E., Scherer, K., Tomita, M., & Tzavaras, A. (1987). Universal and cultural differences in the judgment of facial expressions of emotion. *Journal of Personality and Social Psychology*, 53, 712-717.

Elder, G. H., Jr. (1974). *Children of the Great Depression*. Chicago: University of Chicago Press.

Elder, G. H., Jr. (1979). Historical change in life patterns and personality. In P. B. Baltes & O. G. Brim, Jr. (Eds.), *Life-span development and behavior* (pp. 117-159). New York: Academic.

Elder, G. H., Ir., & Caspi, A. (1988). Economic stress: Developmental perspectives. *Journal of SocialIssues*, 44, 25-45.

Elkin, I., Shea, M. T., Watkins, J. T., Imber, S. D., Sotsky, S. M., Collins, J. F., Glass, D. R., Pilkonis, P. A., Leber, W. R., Docherty, J. P., Fiester, S. I., & Parloff, M. B. (1989). NIMH treatment of depression collaborative research program: I. General effectiveness of treatments. *Archives of General Psychiatry*, 46, 971-983.

Ellenberger, H. F. (1970). *The discovery of the unconscious*. New York: Basic Books.

Elliot, A. J. (1999). Approach and avoidance motivation and achievement goals. *Educational Psychologist*, 34, 169-189.

Elliot, A. J., Chirkov, V. I., & Kim, Y., & Sheldon, K. M. (2001). A cross-cultural analysis of avoidance personal goals. *Psychological Science*, 12, 505-510.

Elliot, A. J., & Church, M.A. (1997). A hierarchical model of approach and avoidance achievement motivation. *Journal of Personality and Social Psychology*, 72, 218-232.

Elliot, A. I., & Covington, M. V. (2001). Approach and avoidance motivation. *Educational Psychology Review*, 13,73-92.

Elliot, A. J., & Devine, P. G. (1994). On the motivational nature of cognitive dissonance: Dissonance as psychological discomfort. *Journal of Personality and Social Psychology*, 67, 382-394.

Elliot, A. J., & Harackiewicz, I. M. (1996). Approach and avoidance achievement goals and intrinsic motivation: A mediational analysis. *Journal of Personality and Social Psychology*, 70, 461-475.

Elliot, A. J., & McGregor, H. A. (2001). A 2 X 2 achievement goal framework. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80,501-519.

Elliot, A. J., & Sheldon, K. M. (1997). Avoidance achievement motivation: A personal goals analysis. *Journal of Personality and Social Psychology*, 73, 171-185.

Elliot, E. S., & Dweck, C. S. (1988). Goals: An approach to motivation and achievement. *Journal of Personality and Social Psychology*, 54, 5-12.

Ellis, A., & Harper, R. A. (1975). *A new guide to rational living*. North Hollywood, CA: Wilshire.

Emmons, R. (1999). *The psychology of ultimate concerns*. New York: Guilford.

Emmons, R. A. (1986). Personal strivings: An approach to personality and subjective well-being. *Journal of Personality and Social Psychology*, 51,1058-1068.

Emmons, R. A. (1987). Narcissism: Theory and measurement. Journal *of Personality and Social Psychology*, 52,11-17.

Emmons, R. A. (1989a). Exploring the relationship between motives and traits: The case of narcissism. In D. M. Buss & N. Cantor (Eds.), *Personality*

psychology: Recent trends and emerging directions (pp. 32-44). New York: Springer-Verlag.

Emmons, R. A. (1989b). The personal striving approach to personality. In L. A. Pervin (Ed.), *Goal concepts in personality and social psychology* (pp. 87-126). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Emmons, R. A. (1997). Motives and life goals. In R. Hogan, J. Johnson, & S. Briggs (Eds.), *Handbook of personality psychology* (pp. 485-512). New York: Academic Press.

Emmons, R. A., & Diener, E. (1986). A goal-affect analysis of everyday situational choices. *Journal of Research in Personality*, 20, 309-326.

Emmons, R. A., & King, L. A. (1988). Conflict among personal strivings: Immediate and long-term implications for psychological and physical well-being. *Journal of Personality and Social Psychology*, 54, 1040-1048.

Emmons, R. A., King, L. A., & Sheldon, K. (1993). Goal conflict and the self-regulation of action. In D. W. Wegner & J. W. Pennebaker (Eds.), *Handbook of mental control* (pp. 528-551). Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Epstein, S. (1973). The self-concept revisited, or a theory of a theory. *American Psychologist*, 28, 404-416.

Epstein, S. (1983). A research paradigm for the study of personality and emotions. In M. M. Page (Ed.), *Personality: Current theory and research* (pp. 91-154). Lincoln: University of Nebraska Press.

Epstein, S. (1990). Cognitive-experimental self-theory. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 165-192). New York: Guilford.

Epstein, S. (1992). The cognitive self, the psychoanalytic self, and the forgotten selves. *Psychological Inquiry*, 3, 34-37.

Erdelyi, M. H. (1985). *Psychoanalysis: Freud's cognitive psychology*. New York: Freeman.

Erdelyi, M. H. (2001). Defense processes can be conscious or unconscious. *American Psychologist*, 56, 761-762.

Ericsson, K. A., & Simon, H. A. (1980). Verbal reports as data. *Psychological Review*, 87, 215-251.

Ericsson, K. A., & Simon, H. A. (1993). *Protocol analysis: Verbal reports as data*. Cambridge, MA: MIT Press.

Exner, J. E., Jr. (1993). *The Rorschach: A comprehensive system*. New York: Wiley.

Eysenck, H. I. (1970). *The structure of human personality*. London: Methuen.

Eysenck, H. J. (1977). Personality and factor analysis: A reply to Guilford. *Psychological Bulletin*, 84, 405-411.

Eysenck, H. J. (1979). The conditioning model of neurosis. *Behavioral and Brain Sciences*, 2, 155-199.

Eysenck, H. J. (1990). Biological dimensions of personality. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 244-276). New York: Guilford.

Eysenck, H. I. (1992). Four ways five factors are not basic. *Personality and Individual Differences*, 13, 667-673.

Eysenck, H. J. (1993). Creativity and personality: Suggestions for a theory. *Psychological Inquiry*, 4, 147-178.

Eysenck, H. J., & Eysenck, S. B. G. (1975). *Manual of the Eysenck Personality Questionnaire*. London: Hodder & Stoughton.

Eysenck, H. J., & Martin, I. (Eds.). (1987). *Theoretical foundations of behavior therapy*. New York: Plenum.

Eysenck, S. B. G., Eysenck, H. J., & Barrett, P. (1985). A revised version of the psychoticism scale. *Personality and Individual Differences*, 6, 21-29.

Feather, N. T. (Ed.). (1982). *Expectations and actions: Expectancy-value models in psychology*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Feeney, J. A., & Noller, P. (1990). Attachment style as a predictor of adult romantic relationships. Journal *of Personality and Social Psychology*. 58,281-291.

Feinberg, T. (2001). *Altered egos: How the brain creates the self.* New York: Oxford

Fenichel, O. (1945). *The psychoanalytic theory of neurosis.* New York: Norton.

Fenigstein, A., Scheier, M. F., & Buss, A. H. (1975). Public and private self-consciousness: Assessment and theory. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 3,522-527.

Festinger, L. (1957). *A theory of cognitive dissonance.* Evanston, IL: Row. Peterson.

Fisher, C. (1956). Dreams, images, and perception: A study of unconscious-preconscious relationships. *Journal of the American Psychoanalytic Association*, 4, 5-48.

Fisher, C. (1960). Subliminal and supraliminal influences on dreams. *American Journal of Psychiatry*, 116, 1009-1017.

Fisher, C. (1965). Psychoanalytic implications of recent research on sleep and dreaming. *Journal of the American Psychoanalytic Association*, 13, 197-303.

Fleeson, W. (2001). Toward a Structure- and process-integrated view of personality: Traits as density distributions of states. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80, 1011-1027.

Fleming, J. H., & Rudman, L. A. (1993). Between a rock and a hard place: Self-concept regulating and communicative properties of distancing behaviors. *Journal of Personality and Social Psychology*. 64,44-59.

Flink, C., Boggiano, A. K., & Barrett, M. (1990). Controlling teaching strategies: Undermining children's self-determination and performance. *Journal of Personality and Social Psychology*, 59,916-924.

Flynn, J. R. (1998). IQ gains over time: Toward finding the causes. In U. Neisser (Ed.), *The rising curve: Long-term gains in IQ and related measures* (pp. 25-66). Washington, DC: American Psychological Association.

Folkman, S., Lazarus, R. S., Dunkel-Schetter, C., DeLongis, A., & Omen, R. (1986). The dynamics of a stressful encounter: Cognitive appraisal, coping, and encounter outcomes. *Journal of Personality and Social Psychology*, 50, 992-1003.

Fong, G. T., & Markus, H. (1982). Self-schemas and judgments about others. *Social Cognition*, 1 , 191-204.

Ford, M. E. (1992). *Motivating humans*. Newbury Park, CA: Sage.

Forer, B. R. (1949). The fallacy of personal validation: A classroom demonstration of gullibility. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 44, 118-123.

Frank, J. D., & Frank, J. B. (1991). *Persuasion and healing* (3rd ed.). Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Frederickson, B. L. (2001). The role of positive emotions in positive psychology: The broaden-and-build theory of positive emotions. *American Psychologist*, 56, 218-226.

Frese, M., & Sabini, J. (Eds.). (1985). *Goal directed behavior: The concept of action in psychology*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Freud, S. (1924). *A general introduction to psychoanalysis*. New York: Permabooks (Boni & Liveright Edition).

Funder, D. C. (1993). Judgments of personality and personality itself. In K. H. Craik, R. Hogan, & R. N. Wolfe (Eds.), *Fifty years of personality psychology* (pp. 207-214). New York: Plenum.

Funder, D. C. (2001). Personality. *Annual Review of Psychology*, 52, 197-221.

Funder, D. C., & Block, J. (1989). The role of ego-control, ego-resiliency, and IQ in delay of gratification in adolescence. *Journal of Personality and Social Psychology*, 57, 1041-1050.

Funder, D. C., & Colvin, C. R. (1988). Friends and strangers: Acquaintanceship, agreement, and the accuracy of personality judgment. *Journal of Personality and Social Psychology*, 55, 149-158.

Funder, D. C., & Colvin, C. R. (1991). Explorations in behavioral consistency: Properties of persons, situations, and behaviors. *Journal of Personality and Social Psychology*, 60, 773-794.

Funder, D. C., & Dobroth, K. M. (1987). Differences between traits: Properties associated with interjudge agreement. *Journal of Personality*, 54, 528-550.

Funder, D. C., Kolar, D. C., & Blackman, M. C. (1995). Agreement among judges of personality: Interpersonal relations, similarity, and acquaintanceship. *Journal of Personality and Social Psychology*, 69, 656-672.

Funder, D. C., Parke, R. D., Tomlinson-Keasey, C. A., & Widaman, K. (Eds.). (1993). *Studying lives through time: Personality and development*. Washington, DC: American Psychological Association.

Gable, S. L., Reis, H. T., & Elliot, A. J. (2000). Behavioral activation and inhibition in everyday life. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78,1135-1149.

Gabrieli, J. D. (2001). Different dispositions, different brains. *APA Monitor, February*, p. 67.

Gallup, G. G., Jr. (1970). Chimpanzees: Self-recognition. *Science*, 167, 86-87.

Galton, F. (1869). *Hereditary genius*. London: Macmillan.

Galton, F. (1883). *Inquiries into human faculty and its development*. London: Macmillan.

Garmezy, N. (1993). Vulnerability and resilience. In D. Funder, R. D. Parke, C. Tomlinson-Keasey, & K. Widaman (Eds.), *Studying lives through time* (pp. 377-398). Washington, DC: American Psychological Association.

Gemar, M. N. C., Segal, Z. V., Sagrati, S., & Kennedy, S. J. (2000). *Contributions of effortful and automatic measures of cognition to a risk marker for*

depressive relapse/recurrence: The Implicit Association Test in depression. Manuscript submitted for publication.

Giesler, R. B., Josephs, R. A., & Swann, W. B., Jr. (1996). Self-verification in clinical depression: The desire for negative evaluation. *Journal of Abnormal Psychology*, 105,358-368,

Glassman, N. S., & Andersen, S. M. (1999). Activating transference without consciousness: Using significant-other representations to go beyond what is subliminally given. *Journal of Personality and Social Psychology*, 77, 1146-1162.

Goldberg, L. R. (1981). Language and individual differences: The search for universals in personality lexicons. In L. Wheeler (Ed.), *Review of personality and social psychology* (pp. 141-165). Beverly Hills, CA: Sage.

Goldberg, L. R. (1990). An alternative "description of personality": The big-five factor structure. *Journal of Personality and Social Psychology*, 59, 1216-1229.

Goldberg, L. R. (1993). The structure of phenotypic personality traits. *American Psychologist*, 48,26-34.

Goldberg, L. R. (2001). Analyses of Digman's child-personality data: Derivation of Big-Five factor scores from each of six samples. *Journal of Personality*, 69, 709-743.

Goldsmith, T. H. (1991). *The biological roots of human nature.* New York: Oxford University Press.

Gollwitzer, P. M., & Bargh, J. A. (Eds.). (1996). *The psychology of action.* New York: Guilford.

Gosling, S. D. (2001). From mice to men: What can we learn about personality from animal research? *Psychological Bulletin*, 127,45-86.

Gosling, S. D., & John, O. P. (1999). Personality dimensions in nonhuman animals: A cross-species review. *Current Directions in Psychological Science*, 8, 69-75.

Gough, H. G. (1987). *Administrator's guide to the California Psychological Inventory*. Palo Alto, CA: Consulting Psychologists Press.

Gould, E., Reeves, A. J., Graziano, M. S. A., & Gross, C. G. (1999). Neurogenesis in the neocortex of adult primates. *Science*, 286, 548-552.

Gray, J. A. (1987). *The psychology of fear and stress*. Cambridge, England: Cambridge University Press.

Greenberg, J. R., & Mitchell, S. A. (1983). *Object relations in psychoanalytic theory*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Greenberg, M. A., Wortman, C. B., & Stone, A. A. (1996). Emotional expression and physical health: Revising traumatic memories or fostering self-regulation? *Journal of Personality and Social Psychology*, 71,588-602.

Greenwald, A. G. (1992). Unconscious cognition reclaimed. *American Psychologist*, 47, 766-779.

Greenwald, A. G., & Banaji, M. R. (1995). Implicit social cognition: Attitudes, self-esteem, and stereotypes. *Psychological Review*, 102, 4-27.

Greenwald, A. G., & Farnham, S. D. (2000). Using the implicit association test to measure self-esteem and self-concept. *Journal of Personality and Social Psychology*, 79, 1022-1038.

Greenwald, A. G., & Pratkanis, A. R. (1984). The self. In R. G. Wyer & T. K. Srull (Eds.), *Handbook of social cognition*. (Vol. 3, pp. 129-178). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Greenwald, A. G., Spangenberg, E. R., Pratkanis, A. R., & Eskenazi, J. (1991). Double blind tests of subliminal self-help audiotapes. *Psychological Science*, 2, 119-122.

Grinker, R. R., & Spiegel, J. P. (1945). *Men under stress*. Philadelphia: Bakiston.

Gross, J. L. (1999). Emotion and emotion regulation. In L.A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 525-552). New York: Guilford.

Gross, J. J., & John, O. P. (1997). Revealing feelings: Facets of emotional expressivity in self-reports, peer ratings, and behavior. *Journal of Personality and Social Psychology*, 72, 170-191.

Grove, W. M., & Meehl, P. E. (1996). Comparative efficiency of informal (subjective, impressionistic) and formal (mechanical, algorithmic) prediction procedures: The clinical-statistical controversy. *Psychology, Public Policy, and Law*, 2, 293-323.

Guarnaccia, P. I. I. (1997). A cross-cultural perspective on anxiety disorders. In S. Friedman (Ed.), *Cultural issues in the treatment of anxiety* (pp. 3-20). New York: Guilford.

Guilford, I. P. (1975). Factors and factors of personality. *Psychological Bulletin*, 82,802-814.

Guthrie, E. R. (1935). *The psychology of learning* (2nd ed.). New York: Harper.

Guthrie, E. R. (1952). *The psychology of learning*. New York: Harper.

Gynther, M. D. (1972). White norms and black MMPIs: A prescription for discrimination? *Psychological Bulletin*, 78, 386-402.

Gynther, M. D., & Green, S. B. (1980). Accuracy may make a difference, and does difference make for accuracy? *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 48, 268-272.

Hall, C. S., & Lindzey, G. (1957). *Theories of personality*. New York: Wiley.

Hamer, D. (1997). The search for personality genes: Adventures of a molecular biologist. *Current Directions in Psychological Science*, 6, 111-114.

Hardin, C., & Banaji, M. R. (1993). The influence of language on thought. *Social Cognition*, 11, 277-308.

Harkness, S., & Super, C. M. (2000). Culture and psychopathology. In A. J. Sameroff, M. Lewis, & S. M. Miller (Eds.), *Handbook of developmental psychopathology* (pp. 197-216). New York: Guilford.

Harlow, H. F. (1953). Mice, monkeys, men and motive. *Psychological Review*, 60, 23-32.

Harmon-Jones, E., & Allen, J. J. B. (1997). Behavioral activation sensitivity and resting frontal EEG asymmetry: Covariation of putative indicators related to risk for mood disorders. *Journal of Abnormal Psychology*, 106, 159-163.

Harmon-Jones, E., & Allen, J. J. B. (1998). Anger and frontal brain activity: EEG asymmetry consistent with approach motivation despite negative affective valence. *Journal of Personality and Social Psychology*, 74, 1310-1316.

Harris, C. R. (2000). Psychophysiological responses to imagined infidelity: The specific innate modular view of jealousy reconsidered. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78, 1082-1091.

Harris, C. R. (2002). Sexual and romantic jealousy in heterosexual and homosexual adults. *Psychological Science*, 13,7-12.

Harris, J. R. (1998). *The nurture assumption: Why children turn out the way they do.* New York: Free Press.

Harter, S. (1999). *The construction of the self.* New York: Guilford.

Hazan, C., & Shaver, P. R. (1987). Romantic love conceptualized as an attachment process. *Journal of Personality and Social Psychology*, 52, 511-524.

Hazan, C., & Shaver, P. R. (1994). Attachment as an organizational framework for research on close relationships. *Psychological Inquiry*, 5, 1-22.

Heatherton, T. F., & Baumeister, R. F. (1991). Binge eating as escape from self-awareness. *Psychological Bulletin*, I 10, 86-108.

Heider, E. R. (1972). Universals in color naming and memory. *Journal of Experimental Psychology*, 93, 10-20.

Heimpel, S. A., Wood, J. V., Marshall, M. A., & Brown, J. D. (2002). Do people with low self-esteem really want to feel better? Self-esteem differences in motivation to repair negative moods. *Journal of Personality and Social Psychology*, 82, 128-147.

Heine, S. J., Kitayama, S., Lehman, D. R., Takata, T., Ide, E., Leung, C., & Matsumoto, H. (2001). Divergent consequences of success and failure in

Japan and North America: An investigation of self improving motivations and malleable selves. Journal *of Personality and Social Psychology*, 81. 599-615.

Heine, S. J., Lehman, D. R., Markus, H. R., & Kitayama, S. (1999). Is there a universal need for positive self-regard? *Psychological Review*, 106, 766-794.

Helson, R. (1993). Comparing longitudinal studies of adult development: Toward a paradigm of tension between stability and change. In D. Funder, R. D. Parke, C. Tomlinson-Keasey, & K. Widaman (Eds.), *Studying lives through time* (pp. 93-120). Washington, DC: American Psychological Association.

Helson, R., & Stewart, A. (1994). Personality change in adulthood. In T. F. Heatherton & J. L. Weinberger (Eds.), *Can personality change?* (pp. 201-225). Washington, DC: American Psychological Association.

Henig, R. M. (2000). *The monk in the garden*. Boston: Houghton Mifflin.

Herrnstein, R. J., & Murray, C. (1994). *The bell curve: Intelligence and class structure in American life*. New York: Free Press.

Hess, A. K. (1992). Review of the NEO Personality Inventory. *Mental Measurements Yearbook*, 11, 603-605.

Hetherington, E. M., Reiss, D., & Plomin, R. (Eds.). (1994). *Separate social worlds of siblings: Impact of nonshared environment on development*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Higgins, E. T. (1987). Self-discrepancy: A theory relating self and affect. *Psychological Review*, 94, 319-340.

Higgins, E. T. (1989). Continuities and discontinuities in self-regulatory self-evaluative processes: A developmental theory relating self and affect. *Journal of Personality*, 57, 407-444.

Higgins, E. T. (1997). Beyond pleasure and pain. *American Psychologist*, 52, 1280-3000.

Higgins, E. T. (1999). Persons and situations: Unique explanatory principles or variability in general principles? In D. Cervone & Y. Shoda (Eds.), *The coherence of personality* (pp. 61-93). New York: Guilford.

Higgins, E.T. (2000). Making a good decision: Value from fit. *American Psychologist*, 55,1217-1227.

Higgins, E. T., Bond, R. N., Klein, R., & Strauman, T. (1986). Self-discrepancies and emotional vulnerability: How magnitude, accessibility, and type of discrepancy influence affect. *Journal of Personality and Social Psychology*, 51, 5-15.

Higley, J. D., Mehlman, P. T., Higley, S. B. Femald, B., Vickers, J., Lindell, S. G., Taub, D. M., Suomi, S. J., & Linnoila, M. (1996). Fxcessive mortality in young free-ranging male nonhuman primates with low cerebrospinal fluid 5-hydroxyindoleacetic acid concentrations. *Archives of General Psychiatry*, 53, 537-543.

Hinkley, K., & Andersen, S. M. (1996). The working self-concept in transference: Significant-other activation and self change. *Journal of Personality and Social Psychology*, 71, 1279-1295.

Hiroto, D. S. (1974). Locus of control and learned helplessness. *Journal of Experimental Psychology*, 102, 187-193.

Hoffman, L. W. (1991). The influence of the family environment on personality: Accounting for sibling differences. *Psychological Bulletin*, 110, 187-203.

Hogan, J., & Ones, D. S. (1997). Conscientiousness and integrity at work. In R. Hogan, J. Johnson, & S. Briggs (Eds.), *Handbook of personality psychology* (pp. 849-870). San Diego, CA: Academic Press.

Hogan, R. (1982). On adding apples and oranges in personality psychology. *Contemporary Psychology*, 27, 851-852.

Hogan, R. (1991). Personality and personality measurement. In M. D. Dunnette & L. M. Hough (Eds.), *Handbook of industrial and organizational*

psychology (2nd ed., Vol. 2, pp. 873-919). Palo Alto, CA:Consulting Psychologists Press.

Hollon. S. D., DeRubeis, R. J., & Evans, M. D. (1987). Causal mediation of change in treatment for depression: Discriminating between nonspecificity and noncausality. *Psychological Bulletin*, 102,139-149.

Hollon, S. D.. Shelton, R. C., & Davis, D. D. (1993). Cognitive therapy for depression: Conceptual issues and clinical efficacy. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 61, 270-275.

Horowitz, M. I. (Ed.). (1991). Person *schemas and maladaptive interpersonal patterns*. Chicago: University of Chicago Press.

Hough, L. M. (1992). The "Big Five" personality variables-construct confusion: Description versus prediction. *Human Performance*, 5, 139-155.

Hough, L. M., & Oswald, F. L. (2000). Personnel selection: Looking toward the future-Remembering the past. *Annual Review of Psychology*, 51,631-664.

Hull, C. L. (1943). Principles of behavior. New York: Appleton.

Humphreys, L. G. (1992). Commentary: What both critics and users of ability tests need to know. *Psychological Science*, 3,231-274.

Humphreys, L. G., & Davey, T. C. (1988). Continuity in intellectual growth from 12 months to 9 years. *Intelligence*, 12,183-197.

Hundleby, I. D., Pawlik, K., & Cat tell, R. B. (1965). Personality factors in objective test devices: *A critical integration of a quarter of a century's research*. San Diego, CA: Knapp.

Hyman, S. (1999). Susceptibility and "second hits." In R. Conlan (Ed.), *States of mind* (pp. 24-28). New York: Wiley.

Idson, L. C., & Mischel, W. (2001). The personality of familiar and significant people: The lay perceiver as a social-cognitive theorist. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80, 585-596.

Imber, S. D., Elkin, I., Watkins, J. T., Collins, J. F., Shea, M. T., Leber, W. R., & Glass, D. R. (1990). Mode-specific effects among three treatments for depression. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 58, 352-359.

Ionescu, M. D., & Erdelyi, M. H. (1992). The direct recovery of subliminal stimuli. In R. Bornstein & T. S. Pittman (Eds.), *Perception without awareness* (pp. 143-169). New York: Guilford.

Isen, A. M. (2000). Positive affect and decision making. In M. Lewis & I. M. Haviland-Iones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 417-435). New York: Guilford.

Iyengar, S. S., & Lepper, M. R. (1999). Rethinking the value of choice: A cultural perspective on intrinsic motivation. *Journal of Personality and Social Psychology*, 76, 349-366.

Izard, C. E. (1992). Basic emotions, relations among emotions, and emotion-cognition relations. *Psychological Review*, 99, 561-565.

Izard, C. E. (1993a). Four systems for emotion activation: Cognitive and noncognitive processes. *Psychological Review*, 100,68-90.

Izard, C. E. (1993b). Organizational and motivational functions of discrete emotions. In M. Lewis & J. M. Haviland (Eds.), *Handbook of emotion* (pp. 631--641). New York: Guilford.

Izard, C. E. (1994). Innate and universal facial expressions: Evidence from developmental and cross cultural research. *Psychological Bulletin*, 115, 288-299.

Izard, C. E., & Ackennan, B P. (2000). Motivational, organizational, and regulatory functions of discrete emotions. In M. Lewis & J. M. Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 253-264). New York: Guilford. .

Izard, C. E., Fine, S., Schultz, D., Mostow, A., Ackennan, B., & Youngstrom, E. (2001). Emotion knowledge as a predictor of social behavior and academic competence in children at risk. *Psychological Science*, 12, 18-23.

Izard, C. E., Libero, D. Z., Putnam, P., & Haynes, O. M. (1993). Stability of emotion experiences and their relations to traits of personality. *Journal of Personality and Social Psychology*, 64, 847-860.

Jackson, D. N. (1984). *Personality research form manual* (3rd ed.). Port Huron, MI: Research Psychologists Press.

Jackson, D. N., & Messick, S. (1958). Content and style in personality assessment. *Psychological Bulletin*, 55, 243-252.

Jackson, D. N., & Messick, S. (Eds.). (1967). *Problems in assessment*. New York: McGraw-Hill.

Jackson, J. F. (1993). Human behavioral genetics, Scarr's theory, and her views on interventions: A critical review and commentary on their implications for Mrican American children. *Child Development*, 64, 1318-1332.

Jacoby, L. L., Allan, L. G., Collins, J. C., & Larwill, L. K. (1988). Memory influences subjective experience: Noise judgments. *Journal of Experimental Psychology*, 14, 240-247.

Jacoby, L. L., & Kelley, C. M. (1992). A process-dissociation framework for investigating unconscious influences: Freudian slips, projective tests, subliminal perception, and signal detection theory. *Current Directions in Psychological Science*, 1, 174-179.

Jacoby, L. L., Lindsay, D. S., & Toth, J. P. (1992). Unconscious influences revealed. *American Psychologist*, 47, 802-809.

Jacoby,L. L., Toth, J. P., Lindsay, D. S., & Debner, J. A. (1992). Lectures for a lay person: Methods for revealing unconscious processes. In R. F. Bornstein & T. S. Pittman (Eds.), *Perception without awareness* (pp. 81-120). New York: Guilford.

James, W. (1890). *Principles of psychology*. New York: Holt.

James, w. (1892). *Psychology: Brief course*. New York: Holt.

John, O. P. (1990). The "Big Five" factor taxonomy: Dimensions of personality in the natural language and in questionnaires. In L. A. Pervin (Ed.),

Handbook of personality: Theory and research (pp. 66-100). New York: Guilford.

John, O. P., & Robins, R. W. (1994). Accuracy and bias in self-perception: Individual differences in self-enhancement and the role of narcissism. *Journal of Personality and Social Psychology*. 66, 206-219.

John, O. P., & Srivastava, S. (1999). The Big Five: History, measurement, and development. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 102-138). New York: Guilford.

Jones, E. *The life and work of Sigmund Freud* (Vol. 1). New York: Basic Books. 1953.

Jones, E. E., & Pulos, S. M. (1993). Comparing the process in psychodynamic and cognitive-behavioral therapies. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 61, 306-316.

Kagan, J. (1988). The meanings of personality predicates. *American Psychologist*, 43, 614-620.

Kagan, J. (1994). *Galen's prophecy*. New York Basic Books.

Kagan, J. (1999). Born to be shy? In R. Conlan (Ed.), *States of mind* (pp. 29-51). New York:

Kagan, J. & Snidman, N. (1991a). Infant predictors of inhibited and uninhibited profiles. *Psychological Science*, 2, 40-44.

Kagan, J. & Snidman, N. (1991b). Temperamental factors in human development. *American Psychologist*, 46, 856-862.

Kahn, S., Zimmernlan, G., Csikszentmihalyi, M., & Getzels, J. W. (1985). Relations between identity in young adulthood and intimacy at midlife. *Journal of Personality and Social Psychology*. 49, 1316-1322.

Kahneman, D., Diener, E., & Schwarz, N. (Eds.). (1999). *Well-being: The foundations of hedonic psychology*. New York: Russell Sage Foundation.

Kamin, J. (1974). *The science and politics of I.Q.* Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Kanagawa, C., Cross, S. E., & Markus, H. R. (2001). "Who am I?" The cultural psychology of the conceptual self. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 27, 90-103.

Katigbak, M. S., Church, A. T., & Akamine, T. X. (1996). Cross-cultural generalizability of personality dimensions: Relating indigenous and imported dimensions in two cultures. *Journal of Personality and Social Psychology*, 70, 99-114.

Katkin, E. S., Wiens, S., & Öhman, A. (2001). Nonconscious fear conditioning, visceral perception, and the development of gut feelings. *Psychological Science*, 12, 366-370.

Kazdin, A. (1994). Informant variability in the assessment of childhood depression. In W. M. Reynolds & H. F. Johnston (Eds.), *Handbook of depression in children and adolescents* (pp. 249-271). New York: Plenum.

Kelly, G. A. (1955). *The psychology of personal constructs*. New York: Norton.

Kelly, G. A. (1958). Man's construction of his alternatives. In G. Lindzey (Ed.), *Assessment of human motives* (pp. 33-64). New York: Holt, Rinehart and Winston.

Keltner, D., & Ekman, P. (2000). Facial expression of emotion. In M. Lewis & J. M Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 236-251). New York: Guilford.

Kenny, D. A. (1994). *Interpersonal perception*. New York: Guilford.

Kenrick, D. T. (1994). Evolutionary social psychology: From sexual selection to social cognition. *Advances in Experimental Social Psychology*, 26,75-121.

Kenrick, D. T., & Funder, D. C. (1988). Profiting from controversy: Lessons from the person-situation debate. *American Psychologist*, 43, 23-34.

Kenrick, D. T., Sadalla, E. K., Groth, G., & Trost, M. R. (1990). Evolution, traits, and the stages of human courtship: Qualifying the parental investment model. *Journal of Personality*, 58, 97-116.

Kernberg, O. (1976). *Object relations theory and clinical psychoanalysis*. New York: Aronson.

Kiecolt-Glaser, J. K., McGuire, L., Robles, T. F., & Glaser, R. (2002). New perspectives from psychoneuroimmunology. *Annual Review of Psychology*, 53,83-107.

Kiecolt-Glaser, J. K., & Newton, T. L. (2001). Marriage and health: His and hers. *Psychological Bulletin*, 127,472-503.

Kiesler, D. J. (1991). Interpersonal methods of assessment and diagnosis. In C. R. Snyder & D. R. Forsyth (Eds.), *Handbook of social and clinical psychology* (pp. 438-468). Elmsford, NY: Pergamon.

Kihlstrom, J. F. (1987). The cognitive unconscious. *Science*, 237, 1445-1452.

Kihlstrom, J. F. (1990). The psychological unconscious. In L. A. Pervin (Ed.), Handbook *of personality: Theory and research* (pp. 445-464). New York: Guilford.

Kihlstrom, J. F. (1992). Dissociation and dissociations: A commentary on consciousness and cognition. *Consciousness and Cognition*, 1,47-53.

Kihlstrom, J.F. (1999). The psychological unconscious. In L. A. Pervin & 0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 424-442). New York: Guilford.

Kihlstrom, J. F., Barnhardt, T. M., & Tataryn, D. J. (1992). The cognitive perspective. In R. F. Bornstein & T. S. Pittman (Eds.), *Perception without awareness* (pp. 17-54). New York: Guilford.

King, J. E., & Figueredo, A. J. (1997). The five-factor model plus dominance in chimpanzee personality. *Journal of Research in Personality*, 31, 257-271.

King, L. A. (2001). The health benefits of writing about life goals. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 27, 798-807.

King, L. A., & Miner, K. N. (2000). Writing about the perceived benefits of traumatic events: Implications for physical health. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 26, 220-230.

Kitayama, S., & Markus, H. R. (1999). Yin and yang of the Japanese self: The cultural psychology of personality coherence. In D. Cervone & Y. Shoda (Eds.), *The coherence of personality* (pp. 242-302). New York: Guilford.

Klein, G. S. (1951). The personal world through perception. In R. R. Blake & G. V. Ramsey (Eds.), *Perception: An approach to personality* (pp. 328-355). New York: Ronald.

Klein, G. S. (1954). Need and regulation. In M. R. Jones (Ed.), *Nebraska symposium on motivation* (pp. 224-274). Lincoln: University of Nebraska Press.

Klein, S. B., & Kihlstrom, J. F. (1998). On bridging the gap between social-personality psychology and neuropsychology. *Personality and Social Psychology Review*, 2,228-242.

Klein, S. B., Loftus, J., & Kihlstrom, J. F. (1996). Self-knowledge of an amnesic patient: Toward a neuropsychology of personality and social psychology. *Journal of Experimental Psychology; General*, 125, 250-260.

Klinger, E. (1977). *Meaning and void: Inner experience and the incentives in people's lives*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Klohnen, E. C. (1996). Conceptual analysis and measurement of the construct of ego resiliency. *Journal of Personality and Social Psychology*, 70, 1067-1079.

Kluft, R. P., & Fine, C. G. (Ects.). (1993). *Clinical perspectives on multiple personality disorder*. Washington, DC: American Psychiatric Press.

Koestner, R., & McClelland, D. C. (1990). Perspectives on competence motivation. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality; Theory and research* (pp. 527-548). New Yolk: Guilford.

Kohut, H. (1971). *The analysis of the self.* New York: International Universities Press.

Kohut, H. (1977). *The restoration of the self.* New York: International Universities Press.

Kopta, S. M., Lueger, R. J., Saunders, S. M., & Howard, K. I. (1999). Individual psychotherapy outcome and process research: Challenges leading to greater turmoil or positive transition? *Annual Review of Psychology*, 50,441-469.

Krosnick, J. A., Betz, A. L., Jussim, L. J., & Lynn, A. R. (1992). Subliminal conditioning of attitudes. *Personality and Social Psychology Bulletin* ,18, 152-162.

Krueger, R. F. (2000). Phenotypic, genetic, and nonsharect environmental parallels in the structure of personality: A view from the Multidimensional Personality Questionnaire. *Journal of Personality and Social Psychology*, 79, 1057-1067.

Krueger, R. F., Hicks, B. M., & McGue, M. (2001). Altruism and antisocial behavior: Independent tendencies, unique personality correlates, distinct etiologies. *Psychological Science*, 12, 397-402.

Kuhl, J., & Beckman, J. (Ects.). (1985). *Action control from cognition to behavior*. New York: Springer-Verlag.

Kunda, Z. (1987). Motivated inference: Self-serving generation and evaluation of causal theories. *Journal of Personality and Social Psychology*, 53,636-647.

Kunst-Wilson, W. R., & Zajonc, R. B. (1980). Affective discrimination of stimuli that cannot be recognized. *Science*, 207, 557-558.

Kurman, J. (2001). Self-enhancement: Is it restricted to individualistic cultures? *Personality and Social Psychology Bulletin*, 27, 1705-1716.

La Guardia, J. G., Ryan, R. M., Couchman, C. E., & Deci, E. L. (2000). Within-person variation in security of attachment: A self-determination theory perspective on attachment, need fulfillment, and well-being. *Journal of Personality and Social Psychology*, 79, 367-384.

Larsen, J. T., McGraw, A. P., & Cacioppo, J. T. (2001). Can people feel happy and sad at the same time? *Journal of Personality and Social Psychology*, 81, 684-696.

Larsen, R. J. (1991). Emotion. In V. J. Derlega, B. A. Winstead, & W. H. Jones (Ects.), *Personality* (pp. 407-432). Chicago: Nelson-Hall.

Latane, B., & Darley, J. M. (1970). *The unresponsive bystander*. Why doesn't he help? New York: Appleton -Century -Crofts .

Lau, R. R. (1982). Origins of health locus of control beliefs. *Journal of Personality and Social Psychology*, 42, 322-324.

Lazarus, R. S. (1966). *Psychological stress and the coping process*. New York: McGraw-Hill.

Lazarus, R. S. (1991). *Emotion and adaptation*. New York: Oxford University Press.

Lazarus, R. S. (1993a). Coping theory and research: Past, present, and future. *Psychosomatic Medicine*, 55,234-247.

Lazarus, R. S. (1993b). From psychological stress to the emotions: A history of changing outlooks. *Annual Review of Psychology*, 44, 1-21.

Lazarus, R. S. (1993c). Lazarus rise. *Psychological Inquiry*, 4,343-357.

Lazarus, R. S., & Folkman, S. (1984). *Stress, appraisal, and coping*. New York: Springer-Verlag.

Lecky, P. (1945). *Self-consistency; A theory of personality*. New York: Island.

LeDoux, J. E. (1996). *The emotional brain*. New York: Simon & Schuster.

LeDoux, J. E. (1999). The power of emotions. In R. Conlan (Ed.), *States of mind* (pp. 123-149). New York:Wiley.

LeDoux, J. E., & Phelps, E. A. (2000). Emotional networks in the brain. In M. Lewis & J. M. Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 157-172). New York: Guilford.

Lefcourt, H. M. (Ed.). (1984). *Research with the locus of control construct*. Orlando, FL: Academic.

Lepore, F. E. (2001). Dissecting genius: Einstein's brain and the search for the neural basis of intellect. *Cerebrum*, 3,11-26.

Lepper, M. R., & Greene, D. (Eds.). (1978). *The hidden costs of reward.* Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Levy, B., & Langer, E. (1994). Aging free from negative stereotypes: Successful memory in China and among the American deaf. *Journal of Personality and Social Psychology*, 66, 989-997.

Lewicki, P. (1985). Nonconscious biasing effects of single instances of subsequent judgments. *Journal of Personality and Social Psychology*, 48, 563-574.

Lewin, K. A., Dembo, T., Festinger, L., & Sears, P. S. (1944). Level of aspiration. In J. McV. Hunt (Ed.), *Personality and the behavior disorders* (pp. 333-378). New York: Ronald.

Lewis, M. (1990a). Challenges to the study of developmental psychopathology. In M. Lewis & S. M. Miller (Eds.), *Handbook of developmental psychopathology* (pp. 29-40). New York: Plenum.

Lewis, M. (1990b). Development, time, and catastrophe: An alternate view of discontinuity. In P. Baltes, D. L. Featherman, & R. Lerner (Eds.), *Life span development and behavior* (Vol. 10, pp. 325-350). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Lewis, M. (1991, May). *Development, history and other problems of time.* Paper presented at the Jean Piaget Society meeting, Philadelphia.

Lewis, M. (1992a). *Shame, the exposed self.* New York: Free Press.

Lewis, M. (1992b). Will the real self or selves please stand up? *Psychological Inquiry*, 3, 123-124.

Lewis, M. (1995). *Unavoidable accidents and chance encounters.* New York: Guilford.

Lewis, M. (2001). Issues in the study of personality development. *Psychological Inquiry*, 12, 67-83.

Lewis, M., & Brooks-Gunn, J. (1979). *Social cognition and the acquisition of self.* New York: Plenum.

Lewis, M., Feiring, C., McGuffog, C., & Jaskir, J. (1984). Predicting psychopathology in six year olds from early social relations. *Child Development*, 55, 123-136.

Lewis, M., & Haviland-lones, J. M. (Eds.). (2000). *Handbook of emotions*. New York: Guilford.

Lewis, M., Rosenthal, S., & Feiring, C. (200 1). Attachment over time. *Child Development*, 7 I, 707-720.

Lewis, M., Sullivan, M. W., & Brooks-Gunn, J. (1985). Emotional behavior during the learning contingency in early infancy. *British Journal of Developmental Psychology*, 3,307-316.

Lieberman, M. D., Ochsner, K. N., Gilbert, D. T., & Schacter, D. L. (2001). Do amnesics exhibit cognitive dissonance reduction? The role of explicit memory and attention in attitude change. *Psychological Science*, 12, 135-140.

Lilienfeld, S. O., Wood, J. M., & Garb, H. N. (2000). The scientific status of projective techniques. *Psychological Science in the Public Interest, 1*, 27-66.

Little, B. R. (1989). Personal projects analysis: Trivial pursuits, magnificent obsessions, and the search for coherence. In D. M. Buss & N. Cantor (Eds.), *Personality psychology: Recent trends and emerging directions* (pp. 15-31). New York: Springer-Verlag.

Little, B. R. (1999). Personality and motivation: Personal action and the conative revolution. In L. A. Pervin & 0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 501-524). New York: Guilford.

Livesley, W. J. (2001). Can the five-factor model adequately represent psychopathy? *Journal of Personality*, 69, 253-276.

Locke, E. A., & Latham, G. P. (1990). *A theory of goal setting and task performance*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Loeber, R., & Stouthamer-Loeber, M. (1998). Development of juvenile aggression and violence. *American Psychologist*, 53, 242-259.

Loehlin, J. C. (1992). *Genes and environment in personality development*. Newbury Park, CA: Sage.

Loftus, E. F. (1991). The glitter of everyday memory ...and the gold. *American Psychologist*, 46,16-18.

Loftus, E. F. (1993). The reality of repressed memories. *American Psychologist*, 48, 518-537.

Loftus, E. F., & Klinger, M. R. (1992). Is the unconscious smart or dumb? *American Psychologist*, 47, 761-765.

Lopez, S. R., & Guarnaccia, P. J. J. (2000). Cultural psychopathology: Uncovering the social world of mental illness. *Annual Review of Psychology*, 51,571-598.

Luborsky, L., Barber, J. P., & Beutler, L. (1993). Introduction to special section: A briefing on curative factors in dynamic psychotherapy. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 61, 539-541.

Lykken, D. T. (1971). Multiple factor analysis and personality research. *Journal of Experimental Research in Personality*, 5, 161-170.

Lykken, D. T., Bouchard, T. J., Jr., McGue, M., & Tellegen, A. (1993). Heritability of interests: A twin study. *Journal of Applied Psychology*, 78,649-661.

Lykken, D. T., McGue, M., Tellegen, A., & Bouchard, T. J., Jr. (1992). Emergenesis: Traits that do may run in families. *American Psychologist*, 47, 1565-1577.

Maccoby, E. E. (2000). Parenting and its effects on children: On reading and misreading behavior genetics. *Annual Review of Psychology*, 51, 1-27.

MacDonald, D. A. (2000). Spirituality: Description, measurement, and relation to the five factor model of personality. *Journal of Personality*, 68, 153-197.

Magnusson, D. (1992). Individual development: A longitudinal perspective. *European Journal of Personality*, 6, 119-138.

Magnusson, D. (1999a). Holistic interactionism: A perspective for research on personality development. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 219-247). New York: Guilford.

Magnusson, D. (1999b). On the individual: A person-oriented approach to developmental research. *European Psychologist*, 4, 205-218.

Magnusson, D., Andersson, T., & Torestad, B. (1993). Methodological implications of a peephole perspective. In D. C. Funder, R. D. Parke, C. Tomlinson-Keasey, & K. Widaman (Eds.), *Studying lives through time* (pp. 207-220). Washington, DC: American Psychological Association.

Magnusson, D., & Bergman, L. R. (2000). Individual development and adaptation: The IDA program. In C. G. Janson (Ed.), *Seven Swedish longitudinal studies in the behavioral sciences* (pp. 115-139). Stockholm: Swedish Council for Planning and Coordination of Research.

Magnusson, D., & Torestad, B. (1993). A holistic view of personality: A model revisited. *Annual Review of Psychology*, 44, 427-452.

Malatesta, C. Z. (1990). The role of emotions in the development and organization of personality. *Nebraska Symposium on Motivation*, 36, 1-56.

Marcel, A. (1983). Conscious and unconscious perception: Experiments on visual masking and word recognition. *Cognitive Psychology*, 15,197-237.

Marcia, J. E. (1966). Development and validation of ego-identity status. *Journal of Personality and Social Psychology*, 4, 551-558.

Marcia, J. E. (1980). Identity in adolescence. In J. Adelson (Ed.), *Handbook of adolescent psychology* (pp.159-187). New York: Wiley.

Markus, H. (1977). Self-schemata and processing information about the self. *Journal of Personality and Social Psychology*, 35, 63-78.

Markus, H. (1990). The willful self. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 16, 726-742.

Markus, H., & Kitayama, S. (1991). Culture and the self: Implications for cognition, emotion, and motivation. *Psychological Review*, 98, 224-253.

Markus, H., & Kitayama, S. (1998). The cultural psychology of personality. *Journal of Cross-cultural Psychology*, 29, 63-87.

Markus, H., Kitayama, S., & Heiman, R. (1996). Culture and basic psychological principles. In E. T. Higgins & A. W. Kruglanski (Eds.), *Social psychology: Handbook of basic principles* (pp. 857-913). New York: Guilford.

Markus, H., & Kunda, Z. (1986). Stability and malleability of self-concept. *Journal of Personality and Social Psychology*, 51,858-886.

Markus, H., & Nurius, P. (1986). Possible selves. *American Psychologist*, 41,954-969.

Markus, H., & Ruvolo, A. (1989). Possible selves: Personalized representations of goals. In L. A. Pervin (Ed.), *Goal concepts in personality and social psychology* (pp. 211-241). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Markus, H., & Sentis, K. (1982). The self in social information processing. In J. Suls (Ed.), *Psychological perspectives on the self* (pp. 41-70). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Martin, G. B., & Clark, R. D. (1982). Distress crying in neonates: Species and peer specificity. *Developmental Psychology*, 18,3-9.

Martin, R. A. (2001). Humor, laughter, and physical health: Methodological issues and research findings. *Psychological Bulletin*, 127, 504-519.

Maruta, T., Colligan, R. C., Malinchoc, M., & Offord, K. P. (2000). Optimists vs. pessimists: Survival rate among medical patients over a 30-year period. *Mayo Clinic Proceedings*, 75, 140-143.

Masling, J. M. (1992). What does it all mean? In R. F. Bornstein & T. S. Pittman (Eds.), *Perception without awareness* (pp. 259-276). New York: Guilford.

Masling, J. M., & Bornstein, R. F. (Eds.). (1993). *Psychoanalytic perspectives on psychopathology*. Washington, DC: American Psychological Association.

Maslow, A. H. (1954). *Motivation and personality*. New York: Harper.

Maslow, A. H. (1968). Toward a psychology of being. Princeton, NJ: Van Nostrand.

Maslow, A. H. (1971). *The farther reaches of human nature*. New York: Viking.

Masten, A. S. (2001). Ordinary magic: Resilience processes in development. *American Psychologist*, 56, 227-238.

Masuda, T., & Nisbett. R. E. (2001). Attending holistically versus analytically: Comparing the context sensitivity of Japanese and Americans. *Journal of Personality and Social Psychology*, 81, 922-934.

Matsumoto, D. (1993). Ethnic differences in affect intensity, emotion judgments, display rule attitudes, and self-reported emotional expression in an American sample. *Motivation and Emotion*, 17, 107-123.

Mayer, J. D., & Salovey, P. (1993). The intelligence of emotional intelligence. *Intelligence*, 17,433-442.

McAdams, D. P. (1988). *Intimacy, power, and the life history*. New York: Guilford.

McAdams, D. P. (1992). The five-factor model in personality: A critical appraisal. *Journal of Personality*, 60,329-361.

McAdams, D. P. (2001). *The person*. New York: Harcourt.

McCartney, K., Harris, M. J., & Bernieri, F. (1990). Growing up and growing apart: A developmental meta-analysis of twin studies. *Psychological Bulletin*, 107 , 226-237.

McClelland, D. C. (1951). *Personality*. New York: Sloane.

McClelland, D. C. (1961). *The achieving society*. Princeton, NJ: Van Nostrand.

McClelland, D. C. (1980). Motive dispositions: The merits of operant and respondent measures. *Review of Personality and Social Psychology*, 1. 10-41.

McClelland, D. C., Atkinson, J., Clark, R., & Lowell. E. (1953). *The achievement motive*. New York: Appleton -Century -Crofts .

McClelland, D. C., Koestner, R., & Weinberger, J. (1989). How do self-attributed and implicit motives differ? *Psychological Review*, 96,690-702.

McCrae, R. R. (1994). New goals for trait psychology. *Psychological Inquiry*, 5, 148-153.

McCrae, R. R. (2001). Five years of progress: A reply to Block. *Journal of Research in Personality*, 35, 108-113.

McCrae, R. R., & Costa, P. T., Jr. (1990). *Personality in adulthood*. New York: Guilford.

McCrae, R.R., & Costa, P. T., Jr., (1999). A five-factor theory of personality. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality; Theory and research* (pp. 139-153). New York: Guilford.

McCrae, R. R., Costa, P. T., Jr., del Pilar, G. H., Rolland, J-P., & Parker, W. D. (1998). Cross-cultural assessment of the five-factor model: The revised NEO Personality Inventory. *Journal of Cross- Cultural Psychology*, 29, 171-188.

McCrae, R. R., Costa, P. T., Ostendorf, F., Angleitner, A., Hrebickova, M., Avia, M. D., Sanz, J., Sanchez-Bernardos, M. L., Kusdil, M. E., Woodfield, R., Saunders, P. R., & Smith, P. B. (2000). Nature over nurture: Temperament, personality, and lifespan development. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78, 173-186.

McCrae, R. R., & John, O. P. (1992). An introduction to the five-factor model and its applications. *Journal of Personality*, 60, 175-215.

McDougall, W. (1930). Hormic psychology. In C. Murchison (Ed.), *Psychologies of 1930* (pp. 3-36). Worcester, MA: Clark University Press.

McGue, M., Bouchard. T. J., Jr., Iacono, W. G., & Lykken, D. T. (1993). Behavioral genetics of cognitive ability: A life-span perspective. In R. Plomin & G. E. McCleam (Eds.), *Nature, nurture, and psychology* (pp. 59-76). Washington, DC: American Psychological Association.

Mead, G. H. (1934). *Mind, self and society*. Chicago: University of Chicago Press.

Meehl, P. E. (1954). *Clinical versus statistical prediction*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Meehl, P. E. (1957). When shall we use our heads instead of a formula? *Journal of Counseling Psychology*, 4, 268-273.

Mendel, G. (1865/1966). Experiments on plant hybrids. In C. Stern & E. R. Sherwood (Eds.), *The origins of genetics; A Mendel source book*. San Francisco: Freeman.

Messer, S. B., & Warren, S. (1990). Persopality change and psychotherapy. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality; Theory and research* (pp. 371-398). New York: Guilford.

Meyer, G. J. (2001). Introduction to the final special section in the special series on the utility of the Rorschach for clinical assessment. *Psychological Assessment*, 13, 419-422.

Meyer, G. J., Finn, S. E., Eyde, L. D., Kay, G. G., Moreland, K. L., Dies, R. R., Eisman, E. J., Kubiszyn, T. W., & Reed. G. M (2001). Psychological testing and psychological assessment. *American Psychologist*, 56, 128-165.

Mikulciner, M., Florian, V., & Weller, A. (1993). Attachment styles, coping strategies, and post traumatic psychological distress: The impact of the Gulf War in Israel. *Journal of Personality and Social Psychology*, 64,817-826.

Miller, G. A., Galanter, E., & Pribram, K. H. (1960). Plans and the structure of behavior. New York: Holt, Rinehart and Winston.

Miller, J. G. (1984). Culture and the development of everyday social explanation. *Journal of Personality and Social Psychology*, 46, 961-978.

Miller, I. G. (1999). Cultural psychology: Implications for basic psychological theory. *Psychological Science*, 10, 85-89.

Miller, N. E. (1944). Experimental studies of conflict. In J. McV. Hunt (Ed.), *Personality and the behavior disorders* (pp. 431-465). New York: Ronald.

Miller, N. E. (1951). Comments on theoretical models: Illustrated by the development of a theory of conflict behavior. *Journal of Personality*, 20, 82-100.

Miller, S. M., & Schnoll, R. A. (2000). When seeing is feeling: A cognitive-emotional approach. In M. Lewis & I. M Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 538-557). New York: Guilford.

Miller, S. M., Shoda, Y., & Hurley, K. (1996). Applying cognitive-social theory to health-protective behavior: Breast self-examination in cancer screening. *Psychological Bulletin*, 119, 70-94.

Millon, T. (1981). *Disorders of personality*. New York: Wiley-Interscience.

Mineka, S. (1985). Animal models of anxiety-based disorders: Their usefulness and limitations. In A. H. Tuma & I. D. Maser (Eds.), *Anxiety and the anxiety disorders*. Hillsdale, NI: Erlbaum.

Mineka, S., Davidson, M., Cook, M., & Klein, R. (1984). observational conditioning of snake fear in rhesus monkeys. *Journal of Abnormal Psychology*, 93, 355-372.

Mischel, W. (1968). *Personality and assessment*. New York: Wiley.

Mischel, W. (1973). Toward a cognitive social learning reconceptualization of personality. *Psychological Review*, 80, 252-283.

Mischel, W. (1990). Personality dispositions revisited and revised: A view after three decades. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 111-134). New York: Guilford.

Mischel, W. (1999). Personality coherence and dispositions in a cognitive-affective personality system (CAPS) approach. In D. Cervone & Y. Shoda (Eds.), *The coherence of personality* (pp. 37-60). New York: Guilford.

Mischel, W., & Shoda, Y. (1995). A cognitive-affective system theory of personality: Reconceptualizing the invariances in personality and the role of situations. *Psychological Review*, 102, 246-286.

Mischel, W., & Shoda, Y. (1998). Reconciling processing dynamics and personality dispositions. *Annual Review of Psychology*, 49, 229-258.

Mischel, W., & Shoda, Y. (1999). Integrating dispositions and processing dynamics within a unified theory of personality: The cognitive-affective personality system. In L. A. Pervin & 0. P. Iohn (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 197-218). New York: Guilford.

Molfese, V. J., & Molfese, D. L. (Eds.). (2000). *Temperament and personality development across the life span*. Mahwah, NI: Erlbaum.

Monson, T. C., Hesley, I. W., & Chemick, L. (1982). Specifying when personality traits can and cannot predict behavior: An alternative to abandoning the attempt to predict single-act criteria. *Journal of Personality and Social Psychology*, 43, 385-399.

Mook, D. G. (1987). *Motivation*. New York: Norton.

Morf, C. C., & Rhodewalt, F. (2001). Narcissism: A self-regulatory model. *Psychological Inquiry*, 12, 177-196.

Morris, M. W., & Peng, K. (1994). Culture and cause: American and Chinese attributions for social and physical events. *Journal of Personality and Social Psychology*, 67, 949-971.

Morse, R. C., & Stoller, D. (1982, September). The hidden message that breaks habits. *Science Digest*, p.28.

Moskowitz, D. S. (1986). Comparison of self-reports, reports by knowledgeable informants, and behavioral observation data. *Journal of Personality*, 54, 294-317.

Moskowitz, D. S. (1988). Cross-situational generality in the laboratory: Dominance and friendliness. *Journal of Personality and Social Psychology*. 54, 829-839.

Muraven, M. R., & Baumeister, R. F. (2000). Self-regulation and depletion of limited resources: Does self-control resemble a muscle? *Psychological Bulletin*, 126, 247-259.

Murray, H. A. (1938). *Explorations in personality*. New York: Oxford University Press.

Murray, H. A. (1951). Toward a classification of interaction. In T. Parsons & E. A. Shils (Eds.), *Toward a general theory of action* (pp. 434-464). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Nasby, W. (1985). Private self-consciousness articulation of the self-schema, and recognition memory of trait adjectives. *Journal of Personality and Social Psychology*, 49, 704-709.

Nelson, T. (1978). Detecting small amounts of information in memory: Savings for nonrecognized items. *Journal of Experimental Psychology*, 4, 453-468.

Newell, A., Shaw, J. C., & Simon, H. (1958). Elements of a theory of human problem-solving. *Psychological Review*, 65, 151-166.

Newman, L. S. (2001). Coping and defense: No clear distinction. *American Psychologist*, 56, 760-761.

Newman,L. S., Duff, K. J., & Baumeister, R. F. (1997). A new look at defensive projection: Thought suppression, accessibility, and biased person perception. *Journal of Personality and Social Psychology*, 72, 980-1001.

Newman, L. S., Higgins, E. T., & Vookles, J. (1992). Self-guide strength and emotional vulnerability: Birth order as a moderator of self -affect relations. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 18, 402-411.

Newton, T., Haviland, J., & Contrada, R. J. (1996). The face of repressive coping: Social context and the display of hostile expressions and social smiles. *Journal of Nonverbal Behavior*, 20, 3-22.

Nichols. D. S. (1992). Review of the MMPI-2. *Mental Measurements Yearbook*, *11*, 562-565.

Nigg, J. T., & Goldsmith, H. H. (1994). Genetics of personality disorders: Perspectives from personality and psychopathology research. *Psychological Bulletin*, 115, 346-380.

Nisbett, R. E., Peng, K., Choi, I., & Norenzayan, A. (2001). Culture and systems of thought: Holistic versus analytic cognition. *Psychological Review*, 108, 291-310.

Nisbett, R., & Ross, L. (1980). *Human inference: Strategies and shortcomings of social judgment*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Nisbett, R. E., & Wilson, T. D. (1977). Telling more than we know: Verbal reports on mental processes. *Psychological Review*, 84, 231-279.

Norem, J. K. (1989). Cognitive strategies as personality: Effectiveness, specificity, flexibility, and change. In D. M. Buss & N. Cantor (Eds.), *Personality psychology: Recent trends and emerging directions* (pp. 45-60). New York: Springer-Verlag.

Norem, J. K., & Cantor, N. (1986). Defensive pessimism: "Harnessing" anxiety as motivation. *Journal of Personality and Social Psychology*, 51, 1208-1217.

Norenzayan, A., Choi, I., & Nisbett, R. E. (2002). Cultural similarities and differences in social inference: Evidence from behavioral predictions and lay theories of behavior. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 28, 109-120.

Norenzayan, A., & Nisbett, R. E. (2000). Culture and causal cognition. *Current Directions in Psychological Science*, 9, 132-135.

Novacek, J., & Lazarus, R. S. (1989). The structure of personal commitments. *Journal of Personality*, 58, 693-715.

O'Connor, T. G., Deater-Deckard, K. Fulker, D., Rutter, M. L., & Plomin, R. (1996). Genotype-environment correlations in late childhood and early adolescence: Antisocial behavioral problems and coercive parenting. *Developmental Psychology*, 34, 970-981.

Office of Strategic Services (OSS) Assessment Staff. (1948). *Assessment of men*. New York: Rinehart.

Ogilive, D. M. (1987). The undesired self: A neglected variable in personality research. *Journal of Personality and Social Psychology*, 52, 379-385.

Oishi, S., Diener, E., Lucas, R. E., & Suh, E. (1999). Cross-national variation in predictors of life satisfaction: A perspective from goals and needs. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 25, 980-990.

O'Leary, A. (1985). Self-efficacy and health. *Behavior Research and Therapy*, 23, 437-451.

O'Leary, A. (1990). Stress, emotion, and human immune function. *Psychological Bulletin*, 108, 363-382.

O'Leary, A. (1992). Self-efficacy and health: Behavioral and stress-physiological mediation. *Cognitive Therapy and Research*, 16, 229-245.

O'Leary, K. D., & Wilson, G. T. (1987). *Behavior therapy: Application and outcome*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Olson, J. M., Vernon, P. A., Jang, K. L., & Harris, J. A, (2001). The heritability of attitudes: A study of twins. Journal of Personality and Social Psychology, 80, 845-860.

Olson, M. A., & Fazio, R. H. (2001). Implicit attitude formation through classical conditioning. Psychological Science, 12,413-417.

Orne, M. T. (1962). On the social psychology of the psychological experiment: With particular reference to demand characteristics and their implications. American Psychologist, 17, 776-783.

Ortony, A., & Turner, T. J. (1990). What's basic about basic emotions? Psychological Review, 97,315-331.

Ouimette, P. C., & Klein, D. N. (1993). Convergence of psychoanalytic and cognitive-behavioral theories of depression. In J. M. Masling & R. F. Bornstein (Eds.), Psychoanalytic perspectives on psychopathology (pp. 191-223). Washington, DC: American Psychological Association.

Oysennan, D., Coon, H. M., & Kemmelmeier, M. (2002). Rethinking individualism and collectivism: Evaluation of theoretical assumptions and meta-analyses. Psychological Bulletin, 128, 3-72.

Ozer, D. J. (1993). The Q-sort method and the study of personality development. In D. C. Funder, R. D. Parke, C. Tomlinson-Keasey, & K. Widaman (Eds.), Studying lives through time (pp. 147-168). Washington, DC: American Psychological Association.

Pals, J. L. (1999). Identity consolidation, in early adulthood: Relations with ego-resiliency, the context of marriage, and personality change. Journal of Personality, 67, 295-329.

Pals, J. L. (2001). Identity: A contextualized mechanism of personality continuity and change. Psychological Inquiry, 12, 88-91.

Palys, T. S., & Little, B. R. (1983). Perceived life satisfaction and the organization of personal project systems. Journal of Personality and Social Psychology, 44, 1221-1230.

Panksepp, J. (2000). Emotions as natural kinds within the mammalian brain. In M. Lewis & J. Haviland (Eds.), Handbook of emotions (pp. 137-156). New York: Guilford.

Paterniti, M. (2000). Driving Mr. Albert: A trip across America with Einstein's brain. New York: The Dial Press.

Pat ton, C. J. (1992). Fear of abandonment and binge eating. Journal of Nervous and Mental Disease, 180, 484-490.

Paunonen, S. V., & Jackson, D. N. (2000). What is beyond the big five? Plenty! Journal of Personality, 68, 821-835.

Pedersen, N. L., Plomin, R., McClearn, G. E., & Friberg, L. (1988). Neuroticism, Extraversion, and related traits in adult twins reared apart and reared together. Journal of Personality and Social Psychology, 55,950-957.

Pedersen, N. L., Plomin, R., Nesselroade, J. R., & McClearn, G. E. (1992). A quantitative genetic analysis of cognitive abilities during the second half of the life span. Psychological Science, 3, 346-353.

Pekala, R. J. (1991). Quantifying consciousness: An empirical approach. New York: Plenum.

Pelham, B. W. (1991). On confidence and consequence: The certainty and importance of self-knowledge. Journal of Personality and Social Psychology, 60, 518-530.

Pelham, B. W., & Hetts, J. J. (1999). Implicit self-evaluation. Unpublished manuscript, State University of New York at Buffalo.

Pennebaker, J. W. (1989). Confession, inhibition, and disease. In L. Berkowitz (Ed.), Advances in experimental social psychology (Vol. 22, pp. 211-244). New York: Springer-Verlag.

Pennebaker, J. W. (1990). Opening up: The healing powers of confiding in others. New York: Morrow.

Pennebaker, J. W. (1993). Social mechanisms of constraint. In D. W. Wegner & J. W. Pennebaker (Eds.),

Handbook of mental control (pp. 200-219). Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Pennebaker, J. W. (1997). Writing about emotional experiences as a therapeutic process. Psychological Science, 8, 162-166.

Pennebaker, J. W., & Chew, C. H. (1985). Behavioral inhibition and electrodennal activity during deception. Journal of Personality and Social Psychology, 49, 1427-1433.

Pennebaker, J. W., & Graybeal, A. (2001). Patterns of natural language use: Disclosure, personality, and social integration. Current Directions in Psychological Science, 10, 90-93.

Pennebaker, J. W., Kiecolt-Glaser, J. K., & Glaser, R. (1988). Disclosure of traumas and immune function: Health implications for psychotherapy. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 56, 239-245.

Penner, L. A. (1997). Telling it like it is. Contemporary Psychology, 42, 28.

Persad, S. M., & Polivy, J. (1993). Differences between depressed and nondepressed individuals in the recognition of and response to facial emotional cues. Journal of Abnormal Psychology, 3, 358-368.

Pervin, L. A. (1963). The need to predict and control under conditions of threat. *Journal of Personality*, 31, 570-587.

Pervin, L. A. (1980). *The cognitive revolution and what it leaves out.* Unpublished manuscript. Rutgers University, New Brunswick, NJ.

Pervin, L. A. (1983). The stasis and flow of behavior: Toward a theory of goals. In M. M. Page (Ed.), *Personality: Current theory and research* (pp. 1-53). Lincoln: University of Nebraska Press.

Pervin, L. A. (1984). *Current controversies and issues in personality*. New York: Wiley.

Pervin, L. A. (Ed.). (1989). Goal concepts in personality and social psychology. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Pervin, L. A. (1991). Goals, plans, and problems in the self-regulation of behavior: The question of volition. In P. R. Pintrich & M. L. Maehr (Eds.), *Advances in motivation and achievement* (pp. 1-20). Greenwich, CT: JAI Press.

Pervin, L. A. (1993a). Pattern and organization: Current trends and prospects for the future. In K. Craik, R. Hogan, & R. N. Wolfe (Eds.), *Perspectives in personality* (pp. 69-84). Greenwich, CT: JAI Press.

Pervin, L. A. (1993b). *Personality: Theory and research* (6th ed.). New York: Wiley.

Pervin, L. A. (1993c). Personality and affect. In M. Lewis & J. Haviland (Eds.), *Handbook of emotion* (pp. 301-312). New York: Guilford.

Pervin, L. A. (1994a). A critical analysis of current trait theory. *Psychology Inquiry*, 5, 103-113.

Pervin, L. A. (1994b). Personality stability, personality change, and the question of process. In T. Heatherton & J. Weinberger (Eds.), *Can personality change?* (pp. 315-330). Washington, DC: American Psychological Association.

Pervin, L. A. (1999). Epilogue: Constancy and change in personality theory and research. In L. A. Pervin & , 0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 689-704). New York: Guilford.

Pervin, L. A. (2002). *Current controversies and issues in personality*. New York: Wiley.

Pervin, L. A., & John, 0. P. (Eds.). (1999). *Handbook of personality: Theory and research*. New York: Wiley.

Pervin, L. A., & John, 0. P. (2001). *Personality: Theory and research*. New York: Wiley.

Pervin, L. A., & Yatko, R. J. (1965). Cigarette smoking and alternative methods of reducing dissonance. *Journal of Personality and Social Psychology*, 2, 30-36.

Peterson, C. (1991). The meaning and measurement of explanatory style. *Psychological Inquiry*, 2, 1-10.

Peterson, C., & Park, C. (1998). Learned helplessness and explanatory style. In D. F. Barone, M. Hersen, & V. B. Van Hasselt (Eds.), *Advanced personality* (pp. 287-310). New York: Plenum.

Peterson, C., Semmel, A., von Baeyer, C., Abramson, L. Y., Metalsky, G. I., & Seligman, M. E. P. (1982). The Attributional Style Questionnaire. *Cognitive Therapy and Research*, 6, 287-300.

Pham, L. B., & Taylor, S. E. (1999). From thought to action: Effects of process-versus outcome-based mental simulations on performance. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 25, 250-260.

Pickering, A. D., & Gray, J. A. (1999). The neuroscience of personality. In L. A. Pervin & 0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 277-299). New York: Guilford.

Pincus, A. L., & Wiggins, J. S. (1990). Interpersonal problems and conceptions of personality disorders. *Journal of Personality Disorders*, 4, 342-352.

Pinker, S. (1997). *How the mind works*. New York: Norton.

Plomin, R. (1986). *Development, genetics, and psychology*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Plomin, R. (1990a). *Nature and nurture*. Pacific Grove, CA: Brooks/Cole.

Plomin, R. (1990b). The role of inheritance in behavior. *Science*, 248, 183-188.

Plomin, R. (1993). Nature and nurture: Perspective and prospective. In R. Plomin & G. E. McClearn (Eds.), *Nature, nurture, and psychology* (pp. 457-483). Washington, DC: American Psychological Association.

Plomin, R. (1994). *Genetics and experience: The interplay between nature and nurture*. Newbury Park, CA: Sage Publications.

Plomin, R., & Bergeman, C. S. (1991). The nature of nurture: Genetic influence on "environmental" measures. *Behavioral and Brain Sciences*, 14, 373-427.

Plomin, R., & Caspi, A. (1999). Behavioral genetics and personality. In L. A. Pervin & 0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 251-276). New York: Guilford.

Plomin, R., Chipuer, H. M., & Loehlin, J. C. (1990). Behavioral genetics and personality. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality: Theory and Research* (pp. 225-243). New York: Guilford.

Plomin, R., Coon, H., Carey, G., DeFries, J. C., & Fulker, D. W. (1991). Parent-offspring and sibling adoption analyses of parental ratings of temperament in infancy and early childhood. *Journal of Personality*, 59,705-732.

Plomin, R., & Crabbe, J. (2000). DNA. *Psychological Bulletin*, 126, 806-828.

Plomin, R., & Daniels, D. (1987). Why are children in the sanle family so different from each other? *Behavioral and Brain Sciences*, 10, 1-16.

Plomin, R., Emde, R. N., Braungart, J. M., Campos, J., Corley, R., Fulker, D. W., Kagan, J. S., Robinson, J., Zahn-Waxler, C., & DeFries, J. C. (1993). Genetic change and continuity from fourteen to twenty months: The MacArthur Longitudinal Twin Study. *Child Development*, 64, 1354-1376.

Plomin, R., & Neiderhiser, J. M. (1992). Genetics and experience. *Current Directions in Psychological Science*, 1, 160-163.

Plomin, R., & Rende, R. (1991). Human behavioral genetics. *Annual Review of Psychology*, 42, 161-190.

Plomin, R., & Saudino, K. J. (1994). Quantitative genetics and molecular genetics. In J. E. Bates & T. D. Wachs (Eds.), *Temperament: Individual differences at the interface of biology and behavior* (pp.143-171). Washington, DC: American Psychological Association.

Poetzl, O. (1917). The relationship between experimentally induced dream images and indirect vision. *Psychological Issues Monograph*, 1960, 2, 46-106.

Pomerantz, E. M., Saxon, J. L., & Oishi, S. (2000). The psychological trade-offs of goal investment. *Journal of Personality and Social Psychology*, 79, 617-630.

Ponomarev, I., & Crabbe, J. C. (1999). Genetic association between chronic ethanol withdrawal severity and acoustic startle parameters in WSP and WSR mice. *Alcoholism: Clinical and Experimental Research*, 23, 1730-1735.

Posner, M. J., & DiGirolanlo, G. J. (2000). Cognitive neuroscience: Origins and promise. *Psychological Bulletin*, 126, 873-889.

Prince, M. (1906). *The dissociation of personality*. New York: Longmans, Green.

Pritchard, D. A., & Rosenblatt, A. (1980). Racial bias in the MMPI: A methodological review. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 48, 263-267.

pyszczynski, T., Greenberg, J., & Solomon, S. (1997). Why do we need what we need? A terror management perspective on the roots of human social motivation. *Psychological Inquiry*, 8, 1-20.

pyszczynski, T., Greenberg, J., & Solomon, S. (2000). Proximal and distal defense: A new perspective on unconscious motivation. *Current Directions in Psychological Science*, 9, 156-159.

Rachman, S. (1999). Rapid and not-so-rapid responses to cognitive behavioral therapy. *Clinical Psychology: Science and Practice*, 6, 293-294.

Raine, A., Lencz, T., Bihrle, S., LaCasse, L., & Colletti, P. (2000). Reduced prefrontal gray matter and reduced autonomic activity personality disorder. *Archives of General Psychiatry*, 57, 119-127.

Raskin, R., & Hall, C. S. (1979). A narcissistic personality inventory. *Psychological Reports*, 45, 55-60.

Raskin, R., & Hall, C. S. (1981). The Narcissistic Personality Inventory: Alternate form reliability and further evidence of construct validity. *Journal of Personality Assessment*, 45, 159-162.

Raskin, R., & Shaw, R. (1987). Narcissism and the use of personal pronouns. Unpublished manuscript.

Reis, H. T., Sheldon, K. M., Gable, S. L., Roscoe, J., & Ryan, R. M. (2000). Daily well-being: The role of autonomy, competence, and relatedness. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 26, 419-435.

Reiss, D., Neiderhiser, J. M., Hetherington, E. M., & Plomin, R. (2000). *The relationship code: Deciphering genetic and social influences on adolescent development*. Canlbridge, MA: Harvard University Press.

Riemann, R., Angleitner, A., & Strelau, J. (1997). Genetic and environmental influences on personality: A study of twins reared together using the self- and peer report NEO-FFI scales. *Journal of Personality*, 65, 449-476.

Roberts, B. W., Caspi, A.. & Moffitt, T. E. (2001). The kids are alright: Growth and stability in personality development from adolescence to adulthood. *Journal of Personality and Social Psychology*, 81, 670-683.

Roberts, B. W., & Del Vecchio, W. F. (2000). The rank-order consistency of personality traits from childhood to old age: A quantitative review of longitudinal studies. *Psychological Bulletin*, 126, 3-25.

Roberts, B. W., & Hogan, R. (2001). Personality psychology in the workplace. Washington, DC: *American Psychological Association*.

Roberts, B. W., & Robins, R. W. (2000). Broad dispositions, broad aspirations: The intersection of personality traits among life goals. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 26, 1284-1296.

Robins, C. J., & Hayes, A. M. (1993). An appraisal of cognitive therapy. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 61, 205-214.

Robins, L. N., & Rutter, M. (Eds.). (1990). *Straight and devious pathways from childhood to adulthood.* Cambridge, England: Cambridge University Press.

Robins, R., & John, 0. P. (1997). Self-perception, visual perspective, and narcissism: Is seeing believing? *Psychological Science*, 8, 37-42.

Robins, R. W., & Beer, J. S. (2001). Positive illusions about the self: Short-term benefits and long-term costs. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80, 340-352.

Robins, R. W., Caspi, A., & Moffitt, T. (2000). *It's not just who you're with, it's who you are: Personality and relationship experiences across multiple relationships.* Unpublished paper, University of California-Davis.

Robins, R. W., Fraley, R. C., Roberts, B. W., & Trzesniewski, K. H. (2001). A longitudinal study of personality change in young adulthood. *Journal of Persnality*, 69, 617-640.

Robins, R. W., Hendin, H. M., & Trzesniewski, K. H. (2001). Measuring global self-esteem: Construct validation of a single-item measure and the Rosenberg Self-Esteem Scale. Personality and Social Psychology Bulletin, 27, 151-161.

Robins, R. W., John, O. P., Caspi, A., Moffitt, T. E., & Stouthamer-Loeber, M. (1996). Resilient, overcontrolled, and undercontrolled boys: Three replicable personality types. *Journal of Personality and Social Psychology*, 70, 157-171.

Robins, R.W., Norem, J. K., & Cheek, J. M. (1999). Naturalizing the self. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 443-477). New York: Guilford.

Rogers, C. R. (1951). *Client-centered therapy*. Boston: Houghton Mifflin.

Rogers, C. R. (1956). Some issues concerning the control of human behavior. *Science*, 124, 1057-1066.

Rogers, C. R. (1961). *On becoming a person*. Boston: Houghton Mifflin.

Rogers, C. R. (1966). Client-centered therapy. In S. Arieti (Ed.), *American handbook of psychiatry* (pp. 183-200). New York: Basic Books.

Roland, A. (1988). *In search of self in India and Japan*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Rolls, E. T. (2000). The brain and emotion. *Behavioral and Brain Sciences*, 23, 177-234.

Rosch, E., Mervis, C., Gray, W., Johnson, D., & Boyes-Braem, P. (1976). Basic objects in natural categories. *Cognitive Psychology*, 8, 382-439.

Rosenberg, M. (1965). *Society and the adolescent self-image*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Rosenzweig, S. (1941). Need-persistive and ego-defensive reactions to frustration as demonstrated by an experiment on repression. *Psychological Review*, 48, 347-349.

Rothbart, M. K., Ahadi, S. A., & Evans, D.E. (2000). Temperament and personality: Origins and outcomes. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78, 122-135.

Rothbart, M. K., & Bates, J. E. (1998). Temperament. In W. Damon (Ed.), *Handbook of child psychology: Volume 3. Social, emotional, and personality development* (5th ed., pp. 105-176). New York:Wiley.

Rotter, J. B. (1954). *Social learning and clinical psychology*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Rotter, J. B. (1966). Generalized expectancies for internal versus external control of reinforcement. *Psychological Monographs, 80* (Whole No.609).

Rotter, J. B. (1971). Generalized expectancies for interpersonal trust. *American Psychologist*, 26,443-452.

Rotter, J. B. (1981). The psychological situation in social learning theory. In D. Magnusson (Ed.), *Toward a psychology of situations*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Rotter, J. B. (1990). Internal versus external control of reinforcement. *American Psychologist*, 45,489-493.

Rovee-Collier, C. (1993). The capacity for long-term memory in infancy. *Current Directions in Psychological Science*, 2, 130-135.

Rowe, D. C. (1993). Genetic perspectives on personality. In R. Plomin & G. E. McCleam (Eds.), *Nature, nurture and psychology* (pp. 179-196). Washington, DC: American Psychological Association.

Rowe, D. C. (1994). *The limits of family influence*. New York: Guilford Press.

Rowe, D. C. (1999). Heredity. In v. J. Derlega, B. A. Winstead, & W. H. Jones (Eds.), *Personality: Contemporary theory and research* (pp. 66-100). Chicago: Nelson-Hall.

Rozin, P., & Fallon, A. E. (1987). A perspective on disgust. *Psychological Review*, 94,23-41.

Rozin, P., & Zellner, D. (1985). The role of Pavlovian conditioning in the acquisition of food likes and dislikes. *Annals of the New York Academy of Sciences*, 443, 189-202.

Rudman, L. A., Greenwald, A. G., & McGhee, D. E. (2001). Implicit self-concept and evaluative implicit gender stereotypes: Self and ingroup share desirable traits. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 27, 1164-1178.

Ryan, R. M. (1998). Human psychological needs and the issues of volition, control, and outcome focus. In J. Heckhausen & C. S. Dweck (Eds.), *Motivation and self-regulation across the life span* (pp. 114-133). New York: Cambridge University Press.

Ryan, R. M., & Deci, E. L. (2000). Self-determination theory and the facilitation of intrinsic motivation, social development, and well-being. *American Psychologist*, 55, 68-78.

Ryan, R. M., & Deci, E. L. (2001). On happiness and human potentials: A review of research on hedonic and eudaimonic well-being. *Annual Review of Psychology*, 52, 141-166.

Ryff, C. D., & Singer, B. (1998). The contours of positive human health. *Psychological Inquiry*, 9, 1-28.

Salili, F. (1994). Age, sex, and cultural differences in the meaning and dimensions of achievement. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 20, 635-648.

Salovey, P., Bedell, B. T., Detweiler, J. B., & Mayer, J. D. (2000). Current dimensions in emotional intelligence research. In M. Lewis & J. M Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 504-520). New York: Guilford.

Salovey, P., Rothman, A. J., Detweiler, J. B., & Steward, W. T. (2000). Emotional states and physical health. *American Psychologist*, 55,110-121.

'apolsky, R. M. (1994). *Why zebras don't get ulcers*. New York: W. H. Freeman.

aucier, G., & Goldberg, L. R. (2001). Lexical studies of indigenous personality factors: Premises, products, and prospects. *Journal of Personality*, 69, 847-879.

carr, S. (1992). Developmental theories for the 1990s: Development and individual differences. *Child Development*, 63, 1-19.

:arr, S. (1993). Biological and cultural diversity: The legacy of Darwin for development. *Child Development*, 64, 1333-1353.

:hacht, T. E. (1993). How do I diagnosis thee? Let me count the dimensions. *Psychological Inquiry*, 4, 115-119.

:hacter, D. L. (1987). Implicit memory: History and current status. *Journal of Experimental Psychology*, 13.501-518.

Schacter, D. L., & Badgaiyan, R. D. (2001). Neuroimaging of priming: New perspectives on implicit and explicit memory. *Current Directions in Psychological Science*, 10, 1-4.

Scheier, M. F., & Carver, C. S. (1985). Optimism, coping, and health: Assessment and implications of generalized outcome expectancies. *Health Psychology*, 4, 219-247.

Scheier, M. F., & Carver, C. S. (1987). Dispositional optimism and physical well-being: The influence of generalized outcome expectancies on health. *Journal of Personality*, 55, 169-210.

Scheier, M. F., & Carver, C. S. (1993). On the power of positive thinking: The benefits of being optimistic. *Psychological Science*, 2, 26-30.

Scheier, M. F., Carver, C. S., & Bridges, M. W. (1994). Distinguishing optimism from neuroticism (and trait anxiety, self-mastery, and self-esteem): A reevaluation of the Life Orientation Test. *Journal of Personality and Social Psychology*, 67, 1063-1078.

Scheier, M. F., Magovem, G. J., Sr., Abbott, R. A., Matthews, K. A., Owens, J. F., Lefebvre, R. C., & Carver, C. S. (1989). Dispositional optimism and recovery from coronary artery bypass surgery: The beneficial effects on physical and psychological well-being. *Journal of Personality and Social Psychology*, 57, 1024-1040.

Scheier, M. F., Mat thews, K. A., Owens, J. F., Schulz, R., Bridges, M. W., Magovem, G, J., Sr., & Carver, C. S. (1999). Optimism and rehospitalization following coronary bypass graft surgery. Archives of Internal Medicine, 159, 829-835.

Scheier, M. F., Weintraub, J. K., & Carver, C. S. (1986). Coping with stress: Divergent strategies of optimists and pessimists. *Journal of Personality and Social Psychology*, 51, 1257-1264.

Scherer, K., & Wallbott, H. G. (1994). Evidence for universality and cultural variation of differential emotional response patterning. *Journal of Personality and Social Psychology*, 66, 310-328.

Schiff, M., Duyme, M., Dumaret, A., & Tonkiewicz, S. (1982). How much could we boost scholastic achievement IQ scores? A direct answer from a French adoption study. *Cognition*, 12, 165-196.

Schlenker, B. R., & Weigold, M. F. (1989). Goals and the self- identification process: Constructing desired identities. In L. A. Pervin (Ed.), *Goal concepts in personality and social psychology* (pp. 243-290). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Schmidt, F. L., & Ones, D. S. (1992). Personnel selection. *Annual Review of Psychology*, 43, 627-670.

Schreiber, F. R. (1973). *Sybil*. Chicago: Regnery.

Schwartz, I. M., Stoessel, P. W., Baxter, L. R., Martin, K. M., & Phelps, M. E. (1996). Systematic changes in cerebral glucose metabolic rate after successful behavior modification treatment of obsessive-com-pulsive disorders. *Archives of General Psychiatry*, 53,109-113.

Schwarz, N. (1999). Self-reports: How the questions shape the answers. *American Psychologist*, 54, 93-105.

Schwarzer, R. (Ed.). (1992). *Self-efficacy: Thought control of action*. Washington, DC: Hemisphere.

Scott, I. P., & Fuller, I. L. (1965). *Genetics and the social behavior of the dog*. Chicago: University of Chicago Press.

Searle I. R. (2000). A philosopher unriddles the puzzle of consciousness. *Cerebrum*, 2, 44-54.

Sears, R. R. (1944). Experimental analysis of psychoanalytic phenomena. In J. McV. Hunt (Ed.), *personality and the behavior disorders* (pp. 306-332). New York: Ronald.

Sedikides, C. (1993). Assessment, enhancement, and verification determinants of the self-evaluation process. *Journal of Personality and Social Psychology*, 65, 317-338.

Segal, Z. V., & Dobson, K. S. (1992). Cognitive models of depression: Report from a consensus development conference. *Psychological Inquiry*, 3.219-224.

Segal, z. V., & Muran, I. C. (1993). A cognitive perspective on self-representation in depression. In Z. V. Segal & S. J. Blatt (Eds.), *The self in emotional distress* (pp. 131-170). New York: Guilford.

Segerstrom, S. C. (2001). Optimism and attentional bias for negative and positive stimuli. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 27, 1333-1343.

Segerstrom, S. C., Taylor, S. E., Kemeny, M.E., & Fahey, I. L. (1998). Optimism associated with mood, coping, and immune change in response to stress. *Journal of Personality and Social Psychology*, 74, 1646-1655.

Seligman, M E. P. (1971). Phobias and preparedness. *Behavior Therapy*, 2,307-320.

Seligman, M. E. P. (1975). *Helplessness*. San Francisco: Freeman.

Seligman, M. E. P, & Csikszentrnihalyi, M. (2000). Positive psychology. *American Psychologist*, 55, 5-14.

Shedler, J., Mayman, M., Manis, M. (1993). The illusion of mental health. American Psychologist, 48, 1117-1131. ,

Sheldon, K. M., & Elliot, A. J.(1999). Goal striving, need satisfaction, and longitudinal well-being: The self-concordance model. *Journal of Personality and Social Psychology*, 76, 482-497.

Sheldon, K. M., Elliot, A. J., Kim, Y., & Kasser, T. (2001). What is satisfying about satisfying events? Testing 10 candidate psychological needs. *Journal of Personality and Social Psychology*, 80.325-339.

Sheldon, K. M., & Houser-Marko, L. (2001). Self-concordance, goal attainment, and the pursuit of happiness: Can there be an upward spiral? *Journal of Personality and Social Psychology*, 80, 152-165.

Sheldon, K. M., & Kasser, T. (1998). Pursuing personal goals: Skills enable progress but not all progress is beneficial. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 24, 546-557.

Sheldon, K. M., & King, L. (2001). Why positive psychology is necessary. *American Psychologist*, 56, 216-217.

Shevrin, H. (1992). Subliminal perception, memory and consciousness: Cognitive and dynamic perspectives. In R. F. Bomsein & T. S. Pittman (Eds.), *Perception without awareness* (pp. 123-142). New York: Guilford.

Shevrin, H., & Luborsky, L. (1958). The measurement of preconscious perception in dreams and images: An investigation of the Poetzl phenomenon. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 58, 285-294.

Shields, S. (1975). Functionalism, Darwinism, and the psychology of women: A study in social myth. *American Psychologist*, 30, 739-754.

Shiner, R. L. (2000). Linking childhood personality with adaptation: Evidence for continuity and change across time into late adolescence. Journal *of Personality and Social Psychology*, 78,310-325.

Shoda, Y., Mischel, W., & Peake, P. K. (1990). Predicting adolescent cognitive and self-regulatory competencies from preschool delay of gratification: Identifying diagnostic conditions. *Developmental Psychology*, 67,674-687.

Shoda, Y., Mischel, W., & Wright, I. C. (1994). Intra-individual stability in the organization and patterning of behavior: Incorporating psychological situations into the idiographic analysis of personality. *Journal of Personality and Social Psychology*, 67,674-687.

Shweder, R. A., & D' Andrade, R. G. (1980). The systematic distortion hypothesis. In R. A. Shweder (Ed.). *Fallible judgement in behavioral research* (pp. 37-58). San Francisco: Jossey-Bass.

Shweder, R. A., & Haidt, J. (2000). The cultural psychology of the emotions: Ancient and new. In M. Lewis & I. M. Haviland-Jones (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 397-414). New York: Guilford.

Siegel, B. S. (1986). *Love, medicine, and miracle*. New York: Harper & Row.

Siegel, B. S. (1989). *Peace, love, and healing*. New York: Harper & Row.

Siegler, R. S. (2000). Unconscious insights. *Current Directions in Psychological Science*, 9, 79-83.

Silverman, L. H. (1976). Psychoanalytic theory: The reports of its death are greatly exaggerated. *American Psychologist*, 31, 621-637.

Silverman, L. H. (1982). A comment on two subliminal psychodynamic activation studies. *Journal of Abnormal Psychology*, 91, 126-130.

Silverman, L. H., Ross, D. L., Adler, J. M., & Lustig, D. A. (1978). Simple research paradigm for demonstrating subliminal psychodynamic activation: Effects of oedipal stimuli on dart-throwing accuracy in college men. *Journal of Abnormal Psychology*, 87, 341-357.

Silverman, L. H., & Weinberger, J. (1985). Mommy and I are one: Implications for psychotherapy. *American Psychologist*, 40, 1296-1308.

Simpson, J. A. (1990). Influence of attachment styles on romantic relationships. *Journal of Personality and Social Psychology*, 59, 971-980.

Simpson, J. A. (1999). Attachment theory in modern evolutionary perspective. In J. Cassidy & P. R. Shaver (Eds.), *Handbook of attachment* (pp. 115-140). New York: Guilford.

Singelis, T. M. (1994). The measurement of independent and interdependent self-construals. *Personality and Social Psychology Bulletin*,20, 580-591.

Singer, J. A., & Salovey, P. (1993). *The remembered self*. New York: Free Press.

Skinner, B. F. (1974). *About behaviorism*. New York: Knopf.

Skinner, N. S. F., & Howarth, E. (1973). Cross-media independence of questionnaire and objective test personality factors. *Multivariate Behavioral Research*, 8, 23-40.

Slade, A., & Aber, J. L. (1992). Attachments, drives, and development: Conflicts and convergences in theory. In J. W. Barron, M. N. Eagle, & D. L. Wolitzky (Eds.), *Interface of psychoanalysis and psychology* (pp. 154-185). Washington, DC: American Psychological Association.

Sloane, R. B., Staples, F. R., Cristol, A. H., Yorkston, N. J., & Whipple, K. (1975). *Psychoanalysis versus behavior therapy*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Smith, C. P. (Ed.). (1992). *Motivation and personality: Handbook of thematic content analysis*. New York: Cambridge University Press.

Smith, R. E., Leffingwell, T. R., & Ptacek, J. T. (1999). Can people remember how they coped? Factors associated with discordance between same-day and retrospective repoorts. *Journal of Personality and Social Psychology*, 76, 1050-1061.

Smith, S. M. (2000). *Self-esteem accessibility: Measurement and correlates*. Unpublished manuscript, North Georgia College and State University.

Smith, T. W., Pope, M. K., Rhodewalt, F., & Poulton, J. L. (1989). Optimism, neuroticism, coping, and symptom reports: An alternative interpretation of the Life Orientation Test. *Journal of Personality and Social Psychology*, 56, 640-648.

Snyder, C. R., & Lopez, S. J. (Eds.). (2001). *Handbook of positive psychology*. New York: Oxford University Press.

Snyder, M. (1981). On the influence of individuals on situations. In N. Cantor & J. F. Kihlstrom (Eds.), *Personality, cognition, and social interaction* (pp. 309-329). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Soldz, S., Budman, S., Demby, A., & Merry, J. (1993). Representation of personality disorders in cir-cumplex and five-factor space: Explorations with a clinical sample. *Psychological Assessment*, 5, 41-52.

Spalding, L. R., & Hardin, C. D. (1999). Unconscious unease and self-handicapping: Behavioral consequences of individual differences in implicit and explicit self-esteem. *Psychological Science*, 10,535-538.

Spence, D. P. (1982). *Narrative truth and historical truth: Meaning and intelpretation in psychoanalysis*. New York: Norton.

Spence, D. P. (1987). *The Freudian metaphor*. New York: Norton.

Sroufe, L. A., Carlson, E., & Shulman, S. (1993). Individuals in relationships: Development from infancy. In D. C. Funder, R. D. Parke, C. Tomlinson-Keasey, & K. Widaman (Eds.), Studying *lives through time* (pp. 315-342). Washington, DC: American Psychological Association.

Sroufe, L. A., Duggal, S., Weinfield, N., & Carlson, E. (2000). Relationships, development, and psychopathology. In A. J. Sameroff, M. Lewis, & S. M. Miller (Eds.), *Handbook of developmental psychopathology* (pp. 75-92). New York: Kluwer Academic/Plenum.

Stagner, R. (1937). *Psychology of personality*. New York: McGraw-Hill.

Steele, C. M., & Spencer, S. J. (1992). The primacy of self-integrity. *Psychological Inquiry*, 3,345-346.

Stern, C., & Sherwood, E. R. (1966). *The origins of genetics*. San Francisco: W. H. Freeman.

Sternberg, R. J., & Grigorenko, E. L. (1997). Are cognitive styles still in style? *American Psychologist*, 52,700-712.

Stewart, A. J. (1992). Scoring manual for psychological stances toward the environment. In C. P. Smith (Ed.), *Motivation and personality: Handbook of thematic content analysis* (pp. 451-488). New York: Cambridge University Press.

Strauman, T. J. (1992a). Self-guides autobiographical memory, and anxiety and dysphoria. *Journal of Abnormal Psychology*, 101,87-95.

Strauman, T. J. (1992b). Self, social cognition, and psychodynamics: Caveats and challenges for integration. *Psychological Inquiry*, 3, 67-71.

Strauman, T. J., & Higgins, E. T. (1993). The self construct in social cognition: Past, present, and future. In Z. Siegel & S. Batt (Eds.), *The self in emotional distress* (pp. 3-40). New York: Guilford.

Strauman, T. J., Lemieux, A. M., & Coe, C. L. (1993). Self-discrepancy and natural killer cell activity: Immunological consequences of negative self-evaluation. *Journal of Personality and Social Psychology*, 64, 1042-1052.

Strickland, B. R. (1989). Internal-external control expectancies: From contingency to creativity. *American Psychologist*, 44, 1-12.

Strube, M. J. (1990). In search of self: Balancing the good and the true. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 16, 699-704.

Suinn, R. M. (2001). The terrible twos-Anger and anxiety. *American Psychologist*, 56, 27-36.

Sullivan, H. S. (1953). *The interpersonal theory of psychiatry*. New York: Norton.

Sundberg, N. D., & Gonzales, L. R. (1981). Cross-cultural and cross-ethnic assessment: A review and issues. In R. McReynolds (Ed.), *Advances in psychological assessment* (Vol. 5, pp. 460-510). San Francisco: Jossey-Bass.

Suomi, S. J. (1999). Attachment in rhesus monkeys. In J. Cassidy & P.R. Shaver (Eds.), *Handbook of attachment* (pp. 181-197). New York: Guilford.

Suomi, S. J. (2000). A biobehavioral perspective on developmental psychopathology. In A. Sameroff, M. Lewis, & S. M. Miller (Eds.), *Handbook of developmental psychopathology* (pp. 237-256). New York: Guilford.

Swann, W. B., Jr. (1991). To be adored or to be known? The interplay of self-enhancement and self-verification. In E. T. Higgins & R. M. Sorrentino (Eds.), *Handbook of motivation and cognition* (pp. 408-450). New York: Guilford.

Swann, W. B., Jr. (1992). Seeking "truth," finding despair: Some unhappy consequences of a negative self-concept. *Current Directions in Psychological Science*, I, 15-18.

Swann, W. B., Jr. (1997). The trouble with change: Self-verification and allegiance to the self. *Psychological Science*, 8, 177-180.

Swann, W. B., Jr., De La Ronde, C., & Hixon, J. G. (1994). Authenticity and positivity strivings in marriage and courtship. *Journal of Personality and Social Psychology*, 66, 857-869.

Swann, W. B., Jr., Griffin, J. J., Jr., Predmore, S. C., & Gaines, B. (1987). The cognitive-affective crossfire: When self-consistency confronts self-enhancement. *Journal of Personality and Social Psychology*, 43, 59--66.

Swann, W. B., Jr., Hixon, J. G., & De La Ronde, C. (1992). Embracing the bitter "truth." *Psychological Science*, 3, 118-121.

Swann, W. B., Jr., Pelham, B. W., & Krull, D. S. (1989). Agreeable fancy or disagreeable truth? Reconciling self-enhancement and self-verification. *Journal of Personality and Social Psychology*, 57, 782-791.

Swann, W. B., Jr., & Read, S. J. (1981). Acquiring self-knowledge: The search for feedback that fits. *Journal of Personality and Social Psychology*, 41,1119-1128.

Swann, W. B., Jr., Stein-Seroussi, A., & Giesler, R. B. (1992). Why people self-verify. *Journal of Personality and Social Psychology*, 62,392-401.

Swann, W. B., Jr., Wenzlaff, R. M., Krull, D. S., & Pelham, B. W. (1992). The allure of negative feedback: Self-verification strivings among depressed persons. *Journal of Abnormal Psychology*, 101, 293-306.

Taft, R. (1959). Multiple methods of personality assessment. *Psychological Bulletin*, 52, 1-23.

Tang, T. Z., & DeRubeis, R. J. (1999a). Reconsidering rapid early response in cognitive behavioral therapy for depression. *Clinical Psychology: Science and Practice*, 6, 283-288.

Tang, T. Z., & DeRubeis, R. J. (1999b). Sudden gains and critical sessions in cognitive-behavioral therapy for depression. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 67, 894-904.

Taylor, S. E., Kemeny, M. E., Reed, G. M., Bower, J. E., & Gruenewald, T. L. (2000). Psychological resources, positive illusions, and health. *American Psychologist*, 55, 99-109.

Tellegen, A. (1991). Personality traits: Issues of definition, evidence and assessment. In D. Cicchetti & W. Grove (Eds.), *Thinking clearly about psychology; Essays in honor of Paul Everett Meehl* (pp. 10-35). Minneapolis: University of Minnesota Press.

Tellegen, A. (1993). Folk concepts and psychological concepts of personality and personality disorder. *Psychological Inquiry*, 4, 122-130.

Tellegen, A., & Waller, N. (in press). Exploring personality through test construction: Development of the Multidimensional Personality Questionnaire. In S. R. Briggs & J. M. Cheek (Eds.), *Personality measures; Development and evaluation*. Greenwich, CT: JAI Press.

Tesser, A. (1988). Toward a self-evaluation model of social behavior. *Advances in Experimental Social Psychology*, 21,181-227.

Tesser, A. (1993). The importance of heritability in psychological research: The case of attitudes. *Psychological Review*, 100, 129-142.

Tesser, A. (2001). On the plasticity of self-defense. *Current Directions in Psychological Science*, 10, 66-69.

Tesser, A., Pilkington, C. J., & McIntosh, W. D. (1989). Self-evaluation maintenance and the meditational role of emotion: The perception of friends and strangers. *Journal of Personality and Social Psychology*, 57,442-456.

Thigpen, C. H., & Cleckley, H. (1954). *The three faces of Eve*. Kingsport, TN: Kingsport Press.

Thorne, A. (1989). Conditional patterns, transference, and the coherence of personality across time. In D. M. Buss & N. Cantor (Eds.), *Personality psychology; Recent trends and emerging directions* (pp. 149-159). New York: Springer-Verlag.

Tice, D. M. (1991). Esteem protection or enhancement? Self-handicapping motives and attributions differ by trait self-esteem. *Journal of Personality and Social Psychology*, 60,711-725.

Tolman, E. C. (1925). Purpose and cognition: The determiners of animal learning. *Psychological Review*, 32, 285-297.

Tolman, E. C. (1932). *Purposive behavior in animals and men.* New York: Century.

Tomkins, S. S. (1962). Commentary. The ideology of research strategies. In S. Messick & J. Ross (Eds.), *Measurement in personality and cognition* (pp. 285-294). New York: Wiley.

Tomkins, S. S. (1963). *Affect, imagery, consciousness: The negative affects*. New York: Springer.

Tomkins, S. S. (1981). The quest for primary motives: Biography and autobiography of an idea. *Journal of Personality and Social Psychology*, 41, 306-329.

Tomkins, S. S. (1991). *Affect, imagery, consciousness; Anger and fear*. New York: Springer.

Tooby, J., & Cosmides, L. (1990). On the universality of human nature and the uniqueness of the individual: The role of genetics and adaptation. *Journal of Personality*, 58, 17--68.

Tooby, J., & Cosmides, L. (1992). The psychological foundations of culture. In J. H. Barkow, L. Cosmides, & J. Tooby (Eds.), *The adapted mind: Evolutionary psychology and the generation of culture*. New York: Oxford University Press.

Triandis, H. C. (1995). *Individualism and collectivism.* Boulder, CO: Westview Press.

Trivers, R. (1972). Parental investment and sexual selection. In B. Campbell (Ed.), *Sexual selection and the descent of man*; 1871-1971 (pp. 136-179). Chicago: Aldine.

Trull, T. J. (1992). DSM-III-R personality disorders and the five-factor model of personality: An empirical comparison. *Journal of Abnormal Psychology*, 101,553-560.

Tryon, R. C. (1940). Genetic differences in maze learning in rats. In *National Society for the Study of Education*. Bloomington, IL: Public School Publishing.

Tulving, E. (1993). Self-knowledge of an amnesic is represented abstractly. In T. K.Sroll & R. S. Wyer (Eds.), *Advances in social cognition* (Vol. 5, pp. 147-156). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Turkheimer, E. (1991). Individual and group differences in adoption studies of IQ. *Psychological Review*, 110, 392-405.

Turkheimer, E. (2000). Three laws of behavior genetics and what they mean. *Current Directions in Psychological Science*, 9, 160-164.

Van IJzendoorn, M. H., & Sagi, A. (1999). Cross-cultural patterns of attachment. In J. Cassidy & P. R. Shaver (Eds.), *Handbook of attachment* (pp. 713-734). New York: Guilford.

Wachs, T. D. (1992). *The nature of nurture*. Newbury Park, CA: Sage.

Wachtel, P. (Ed.). (1982). *Resistance: Psychodynamic and behavioral approaches*. New York: Plenum.

Waddington, C. H. (1957). *The strategy of genes*. New York: Macmillan.

Waller, N. G., & Shaver, P. R. (1994). The importance of nongenetic influences on romantic love styles. *Psychological Science*, 5, 268-274.

Wallerstein, R. S. (1989). The psychotherapy research project of the Menninger Foundation: An overview. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 57, 195-205.

Wallston, K. A., & Wallston, B. S. (1981). Health locus of control scales. In H. M. Lefcourt (Ed.), *Research with the locus of control construct* (pp. 189-243). New York: Academic.

Wampold, B. E. (2001). *The great psychotherapy debate*. Mahwah, NJ: Erlbaum.

Wang, Q. (2001). Culture effects on adults' earliest childhood recollection and self-description: Implications for the relation between memory and the self. *Journal of Personality and Social Psychology, 81, 220-233.*

Watson, D. (1988). Intraindividual and interindividual analyses of positive and negative affect: Their relation to health complaints, perceived stress, and daily activities. *Journal of Personality and Social Psychology*, 54, 1020-1030.

Watson, D. (1989). Strangers' ratings of the five robust personality factors: Evidence of a surprising convergence with self-reports. *Journal of Personality and Social Psychology*, 52, 120-128.

Watson, D. (2000). *Mood and temperament*. New York: Guilford.

Watson, D., & Clark, L. A. (1984). Negative affectivity: The disposition to experience aversive emotional states. *Psychological Bulletin*, 96, 465-490.

Watson, D., & Clark, L. A. (1992). On traits and temperament: General and specific factors of emotional experience and their relation to the five-factor model. *Journal of Personality*, 60,441-476.

Watson, D., & Clark, L. A. (1993). Behavioral disinhibition versus constraint: A dispositional perspective. In D. W. Wegner & J. W. Pennebaker (Eds.), *Handbook of mental control* (pp. 506-527). Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Watson, D., Hubbard, B., & Wiese, D. (2000). Self-other agreement in personality and affectivity: The role of acquaintanceship, trait visibility, and assumed similarity. *Journal of Personality and Social Psychology*, 78, 546-558.

Watson, D., & Pennebaker, J. W. (1989). Health complaints, stress, and distress: Exploring the central role of Negative Affectivity. *Psychological Review*, 96, 234-254.

Watson, D., Wiese, D., Vaidya, J., & Tellegen, A. (1999). The two general activation systems of affect: Structural findings, evolutionary considerations, and psychological evidence. *Journal of Personality and Social Psychology*, 76, 820-838.

Watson, J. B. (1919). Psychology from the standpoint of a behaviorist. Philadelphia: Lipincott.

Watson, J. B. (1928). *The ways of behaviorism*. New York: Harper.

Watson, J. B. (1930). *Behaviorism*. Chicago: University of Chicago Press.

Watson, J. B., & Rayner, R. (1920). Conditioned emotional reactions. *Journal of Experimental Psychology*, 3, 1-14.

Wegner, D. M. (1992). You can't always think what you want: Problems in the suppression of unwanted thoughts. *Advances in Experimental Social Psychology*, 25,193-225.

Wegner, D. M. (1994). Ironic processes of mental control. *Psychological Review*, 101, 34-52.

Wegner, D. M., Schneider, D. J., Carter, S. R., & White, T. L. (1987). Paradoxical effects of thought suppression. *Journal of Personality and Social Psychology*, 53,5-13.

Wegner, D. M., Shortt, G. W., Blake, A. W., & Page, M. S. (1990). The suppression of exciting thoughts. *Journal of Personality and Social Psychology*, 58,409-418.

Weinberger, J. (1992). Validating and demystifying subliminal psychodynamic activation. In R. F. Bornstein & T. S. Pittman (Eds.), *Perception without awareness* (pp. 170-188). New York: Guilford.

Weinberger, J. (2002). *Unconscious processes*. New York: Guilford.

Weinberger, J., & Silverman, L. H. (1987). Subliminal psychodynamic activation: A method for studying psychoanalytic dynamic propositions. In R. Hogan & W. Jones (Eds.), *Perspectives in personality: Theory, measurement, and interpersonal dynamics* (pp. 251-287). Greenwich, CT: JAI Press.

Weiner, B. (1985). An attributional theory of achievement motivation and emotion. *Psychological Review*, 92, c/l 548-573.

Weiner, B. (1990). Attribution in personality psychology. In L. A. Pervin (Ed.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 465-485). New York: Guilford.

Weiner, B. (1992). *Human motivation*. Newbury Park, CA: Sage.

Weiner, B. (1993). On sin versus sickness: A theory of perceived responsibility and social motivation. *American Psychologist,* 48, 957-965,

Weiner, B., & Graham, S. (1999). Attribution in personality psychology. In L. A. Pervin & O. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 605-628). New York: Guilford.

Weiner, J. (1999). *Time, love, memory*. New York: Knopf.

Weiskrantz, L. (1986). *Blindsight*. Oxford: Oxford University Press.

Weiss, J., & Sampson, H. (1986). *The psychoanalytic process*. New York: Guilford.

Weisz, J. R., McCarty, C. A., Eastman, K. L., Chaiyasit, W., & Suwanlert, S. (1997). Developmental psychopathology and culture: Ten lessons from Thailand. In S. S. Luthar, J. A. Burack, D. Cicchetti, & J. R. Weisz (Eds.), *Developmental psychopathology: Perspectives on adjustment, risk, and disorder* (pp. 568-592). Cambridge: Cambridge University Press.

Werker, J. (1989). Becoming a native listener. *American Scientist*, 77, 54-59.

Westen, D. (1992). The cognitive self and the psychoanalytic self: Can we put ourselves together? *Psychological Inquiry*, 3, 1-13.

Westen, D. (1998). The scientific legacy of Sigmund Freud: Toward a psychodynamically informed Psychological science. *Psychological Bulletin*, 124, 333-371.

Westen, D., & Gabbard, G.O. (1999). Psychoanalytic approaches to personality. In L. A. Pervin & 0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 57-101). New York: Guilford.

Whalen, P. J. (1999). Fear, vigilance, and ambiguity: Initial neuroimaging studies of the human amygdala. *Current Directions in Psychological Science*, 7, 177-188.

Whisman, M. A. (1993). Mediators and moderators of change in cognitive therapy of depression. *Psychological Bulletin*, 114, 248-265.

White, G. M. (1993). Emotions inside out: The anthropology of affect. In M. Lewis & J. M. Haviland (Eds.), *Handbook of emotions* (pp. 29-40). New York: Guilford.

White, R. W. (1959). Motivation reconsidered: The concept of competence. *Psychological Review*, 66, 297-333.

White, T. L., & Depue, R. A. (1999). Differential association of traits of fear and anxiety with norepi-nephrine- and dark-induced pupil reactivity. *Journal of Personality and Social Psychology*, 77, 863-877.

Widiger, T. A. (1992). Categorical versus dimensional classification: Implications from and for research. *Journal of Personality Disorders*, 6, 287-300.

Widiger, T. A. (1993). The DSM-III-R categorical personality disorder diagnoses: A critique and an alternative. *Psychological Inquiry*, 4, 75-90.

Widiger, T. A. (1994). LSB on the SASH, FFM, and IPC. *Psychological Inquiry*, 5, 329-332.

Widiger, T. A., Verheul, R., & van den Brink, W. (1999). Personality and psychopathology. In L. A. Pervin & 0. P. John (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research* (pp. 347-366). New York: Guilford.

Wiedenfeld, S. A., Bandura, A., Levine, S., O'Leary, A., Brown, S., & Raska, K. (1990). Impact of perceived self-efficacy in coping with stressors in components of the immune system. *Journal of Personality and Social Psychology*, 59, 1082-1094.

Wiener, N. (1948). *Cybernetics*. New York: Wiley.

Wierzbicka, A. (1999). *Emotions across languages and cultures: Diversity and universals*. New York: Cambridge University Press.

Wiggins, J. S. (1973). *In defense of traits*. Unpublished manuscript. University of British Columbia, Vancouver.

Wiggins, J. S. (1991). Agency and communion as conceptual coordinates for the understanding and measurement of interpersonal behavior. In D. Cicchetti & W. Grove (Eds.), *Thinking clearly about psychology: Essays in honor of Paul Everett Meehl* (pp. 89-113). Minneapolis: University of Minnesota Press.

Wiggins, J. S., Phillips, N., & Trapnell, P. (1989). Circular reasoning about interpersonal behavior: Evidence concerning some untested assumptions underlying diagnostic classification. *Journal of Personality and Social Psychology*, 56, 296-305.

Wiggins, J. S., & Pincus, A. L. (1992). Personality: Structure and assessment. *Annual Review of Psychology*, 43, 473-504.

Wilson, G. (1978). Introversion/extroversion. In H. London & J. E, Exner (Eds.), *Dimensions of personality* (pp. 217-261). New York: Wiley.

Wilson, G. T. (1999). Rapid response to cognitive behavior therapy. *Clinical Psychology: Science and Practice*. 6, 289-292.

Wilson, T. D. (1994). The proper protocol: Validity and completeness of verbal reports. *Psychological Science*, 5, 249-252.

Wilson, T. D., & Stone, J. I. (1985). Limitations of self-knowledge: More on telling more than we can know. *Review of Personality and Social Psychology*, 6, 167-184.

Wilson, W. R. (1979). Feeling more than we can know: Exposure effects without learning. *Journal of Personality and Social Psychology*, 37, 811-821.

Winter, D. G. (1973). *The power motive*. New York: Free Press.

Winter, D. G. (1988). The power motive in women and men. *Journal of Personality and Social Psychology*, 54, 510-519.

Winter, D. G. (1992). Content analysis of archival productions, personal documents, and everyday verbal productions. In C. P. Smith (Ed.), *Motivation and personality: Handbook of thematic content analysis* (pp. 110-125). Cambridge, England: Cambridge University Press.

Winter, D. G. (1993). Power, affiliation, and war: Three tests of a motivational model. *Journal of Personality and Social Psychology*, 65, 532-545.

Winter, D. G., John, O. P., Stewart, A. J., Klohnen, E.C., & Duncan, L. E. (1998). Traits and motives: Toward an integration of two traditions in personality research. *Psychological Review*, 105, 230-250.

Witelson, S. F., Kigar, D. L., & Harvey, T. (1999). The exceptional brain of Albert Einstein. *Lancet*, 353, 2149-2153.

Witkin, H. A. (1973). The role of cognitive style in academic performance and in teacher-student relations. Educational Testing Service Research Bulletin. Princeton, NJ: Educational Testing Services.

Witkin, H. A., Dyk, R. B., Faterson, H. F., Goodenough, D. R., & Karp, S. A. (1962). *Psychological differentiation*. New York: Wiley.

Witkin, H. A., Lewis, H. B., Hertzman, M., Machover, K., Meissner, P. B., & Wapner, S. (1954). *Personality through perception*. New York: Harper & Row.

Woike, B. A., & McAdams, D. P. (2001). TAT-based personality measures have considerable validity. *Psychological Science in the Public Interest*, 14, 10.

Wood, J. M., Bootzin, R. R., Kihlstrom, J. F., & Schacter, D. L. (1992). Implicit and explicit memory for verbal information presented during sleep. *Psychological Science*, 3, 236-239.

Wortman, C. B., & Loftus, E. F. (1992). *Psychology*. New York: McGraw-Hill.

Wright, L. (1997). *Twins: And what they tell us about who we are*. New York: Wiley.

Wylie, R. C. (1961). *The self-concept*. Lincoln: University of Nebraska Press.

Yang, K., & Bond, M. H. (1990). Exploring implicit personality theories with indigenous or important constructs: The Chinese case. *Journal of Personality and Social Psychology*, 58, 1087-1095.

Yik, M. S. M., & Bond, M. H. (1993). Exploring the dimensions of Chinese person perception in indigenous and imported constructs: Creating a culturally balanced scale. *International Journal of Psychology*, 28, 75-95.

Young, J. E., Beck, A. T., & Weinberger, A. (1993). Depression. In D. H. Harlow (Ed.), *Clinical handbook of psychological disorders* (2nd ed., pp. 240-277). New York: Guilford.

Young, P. T. (1961). *Motivation and emotion*. New York: Wiley.

Zajonc, R. B. (1968). The attitudinal effects of mere exposure. *Journal of Personality and Social Psychology Monograph, 9*, Part 2.

Zuckerman, M. (1991). *Psychobiology of personality*. New York: Cambridge University Press.

Zuckerman, M., Joireman, J., Kraft, M., & Kuhlman, D. M. (1999). Where do motivational and emotional traits fit within three factor models of personality? *Personality and Individual Differences*, 26, 487-504.

المؤلف فى سطور:

لورانس برڤين

أستاذ علم النفس بجامعة روتجرز، وهو مؤلف لأكثر من ستين بحثًا نُشرت بالمجلات العلمية، وعدّة كتب منها: **خلافات وقضايا فى الشخصية** (الطبعة الثانية ٢٠٠٢)، وحرر كتاب "**مفاهيم فى الشخصية وعلم النفس الاجتماعى**" ١٩٨٩، وشارك أوليفرز جون فى تحرير كتاب "**مصدر فى الشخصية: النظرية والبحث**" (١٩٩٩)، وشارك كاريى كوير فى تحرير كتاب "**الشخصية: مفاهيم حرجة فى علم النفس**" ١٩٩٨ .

المترجمون فى سطور:

الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود السيد

أستاذ علم النفس بكلية الآداب، جامعة القاهرة، **والذى قام بمراجعة هذا الكتاب وترجمة خمسة فصول منه، وله ١٢ بحثًا منشورًا فى مجلات (عربية أو أجنبية)**، منها: نحو جامعة تُنمى قدرات التفكير الإبداعى والاستدلالى والناقد، (١٩٩٩) **و٢٨ بحثًا منشورًا فى كتب مستقلة منها: السمات الشخصية والسياق النفسى الاجتماعى للأحداث الجانحين والمعرضين للانحراف فى مصر، (٢٠٠٨)**، (تحت النشر)، **الأسس النفسية لإعداد المقررات الدراسية بمراحل التعليم العام (قبل الجامعى)**، بما يُنمى قدرات الإبداع، (٢٠٠٥)، **مشكلة المخدرات والشباب فى الوطن العربى**، دراسة لدرجة انتشار المعلومات والخبرات بالمخدرات بين الشباب من تلاميذ الثانوى العام بالبلاد العربية؛ (١٩٩٧)، **تعاطى تلاميذ المدارس الثانوى فى مدينة القاهرة الكبرى المواد المؤثرة فى الأعصاب، (١٩٩١)، الترتيب القيمى لمشكلات المجتمع المصرى: دراسة مسحية ميدانية لعينة ممثلة للجمهور المصرى العام**، وعينة للجمهور الخاص (١٩٨٦)، **الأسرة وإبداع الأبناء**، (١٩٨٠)، **العنف الجماهيرى التلقائى مثيراته وأساليب الوقاية منه، (١٩٧٦)، وله ١٣ كتابًا مؤلفًا منها: تذكر المسنين، (٢٠٠٦)، علم النفس الاجتماعى المعاصر**، (مع آخرين)، (٢٠٠٤)، **علم النفس العام**، (مع آخرين)، (١٩٩١)، **وله ٦ كتب مترجمة**، منها: **الاتجاهات الحديثة فى دراسة التأخر العقلى، (١٩٨٦)، و٤٤ بحثًا أُلقيت فى مؤتمرات وندوات، منها**: أسس الخدمة النفسية للمسنين فى البلاد العربية، **مؤتمر الدوحة العالمى لرعاية المسنين، أبريل (٢٠٠٥)**، وأشرف على **١٧ رسالة دكتوراه و٣٢رسالة ماجستير**، وناقش **٢٢ رسالة دكتوراه، و٣٢ رسالة ماجستير** .

الدكتور أيمن محمد عامر:

أستاذ مساعد بقسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة القاهرة، **قام بترجمة أربعة فصول من هذا الكتاب** له بحوث ميدانية فى مجال الإبداع، مثل: **الحل الإبداعى للمشكلات بين الوعى والأسلوب، (٢٠٠٣)**، واقع الدراسات النفسية للإبداع فى مصر، وعدد من المقالات التى تقدم تصورات مقترحة، مثل: الإبداع وأساليب تنميته، إطار تصنيفى، الإبداع والتعاطى: تصور مقترح لمداخل العلاقة بينهما . **وتنمية مهارات التفكير الإبداعى**، فصل كتاب محرر بعنوان: **التفكير العلمى أسسه ومهارته**، القاهرة، (٢٠٠٦)، وله بحوث منشورة فى كتب محررة، حول انتشار تعاطى المخدرات لدى تلاميذ المدارس الثانوية (العامة والفنية وسكان الريف)، التى يصدرها البرنامج الدائم لبحوث تعاطى المخدرات، وشارك فى ترجمة **"مصدر فى علم نفس الإبداع"**، تحرير ستيرنبرج .

الدكتور محمد يحيى الرخاوى:

مدرس علم النفس بقسم علم النفس، بكلية الآداب، جامعة القاهرة، **قام بترجمة أربعة فصول من هذا الكتاب**، له بحوث حول **العلاقة بين الفائض اللفظى فى الكلام الشفاهى، وكل من القدرات الإبداعية وسمات الشخصية، ألفاظ الاستعانة وعلاقتها بكل من الأساليب المعرفية والثقافية**، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (٢٠٠٢)، الفرق بين وصمة المدمن ووصمة المدمنة وعلاقته بالفروق بين الجنسين، (تحت الطبع) .

التصحيح اللغوى : حسن خضر
الإشـــراف الفنى : حسن كامل

إلى أى حد تستقر الشخصية عبر الزمن؟ وعبر المواقف؟ وكيف نستطيع أن نضع فى حسابنا الاستقرار والتغير؟ وكيف تؤثر كل من المورِّثات ومتغيرات البيئة (أو كيف يتفاعل الطبع مع التطبع فى إنتاج شخصية الفرد؟ وكيف وإلى أى مدى تؤثر العمليات اللاشعورية فيما نشعر به ونفعله؟ وما وظيفة الذات؟ وإلى أى حد يختلف مفهوم الذات عبر الثقافات؟ وهل يؤثر كل من التفكير والمشاعر فى الصحة النفسية والجسمية؟ وما علاقة مناهج علم النفس العصبى بجهودنا فى فهم وظائف الشخصية؟

مثل هذه الأسئلة وغيرها، تبرز موضوع البحوث المعاصرة فى الشخصية، وهو الأساس لما سيتم تقديمه فى هذا الكتاب.

تصميم الغلاف: عبد الحكيم صالح